

کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

الثغر الباسم في صناعة المجاتب والمجاتم

المعروف باسم

(المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء للخالدي)

تأليف

شمس الدين محمد السحماوي

المتوفى عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ م

دراسة وتحقيق

د. أشرف محمد أنس

مراجعة

أ.د. حسين نصار

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

السحماوى، شمس الدين محمد.

الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتب، المعروف،
باسم المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الإنشاء
للخالدى/ تأليف شمس الدين محمد السحماوى؛ دراسة
وتحقيق أشرف محمد أنس؛ مراجعة حسين نصار..
القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009-

مج 1 ؛ 29 سم.

تدمك 6 - 0669 - 18 - 977

١ - الإنشاء الأدبى (أدب عربى)

أ - أنس، أشرف محمد (دارس ومحقق)

ب - نصار، حسين (مراجع) ج - العنوان.

٨١٩

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩/١٩٦٠٦

I.S.B.N. 977 - 18 - 0669 - 6

الثغر الباسم

فج

صناعة المجاتر والمجاتر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مثلت كتب الدساتير في عصر المماليك نوعاً مهماً من أنواع المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في التأريخ لتلك الفترة، سواء على النطاق التاريخي أو الأدبي، وقد تمثلت هذه الأهمية في تتبع التطور الإداري لوظائف الدولة، وتتبع التطور الحادث في هذه الوظائف علواً وهبوطاً، وذلك من خلال الألقاب المستحقة لكل وظيفة، وأيضاً العلاقات الدبلوماسية بين مصر في عصر المماليك وغيرها من دول العالم في ذلك الوقت .

وعلى الرغم مما تمثله هذه المصادر من أهمية تاريخية كبيرة، إلا أنها خضعت لمعيار كونها كتباً ذات قيمة ضعيفة تاريخياً، اللهم إلا كتاب القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، لما حواه هذا الكتاب من ذخائر معرفية تعدت الدور المرسوم لهذا الكتاب، وهو أن يكون كتاباً في صناعة الإنشاء. وبجانب ذلك، فإن هذه النوعية من الكتب، ظل التعريف بها قاصراً على أنها نوع من المؤلفات الأدبية، التي تساعد في تفسير بعض الحوادث التاريخية، ولا توجد لها استقلالية الغرض في التأليف فيها، أو أنها تعبر عن فن جديد ظهر، وأخذ يستكمل أغراض بنائه، حتى اكتمل في عصر المماليك.

كل ذلك استدعى المحاولة للتأصيل لهذه الكتب، والتأريخ لظهورها، ومدى ما أسهمت به في الدراسات التاريخية، ومحاولة النظر إليها نظرة موضوعية، تتسم بالإنصاف، وتغيير الرأي القائل بأن هذه النوعية من الكتب كانت متشابهة في أغراضها ومناهجها، سواء على مستوى التنظيم، أو المصادر التي استقت منها معلوماتها.

ومن أجل ذلك فقد عمدت إلى تحقيق كتاب مشهور لدى المشتغلين بالتاريخ باسم "المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء" للخالدي، لكي تكتمل به سلسلة المؤلفات الكبرى في ديوان الإنشاء وصناعتها، بدءاً من الشهاب العمري إلى القلقشندي، وكما يظهر من خلال الدراسة السابقة على تحقيق الكتاب، أمكن التوصل إلى نتائج عدة، من أهمها أن الكتاب الذي بين أيدينا عنوانه في الأصل " الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتب " لشمس الدين محمد بن محمد السحماوي الشافعي المتوفى عام ٨٦٨هـ، وأن ما درج عليه السابقون من نسبته للخالدي لم يكن أكثر من خطأ سار عليه السابقون أمكن تصحيحه عند تحقيقنا لهذا الكتاب.

ولكن بعد تحقيقي للكتاب بأربع سنوات، اتضح لي أن هناك من حاول تحقيقه من قبل خارج مصر، في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القديس يوسف بيروت عام ١٩٨٨م، وهو الأستاذ خليل شحادة، وعلى ذلك حاولت العثور على النسخة التي حققها للوقوف عليها والنظر فيها، وبالفعل قمت بدراسة مقارنة بين ما قمت به، وتحقيقه، وها أنا ذا أقدم بعض الملاحظات التي أمكن رصدها وليس جميعها وأترك الحكم للقارئ اللبيب.

تنقسم هذه الملاحظات النقدية إلى قسمين، الأول دراسته للمخطوط ومنهج تحقيقه، والثاني حول طريقة التحقيق وأوجه القصور بها.

أولاً: دراسته للمخطوط ومنهجيته في التحقيق:

بدأ المحقق دراسته للتحقيق التي استمرت حتى صفحة ٥٥، ويمكن أن نتناول طريقة دراسته في عدة أمور.

١ — أنه لم يقم بالتعرض لكاتب المخطوط أو التعريف به أو بنوعية هذا الكتاب أكثر من أنه تناول الكتب التي اعتمد عليها في تحقيقه سواء التعريف للعمري، أو التثقيف لابن ناظر الجيش، أو صبح الأعشى للقلقشندي، فذكر ما هو معروف بدون إضافة وذلك في الصفحات ١٦: ٦.

٢ — في القسم الثاني الخاص بالبحث عن المؤلف ومنهجه والموجود في صفحات ١٧: ٢١، لم يذكر فيه أي جديد عن المؤلف إلا أنه مجهول وأنه يبدو أنه من كتاب ديوان الإنشاء في عصر برسباي، ولم يشر من قريب أو من بعيد لمنهج المؤلف المجهول بالنسبة له في طريقة كتابته.

٣ — أنه اعتمد في التحقيق على المقارنة بمصادر سبقت هذا الكتاب وهي طبعاً التعريف للعمري، والتثقيف لابن ناظر الجيش، وصبح الأعشى للقلقشندي، ولم يفتن إلى أن بجانب هذه المصادر الهامة هناك عدة مصادر كانت جديرة بالمقارنة بينها وبين نص المخطوط لكون المؤلف اعتمد عليها مباشرة في عدة أقسام من الكتاب، مثل كتاب " الجواهر الثمين " لابن دقماق الذي اعتمد عليه كاتب المخطوط في القسم الثاني الخاص بالقسم التاريخي منذ حديثه عن دولة الخلافة الراشدة حتى نهاية القسم، بالإضافة إلى المسالك والممالك للعمري في القسم الثالث والخامس، ونهاية الأرب للنويري في القسم الثاني الخاص بالسيرة النبوية.

٤ — أنه يعزو لكاتب المخطوط أنه عامي العبارة ولم يلتفت إلى التناقض في كون كاتب الكتاب كما يظهر من كُتَّاب الديوان، فكيف بعباراته تكون عامية بهذا الشكل، والأمر ببساطة أن الجزء الذي قال بعاميته لدى المؤلف، لم يكن أكثر من نقل حرفي من ابن دقماق في جوهره، والمعروف أن ابن دقماق كان عامي العبارة، نظراً لأصوله المملوكية التركية. ولكن لتحليل هذه النقطة فإن طريقة اعتماد المؤلفين على السابقين عليهم كانت تتم بطريقة النقل الحرفي في بعض الأحيان بدون غضاضة من المعاصرين، وذلك لانتشار هذه الطريقة بين الكتاب، ولذلك فإن القول بعامية المؤلف عامة ليست صحيحة إذ كيف يكون عامياً لدرجة كاملة في جزء، ومتوازناً في بقية الأجزاء إلا إذا كان بالكيفية التي ذكرتها أنفاً.

٥ — أنه في بقية صفحات المقدمة تعرض بالتأريخ للعصر المملوكي في النواحي التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يذكر ما صلة ذلك بالمؤلف، بل أنه من خلال التعرض لأهمية الكتاب، اختصر هذه الأهمية فيما ذكر في القسم التاريخي، من غير التعرض للعديد من الأهمية لهذا الكتاب، مثل القسم الرابع الذي انفرد فيه المؤلف بما لكاتب السر من مهام بالتفصيل، ورصده للوظائف التي استجدت أو ألغيت بعد عصر القلقشندي وغيرها.

ثانياً: طريقة التحقيق وأوجه القصور بها:

١ — أنه اعتمد في مصادر تحقيق المعلومات على الكتب المتوافرة لديه حتى ولو كان هناك ما يجيها من حيث المعاصرة للحدث أو الأهمية في التعريف والتعليق على معلومات التحقيق، مثلما اعتمد اعتماداً كلياً على البداية والنهاية لابن كثير في التعريف بالشخصيات المعاصرة للرسول صلى الله عليه وسلم، تاركاً كتب الطبقات والسيرة المعتمدة، بل أنه اعتمد على كتاب العبر لابن خلدون في التعريف ببعض الشخصيات المملوكية، مثلما حدث عند التعريف بالأمير بدر الدين بكتاش الفخري، على الرغم من وجود كتب التراجم المعاصرة التي تنبذ كتاب العبر في هذا المجال.

٢ — أنه قام بالتعريف بالشخصيات المعروفة والتي لا تحتاج إلى تعريف سواء لشهرتها مثل الخلفاء الراشدين، أو لذكرها داخل الكتاب بالتفصيل مثل بعض خلفاء بني أمية وبني العباس. وفي المقابل لم يقوم بالتعريف بأي من الشخصيات غير المعروفة من الأمراء والوزراء وغيرهم.

٣ — لم يقم بالتعريف بالعديد من الأماكن الجغرافية أو الأثرية، وخاصة في مصر، والغامض منها على وجه الخصوص مثلما غفل عن التعريف عن جامع الفكاكين، وسوق الشوايين، وذلك حدث في العديد من أجزاء المخطوط من غير حصر.

٤ — وجود العديد من الأخطاء في قراءة المخطوط بل وتزيين القراءة الخاطئة بالتعليق بطريقة مبالغ فيها، سواء بالتعليق على الكلمة، أو بالاستغراب من وجودها، فعلى سبيل المثال حينما ذكر أن الناصر محمد رآك البلاد قرأها (زال) بل علق عليها (زال قال فلان يزول في الناس أي يكثر الحركة ولا يستقر)، فلم يعرف أن من أهم ما قام به الناصر محمد بن قلاوون هو إعادة مسح الأراضي الزراعية أو ما يعرف بالروك الناصري. ومثال آخر حينما ذكر مقتل الخليفة الظافر الفاطمي، وسبب القتل، جاء ذكر الملك عباس وزيره وولده نصر، فاستغرب المحقق وعلق بجانب الكلمة بـ (كذا) ولو كان اجتهد قليلاً في مصادر التاريخ الفاطمي لوجد الوالد والولد بالتفصيل عند ابن ميسر في أخبار مصر، والمقريري في اتعاظ الحنفا. بالإضافة إلى قوله عن حبس المعونة (حبس المعزية)، بلدة شندويل (سندويل)، سندبیس (سندبس) وذلك في المتن والفهارس.

٥ — لم يحاول أن يقارن بين ما كتب في المخطوط وبين من قارنه معهم، بل حط من قدر المؤلف بحيث جعله مجرد ناقل ولو قارن مثلاً بين ما ذكر عند القلقشندي وعند صاحب المخطوط عن تحويل السنين فسيعلم أن صاحب مخطوطه أصوب من القلقشندي بعد مقارنته بما ذكر عند معظم المؤرخين المعاصرين أمثال ابن حجر والمقريري.

٦ — تركه للعديد من الفراغات بدون محاولة البحث عن بعضها لدى المصادر الأخرى، بالإضافة إلى أنه كان هناك العديد من الكلمات موجودة في الأصل الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس إلا أنه لم يذكر ذلك مثلما قال عن وقف الفائز على الأشراف ورقة ٦١ ظ [وأوقف (بياض) على الأشراف] والياض الذي ذكره هو بلدة بلقس التي لم يقرأها جيداً، وإن كان له العذر في بعض هذه الفراغات التي كانت مكتوبة بالفعل، ولكنها في الأصل باللون الأزرق فلم تظهر في التصوير.

وهناك العديد من المآخذ على هذه الشاكلة، ولكن تم اختصارها حتى لا يكون هناك تكرار ولذلك فقد ذكرت مثالا أو اثنين في كل حالة.

السحماوي وكتابه الثغر الباسم:

نأتى إلى صاحب الكتاب الذى يتم تحقيقه ونشره، ومحاولة معرفة منهجه في الكتابة، وتبسيط الضوء على الكاتب والكتاب، لكى نستطيع رسم صورة متكاملة عن كتب الدساتير ومؤلفيها في عصر الماليك، على اعتبار أن كتاب الثغر الباسم المعروف لدينا باسم " المقصد الرفيع " هو آخر ما وصل إلينا من الدساتير المعنية بديوان الإنشاء في عصر الماليك ^(١).

مؤلف الكتاب:

درج العديد من المؤرخين المحدثين على الاستعانة بمخطوط " المقصد الرفيع المنشأ الهادى _ الحاوى _ لديوان الإنشاء " لمؤلفه عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله بن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدى. وهذا المخطوط توجد منه نسخة وحيدة في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم **Arabe ٤٤٣٩**، منه صورة بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥، وأخذت منه دار الكتب المصرية صورة ميكرو فيلم تحت رقم ٢١٠٣١ ز. ويقع هذا المخطوط في ٣٣٠ لوحة [٦٦٠ صفحة]، عدد الأسطر في كل صفحة ٢٣ سطر، ومقياس الصفحة ٢٨٠ × ١٨٥ × ٧٠ مم. ولم تكن هناك معلومات كافية عن الكاتب والكتاب، إلا محاولات اجتهدية للمحدثين بناء على قراءتهم للكتاب، التى تركزت في أن كاتب الكتاب أحد العاملين بديوان الإنشاء ^(٢) عهد الأشرف برسباى ٨٢٥ _ ٨٤١ هـ | ١٤٢٢ _ ١٤٣٧ م، وإن كان د | أحمد دراج قد أشار إلى أن الكتاب قد أُلّف في عهد الأشرف إينال ٨٥٧ _ ٨٦٥ هـ | ١٤٥٣ _ ١٤٦٠ م ^(٣) _ بناء على ملاحظة وحيدة في الكتاب تُظهر ذلك ^(٤) _، والبعض أرجع تاريخ

(١) أحمد دراج: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، مكة ١٤٠١ هـ، ص ١١٢.

(٢) محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر، القاهرة ١٩٤٩، ص ٢٥؛ بروكلمان:

تاريخ الأدب العربى، ق ٦ ص ٤٥؛ أحمد دراج: السابق، ص ١١٢؛ العمري: مسالك _ أيمن فؤاد سيد _

مقدمة المحقق، ص ٢٧ م؛ عفاف صبرة: ديوان الإنشاء وتطوره في عصر الأيوبيين والماليك، رسالة

ماجستير، آداب القاهرة ١٩٧٠، ص ٩. Ahmad Darrag, L'Egypte sous le

règne de Barsbay, DAMAS, ١٩٦١. P. VII

(٣) السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر فيما بعد.

وفاة الكاتب إلى عام ٩٣٧ هـ^(١). ولكن على مستوى الكتب المتخصصة في التأريخ للكتب ومؤلفيها ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة فلم تكن هناك إلا إشارة واحدة ذكرها حاجي خليفة عن الكتاب قال فيها " المقصد الرفيع " ليس إلا^(٢).

وقد قام المؤرخ الفرنسي جوزيف رينو بكتابة ملاحظاته على عدة أوراق بيضاء من أصل الكتاب — لعلها كانت معدة من قبل المؤلف لكتابة المقدمة — أوضح فيها بناء على ما ذكر في الورقة " ٢ ب " — الربع الأول منها — أن مؤلف هذا المخطوط هو أحد أفراد الأسرة العمرية الشهيرة التي عمل أفرادها بديوان الإنشاء في عصر المماليك البحري والجركسي^(٣).

وعلى جانب آخر فقد أطلق العديد من الباحثين — وبخاصة الأوروبيون منهم — على الكتاب اسم "ديوان الإنشاء"^(٤)، ولعل ذلك نتيجة ما كتبه عنه المؤرخ الفرنسي دي سلان في المجلد الخاص — كتالوج — بالمخطوطات الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس.

ولقد كانت هذه الاجتهادات تقرب حيناً إلى الحقيقة، ولكنها في مجملها غير صحيحة، وتؤدي في النهاية إلى أن اسم الكتاب واسم المؤلف غير صحيحين بالمرّة.

فأما الشيء الوحيد الذي اقترب من الحقيقة فهو أن المؤلف أحد العاملين بديوان الإنشاء، وأنه ألفه في عهد الأشرف برسباي، وذلك لعدة إشارات ذكرت بداخل الكتاب منها أنه يشير دوماً إلى عهد برسباي بقوله " خلد الله ملكه "^(٥)، وهو دعاء لا يقال إلا لمن كان حياً من الملوك والسلطين. ومنها أنه يشير إلى أقصى تاريخ وصل إليه عند كتابته هذا الكتاب هو عام ٨٤٠ هـ | ١٤٣٦ م^(٦).

(١) عبد النعم ماجد: نظم دولة المماليك؛ محمد الخويري: أسوان في العصور الوسطى؛ البيومي إسماعيل الشريبي: النظم المالية في عصر المماليك.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١٩٤٣، ج ٢، ص ١٨٠٦.

(٣) انظر اللوحة رقم ٣.

(٤) Gaudefroy-Demombynes, op.cit.pp.V-VI , Sauvaget.J, La Poste aux Chevaux dans l' Empire des Mamelouks , paris ١٩٤١. P.٣.

(٥) انظر فيما بعد، ورقة ١٥٤ ب.

(٦) انظر ورقة ١٩ أ، ٢٦٠ أ.

وأما عن ملاحظة د | أحمد دراج من أن الكتاب كتب في عهد الأشرف إينال، فكان بناء على ما ذكر بالكتاب من أسماء لكتاب السر حتى عهد هذا السلطان، فهي تحمل نصف الحقيقة. فكونه ذكر هذه الأسماء فهذا ليس دليلاً على أن الكتاب كله ألف عهد إينال وذلك لأن هذه القائمة التي يعينها د | دراج تقع في الورقة [١٦ ب]، وهذه الصفحة دوغما صفحات الكتاب الأخرى عدد سطورها خمسة وعشرون سطراً، وكل صفحات الكتاب تبلغ سطورها ثلاثة وعشرين سطراً. ولما كان مؤلف الكتاب — كما سيظهر فيما بعد — قد عاش حتى عهد الأشرف إينال فإنه بعد فراغه من تأليف كتابه بسنوات أضاف إلى قائمته أسماء كتاب السر اللاحقين على تأليفه له.

وأما كونه توفي أوائل القرن العاشر الهجري وعلى وجه التحديد عام ٩٣٧ هـ — ١٥٣٠ م، فقد أعتمد هذا التاريخ بناء على ما هو موجود بغلاف المخطوط بدون التمعن في قراءة ما قبله، فهذه الكتابة عبارة عن صيغة ملكية للكتاب جاء فيها: " ملكه من فضل الله تعالى وجزيل عطايه محمد بن علي بن أحمد بن رجب الطالبي بلداً الشافعي مذهباً الموقت الشهير بالأباز لطف الله في شهور سنة ٩٣٧ من علي أيوب الشيخ بالكتبيين كان " (١).

هذا من حيث تاريخ وفاته، أما عن اسمه الذي اعتمده المحدثون، وأشاروا إليه به وهو "الخالدي" وبقية اسمه كما هو على الصفحة [٢ ب] من المخطوط، فهو أيضاً صيغة ملكية لم تقرأ جيداً على الرغم من وضوحها وهي: " تملكه أضعف عباد الله تعالى عبيد الله بن عبد الله بن لطف الله ابن محمد بن بهاء الدين العمري الخالدي الشهير ببهاء الدين زاده عفى عنهم " (٢). وبهاء الدين زاده هذا أحد العلماء الفقهاء في العصر العثماني توفي ببلدة قيصرية عام ٩٥٢ هـ | ١٥٤٥ م (٣).

أما عنوان الكتاب " المقصد الرفيع " فيبدو أنه من وضع أحد قراء الكتاب، غم عليه معرفة عنوانه، فقام بتوليف هذا العنوان من موضوع الكتاب، بطريقة يغلب عليها السجع، ويظهر ذلك من الصفحة الثانية أ، ب حين تراوح العنوان بين " المقصد الرفيع المنشأ الهادي

(١) انظر اللوحة رقم ١.

(٢) انظر اللوحة رقم ٣.

(٣) نجم الدين بن غزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت،

١٩٧٩، ج ٢، ص ٢٩-٣٠.

لصناعة الإنشا " و" المقصد الرفيع المنشا الحاوى إلى صناعة الإنشا " (١). وهو العنوان المثبت على غلاف المخطوط.

إذن من مؤلف الكتاب وما عنوانه؟

لقد قمت بمحاولة معرفة شخصية الكاتب، أو اسم الكتاب الأصلي من خلال طريقتين، الأول بالبحث بكتب التراجم، والثاني بالبحث بفهارس المخطوطات بالمكتبات المختلفة.

أما الطريق الأول: فبتتبع تراجم العديد من عملوا بديوان الإنشاء، أو قاموا بتصنيف كتب عنه خلال تلك الفترة أى فترة الأشرف برسباى وما بعدها حتى عهد الأشرف إينال — بناء على قائمة أسماء كتاب السر الموجودة بالمخطوط، وبعض الملاحظات بداخله التى تتمثل فى:

- ١- أن الكتاب ينسب عن أن مصنفه من العاملين بالديوان العالمين بدقائق أموره الوظيفية.
- ٢- أنه من خلال إطاره القول فى بعض أعلام ديوان الإنشاء، ووصف كريم سجايهم، يعطى انطباعاً بأن الكاتب لابد أن يكون قريباً منهم، وخاصة أنه كتب فى هامش إحدى الصفحات ملحوظة تؤيد ذلك، فقال عن الشيخ ناصر الدين الفاقوسى (ت ٨٤١ هـ | ١٤٣٧ م): " رأيت فى منامى فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة رجلاً عليه سمت الخير قال لى: هذا الرجل — ويشير بيده إلى القاضى ناصر الدين المشار إليه — يسطر فى كل يوم فى صحيفته عشر حسنات " (٢).

إلا أن كتب التراجم لم تعط إشارة مؤكدة لاسم الكتاب المعروف به — المقصد الرفيع —، أو لمؤلف قام بتأليف كتاب مشابه له وهو مفقود بدوره فى تلك الفترة غير كتاب خليل ابن شاهين الظاهرى (ت ٨٧٢ هـ | ١٤٦٧ م) اسمه " المنيف فى الإنشاء الشريف " ذكره كل من ابن تغرى بردى والسخاوى (٣). ولكن تم استبعاد كون خليل بن شاهين كمؤلف للكتاب للأسباب التالية:

(١) انظر اللوحة رقم ٢.

(٢) انظر ورقة ١١٦ ب.

(٣) ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٥، ص ٢٥٨-٢٦١، ت رقم ١٠٠٣؛ السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م، ج ٣، ص ١٩٥-١٩٧، ت رقم ٧٤٨.

١- أن فترة نضوج خليل بن شاهين المولود عام ٨١٣ هـ — | ١٤١٠م في التأليف الديواني، تتعارض مع ما ظهر من خلال الكتاب بتمتع مؤلفه بالعمل داخل الديوان، وهو ما لم يتيسر لخليل بن شاهين.

٢- أن الفترة التي ألف فيها الكتاب، كان خليل بن شاهين يتولى الوزارة للأشرف برسباي، ولم يورد ذلك في هذا الكتاب قط.

٣- أن أسلوب خليل بن شاهين في تأليف كتابه زبدة كشف الممالك، يكشف عن تباه ورجسية في كلامه عن نفسه، ومحاولته إبراز الشعر في كتاباته، وهو ما لم يظهر في هذا الكتاب.

٤- أنه بمقارنة ما كتبه خليل بن شاهين في "كشف الممالك" ^(١) عن ديوان الإنشاء بما جاء بالكتاب، لم أجد أى تقارب بين الاثنين، بل إنه لم يصف على ما ذكره في الزبدة الشيء الكثير.

وعلى ذلك فقد تم استبعاد خليل بن شاهين كمؤلف لكتاب المقصد الرفيع.

والطريق الثاني: بالبحث في فهارس المكتبات الحاوية للمخطوطات العربية لم أجد — على حد علمي — أى مؤلفات خاصة بديوان الإنشاء غير ما هو معروف، إلا كتاباً يقع في فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية يسمى "العرف الناسم من الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتب" لمحمد بن حسن بن علي بن حسام بن محمود السحماوى الشافعي. ضمن المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية ^(٢) تحت رقم ٣١٥٨ أ ميكروفيلم. وقد ذكر في تعريف هذا الكتاب "اختصره مؤلفه من كتابه المسمى: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتب، ورتبه على ثمانية أبواب، وفرغ من تأليفه في شهر شعبان سنة ٨٤٦ هـ | ١٤٤٣م" ^(٣).

وبالرجوع إلى حاجي خليفة وجد أنه ذكر اسم كتاب الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتب، ولكن اسم المؤلف مختلف فأطلق عليه اسم "محمد بن الحسن بن علي السخاوى"،

(١) عثر الدكتور محمد عيسى صالحة على نسخة من كتاب كشف الممالك يعكف حالياً على تحقيقها، ولقد قام مشكوراً بإعارتي الجزء الخاص بديوان الإنشاء الموجود بالكتاب.

(٢) فؤاد سيد: فهرست المخطوطات، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ — ١٩٥٥، القسم الثاني، القاهرة ١٩٦٣، ص ١٢٣.

(٣) فؤاد سيد: نفسه.

وقال عنه: قسم على ثمانية أقسام وفرغ في شعبان سنة ٨٤٦ هـ، ثم خصه وسماه العرف الباسم، وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر^(١). وبقراءة نسخة العرف الناسم وجد اسم مؤلف الكتاب كما هو مثبت في دار الكتب في آخر ورقة من المخطوط "محمد بن حسن بن علي بن حسام بن أيوب بن محمود السحماوي الشافعي". ويبدو أن رسم اسم السخاوى، والسحماوى قد اختلطا على حاجى خليفة ومن نقل عنه^(٢) فنسبوا كتاب الثغر الباسم إلى محمد السخاوى.

وبمحاولة الرجوع إلى كتب التراجم الخاصة بالقرن التاسع الهجرى عُثر على ترجمة للسحماوى في كتابي النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، والضوء اللامع للسخاوى. فقال عنه ابن تغرى بردى في وفيات سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣م "القاضى شمس الدين محمد ابن الشيخ بدر الدين محمد بن السحماوي الشافعي، أحد أعيان موقعى الدست الشريف بالديار المصرية، في ليلة السبت خامس عشر ذى الحجة، ودفن صبيحة يوم السبت المذكور عن اثنين وثمانين سنة، وكانت لديه فضيلة وعنده حشمة وأدب وتواضع، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، وخدم بالتوقيع عند جماعة من أعيان الأمراء، آخرهم الملك الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن"^(٣).

وعلى مثل ذلك ذكره السخاوى مع بعض التغيرات فقال "محمد بن محمد الشمس بن البدر السحماوي القاهري الشافعي الموقع، مات ليلة السبت منتصف ذى الحجة سنة ثمان وستين عن اثنين وثمانين سنة، وكان شيخاً ساكناً جامداً كثير التواضع والأدب والحشمة مع فضيلة ما، باشر التوقيع أزيد من خمسين سنة، بل خدم أيضاً عند جماعة من أعيان أمراء مصر، أولهم يشبك الإينالى في سنة نيف وعشرين، وآخرهم الظاهر خشقدم إلى أن تسلطن وكان يتوقع تقديمه له فما قدر، عمل كتاباً في مواكب الترك وشبهها، وقد كثر اجتماعي معه، وفهمت اعتناؤه بالحوادث، ولكن لم أر شيئاً من ذلك"^(٤).

(١) كشف الظنون، ج ١، ص ٥٢١.

(٢) رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٩، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٣) النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣٣٥.

(٤) الضوء، ج ١٠، ص ٣٧.

وبالاطلاع على كتاب العرف الناسم أو مابقى منه بدار الكتب المصرية — إذ تبلغ عدد لوحاته ١٠٧ لوحة [٢١٤ صفحة] — وجد أن الكتاب يحوى ستة أقسام لا ثمانية كما ذكر فى تعريفه عند حاجى خليفة، وفهرس مخطوطات دار الكتب. والأجزاء المتبقية منه جزء كبير من القسم الخامس والقسم السادس كله. وجد أن هناك تطابقاً فى الأسلوب والمعلومات الواردة فى كلا الكتابين بما لا يدع مجالاً للشك فى أن كتاب " المقصد الرفيع المنشأ الهادى لـديوان الإنشا " هو نفسه كتاب " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتب ".

وتوجد عدة أدلة على هذا الرأى وهى كالآتى:

١. دليل موضوعى. يرجع إلى فترة تأليف كلا الكتابين، فكتاب المقصد الرفيع يرجع تاريخ تأليفه إلى عام ٨٤٠ هـ نتيجة الإشارات التى أوردها كاتب المخطوط — إذا ما نحينا جانباً قائمة كتاب السر التى يتضح لكل قارئ له أن السطور الأخيرة قد أضيفت للمخطوط ولم تكتب مع بقية الكتاب —، وأن كتاب العرف الناسم قد فرغ مؤلفه منه عام ٨٤٦ هـ، وهو بدوره ملخص عن الأصل الثغر الباسم. فقرب التاريخين ٨٤٠، ٨٤٦ هـ لا يتيح لكاتبين مختلفين أن يأخذ أحدهما عن الآخر — إذا ما افترضنا أن صاحب المقصد شخص آخر — وعلى ذلك فإن المنطق يقول إن كتاب المقصد هو كتاب الثغر الباسم.

٢. دليل منهجى. فكتاب العرف الناسم يسير على نفس التقسيم المنهجى المتبع فى كتاب المقصد الرفيع، فمما بين أيدينا من كتاب العرف، نجده يشتمل على بقية القسم الخامس الذى يقابل القسم الحادى عشر من المقصد، والقسم السادس يقابل القسمين الثانى عشر والثالث عشر على الترتيب، وذلك بالنسبة للتقسيم الكلى. أما عن التقسيم الجزئى لعناصر هذين القسمين فنجد تطابقاً بين عناصر تلك الأقسام وبعضها. فعلى سبيل المثال: أ _ الباب الخامس فى العرف " فى رسم كتابة المطلقات والبرالغ والملطفات وكتب الجواز وأوراق الطريق والبطايق " (١).

يساوى فى المقصد الفصلين الرابع والخامس، "الرابع، فى رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة. الخامس، فى رسم كتابة المطلقات وأوراق الجواب والطريق والبطائق".

ب _ الباب السادس فى العرف " فى رسم المكتبة إلى ملوك الإسلام وحكام الأقاليم والبلاد شرقاً وغرباً فمن جرت العادة بالمكتبة إليهم " ^(١).

يساوى فى المقصد النوع الأول من الباب الثامن " فى رسم المكاتب الصادرة إلى ملوك الإسلام وحكام البلاد والأقاليم ومن يجرى مجراهم ممن جرت العادة بالمكتبة إليه ".

وهكذا نجد أن أقسام وأبواب وفصول العرف تتابع فى تقسيمها مع المقصد الرفيع، وأن تجميع بعض العناصر أو الفصول فى عنصر واحد كان بقصد تلخيص الثغر الباسم، ولعل ذلك يظهر فى قول حاجى خليفة: وهذا الأول والأقسام المذكورة للعرف دون الثغر ^(٢). بالإضافة إلى ذلك نجد السحماوي فى العرف يذكر بعض المعلومات عرضاً ولا يسهب فى شرحها اعتماداً على وجودها فى كتابه الثغر الباسم، فنجده يقول عن: ما يكتب من ديوان الجيش من أمر الإقطاع لا يتعدى أربعة أمور، إما مثال، وإما نزول، وإما قصة، وإما مربعة من الممالك الشامية، وقد أوضحت متعلقاتها فى كتابي الثغر الباسم ^(٣). وهذه الأمور التى لم يفصلها السحماوي فى العرف نجدها مفصلة فى كتاب المقصد على نفس الترتيب والمكان بين عناصر الكتاب من ورقة ٢٩٠ ب إلى ٢٩١ ب ^(٤).

ونجده فى موضع آخر يقول فى العرف عن الشروط التى يجب أن يراعيها الكاتب عند كتابة الهدنة بين ملك مسلم وآخر غير مسلم فيقول: ولها شروط يجب على الكاتب معرفتها، وقد أوردتها فى كتابي الثغر الباسم ^(٥). وهذه الشروط مفصلة فى الفصل الأول من الباب الخامس بالقسم الثالث عشر بالمقصد ورقة ٣١٨ ب إلى ٣٢١ ب ^(٦).

(١) ورقة ١٤ ب.

(٢) السابق، ج ٢ ص ٥٢١.

(٣) ورقة ٦٣ أ.

(٤) انظر فيما بعد.

(٥) ورقة ٩٠ ب.

(٦) انظر فيما بعد.

٣. دليل نصي، وهو يشتمل على وجود دلائل نصية بين العرف الباسم وبين الثغر الباسم، من حيث ضرب بعض الأمثلة التوضيحية بين العرف والثغر، وإن تغير تنسيقها الترتيبي بعض الشيء، وهو أمر مفهوم إذا ما أخذنا في الاعتبار أن الأول ملخص للثاني، وهي على سبيل المثال:

أ _ العرف: أما شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم ومكاتبته "هذه"، ثم كتب في أيام الأشرف برسباي للقاضي ولي الدين بن قاسم بالعناية "أدام الله" مع "الجناب" (١).

المقصد: شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم، وكان رسم المكاتبته إليه "هذه المكاتبته". فلما استقر القاضي ولي الدين بن قاسم في سنة ثمان وثلثين كتب له "أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي" (٢).

ب _ العرف: إذا كان أحد من الأمراء المقدمين بالحضرة متولى نيابة صغيرة مع تقدمته، وضمه مطلق شريف يكتب بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة (٣).

المقصد: إذا تولى أحد مقدمي الألوף بالأبواب الشريفة نيابة مستجدة بالبلاد الشامية، وكانت التقديم مستمرة بيده كما كانا نائبي الرها وملطية، فيضاف في المطلقات الكبار بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة (٤).

ج _ العرف: وقد وقع التحويل في زماننا في القرن التاسع في عام اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث، وفي سنة خمس وثلثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلثين، ويقع من سنة سبع وستين وثمانمائة إلى سنة ثمان وستين (٥).

(١) ورقة ٥ أ.

(٢) انظر فيما بعد، ورقة ٢٤٥ ب.

(٣) ورقة ٨ أ، ب.

(٤) انظر فيما بعد، ورقة ٢٤٨ أ.

(٥) ورقة ٧٠ ب.

المقصد: ووقع التحويل في زماننا في سنة [كذا] التاسع في سنة اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث وثمانمائة، وفي سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع في سنة سبع وستين إلى ثمان وستين^(١).

بل إن هناك بعض ما ذُكر في العرف من أخطاء أو معلومات مغايرة لما ذكر في الدساتير السابقة كانت هي نفسها المذكورة في المقصد. ومثال ذلك — وهي على سبيل المثال لا الحصر: أ _ العرف: قال في التعريف: إنها من نُهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط^(٢).

المقصد: قال في التعريف: وهي من نُهر بلخ إلى مطلع الشمس على [سمط] الوسط^(٣). وصحتها [سمت] كما في التعريف وصبح الأعشى^(٤).

ب _ ما ذُكر في المقصد عن صاحب كرمينان، عاد وذكره صاحب العرف كما هو^(٥) على الرغم من أن ما ذُكر كان خاصاً بصاحب برسا كما في التعريف وصبح الأعشى^(٦). وبناء على تلك الأدلة يمكن أن نقول إن كتاب المقصد الرفيع هو نفسه كتاب الثغر الباسم، بل إن النسخة الوحيدة الموجودة منه هي النسخة التي كتبها صاحبها بخط يده وذلك للآتي:

١. أن الإضافة في قائمة كتاب السر كانت بنفس الخط لنفس الشخص.
٢. أن بعض التعليقات في هوامش بعض الصفحات كانت بنفس الخط أيضاً.
٣. أن كاتب الكتاب لم يكن قد قرر الانتهاء منه. وعلى ذلك فقد ترك عدة صفحات منه لكتابة المقدمة.

(١) انظر فيما بعد، ورقة ٢٩٦ ب.

(٢) ورقة ٢٦ أ.

(٣) انظر فيما بعد، ص ٢٦٥ أ.

(٤) التعريف، ص ٦٥؛ صبح، ج ٧، ص ٢٩٣.

(٥) العرف، ورقة ٣٤ ب، الثغر ورقة ٢٧٠ ب، ٢٧١ أ.

(٦) التعريف، ص ٦٤؛ صبح، ج ٨، ص ١٥.

منهج السحماوى فى كتاب الثغر:

لسوء الحظ لم يقيم السحماوى بكتابة مقدمة أو خاتمة لكتابه الثغر الباسم، وإن كان حاجى خليفة قد ذكر أن بداية الكتاب كانت " الحمد لله الذى أنشأ "، ولعل الأمر اختلط عليه فأورد مقدمة العرف على أنها مقدمة الثغر — وذلك على اعتبار أن النسخة الموجودة بالمكتبة الأهلية ببائس هى النسخة الأصل والوحيدة إلى الآن، وهى بغير مقدمة للمؤلف —، ولسوء الحظ أيضاً فقدان الجزء الأكبر من العرف الناسم بما فيه مقدمة الكتاب، فلم نستطع التعرف على منهج الكتابة، والغرض الذى من أجله قام السحماوى بتأليف كتاب الثغر الباسم، ثم خصه فى العرف الناسم.

ولكن يمكن التعرف على الغرض الأساسى للكتاب من عنوانه، وإشارة وحيدة ذكرها داخل كتاب الثغر تُظهر هذا الغرض، التى من خلالها يمكن تحليل منهجه فى الكتابة. فالسحماوى اختار العنوان لكى يتماشى مع هدفه الأساسى لتأليفه فكان " الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتب "، أى أن الكتاب يشمل منهجاً عاماً هو صناعة الكتابة، وهدف خاص هو دور وأهمية وظيفة كاتب السر.

بالإضافة إلى ذلك نجده قد وضع كتابه كدستور جديد من دساتير ديوان الإنشاء، بل إنه وضعه كدستور مكمل لدستورى العمري وابن ناظر الجيش، وذلك من خلال العبارة الوحيدة التى تكلم فيها عن كتابه ونفسه فقال " وفصلاء الكتاب فى كل زمن يتصرفون فى ذلك بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، ومراعاة التحسين بحسب ما تؤدى إليه قرائحهم، وتسبح به ينابيع أفكارهم، إلى أيام المقر الشهابى ابن فضل الله، فحرر الألقاب، ورتب الوظائف، وصنف كتابه التعريف، وجعله عمدة ديوان الإنشاء من أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين، فانتقلت بعض الألقاب الأصول إلى ما فوقها من الرتبة. ثم إن القاضى محب الدين بن ناظر الجيش ثقف كتاب التعريف بأصول ومكاتبات استقر الحال عليها، وصارت عمدة فى هذه الصناعة فى زماننا. ثم غيرت منه بعض مراتب، وأبطلت منه بعض مكاتبات يسيرة، ثم أعان الله على ما أتيت به هنا مما هو المصطلح عليه فى زماننا من كل قسم، وبه المستعان فيما بقى إنه ولى ذلك والقادر عليه وبالإجابة جدير " (١).

(١) ورقة ٢٢٨ أ، ب.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهج السحماوي في كتابه كان تأصيلاً للفكرة العامة للكتاب وهي فكرة تهتم في المقام الأول بالوصف العملي لمهنة صناعة الكتابة، بما يعني أنه اتخذ المنهج الوصفي في تأليف كتابه. وتمثل هذا المنهج في ثلاث عناصر هي:

١. التكوين العلمي لكاتب الإنشاء.

٢. المهام الوظيفية لكاتب السر.

٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال.

ولتوضيح ذلك نستعرض أقسام كتاب الثغر فنجدها مقدمة وثلاثة عشر قسماً وهي: المقدمة: في تعلق ديوان الإنشاء وكتابته. وقسمه إلى بابين: الأول، في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك. وفي بيان لقب صاحب هذا الديوان الجارى عليه قديماً وحديثاً، وفي بيان ترفع قدره وشرف محله وصفته وآدابه. الثاني، في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ الكتاب وزراء، واتخاذ كتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زمن المؤلف.

القسم الأول: فيما يحتاج إليه كاتب السر من المواد العلمية والمعرفة بها. وقد قسمه إلى عشرة أنواع يجب على كاتب السر، وكاتب الإنشاء عامة أن يلم بها ويدرسها دراسة جيدة وهي، حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ومعرفة الأمور الفقهية، ومعرفة اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، ومعرفة صنعة الكلام من سجع وإيجاز وإطناب ومساواة، ومعرفة أيام العرب المشهورة، والوقائع التي دارت بين العرب وبعضهم بعضاً، وبين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والأحباش.

القسم الثاني: في معرفة التاريخ. وقد قسمه إلى سبعة أبواب في دراسة تاريخية كاملة كان الغرض الأساسي منها استعراض تاريخ موجز لدولتي الخلافة الأموية والعباسية، واستعراض تاريخ مصر منذ تاريخ الخلافة الفاطمية إلى زمن المؤلف عهد المماليك الجراكسة.

القسم الثالث: في معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً. وهو استعراض جغرافي بحث، يذكر من خلاله الجغرافيا العامة في شكل الأرض والبحار والمحيطات والرياح وأقاليم الأرض السبعة. ثم يفصل وصفه الجغرافي في ذكره للأقاليم الجغرافية الواقعة تحت سيطرة السلطنة المملوكية في مصر والشام والحجاز.

القسم الرابع: فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتديره وما يتصرف فيه بقلمه. وهو يتحدث فيه بالتفصيل وبطريقة مستقلة عن مهام كاتم السر، سواء فيما ينظر فيه ويتديره وظيفياً من مهام، غير الإشراف على المكاتب الخارجة عن الديوان، وهو يفصل بدقة مهام الديوان، ومهام كاتب السر، وما يتصرف فيه بقلمه من أعمال الديوان المعروفة والمحددة المهام، ككتابة الرسائل والتوقييع والمناشير وغيرها من الأعمال الديوانية. وفيه أيضاً يذكر الوظائف المعاونة لكاتب السر من نائب الديوان، وكاتب الدست والدرج، والدوا دار، والمدراء.

القسم الخامس: فى ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها، وموضوع الوظائف بها، وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته. وهذا القسم يُعنى فى الأساس بوصف كامل لنظم السلطنة المملوكية من شعار الملك الخاص بالسلطان، لذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف والأقلام وأرباب الوظائف الدينية فى تسلسل إدارى منسق.

القسم السادس: فى ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وفصل فيه على غرار القسم السابق ترتيب الوظائف لأرباب السيوف والأقلام ببلاد الشام فى دمشق، وحلب، وحماة، والكرك، وصفد، وغزة.

القسم السابع: فى ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف، وعربان الممالك الشامية، ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق. وهو خاص بوصف وظائف الأقطار الحجازية، مكة، والمدينة، وينبع، والعربان الداخلين فى نطاقها، وعربان البلاد الشامية.

القسم الثامن: فى أمور تشترك فيها الولايات والمكاتب وغيرها من الأمور المهمة التى يحتاج إليها بديوان الإنشاء. وهو أول الأقسام الخاصة بصناعة الكتابة والمصطلح التى يُعنى فيها السحماوي بأهم أعمال ديوان الإنشاء من وصف للألقاب والأسماء والكُنى، وتفاوتها علواً وهبوطاً سواء كانت مفردة أو مركبة، ورتبة كل لقب، وعلى من تطلق هذه الألقاب واستحقاقها على أهل الدولة من أصحاب الوظائف سواء كانوا من أرباب السيوف أو الأقلام، مع تذكير الكتاب بما يجب أن يراعه من ضوابط خاصة بكتابة هذه الألقاب والنعت.

القسم التاسع: فى معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة، والفواتح والخواتم واللواحق. وهو قسم يُعنى بالإطار النظرى التعليمى فى ما يستعمل بديوان الإنشاء من أدوات وأوراق. ويضم أيضاً الأصول الحرفية فى صناعة الكتابة،

وفيما يجب أن تكون عليه الرسائل والمكتبات، من حيث التنظيم الشكلي من كيفية الافتتاح والختام، وما تستدعيه بعض الأحيان من إضافة بعض اللواحق للرسائل والمكتبات، وفي أي موضع توجد داخل الرسالة، أو الكتاب الخارج عن ديوان الإنشاء، بالإضافة إلى ترتيب الكتاب، وتفحص الكاتب لما كتبه لعله يجد بعض الأخطاء التي يجب أن تقوم.

القسم العاشر: في ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولايتهم. وهو يشتمل على أنواع البيعات منذ صدر الإسلام إلى عهده، سواء بيعات الخلفاء والملوك، وعهود الخلفاء للخلفاء، وما يكتب في تلك الكتب.

القسم الحادي عشر: في رسم المكتبات الصادرة. وهو أهم أقسام الكتاب، يبدؤه السحماوي بذكر أمور تتعلق بالمكتبات التي يجب على الكاتب معرفتها، ثم يعرض في تسلسل تاريخي لمصطلح مفتتح الكتب من أيام النبي صلى الله عليه وسلم وإلى زمنه، والأساليب المختلفة في افتتاح المكتبات سواء عن الخلفاء للملوك أو عن الملوك لولاة العهد. ثم يعرض رسم المكتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية لأرباب الوظائف بالدولة، وهو يشرح أنواعها سواء كانت مطلقات أو ملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق على أجنحة الحمام. ثم يأتي إلى أهم أنواع المكتبات وهي المكتبات الخارجية للملوك والسلاطين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، مع تقسيم رتب المكتبات والألقاب لكل ملك على حسب أهمية علاقاته مع سلطنة الممالك.

القسم الثاني عشر: في الإقطاعات والمساحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين. وهو قسم يحتوي على أنواع المكتبات الأخرى التي تخرج عن ديوان الإنشاء على الرغم من اختصاص دواوين أخرى بإقرارها إلا أنها لا تخرج إلا عن ديوان الإنشاء ولا تعتمد إلا بكونها من مكاتبه.

القسم الثالث عشر: في الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك النصارى والصلح بين ملوك المسلمين والفسوخ الواردة على العقود السابقة. وهو هنا يتابع ما قام به في القسم الثاني عشر من وصف لباقي أنواع المكتبات التي يعتنى بها ديوان الإنشاء وتخرج عنه.

بعد استعراض أقسام كتاب الثغر الباسم، يمكن أن نرصد المنهج الخاص بالسحماوي، الذي تجلّى في غرضه الذي ألف كتابه من أجله، وهو ما ظهر في رؤيته الخاصة لتنظيم

موضوعاته، بحيث يمكننا أن نقول إنه كانت له رؤية مستقلة عن ما سبقه من الكتاب، على الرغم من أن المتصفح لكتابه يظن للوهلة الأولى أنه ناقل فقط لكتاب القلقشندي، أو على الأقل قام بتلخيص كتابه^(١). وهذا الرأي فيه بعض الصحة بالنسبة لمادة الكتاب التي كان فيها القلقشندي أيضاً ناقلاً مجمعا للمعلومات أكثر منه مبدعاً في خلقها، ولكن ذلك الأمر يظل مفهوماً خاصة إذا ما نظرنا إليه على أنه أمر عادي في الحياة الثقافية والفكرية في هذا العصر. ولكن على مستوى رؤيته لتصنيف هذه المادة وتنظيمها داخل كتابه فالأمر مختلف إذا تتبعنا طريقة تنظيمه الخاصة، مع الوضع في الاعتبار العناصر الثلاثة السالفة الذكر.

١. التكوين العلمي لكاتب الإنشاء:

فالسحماوى نظم مادة كتابه بحيث أفرد الأقسام من الأول للثالث في وصف للديوان والشروط الواجب توافرها للعاملين بصناعة الكتابة، بحيث إنه بعد المقدمة التقليدية لأصل كلمة الديوان ونشأته في الإسلام خصص القسم الأول للتكوين العلمي لكل كاتب أيا كان انتماءه للعمل داخل دواوين الدولة، من حسن الإعداد اللغوي والأدبي اللازم لعمل الكاتب عامة. ثم فصل بين بقية الكتاب ووظيفة كاتب الإنشاء، حينما أفرد القسمين الثاني والثالث لتاريخ مصر، وجغرافية العالم وما يقع تحت سيطرة الدولة المملوكية على الترتيب. وهو هنا وفقاً لرؤيته الخاصة لما يجب أن تكون عليه ثقافة الكاتب نظم موضوعات كتابه وفقاً لهذه الرؤية.

٢. المهام الوظيفية لكاتب السر:

ويظهر ذلك الاهتمام بوظيفة كاتب السر، ومهامه الخاصة بوظيفة الكتابة بجانب مهام أخرى، تتعلق بوضعه السياسى الوظيفى في تخصيصه لقسم كامل هو القسم الرابع فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره وما يتصرف فيه قلمه. وعلى ذلك فإنه حين أفرد له قسماً خاصاً يعالج هذا الأمر بعيداً عن الأمور الخاصة التي تتداخل فيها المفاهيم بين الكاتب عموماً وكاتب السر على وجه الخصوص، قد سار على منهجه الخاص في الفصل بين الكتابة والكاتب، وقد تحكم في رؤيته هذه عمله بالديوان لمدة طويلة تربو على الخمسين عاماً، والتي جعلت نظرتيه للديوان والقائم على رأسه تستدعى منه تخصيص قسم خاص للحديث عنه.

(١) ذكر هذا الرأي كثير من الباحثين المحدثين. انظر: حسن الباشا: الألقاب، ص ٥٨؛ عفاف صبره: ديوان

الإنشاء، ص ٩؛ Gaudefroy-Demombynes, op.cit, p.V-VI.

٣. السمات المهنية فيما يخرج عن الديوان من أعمال:

وتظهر هذه السمات في قيام السحماوي بتخصيص إطار نظري لأهم ما يتعلق بأمور الديوان، وهو وصف دقيق لوظائف الدولة في مصر والشام والحجاز، بحيث يمثل قاعدة معلومات لكاتب الإنشاء الراغب في معرفة التسلسل الوظيفي، ومن يكتب لهم من ديوان الإنشاء في بقية أنحاء السلطنة المملوكية، ولذلك خصص الأقسام من الخامس للسابع لهذا الغرض.

ثم استكمل السحماوي منهجه في عرض للأصول الفنية الواجب على كاتب الإنشاء معرفتها، من حيث ما تشترك فيه أنواع الكتابة من ألقاب إلى المكتوب إليهم، والكُنى المطلقة عليهم حسب درجاتهم، بحيث لا تختلط الأمور على كاتب الإنشاء، وتكون الأمور واضحة فيما تشترك فيه أنواع المكاتبات، سواء رسائل أو مكاتبات رسمية. ولذلك فقد خصص القسم الثامن لذلك، ثم استتبعه بآخر الأقسام التعليمية أو المهنية وهو القسم التاسع الخاص بتنظيم شكل المكاتبات، ومقادير الورق، وهي كلها أمور فنية تُظهر إصراره على تقرير المنهج التعليمي في وحدة متتابعة لا يفصل بينها قسم يخل بمنهجه الذي قرره لنفسه.

ولأجل ذلك نجده خصص الأقسام من العاشر إلى الثالث عشر لأنواع هذه المكاتبات، بعد أن يكون قد وضع جميع الأمور الفنية الخاصة بشكل المكاتبة، ولعل ذلك يظهر في أنه قد وضع الوصف الجغرافي للبلدان الخارجة عن السلطنة المملوكية، مع وصفه للمكاتبات الخاصة بملوكها، حفاظاً على وحدة الموضوع، وعدم تشتيت القارئ بين أن يسهب في الوصف الجغرافي في مكان غير مناسب، وهو بذلك قد خالف القلقشندي، الذي خصص للوصف الجغرافي مقالته الثانية، ثم بعد ذلك ذكر المكاتبات الخاصة بملوك هذه المناطق ضمن أنواع المكاتبات في المقالة الخامسة.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن منهجه القائم على وصف لمهنة الكتابة والعاملين فيها، قد أثر تأثيراً كبيراً على رؤيته لتنظيم موضوعاته، بحيث سار على درب واحد، بدأه بتمهيد عام لما يجب أن يكون عليه العامل في صناعة الكتابة، وانتهى بوصف لما يخرج من الديوان من أعمال تشمل كل أنواع المكاتبات، وعلى ذلك نستطيع أن نقول أيضاً إن السحماوي تطابق منهجه مع عنوان كتابه بصورة كبيرة.

مصادر الكتاب.

يلاحظ القارئ لكتاب الثغر الباسم، اعتماد السحماوي بصورة كبيرة ومبالغ فيها على كتابي القلقشندي، صبح الأعشى، ضوء الصبح المسفر، بما يعطى انطباعاً بأنه كان ينقل عن القلقشندي نقلاً تاماً بدون إضافة. ولكن على الرغم من ذلك يمكن رؤية العديد من أشكال المصادر الخاصة بالسحماوي اعتمد عليها في كتابه، وهي مصادر متنوعة سواء كانت ذاتية أو شفهية أو مصادر مكتوبة.

فأما المصادر الذاتية لديه فهي واضحة كباقي مؤلفي الدساتير لكونه كان عاملاً بديوان الإنشاء لمدة خمسين عاماً، وعلى ذلك سوف نجد المصادر الذاتية لدى السحماوي تظهر في قوله " رأيت في بعض الدساتير "، وهو ما كان يقصد به المكاتبات الخارجة من ديوان الإنشاء^(١).

بالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن رصد المصدر الذاتي فيما كتبه السحماوي عن كاتم السر وما يتصرف فيه بنظره وتدبيره وما يصرف فيه قلمه، فهذا القسم بكامله يمثل الخبرة الذاتية المكتسبة من عمله بالديوان، ورؤيته عن قرب لمهام كاتب السر، وأعمال الديوان عامة ووصفها بدقة تنبئ عن كاتب قريب مما يصف.

ولعل ذلك الأمر يتضح في الاختلافات الواقعة بين ما سطره القلقشندي عن كاتب السر، وما خالفه فيه السحماوي من تقديم بعض الأنظار، وإهمال بعضها، ووصف مركز لما يكتب فيما يخرج عن الديوان^(٢)، ويدل ذلك على تيقظ السحماوي الذي اتخذ له منهجاً قائماً على رصد المتغيرات في أعمال الديوان وأشكال الكتابة، وهو ما يعنى أن خبرته الذاتية مثلت مصدراً من مصادر كتابه.

والشكل الثاني الذي تتضح فيه الخبرة الذاتية يظهر فيما قام بتتبعه من علو بعض الوظائف، وهبوط بعضها، بل في استحداث بعض هذه الوظائف في عصره مثل وظائف ناظر جدة، ونائب دمياط، أو ما يكتب لشيخ خدام الحجرة النبوية الشريفة . أو ما قام بتوثيقه من رسائل متبادلة بين السلطنة المملوكية وغيرها من الممالك في الفترة التي قام خلالها بتأليف الكتاب، وهي الفترة التالية لوفاة القلقشندي ٨٢١ هـ حتى عام ٨٤٠ هـ وهي على سبيل

(١) انظر فيما سبق.

(٢) انظر القسم الرابع من المخطوط.

المثال، رسالة لملك الهند عام ٨٣٨ هـ^(١)، ورسالة صاحب الدشت^(٢)، وغيرهما مما ذكر في الكتاب.

وأما عن المصدر الشفهي، فإن هذا الشكل من المصادر لم يُمثّل لدى السحماوي إلا مرة واحدة فقط، حين تحدث عن ملك البرنو فقال: وأخبرني مقبول الرواية أن في زماننا تغلب صاحب الكاتم على مملكة البرنو وأخذها^(٣).

أما عن مصادر السحماوي المكتوبة من الكتب والمؤلفات السابقة فيمكن القول إنها لم تخرج عن مصادر القلقشندي وزيد عليها كتاب صبح الأعشى للقلقشندي الذي ذكره في غير موضع من كتابه^(٤) ومصدر آخر لم يستخدمه القلقشندي وهو كتاب "الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين" لابن دقماق، وقد اعتمد عليه بصورة كاملة وأساسية في كتابة القسم الثاني من كتابه بجانب كتاب "نهاية الأرب" للنويري الذي اتخذه مرجعاً في كتابته الجزء الخاص بعصر النبوة، ومما يتضح من قراءة ذلك القسم أن السحماوي عندما يذكر أى كتاب عرضاً في ذلك القسم يكون موجوداً أيضاً عند ابن دقماق، وبالتالي يمكن القول أن السحماوي سار على دروب السابقين في الاعتماد على نفس المصادر.

وقد قام التحقيق على النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٤٣٩. وبناء عليه فقد كانت المقارنة النصية قائمة بين المخطوط والكتب المشابهة له، والتي استعان بها في تأليفه لكتابه مثل كتابي القلقشندي صبح الأعشى، وضوء الصبح المسفر، وكتابي العمري عرف التعريف والتعريف، وكتاب ابن ناظر الجيش تثقيف التعريف، وكتاب ابن دقماق الجوهر الثمين، هذا بالإضافة إلى ملخص كتابه الثغر الباسم المعروف باسم العرف الناسم من الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم.

(١) انظر، ورقة ٢٧٠ أ.

(٢) انظر، ورقة ٢٦٦ ب.

(٣) انظر، ٢٧٥ أ.

(٤) انظر، ورقة ٢٦٦ أ، ٢٨٤ ب، ٣٢٤ أ.

منهج التحقيق

وقد كان منهج التحقيق قائما على تقويم النص وضبطه على غيره من الكتب المتعلقة بنوعيته، ووضع الاختلافات بين نصوصها فى الهامش، سواء كانت أخطاء تاريخية ترتبط بالأشخاص، أو التواريخ المتعارضة مع ما هو معروف ومثبت فى المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية .

أما بالنسبة لطريقة الكتابة المعروفة فى ذلك العصر من إهمال الهمة وكتابة أسماء الأعلام بطريقة مغايرة للإملاء الحديث، أو الأخطاء النحوية مثل سير المؤلف على قاعدة (أكلونى البراغيث) أى يأتى بالفاعل الضمير ثم الظاهر بعده، وهى لغة عامة مصر فى ذلك الوقت، فقد تم تقويمه فى النص بدون الإشارة إليه اكتفاء بذلك التنويه ، بالإضافة إلى التعليق على ما ورد فى المخطوط من معلومات تحتاج إلى إيضاح أو إبراز، وتوضيح ما اختلف فيه السحماوى عن غيره فى إيراد هذه المعلومات وتبيان صحتها .

وقد تم ترقيم صفحات المخطوط بحيث يكون ترقيم كل لوحة تحتوى على صفحتين — على سبيل المثال اللوحة ١٠٠ — الصفحة اليمنى [١٠٠ أ] واليسرى [١٠٠ ب] ووضعت الترقيم بين حاصرتين .

ثم تلى ذلك فهرس الكتاب والتي حوت فهرساً للأعلام ، وآخر للألقاب الاصطلاحية والوظائف ، وآخر لأسماء الأماكن والمدن الجغرافية.

وفى نهاية هذه المقدمة لابد من التوجه بالشكر إلى العديد من الأشخاص ممن كان لهم الأثر البالغ على إخراج هذا الكتاب الذى كان فى أصله جزء من رسالة دكتوراه بجامعة المنصورة أجيّزت عام ٢٠٠٤م، ومنهم الأستاذ الدكتور حسين عليوة، والأستاذة الدكتورة فرانسواز ميشو الأستاذة بجامعة السربون، وهما المشرفان على الرسالة، والأستاذ الدكتور أحمد دراج، والأستاذ الدكتور أحمد عبد الرازق، وهم بقية أعضاء لجنة المناقشة والحكم، وذلك لمواقفهم المؤيدة لما توصلت إليه من نتائج وثنائهم على هذا العمل.

والشكر الأكبر والغالى لأستاذه الدكتور أيمن فؤاد سيد على مواقفه الداعمة لى، والتي كان لها أكبر الأثر على إخراج هذا الكتاب إلى الوجود، بالإضافة إلى سابق توجيهاته القيمة لى أثناء الدراسة بباريس.

ويبقى في النهاية الشكر للزملاء والأخوة والأصدقاء الذين كان يعز عليهم بقاء هذا الكتاب في صورته الأولى كرسالة لا يطلع عليها إلا قليلون، فدفعوني بصادق مشاعرهم إلى طبعها وهم أخوتي على الدرب الدكتور شلبي إبراهيم الجعيدي، والدكتور مجدي حشيش، والدكتور عماد هلال، والدكتور محمد رفعت الإمام، والدكتور ياسر نور.

بالإضافة إلى شكر دار الكتب المصرية العريقة، ومركز تحقيق التراث على نشر هذا الكتاب وإخراجه إلى النور، مع خالص تقديري وامتناني للأستاذ الدكتور حسين نصار، وهو من هو في مجال تحقيق التراث، على تفضله بمراجعة هذا العمل حتى يخرج في أبهى صورة ممكنة.

وبعد هذا هو كتاب " الشجر الباسم في صناعة الكاتب والكاظم " لشمس الدين السحماوي يظهر للوجود بعد نسبه طوال قرون عديدة لغير صاحبه ومؤلفه مما يؤكد أن الحقوق دائما ما تعود لأصحابها مهما طال الزمن.

اللوحات

اللوحة رقم (٢) الورقة رقم ٢٢ من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

لى

كان في المقصد الرفيع
دنى دنى دنى دنى دنى

Accipit manuscriptum arabicum Diwan et Ancha inscribunt egypt. et
collectio rerum omnium, quae ad scribendam epistolam regiam conducunt,
sed uno verbo. Huius cuius nomen hic desideratur, ea omnia, quae nec-
cessaria sunt secretariis regii munus, prout patet, prolixam methodo
hic congerit. dividitque librum in primum et secundum partem. in pri-
ma itaque agit de etimologia Diwan, cuius p. 1. positione de qua
epistolae, quam Mahometus pseudopropheta Hierarcha Gregorius impera-
tori scripsit, de qua abis qui post ipsum adscripserunt usq. ad finem
omniadum Dynastiis, cui successit Dynastia Abbasidum, in prima
vero parte tractatur de officiis, quae secretariis sua atque cogni-
tione debet. cap. de decand reduncantur, scilicet p. 1. nina debet librum
Alcorani 2. de sacra et facta Mahometi pseudoprophetae, 3. iuris pru-
dentiam, rerumq. divinarum scientiam, 4. grammaticam et rhetori-
cam, 5. verborum una et efficacia 7. mathematicam, rhythmicam oration-
em, variamq. eius differentiam 8. styli squalitatem sublimitatem et
compendiositatem 9. Idiomatis, quo utendum est, cognitionem perfectam.
10. cognitionem dicendi ac amorum a leviorem Arabum, in quibus
gesta fuerunt bella, in 2. parte discessit de necessaria chronica
cognitione, ubi per septem capita enumerantur Mahometanorum
principatus et Dynastiae. in 3. probatur necessitas, quae secretariis
regis tenetur bene callere regnum variis, atq. chronica, videlicet quae ad
ea terra marique deducunt, eorumque, distansiam, numerumque
urbium, ac portuum, quae in eis sunt. in quarta parte tractatur de
secreta a secretario servanda ubi demonstratur modus, quo in scriben-
di litteris servari debet. in 5. de ordine, quod in regno Egyptiae
servatur in eo quod Regem, Duce, aliisq. dignitatibus spectat, atq.
de quantitate papyri quae scribendum fit eiusq. prout eius dignitas.
in 6. agit de ceteris Dynastiis eo de quantitate papyri
quae ad eorum scribendum fit. his vero Dynastiis sunt p. Damascena
2. Aleppina, 3. Appamiensis, 4. Syroscipoliana, 5. Isaepp-
tina; his adiunguntur aliae duae provinciae, scilicet Gazensis in Pal-
estina, et ~~Algeria in Africa~~ et Karac. in 7. de veni-
entibus dignitatibus, quae sunt in Egyptia seu Arabia petraea.
in 8. agit de nonnullis rebus, quae dicuntur Dynastiis sunt commu-
nes, et de aliis, quae in scribendis epistolis sunt necessariae, namque de

اللوحة رقم (٣) الورقة رقم ٢ ب من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

post scriptum

N.º 2486

Kitab Al-Yusuchia id est
Liber epistolaris.

Pro manuscripto arabico in foliis vocantur ac viginti et sex
complectis foliis quibusdam arithmetico numero sed vocabulis
ad calamus scribendum appositis designantur octo. medicina
scriptum; ex corio fuso ligatum continet. in claudis scribendi
epistolas regis. de ad secretariis. كتاب المقصد الرفيع
recte exercendum; in scriptum. كتاب المقصد الرفيع
compositum ab anonymo.

دخل في كتاب المقصد الرفيع

في سنة ١١٧٠

على تصحيحه
بإمرام الملك
الملك الناصر

Tituli, qui cuiuslibet dignitatis sunt proprii. in 9.º loquitur
Auctor de qualitate papiri et calamorum, et de veneratione
regis speciebus quibus utendum est. in 10.º de Professoribus qui in
hoc regno sunt scilicet quibus tituli donandi sunt pueris
de modo, quo Califs eas gerere debeant contra Reges, et in 11.º
in 12.º proponuntur varias epistolarum exemplaria. In
13.º agitur de more a tempore Mahometi pendo prople
usque ad tempora Auliorum in scribendis epistolis regis
nato, ubi Auctor in alius alip copiosissime diffundit
in 12.º agitur de methodo, qua in diversis Dynastiis scribenda
demonstratur, necesse cognitionis in reducendis annis
lunaris. in 13.º et ultima agitur de qualitate, qua debent
pacta inter Mahometanos, et Christianos, et de modo
recipiendi alios in fidem, et Chientalem de securitate
libri propstanda, ac de modo quo cum ydem pax inveni
sit, et de iuribus in eas adhibendis, et de aliis de pory.

Joseph Ascari 6734
L'autre de est rubricé et écrit en alban
Mahomet ad. al. d'après ab. sur un manuscrit
qui mourut l'an 717 de l'égire à son lieu
Köken Dar le 10. 1886 le l'ancien fond. fol. 137
Reinard
L'année 717

اللوحة رقم (٥) الورقة الأخيرة من مخطوط الثغر الباسم [المقصد الرفيع]

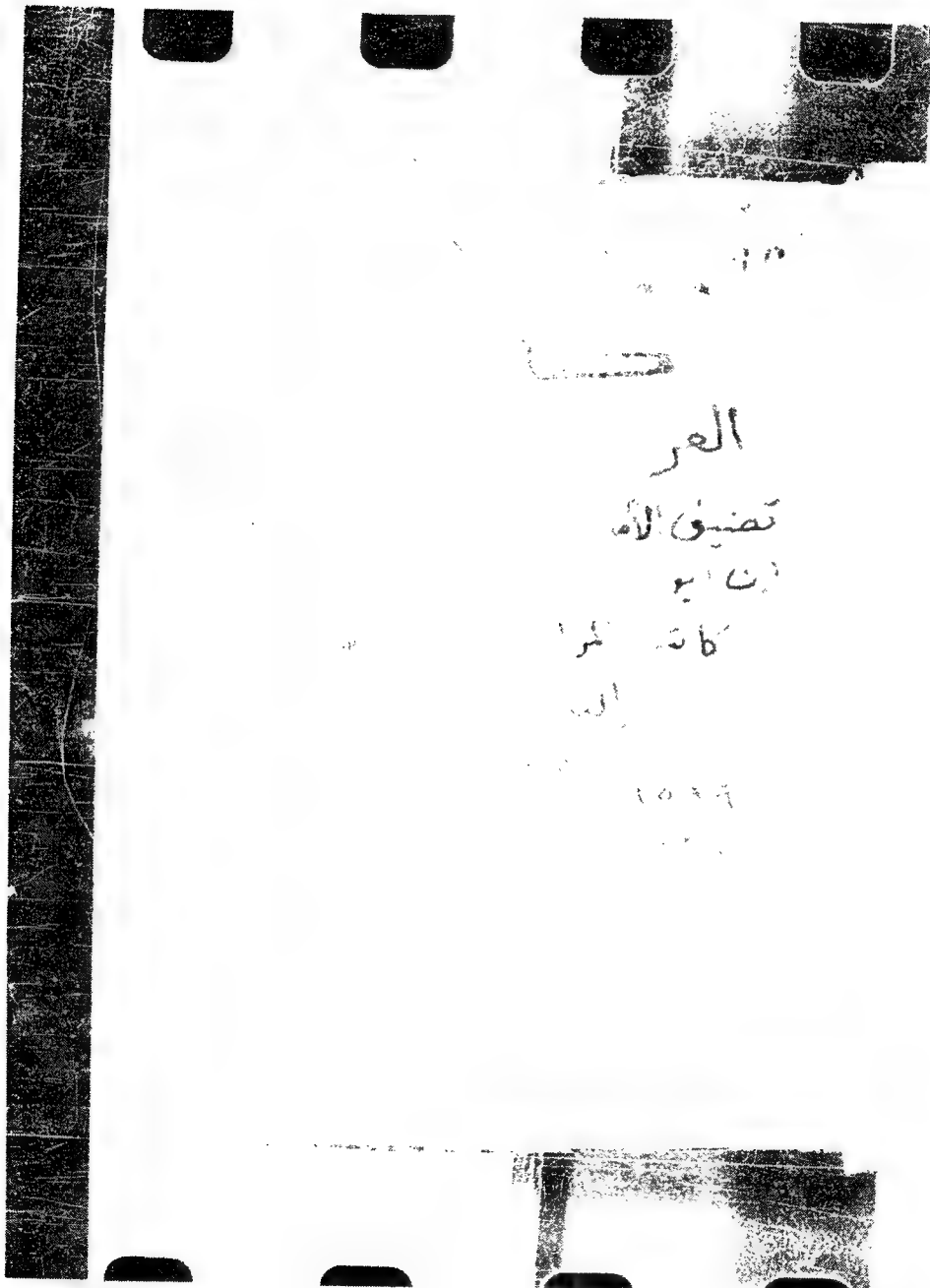
320

عبدالرحمن بن عام قال كتبنا لعمركم الخطاب وصيانه عنه حين صالح
مصارى العام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابي عداكم عن اخطاب
امير المؤمنين من مصاري مدنيه هذا وكذا انكر لما يدسم علينا سالناكم
الاما والمؤمننا ودارنا داخل ملنا وسرنا لعمركم على انفسنا ان
لا نحدث لعمركم في مدائننا ولا فلاحا حولنا دبرا ولا نكسه ولا موصيه
ولا نحدثنا خرب منها واندر ولا ما فان منها في خط السليم في كل
ولا نهادر وان موصع ابوابها للمار وابر السيل وان نزل من موصنا
من السليم لان لال بغيرهم ولا ما في كاسيا ولا في مزار لنا حامي
ولا نكم عننا السليم ولا نسلو اولادنا القار ولا نطهر شرعنا ولا نرعو
اليه احدا من دخل في الاسلام ولا نمنع احدا من دوى الاقربا واد
اراد الخروج في الاسلام وان يوفى السليم في قلوبهم في كاسيا اذ اراد
الخطوب من لا نمنعهم من غير ما نمنعهم ولا نمنعناهم من لا نمنعناهم
ولا نرعو في الزوج ولا نبعدها السيوف ولا نحدثنا من الصلاح
ولا نعلم معنا ولا نمنع على حوائجنا العرش ولا نمنع الكرم ولا نمنعنا
روشنا وكرم رشنا حقا وان قصد الرماير على اوصافنا ولا
نظهر حلقنا ولا نسلو سائر كمن في طرق السليم ولا في اموالهم ولا
نحاور مونا السليم نونا ولا نحدثنا من قوما جرى عليه مهام ٥
السليم ولا نطلع على منازل السليم قال عبدالرحمن بن عام طاعت
عمر الخطاب بالاب زاد فيه ولا نمنع احد من المسلمين من طنا
ذلك علينا وعلى اهل ملنا وقلنا على الامار فاما نحن حالنا سنا
نما شربنا لكم وصنا على انفسنا فلا دمه اذا وصل سنا ما على
من اهل المعادن والمنا ونكث عمر ان امض ما سالوه د الكرم
خرو من اب لا نمنعوا سنا من سنا ما السليم ومن صرنا على اعدا حلق

هذا خط عبدالرحمن بن عام في خطه وصيانه على مصاري العام



اللوحة رقم (٦) غلاف مخطوط العرف الناسم من الثغر الباسم



اللوحة رقم (٧) الورقة الأخيرة من مخطوط العرف الناسم

الآمان بالنصيرهم وحط مدرهم ورفع الاسلام ونشر
مذره كما قبل ان الموقل على الله حتى حج مع رجلا يعرف
عليه نهم بقله فقال والله ما قلب الا والفقير المور
ما سمع سالي نمر امر سالي فقال له قد سألني الله
استطال الكتاب اهل الدية على المسير في دلام
طويل وصلى له واسمعه وسئلوه عنه وخرج لهم
الموسى ما ينس الصاري واليهود ما ان العلى ولا
مكروا من اس الساص وان يكون لهم حشبا وارطهم
سهم المسحله ولا يدخلون حمام المسير ونرد طهم
حماما حرمها ديون ولا سكر ولا سكر الى هو الحزم
لنفسهم وورع عليهم محسبا لولد ولدت الا الامان
واحدوا به بعض المثل في ذلك لى فان الوف
اناسم من البع الناسم بالمد البع الى الله تعالى بحرم
ان يلى وحام في الوف في محمد السماوي السالى عوله
له ولو الله وكل المسير لى كنه هذا

الفهرس

[١٣]

مقدمة الكتاب

فى تعلق ديوان الإنشاء وكتابه

وفيه بابان:

الباب الأول

فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه فى الإسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفى بيان لقب صاحب هذا الديوان الجارى عليه قديماً وحديثاً وفى بيان ترفع قدره وشرف محله وصفته وآدابه، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: فى التعريف بحقيقته.

الفصل الثانى: فى أصل وضعه فى الإسلام وتفرقه بعد ذلك فى الممالك.

الفصل الثالث: فى بيان للقب صاحب هذا الديوان الجارى عليه قديماً وحديثاً وبيان ترفع قدره وشرف محله.

الفصل الرابع: فى بيان صفته وآدابه.

الباب الثانى

فى كُتاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ الكُتاب وزراء واتخاذ كُتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زماننا

القسم الأول

فيما يحتاج إليه كاتم السر من المواد العلمية والمعرفة بها

وهى على عشرة أنواع:

النوع الأول: حفظ كتاب الله وتدبر معانيه.

النوع الثانى: الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية.

النوع الثالث: معرفة الفقه.

النوع الرابع: معرفة اللغة.

النوع الخامس: معرفة النحو والتصريف. [٣ ب]

النوع السادس: معرفة المعاني والبديع.

النوع السابع: في صناعة الكلام.

النوع الثامن: معرفة السجع وأحكامه واختلاف أحواله.

النوع التاسع: معرفة الإيجاز والإطناب والمساواة.

النوع العاشر: معرفة أيام العرب والسنين المشهورة والأيام التي كانت فيها الوقائع بين العرب.

القسم الثاني

معرفة التاريخ

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني: في معرفة من ولي الخلافة بعده وإلى آخر دولة الأمويين.

الباب الثالث: في ذكر الخلفاء من بني العباس وإلى زماننا.

الباب الرابع: في معرفة الدولة العبيدية الواردة من المغرب وتملكهم الديار المصرية إلى حين وفاة العاضد وتملك بني أيوب.

الباب الخامس: في معرفة السلاطين من بني أيوب بالديار المصرية والبلاد الشامية.

الباب السادس: في معرفة من ولي السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك.

الباب السابع: في معرفة من تولى السلطنة بمصر من جنس الشراكسة وإلى زماننا. [٤ أ]

القسم الثالث

في معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً ومسافاتها وما يدخل تحت

ذلك من المدن والسواحل

وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول

في شكل الأرض والبحر المحيط والرياح والأقاليم السبعة الممتدة من الشرق والغرب

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في شكل الأرض وما ينخرط في سلك ذلك.

الفصل الثاني: في البحار.

الفصل الثالث: في الأقاليم السبعة الحقيقية.

الباب الثاني

في معرفة الديار المصرية ومضافاتها من الممالك الشامية وغيرها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في مملكة الديار المصرية.

الفصل الثاني: في الممالك الشامية، وهي على ست قواعد:

الأولى: دمشق. الثانية: حلب. الثالثة: حماة. الرابعة: طرابلس. الخامسة: صفد. السادسة: الكرك.

الباب الثالث

مما أضيف إلى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من الأقطار الحجازية ومضافاتها

وهي على أربع جهات:

الجهة الأولى: مكة. الثانية: المدينة النبوية. الثالثة: ينبع. الرابعة: مراحل الحجاز.

القسم الرابع

فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وحسن تدبيره وما يصرف فيه قلمه

وهو على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فيما يتصرف فيه بنظره وحسن تدبيره

وهو على عشرة أنظار:

الأول: النظر في الرسل المتوجهين إلى ملوك الأرض شرقاً وغرباً. الثاني: النظر في أمر البريد.

الثالث: النظر في أمر السعاة والنجاة وحاملى الملقطات والجواسيس. الرابع: النظر في الفداوية.

الخامس: النظر في المهمندارية والتراجمة. [٤ ب] السادس: النظر فيما تتفاوت به المراتب في

المكاتبات والولايات من قطع الورق ووسع البياض وقطة القلم والافتتاح والألقاب والصدعاء.

السابع: النظر في رد الأجوبة. الثامن: النظر في أمر الحمام الرسائل المعد لحمل البطاقة. التاسع:

النظر في تدبر قراءته بين يدي ملكه. العاشر: النظر في مرءوسيه الجارى عليهم لقب التوقيع.

الباب الثاني

فيما يصرف فيه كاتم السر قلمه

وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: التوقيع على القصص. الثاني: التعيين على كتاب الديوان. الثالث: محل وضع كتابة التوقيع والتعيين.

الباب الثالث

في ترتيب ما كان عليه ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن

وهو على حالين:

الحال الأول: ما كان عليه الأمر في دولتي الفاطميين والأيوبيين. الحال الثاني: ما استقر عليه الأمر من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا.

القسم الخامس

في ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها وموضوع الوظائف بها

وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف من قطع الورق حين ولايته

ويشتمل ذلك على ستة أبواب:

الباب الأول

فيما هو مختص بالسلطان من شعار الملك الذي لا يشاركه فيه غيره

الباب الثاني

في ذكر أرباب الوظائف بالمملكة من أرباب السيوف والمهاترة المتولين من الحضرة

وفيه ثمان مقاصد:

الأول: في ذكر أرباب السيوف. الثاني: أرباب الوظائف بالحضرة من الأمراء المقدمين. الثالث:

أرباب الوظائف من الأمراء الطليخاناه. الرابع: أرباب الوظائف من الأمراء العشرات. الخامس:

أمراء الخمسات. السادس: المشدين. السابع: الجند. الثامن: مهاترة البيوتات.

الباب الثالث

في ذكر من يتولى بالحضرة من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية وقدر ما يكتب لكل منهم

من قطع الورق على ما استقر عليه الحال، [٥ أ]

وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول: القضاة والمفتين. الثاني: المدرسين ومشايخ الخوانق والخطباء والأئمة. الثالث: أنظار الوظائف الدينية. الرابع: ما هو خارج عن الأنظار من الوظائف الدينية.

الباب الرابع

في ذكر أرباب الوظائف الديوانية المستقرين متوليها من الحضرة وذكر أتباعهم وما يكتب لهم من قطع الورق

وهي عشرة وظائف:

الأولى: كتامة السر وأتباعها. الثانية: الوزارة وأتباعها. الثالثة: نظر الخواص وأتباعها. الرابعة: نظر الجيش وأتباعها. الخامسة: نظر ديوان المفرد. السادسة: نظر الخزانة. السابعة: نظر الاسطبلات. الثامنة: صحابة ديوان الممالك. التاسعة: نظر الأملاك والذخيرة. العاشرة: نظر العمائر.

الباب الخامس

في ذكر وظائف ذو^(١) الرئاسة والمعلمين وزعماء أهل الذمة

وهي على مقصدين:

الأول: وظائف ذو^(٢) الرئاسة والمعلمين. الثاني: زعماء أهل الذمة.

الباب السادس

في ذكر أرباب الوظائف الخارجين عن القاهرة بالديار المصرية وأمراء العربان ومشايخهم وأنفارهم

وهم على ثلاثة مقاصد:

الأول: أرباب الوظائف بالإسكندرية. الثاني: أرباب الوظائف ببلاد الريف. الثالث: العربان بالوجهين القبلي والبحري.

(١) الصواب: ذوى.

(٢) الصواب: ذوى.

القسم السادس

في ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق ويشتمل على خمس ممالك وعملين لكل منها نيابة:

المملكة الأولى دمشق، وفيها مقصدان:

المقصد الأول: في حاضرتها. الثاني: عمل برها.

المملكة الثانية من الممالك الشامية حلب، وفيها مقصدان:

الأول: في حاضرتها. الثاني: ما هو خارج عن حاضرتها.

المملكة الثالثة من الممالك الشامية حماة، وفيها مقصدان:

الأول: في حاضرتها. الثاني: ما هو خارج عن حاضرتها.

المملكة الرابعة من الممالك الشامية طرابلس، وفيها مقصدان:

المقصد الأول: في حاضرتها. الثاني: عمل برها.

المملكة الخامسة من الممالك الشامية مملكة صفد، وهي على مقصدين:

المقصد الأول: في حاضرتها. الثاني: [٥ ب] عمل برها.

العمل الأول من البلاد الشامية غزة العمل، الثاني الكرك

القسم السابع

في ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف وعربان الممالك

الشامية ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

ويشتمل على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: في ذكر أرباب الوظائف وترتيبهم بالأقطار الحجازية. الثاني: في ذكر الأشراف

الأمرء بأقطار الحجاز. الثالث: في ذكر عربان البلاد الشامية.

القسم الثامن

في أمور تشترك فيها الولايات والمكاتب وغيرها من الأمور المهمة التي يحتاج إليها

بديوان الإنشاء

ويشتمل على خمسة أبواب:

الباب الأول

في الكنى والألقاب

الباب الثاني

في ألقاب أرباب الوظائف

وهو على أربعة أنواع:

الأول: ألقاب أرباب السيوف. الثاني: ألقاب أرباب الوظائف من النصارى. الثالث: الألقاب التي تتفرع عنها الألقاب في الولايات والمكاتب. الرابع: الإتيان لصاحب كل لقب من الألقاب الأصول بما يلائمه من الأوصاف.

الباب الثالث

في تفاوت الألقاب في العلو والهبوط

وهي على خمسة أنواع:

النوع الأول: الألقاب المفردة. الثاني: الألقاب المركبة المعبر عنها بالنعوت المختصة بأرباب السيوف. الثالث: ألقاب القضاة والعلماء. الرابع: ألقاب كتام السر والوزراء ونظار الجيوش والخواص ومن دونهم من الكتاب. الخامس: ألقاب أهل الصلاح.

الباب الرابع

في تفاوت الألقاب بالتقديم والتأخير

وهو على نوعين:

النوع الأول: الألقاب المفردة. الثاني: ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير في الألقاب المركبة.

الباب الخامس

في ترتيب الألقاب الفروع بحملها على الألقاب الأصول وذكر أصول في ترتيب [٦ أ]

الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول

وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: ألقاب الخلافة ومن في معناهم. الثاني: الألقاب الملوكية. الثالث: الألقاب العامة لسائر الطوائف. الرابع: في ذكر أصول يعتمدها الكاتب في ترتيب الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول من الألقاب.

القسم التاسع

في معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة
والقواتح والخواتم واللواحق
وهو على خمسة أبواب:

الباب الأول

في معرفة الورق وما يناسبه من الأقلام

وهو على ثلاثة أصناف:

الصف الأول: ورق البغدادى. الثانى: الورق الشامى. الثالث: الورق المصرى.

الباب الثانى

فيما يحتاج إليه بديوان الإنشاء من الليق

وهى خمس: الليقة الأولى: المداد. الثانية: الحبر. الثالثة: الذهب. الرابعة: اللازورد. الخامسة:
المغرة العراقية ويلحق بذلك النشا.

الباب الثالث

في القواتح

وهى خمس: الفاتحة الأولى: البسملة. الثانية: الحمدلة. الثالثة: التشهد فى الخطب. الرابعة:
الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم. الخامسة: أما بعد.

الباب الرابع

في الخواتم

وهى ست: الخاتمة الأولى: المشيئة. الثانية: التاريخ. الثالثة: المستند. الرابعة: الحمدلة. الخامسة:
الصلاة. السادسة: الحسيلة.

الباب الخامس

في اللواحق

وهى على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: ما يؤمر الكاتب بإخاذه فى كتابه بعد الانتهاء. الثانى: الترتيب. الثالث: نظر
الكاتب فى الكتاب بعد فراغه وتأمله له.

القسم العاشر

في ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولايتهم

[٦ ب] ويشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

في بيعات الخلفاء والملوك

وهي على نوعين:

النوع الأول: مبيعات الخلفاء وما ينبه فيها. الثاني: بيعات الملوك وما ينبه فيها.

الباب الثاني

في العهود وما ينبه فيها

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عهود الخلفاء إلى الخلفاء. الثاني: عهود الخلفاء للملوك. الثالث: عهود الملوك لولاة العهد بالملك.

الباب الثالث

في الولايات الصادرة عن الخلفاء والسلطين

وفيه فصلان: الفصل الأول: فيما يكتب من ذلك عن الخلفاء.

الثاني: فيما يكتب من الولايات عن الملوك.

القسم الحادي عشر

في رسم المكاتبات الصادرة

ويشتمل على عشرة أبواب:

الباب الأول

في ذكر أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها وأصول يعتمدها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في أصول يتعين على الكاتب مراعاتها. الثاني: في مواقع الإيجاز والإطناب وما يلائم ذلك. الثالث: في بيان لواحق الكتب من العنونة والترجمة.

الباب الثاني

في مصطلح مفتتح الكتب من أيام النبي صلى الله عليه وسلم وإلى زماننا

وهو على ثلاثة أساليب:

الأسلوب الأول: أن تفتح المكتبة من فلان إلى فلان. الثاني: ما يكتب به عن الخلفاء أيضاً.
الثالث: أن تفتح المكتبة بالحمدلة.

الباب الثالث

في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة

وهو على حال واحد.

الباب الرابع

في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى الخلفاء

وهو على خمسة أساليب:

الإسلوب الأول: أن تفتح المكتبة بلفظ من فلان إلى فلان أو لفلان من فلان. الثاني: أن تفتح
المكتبة بالصلاة على الخليفة. الثالث: أن تفتح المكتبة بالسلام على الخليفة. الرابع: أن تفتح
المكتبة بالحمدلة. الخامس: أن تفتح المكتبة بالدعاء للديوان العزيز.

الباب الخامس

[٧ أ] في رسم المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى ولاية العهد بالخلافة

وهو على أسلوبين:

الأسلوب الأول: ما كان عليه الأمر في الزمن القديم. الثاني: ما عليه المصطلح الآن.

الباب السادس

في رسم الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى الملوك ومن في معناهم

وهو على خمسة أساليب:

الأسلوب الأول: أن تفتح المكتبة بأما بعد. الثاني: أن تفتح من فلان إلى فلان. الثالث: أن
تفتح المكتبة بلفظ كتابنا بنون الجمع المقتضية للتعظيم. الرابع: أن تفتح المكتبة بلفظ كتابي
على الأفراد. الخامس: أن تفتح المكتبة بالدعاء للمجلس وما يتبعه كما كان قديماً واستنبط
منها المصطلح الآن.

الباب السابع

في رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال وهو على خمسة فصول:

الفصل الأول في رسم المكاتبات الصادرة لأهل المملكة، وفيه ست مقاصد:
المقصد الأول: في المكاتبات الخاصة بأرباب السيوف. الثاني: في المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية. الثالث: في المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الديوانية. الرابع: في المكاتبات الخاصة بمشايخ الصوفية. الخامس: في مكاتبات العربان بالديار المصرية. السادس: في رسم المكاتب الخاصة بالخواندات.

الفصل الثاني في رسم المكاتبات الصادرة إلى أرباب الوظائف بالممالك الشامية، وهي على خمس نيات: [المذكور سبع]

النيابة الأولى: نيابة دمشق وعملها. الثانية: نيابة حلب وأعمالها. الثالثة: نيابة حماة. الرابعة: نيابة طرابلس. الخامسة: نيابة صفد. السادسة: نيابة غزة. السابعة: نيابة الكرك.

الفصل الثالث في رسم المكاتبات الصادرة لأرباب الوظائف بالأقطار الحجازية، ويشتمل على ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: مكة المشرفة. الثانية: مدينة يثرب على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام. الثالثة: ينبع ويلتحق بذلك جزيرة سواكن.

الفصل الرابع في رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة، وهي على أربعة ضروب: الضرب الأول: المطلقات المكبرة. الثاني: المطلقات إلى كفلاء الممالك دون نائب الشام. الثالث: المطلقات المصغرة. الرابع: [٧ ب] البراغ.

الفصل الخامس في رسم كتابة اللطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق، وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: اللطفات. الثاني: أوراق الجواز. الثالث: أوراق الطريق. الرابع: أوراق البطائق.

الباب الثامن

في رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إلى من هو خارج عن هذه المملكة من ملوك الأقطار وأتباعهم على ما كان الأمر عليه وما استقر عليه الحال

وينقسم ذلك على أربع جهات:

الجهة الأولى جهة الشرق عن الديار المصرية وهي تشتمل على ثلاثة ممالك: المملكة الأولى: مملكة إيران. المملكة الثانية من الممالك الشرقية: مملكة توران. المملكة الثالثة من الممالك الشرقية الإسلامية: مملكة الهند وفيها رسم مكاتبه صاحب البلغار والسرب إذا كان مسلماً. الجهة الثانية جهة الشمال عن الديار المصرية وتسمى بلاد الدروب وهي بلاد الروم وغالبها بيد ابن عثمان وعدها في التثقيف إحدى وعشرون مدينة وإحدى وعشرون أميراً وقد أوضحناها هنا. الجهة الثالثة جهة الجنوب عن الديار المصرية وتشتمل على ثلاث نواح: الناحية الأولى: جزيرة العرب سوى بلاد الحجاز المتقدم ذكرها وتشتمل على إقليمين: الإقليم الأول: اليمن وفيه مملكتان: المملكة الأولى: مملكة إمام الزيدية. المملكة الثانية من ممالك اليمن: مملكة بني رسول. الإقليم الثاني من جزيرة العرب: بلاد البحرين. الناحية الثانية من الجهة الجنوبية عن الديار المصرية: بلاد السودان. الناحية الثالثة من الجهة الجنوبية عن الديار المصرية: الطراز الإسلامي وهي من بلاد الحبشة إلى ساحل بحر القلزم مما يقابل اليمن.

الباب التاسع

في رسم المكاتب الصادرة إلى ملوك الإسلام في جهة الغرب

[٨ أ] ويشتمل على أربع ممالك:

المملكة الأولى: إفريقية وقاعدتها مدينة تونس. المملكة الثانية من الممالك الإسلامية: مملكة المغرب الأوسط وقاعدتها مدينة تلمسان. المملكة الثالثة من الممالك الإسلامية: مملكة المغرب الأقصى وقاعدتها مدينة فاس. المملكة الرابعة من الممالك الإسلامية الغربية: مملكة الأندلس وقاعدتها مدينة غرناطة.

الباب العاشر

في رسم المكاتب الصادرة إلى ملوك النصارى

وهم بأربع جهات:

الأولى الجهة الشرقية وتشتمل على ثلاث ممالك: الأولى: مملكة الكرج وقاعدتها مدينة تفليس. الثانية: مملكة الأرمن. الثالثة: مملكة صاحب باب الأبواب. الثانية الجهة الغربية، وبها ثلاث ملوك: الأول: الأذفونش ويقال الفنش وقاعدة ملكه مدينة طليطلة. الثاني: صاحب برشلونة ويقال برجلونة. الثالث: الريد إفرنس ويقال الفرنسي وقاعدة ملكه إفرنسة.

الثالثة الجهة الشمالية، والمكاتب بها اثنا عشر حاكماً: الأول: الباب ومقره مدينة رومية. الثاني: صاحب القسطنطينية. الثالث: حكام جنوة. الرابع: صاحب البندقية. الخامس: صاحب سنوب. السادس: صاحب البلغار والسرب. السابع: متملك رودس. الثامن: صاحب جزيرة المصطكا. التاسع: متملك قبرص. العاشر: صاحب الماغوصة. الحادى عشر: ملك مونفراد. الثانية عشر: صاحب نابل.

الرابعة الجهة الجنوبية، والمكاتبون بها من ملوك النصارى ملكان: الأول: ملك أمحرا وقاعدة ملكه مدينة جرمى. الثاني: صاحب دنقلة وهو ملك النوبة.

القسم الثانى عشر

فى الإقطاعات والمساحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين

وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فى الإقطاعات

وهى على خمس طرق: الأولى: ما كان يكتب فى زمن الخلفاء العباسيين. الثانية: ما كان يكتب فى زمن الفاطميين. الثالثة: ما كان يكتب عن ملوك الشرق والقائمين عن [٨ ب] خلفاء بنى العباس. الرابعة: ما كان يكتب عن الملوك الأيوبية بمصر. الخامسة: ما يكتب فى زماننا.

الباب الثانى

فى المساحات والإطلاقات

وهو على نوعين: النوع الأول: المساحات. الثانى: الإطلاقات.

الباب الثالث

فى الطرخانيات وتحويل السنين

وهو على نوعين: النوع الأول: الطرخانيات. الثانى: فى تحويل السنة الشمسية إلى القمرية.

القسم الثالث عشر

فى الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك

النصارى والصلح بين ملكين مسلمين والفسوخ الواردة على العقود السابقة

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول

في الأيمان

وفيه ثلاثة ضروب: الضرب الأول: في نسخ الأيمان الإسلامية. الثاني: في الأيمان التي يحلف بها أهل الكفر والحكماء. الثالث: في الأيمان التي يحلف بها على الهدن التي تعقد بين ملكين أو ملك ونائب أو نائين وما يزداد في أيمان بعض أعيان المملكة وما يفرد به بعضهم حين ولايتهم.

الباب الثاني

في الأمانات وكتابة نسخها

وفيه مقصدان: المقصد الأول: في عقد الأمان لأهل الكفر. الثاني: في كتابة الأمان إلى أهل الإسلام.

الباب الثالث

في الدفن

وهو على حالة واحدة.

الباب الرابع

فيما يكتب في عقد الذمة وانتقاضه

وهو على حالة واحدة.

الباب الخامس

في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الكفر

وفيه فصلان: الفصل الأول: في أصول يتعين على الكاتب معرفتها. الثاني: في صورة ما يكتب في المهادنات.

الباب السادس

في عقود الصلح بين ملكين مسلمين

وهو على حالة واحدة.

الباب السابع

في الفسوخ الواردة على العقود السابقة

وهو على صورتين: الصورة الأولى: الفسخ. الثانية: المفاسخة.

مقدمة الكتاب

فى تعلق ديوان الإنشاء وكتابه

[٩ ب] وفيه بابان:

الباب الأول

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفي بيان لقب صاحب هذا الديوان الحاوي عليه قديماً وحديثاً وبيان شرف قدره ورفع محله وفيه ثلاثة ^(١) فصول:

الفصل الأول

في التعريف بحقيقته

لا خفاء في أنه اسم مركب من مضاف [وهو ديوان] ^(٢) ومضاف إليه وهو الإنشاء، أما الديوان فهو اسم الموضع الذي يجلس فيه الكاتب. واختلف في أصل لفظه قيل عربي، وفي لغة العرب أن الديوان، الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما "إذا سألتهم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"، وإلى هذا يعيل كلام سيويه.

وذهب آخرون إلى أنه أعجمي وهو قول الأصمعي، وعليه اقتصر الجوهري في الصحاح فقال "الديوان فارسي معرب"، وحكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين:

أحدهما: أن كسرى أمر كتبه أن يحسبوا مال الخراج ففعلوا واطلع عليهم وهم يحسبون فقال "ديوانه" أي مجانين لحذقهم فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره للتخفيف فقليل ديوان.

(١) الصواب: أربعة فصول من واقع ما هو مذكور بالمخطوط.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من، صبح، ج ١، ص ٨٩؛ ضوء، ص ٣٤.

والثاني: أن الديوان بالفارسية هو اسم للشياطين وسميت ^(١) الكتاب بذلك لمعرفةهم ^(٢) بالأمور ووقوفهم على الجلى منها والخفى.

والإنشاء يقع على معان، منها أن يقع من الخالق جل وعلا، تارة بمعنى الخلق والابتداء كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ^(٣) بمعنى خلقكم وابتدأكم من آدم عليه السلام. وتارة بمعنى الابتداء خاصة كما قال تعالى عن السفن ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾ ^(٤). وتارة بمعنى [١٠ أ] الاختراع، وهو الذى لم يكن له مثل سابق كما قال عز وجل عن البساتين ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ ^(٥)، ومن الآدمى بمعنى الابتكار والابتداء.

والإنشاء مصدر أنشأ الشيء ينشئه إنشاء إذا اخترعه أو ابتكره، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ومن المعاني فيما يكتب به من الولايات ومن المكاتبات، ومن هذا أضيف الكتابة إلى الإنشاء من تشابه أصلها أى يبنى عليه. وحينئذ فإضافة الإنشاء إلى الديوان يحتمل أمرين، أحدهما أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات ينشأ عنه ويبدأ منه. الثانى أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا.

وكان هذا الديوان فى الزمن الماضى ^(٦) يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأظهر ^(٧) الأنواع التى تظهر ^(٨) وتصدر عنه، لأن الرسائل أكثر كتابة ديوان الإنشاء، وربما عبر عنه ^(٩) بديوان المكاتبات، ثم غلب عليه ديوان الإنشاء من أيام القاضى الفاضل.

(١) الصواب: وسمى، صبح، ج ١، ص ٩٠.

(٢) لحذفهم: ضوء، ص ٣٤.

(٣) الأنعام، الآية ٩٨.

(٤) الرحمن، الآية ٢٤.

(٥) الأنعام، الآية ١٤١.

(٦) المتقدم: صبح، نفسه.

(٧) بأشهر: صبح، نفسه.

(٨) ناقصة فى صبح، نفسه.

(٩) قيل: صبح، نفسه.

الفصل الثاني

في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك

اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام لأن^(١) النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه ويكتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى هرقل حين كان مجاوراً لجزيرة العرب من قبل الشام على يد دحية الكلبي^(٢) كتاباً أوله " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله إلى هرقل عظيم الروم "، وفي رواية " من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم "، وفي رواية " يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين "^(٣) وفي رواية البريسيين ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٤).

وكتب إلى المقوقس بمصر على يد حاطب بن أبي بلتعة اللخمي^(٥) " بسم الله الرحمن [١٠ ب] الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس بمصر، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد،

(١) وذلك أن: صحيح، ج ١، ص ٩١؛ ضوء، ص ٣٥.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، صحابي مشهور كان مشهوراً بحسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام يزل على صورته، عاش حتى عهد معاوية بن أبي سفيان. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق على محمد الجاوي، بيروت ١٤١٢ هـ، ج ٢، ص ٤٦١، ت رقم ٧٠١؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق على محمد الجاوي، بيروت ١٩٩٢، ج ٢، ص ٣٨٤، ت ٢٣٩٢.

(٣) الأريسيين: نسبة إلى أريوس السكندري الذي دعى إلى التفريق بين الله والمسيح، وقد اتخذته الكنيسة الشرقية مذهباً لها، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هناك كنيسة إحداهما الكنيسة الشرقية والأخرى الكنيسة الغربية المعادية للأريوسية. انظر: نورمان كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٨٤، ص ٦٦-٦٧.

(٤) آل عمران، الآية ٦٤.

(٥) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، حليف قريش من مذحج، مات في خلافة عثمان بن عفان عام ٣٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣١٢.

فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل على كتاباً قرآناً مبيناً، وأمرني بالإحذار^(١) والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بدينى ويدخل الناس فى ملتى، [وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته]^(٢) فإن أنت أطعت^(٣) سعدت، وإن أنت أبيت شقيت، والسلام^(٤).

وكتب إلى كسرى ملك الفرس على يد عبد الله بن حذافة السهمى^(٥) من الحديدية كتاباً " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر^(٦) من كان حياً ويحق القول على الكافرين، اسلم تسلم، فإن أبيت^(٧) فعليك إثم الجوس.

وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة على يد عمرو بن أمية الضميرى^(٨) " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة، وأنا أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة إلى طاعته "، وفى رواية " وأنا أدعوك وجنودك فاقبل نصيحتى، والسلام على من اتبع الهدى " ^(٩).

(١) بالأعذار: صبح، ج ٦، ص ٣٧٨.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من صبح، نفسه.

(٣) فعلت: صبح، نفسه.

(٤) يختلف نص هذه الرسالة مع ما أورده القلقشندي سواء ما نقله عن كتاب الأموال لأبى عبيدة أو الرسالة الأخرى وإن كان المضمون واحداً فى كل الروايات، انظر: صبح، ج ٦، ص ٣٧٧ — ٣٧٨.

(٥) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى، من الصحابة السابقين إلى الإسلام الذين هاجروا المهجرتين الحبشة والمدينة، توفى بمصر ودفن بها فى خلافة عثمان بن عفان. ابن عبد البر: السابق، ج ٣، ص ٨٨٨، ت رقم ١٥٠٨؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٥٧، ت رقم ٤٦٢٥.

(٦) لأنذر: صبح، ج ٦، ص ٣٧٨.

(٧) توليت: نفسه.

(٨) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن ضميرة الضميرى، صحابى مشهور أسلم بعد غزوة أحد، توفى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان حوالى عام ٦٠ هـ. ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٦٠٢، ت رقم ٥٧٦٩؛ ابن قانع: معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى، المدينة المنورة ١٤١٨ هـ، ج ٢، ص ٢١٠، ت رقم ٧١٢.

(٩) هذه الرواية مختلفة عما ذكره القلقشندي فى صبح، انظر، ج ٦، ص ٣٧٩.

أقول: إن أسماء هؤلاء الملوك من قبيل أعلام الأجناس، لأنه يقال لكل من ولى الروم قيصر وأن هرقل لم يكن الملك نفسه وإنما كان متسلم الشام لقيصر، وقيصر بالقسطنطينية لم يره، وقيصر هو الملك نفسه. وكان كل من لى مصر يسمى المقوقس، وأن المقوقس الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم يسمى جريج بن ميناس بن مرقب من القبط من ذرية حام بن نوح. ومن ولى الحبشة يسمى النجاشى، والنجاشى الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم اسمه أصحمة بن أبجر، وقيل مصحمة كما قاله البيهقى، وقال النووى فى شرح مسلم " وليس هذا بالنجاشى الذى صلى الله عليه النبى صلى الله عليه وسلم "، [ومن ولى مملكة الفرس يسمى كسرى، وأن كسرى الذى كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم يسمى أبرويز ومعناه بالفارسية أى المعلق بالسحاب] ^(١).

وكتب إلى هوزة بن على ملك اليمامة، وإلى الملك ^(٢) بن ساوى ملك البحرين [١١ أ]، وإلى الحارث بن أبى شمر الغسانى بغوطة دمشق. وكتب لعمر بن حزم ^(٣) عهداً حين وجهه إلى اليمن، ولتميم ^(٤) بإقطاع فى الشام، وكتب كتاب القضية بينه وبين قريش عام الحديبية، وكتب الأمانات إلى غير ذلك مما لا يحصر، وهذه المکتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء بخلاف ديوان الجيش فإن أول من وضعه ورتبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(١) ما بين الحاصرتين من هامش صفحة المخطوط.

(٢) الصواب: المنذر. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، ب، ت، ج، ١، ص ٢٧٦.

(٣) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لؤذان الأنصارى، استعمله النبى على نجران، توفى عام ٥٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٧٢، ت رقم ١٩٠٧؛ ابن قانع: السابق، ج ٢، ص ٢٠٠، ت رقم ٦٩٩؛ ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ٦٢١، ت رقم ٥٨١٤.

(٤) يقصد به الكتاب الذى كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وإخوته انظر فيما بعد القسم الثانى عشر ص ٩١٥، وقيم الدارى: هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود، ينسب إلى الدار، وهو بطن من قبيلة لخم، كان نصرانياً وأسلم. ابن عبد البر: السابق ج ١، ص ١٩٣؛ ابن قانع: السابق، ج ١، ص ١٠٩، ت رقم ١١٣؛ ابن حجر: السابق ج ١، ص ٣٨١، ت رقم ٨٧٠.

الفصل الثالث

في بيان لقب صاحب ديوان الإنشاء الحاوي عليه قديماً وحديثاً وبيان شرف قدره وترفع محله اعلم أن المستمر في العرف على ألسنة الناس من أيام القاضي جعفر بن المغربي^(١)، وقيل من أيام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر^(٢) في أيام المنصور قلاوون بلقب " كاتب السر " وإلى زماننا، وربما قيل فيه " كاتب السر ". وهو مستقيم لغة ومعنى، أما من حيث اللغة فإن ربيعة تبدل الباء ميماً، والميم باء. ومن حيث المعنى فإنه الذي يكتُم سر سلطانه بما يلقى إليه من خفايا أموره.

وأما في القديم فكان من مبتدأ خلافة الإمام أبي بكر رضى الله عنه وإلى آخر دولة الأمويين قبل أن تكن الوزارة يعبرون عنه بالكاتب كما ذكره القضاة، فلما جاءت الدولة العباسية وظهر أول خلفائهم أبو عبد الله السفاح لقب كاتبه أبا سلمة الخلال^(٣) بالوزير واستقر لقب الوزارة على الكتاب من حينئذ ورفض التلقب بالكاتب. ثم اتسع أمر الوزارة فأفرد ديوان الإنشاء عن الوزارة وجعلوا عليه متولياً ولقبوه بأمرير البريد يُرجع إليه في الأمر والنهي والعلو والانحطاط، ويشارك صاحب هذا الديوان في كثير من الأمور.

(١) هو أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي، أحد وزراء الدولة الفاطمية في عهد المستنصر الفاطمي [٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م]، وزر له في شهر ربيع الآخر من عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م إلى رمضان من عام ٤٥٢ هـ، ثم تولى بعدها ديوان الإنشاء إلى أن توفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٣ م. ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢) هو القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، رأس موقعي وكتاب الدست في أيام المنصور قلاوون ولم يتول رئاسة الديوان بل الذي تولى رئاسته هو ابنه فتح الدين بن عبد الظاهر، توفي عام ٦٩٢ هـ. انظر ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، - مقدمة المحقق - ص ٥ وما بعدها؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ٢٩٣، ٣٣٤.

(٣) أبو سلمة الخلال: هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني وزير أبي العباس السفاح، وهو أول من أطلق عليه اسم الوزير، قتل عام ١٣٢ هـ / ٧٥١ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ١٩٥ - ١٩٧، ت رقم ٢٠١.

وكان متولى الديوان يلقب تارة " بصاحب ديوان الرسائل "، وتارة " متولى ديوان السائل وصاحب ديوان المكاتب " أو " متولى ديوان المكاتب. وقال ابن الطوير " وكان يلقب في الدولة الفاطمية بكاتب الدست "، ثم لقب في الدولة التركية " بصاحب [١١ ب] ديوان الإنشاء " وأسند إليه أمر الولايات والعزل، ثم غدق به غالب أمور المملكة ثم اتسع له مجال التدبير والتصرف إلى أن صار أمين المملكة ورأس أعيانها، لا يضع الملك في أمر مملكته حرفاً إلا على ما يخرج من مزرتة بعد اطلاعه عليه.

ولما أفصل الوزير جعفر بن المغربي من الوزارة في أيام المستنصر من الفاطميين خير في وظيفة يكون قائماً بها مقام الوزير فاختار صحابة ديوان الإنشاء وأن يلقب بكاتب السر ففعل ذلك ولزم هذا اللقب لصاحب دواوين الإنشاء لا يتفرد به غيره. أما كاتب السر بدمشق وحلب فلا يعبر عنهما إلا " بصاحب ديوان الإنشاء بالشام أو بحلب " ^(١)، وكان يعبر عن كاتم السر بحماة " صاحب ديوان المكاتب بحماة " ^(٢)، وعلى نحوه كاتم السر بطرابلس وصفد. وأما كاتم السر بغزة وبيس وثغر الإسكندرية والكرك فلا يعبر عنهم إلا " بكتاب الدرج بفالانة"، وربما كتب لهم " كاتب الإنشاء بفالانة " إن كان من موقعين الإنشاء بالديار المصرية أو بالشام.

وأما شرف محله وترفع قدره، فأشرف محل وأرفع قدر وناهيك بعلو شأنه أنه سالك سبل أجل الصحابة رضى الله عنهم لأن النبی صلى الله عليه وسلم كان يكتب عنه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى وغيرهم كما سيأتى فلا يولى صحابة دواوين الإنشاء إلا خلاصة خواص الناس، ومن تكون القلوب على أهليته متطابقة والألسن بكفائته ناطقة. ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل زمن مقدماً لديهم على من عداه، يلقون إليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء أو الوزراء وغيرهم، وإنه أول داخل يدخل على الملك وآخر ذاهب يذهب من عنده، ولا غنى للملك عن أخذ رأيه والإفضاء إليه بمهمات ويقربه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة والحجبة إلا منه، واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته [١٢ أ] فهو لا يثق من أحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى أحد كركونه إليه، فإن المعول عليه في سياسة عسكره

(١) في هامش صفحة المخطوط " وصار الآن يعبر عنهما بكاتب السر الشريف بالشام أو حلب ".

(٢) في هامش صفحة المخطوط " والآن صار يعبر عنه بصاحب أو رئيس ديوان الإنشاء بحماة ".

ونوابه وأمرائه وجنده وعماله وعمارة بلاده ومصلحة رعيته واستخلاص نياهم، واستجلاب دعواتهم، والملمتس الأيمان من أرباب الولايات حين دخولهم إلى المناصب. ومن ديوانه تكتب الولايات بأسرها، ويقلد كل واحد بما يلزمه ويوصى بما يراه ويقيده من الإمام إلى من هو في أدنى رتبة من رتبة المملكة، وإن لسانه وقلمه جاريان في صلة الأرزاق ورفع المظالم والحوادث.

تنبيه قال صاحب مواد البيان " إذا انتهى إلى صاحب هذا الديوان خبر يتعلق باستجلاب نفع إلى سلطانه أو الرعية أو دفع مضرة بادر لاطلاع سلطانه على ذلك قبل فوات المصلحة، وإن ارتاب في خبر المخبر أحضره معه إلى سلطانه ليشافهه بذلك حتى يكون بريئاً من تبعته ولا يهمل تبليغ خبره ولتقتضى ذلك يكون أكثر اجتماعاً على الملك من غيره ". قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية " كان هذا الديوان ^(١) لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل _ بمقام المقر في زماننا _ وربما بات عند الخليفة ليالى لخصوصيته ^(٢)، وهو أول أرباب الإقطاعات في الرزق وفي الكسوة والرسوم والملاطفات وله حاجب من الأمراء، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند والدواة والمرملة العظيمتين، وكان يحمل دواته أستاذ من خواص أمراء الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة ^(٣)، وله الخطاب والإشارة، وعلى رأيه وجوابه المعول، وله في التهاني والمواسم أسنى الخلع التي لا ينالها غيره وجياد الخيل المسومة المنسوبة بالقماش الذهب، وأن يسترق من الممالك والخدام خواصهم، وكل من [في] الدولة محتاج إليه متردد إلى بابه سائل له في حوائجه، وهو في غنية عن التردد إلى [١٢ ب] أحد منهم ".

(١) المنصب: صبح، ج ١، ص ١٠٢.

(٢) وهذا أمر لا يصل إليه غيره: صبح، نفسه.

(٣) إلى هنا توقف القلقشندي في النقل عن ابن الطوير. صبح، ج ١، ص ١٠٥.

الفصل الرابع

في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه

قال أبو الفضل الصوري: يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ طلق اللسان، أصيلاً في قومه، رفيعاً في حيه، وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق، [نزر الضحك، مهيب المجلس، ساكن الظل، وقور النادی] ^(١) شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام والأحكام إذا حدث، سريع الرضا بطيء الغضب، رءوفاً بأهل الدين، محباً لأهل العلم والأدب، راغباً في نفعهم [مزيلاً لضررهم] ^(٢)، محباً للشغل على الفراغ، ملازم الملك في غالب ساعاته، مواظب ديوانه ما لم يكن بين يدي سلطانه ليتحرر الأمور ويتأس به كتاب ديوانه ولا يجدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم، وإن يغلب هوى الملك على هواه، ورضاه على رضاه ما لم ير في ذلك خلاً على المملكة والرعية، ولا خلافاً عن اتباع الشريعة، وأن يبدى النصيحة بأحسن وأجمل تلتطف، ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو إظهار معروف أو تدبير حسن أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرره وذكره وأوجب على الناس شكره، وإذا قال الملك قولاً ولم يره صواباً فلا يجبه بالرد عليه واستهجان ما أتى به بل يصبر إلى حين الخلوة ويدخل في أثناء كلامه مع سلطانه ذلك المقصد بما يوضح به نهج الصواب.

ويكون متابعاً في بسط المعدلة وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير وعمارة البلاد مرغباً في الإنعام على المعتر المستحق، وعمارة بيوت الله تعالى وخصوصاً المساجد الثلاثة، ومصالح وفد الحاج، وتعهد طرقه في طول السنة، وإقامة الحدود على الأوضاع الشرعية، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها، وإن أتى سلطانه نحلة تنافي ذلك يقله عنها بأحسن تدريج وألطف معنى، ولم يدع ممكناً في تبين قبحها وإصلاح رداءة عاقبتها، وأن يكون مع ذلك بأعلى يقظة [١٣ أ] بعيداً عن الغرض إلا في نصيحة ملكه، والاستدلال بقليل القول على كثيره، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيماء لينبه الملك عن الأمور من أولها ومعرفته ^(٣) خواتم

(١) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ١، ص ١٠٥؛ نزر الضحك وقور النادی: ضوء، ص ٤٢.

(٢) ناقص من صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) ويعرفه: صبح، ج ١، ص ١٠٦؛ ضوء، ص ٤٣.

الأشياء من مفتوحاً، ولا يكتب عن الملك إلا بما يكون تابعاً للشرعية، وبما يقيم به منار دولته وتعظيمها.

وأن يكون من كتمان السر بالمتزلة التي لا يدانيه فيها أحد حتى لا يطمع ^(١) والد ولا ولد ولا أخ شقيق ولا صديق على ما دق أو جل، ولا يعلمه بما كثر منه أو قل ^(٢)، ويتحقق أن في إذاعته ما يعلم به وضع منزله وانحطاط رتبته، ويجتهد أن يكون ذلك له طبعاً مركباً وأمراً واجباً

وهذه الصفة هي الشروط اللازمة ^(٣)، والواجب المحتم، وهي التي بها يشتهر، وبالإضافة إليها عرف، قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مقاماً وأوسعهم علماً "الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثة، القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض إلى الحرم". ومن كلام بعض الحكماء "سرك دمك"، قال صاحب العقد: يعنوا ^(٤) بذلك أنه ربما كان في إفشاء سرك سفك دمك، وإلى ذلك أشار أبو محجن الثقفي بقوله:

قد أظعن الطعنة النجلاء عن عرض ولكتم ^(٥) السر فيه ضربة العنق

(١) يطلع: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) ولا قل: صبح، نفسه؛ ولا ما قل، ضوء، نفسه.

(٣) الشرط اللازم: صبح، ص ١٠٧؛ ضوء، نفسه.

(٤) يعنون: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) وأكتم: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الباب الثاني

في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى آخر دولة الأمويين وابتداء الدولة العباسية واتخاذ كتام السر بالديار المصرية من أيام أحمد بن طولون وإلى زماننا

الفصل الأول

في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كتب بعدهم إلى حين انقراض دولة بني أمية وابتداء دولة العباسيين

اعلم أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا نيفاً عن ستة وثلاثين ^(١) كاتباً، فكان على وعثمان رضي الله [١٣ ب] عنهما يكتبان الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن غابا كتب أبي ^(٢) وزيد بن ثابت ^(٣)، فإن غابا كتب حمزة. وكان خالد بن سعيد بن العاص ^(٤)، ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه، والمغيرة بن

(١) نيف وثلاثون كاتباً: صحيح، ج ١، ص ٩٢. وتذكر بعض الدراسات الحديثة أهم يتراوحن بين ٤٢، ٤٣ كاتباً. انظر محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، القاهرة ١٩٤١؛ عبد الحميد السامرائي: السفارات في الإسلام، ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة ١٩٧٦.

(٢) يقصد به أبي بن كعب، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري، كان من أصحاب بيعة العقبة الثانية، وكان أحد الصحابة المشهور عنهم العلم، وقد قرأ الرسول عليه القرآن بوحي من الله. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٦٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٢٧، ت رقم ٣٢.

(٣) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن عمرو الأنصاري الخزرجي، كتب الوحي للنبي، وهو الذي تولى جمع القرآن عهد الخليفة أبي بكر الصديق، توفي حوالي عام ٤٥ هـ على أصح الأقوال. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٥٣٧، ت رقم ٨٤٠؛ ابن قانع: معجم، ج ١، ص ٢٢٨، ت رقم ٢٥٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٥٩٢، ت ٢٨٨٢.

(٤) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، كان من السابقين إلى الإسلام وهاجر المهجرتين، استعمله النبي على صدقات مذجح، استشهد في غزو بلاد الشام. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٢٠، ت رقم ٥٩٩؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٢٣٦، ت رقم ٢١٦٩.

شعبة^(١) يثوب عنهما إذا لم يحضرا، وكتب زيد بن أرقم^(٢) إلى بعض الملوك، وكان حذيفة بن اليمان^(٣) يكتب خرص التمر، وكان معيقب^(٤) حليف بنى أسد يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حنظلة بن زبيع بن صيفى خليفة كل كاتب من كتابه.

وكان عبد الله بن أبي سرح يكتب قديماً ثم ارتد وقال: إن محمداً يكتب ما شاء. فسمع أنصارى بذلك فحلف ليضربنه بالسيف، فيوم الفتح دخل عثمان بن عفان وكان أخوه من الرضاة وقال: يا رسول الله، هذا عبد الله بن أبي سرح قد أقبل تائباً. فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم عنه والأنصارى مطيف به ومعه سيفه، فأعاد عثمان القول على النبي صلى الله عليه وسلم ومد يده فبايعه ثم قال للأنصارى: قد بلغت منا أن توفى بنذرنا. قال: هلاً أو مضت إلى يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لى أن أومض.

وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم يكتبون الكتب بين يديه، وكان غيرهم يكتب ولكن هؤلاء هم المشهورون.

فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وصارت الخلافة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه كتب عنه عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم. فلما توفى

(١) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفى، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، حكم ولاية الكوفة عهد عثمان بن عفان وعهد معاوية بن أبي سفيان، توفى عام ٥٠ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٤٤٥، ت رقم ٢٤٨٣؛ ابن قانع: معجم، ج ٣، ص ٨٧، ت رقم ١٠٤٨؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ١٩٦، ت رقم ٨١٨٥.

(٢) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قس بن النعمان بن الخزرج، غزا مع النبي سبع عشرة غزوة، توفى بالكوفة عام ٦٦ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٥٣٥، ت رقم ٨٣٧؛ ابن قانع: معجم، ج ١، ص ٢٢٧، ت رقم ٢٥٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٢، ص ٥٨٩، ت رقم ٢٨٧٥.

(٣) هو حذيفة بن اليمان العبسى، أحد كبار الصحابة، استعمله عمر بن الخطاب على المدائن، توفى عام ٣٦ هـ فى أوائل خلافة على بن أبي طالب. ابن عبد البر: السابق، ج ١، ص ٣٣٤؛ ابن قانع: السابق، ج ١، ص ١٩١، ت رقم ٢١٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٤، ت رقم ١٦٤٩.

(٤) هو عبد الله بن المغيرة بن معيقب، من مهاجرة الحبشة. ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ٢٤٤، ت رقم ٤٩٨٠.

أبو بكر واستخلف عمر، كتب عنه عثمان، وعلي، ومعاوية، وعبد الله بن خلف الخزاعي^(١). وكان زيد بن ثابت، وزيد بن أرقم يكتبان على بيت المال. فلما صارت الخلافة لعثمان كتب عنه مروان بن الحكم. فلما صارت الخلافة لعلي كتب عنه عبد الله بن رافع^(٢) مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وسعد بن نمر^(٣) فلما توفي علي وصارت الخلافة لولده الحسن أبقى كاتب أبيه. فلما بايع معاوية كتب عنه عبد الله بن أوس الغساني^(٤). فلما تولى يزيد [١٤ أ] بن معاوية بعهد من أبيه أبقى عبد الله علي ما كان عليه. فلما توفي يزيد وصارت الخلافة لولده معاوية استقر بعبد الله على عادته.

فلما خلع معاوية نفسه وتولى مروان بن الحكم كتب عنه سفيان الأحول، وقيل عبد الله بن أوس المذكور. فلما صارت الخلافة لولده عبد الملك كتب عنه روح بن زنباع الجذامي^(٥). فلما صارت الخلافة لولده الوليد كتب عنه قرّة بن شريك^(٦)، ثم قبيصة بن ذؤيب^(٧)، ثم

(١) هو عبد الله بن خلف الخزاعي، كان كاتباً لعمر بن الخطاب، قتل يوم وقعة الجمل. ابن عبد البر: السابق، ج ٣، ص ٨٩٥، ت رقم ١٥٢٢؛ ابن حجر: السابق، ج ٥، ص ٨٥، ت رقم ٦٣١٥.

(٢) هو عبد الله بن رافع بن سويد بن حرام بن الهيثم الأنصاري، شهد أحداً. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ٨٩٥، ت رقم ١٥٢٥.

(٣) سعيد بن نجران الهمداني، صبح، ج ١، ص ٩٢.

(٤) هو عبد الله بن أوس الطائي، أحد الكتاب الذين استمروا في مهنتهم لفترة كبيرة عصر الدولة الأموية. الطبري: تاريخ الأمم، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٥) روح بن زنباع الجذامي: أبو زرعة، كان من أقرب الناس إلى عبد الملك بن مروان وأجلهم رأياً. الطبري: السابق، ج ٥، ص ٤٩٦، ج ٦، ص ٤١٢.

(٦) قرّة بن شريك العبسي: عمل كوال على مصر منذ عام ٩٠ هـ - ٧٠٩ م، وتوفي وهو على إمرة عام ٩٦ هـ - ٧١٥ م. الكندي: ولاة مصر، ص ٨٤ - ٨٦؛ الطبري: السابق، ج ٦، ص ٤٤٢، ٤٤٧، ٥٢٢.

(٧) قبيصة بن ذؤيب: قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة أبو إسحاق الخزاعي الكاتب، أوكل إليه عبد الملك بن مروان الخاتم والسكة وكان يدخل عليه في أى ساعة من نهار. الطبري: السابق، ج ٦، ص ٤١٢.

الضحاك بن زمل. فلما توفي الوليد وصارت الخلافة لأخيه سليمان كتب عنه يزيد بن المهلب^(١) ثم عبد العزيز بن الحارث. فلما مات وصارت الإمامة للإمام العادل عمر بن عبد العزيز كتب عنه رجاء بن حيوة الكندي^(٢) ثم ابن أبي رقية. فلما درج عمر بالوفاة وصارت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش^(٣) ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصاري. فلما صارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك أبقاها على عاقدتها واستكتب معهما سالم مولاه. فلما صارت الخلافة إلى الوليد بن يزيد كان كاتبه العباس بن مسلم. فلما ذبح وتولى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك استكتب عنه ثابت بن سليمان^(٤). فلما توفي وتولى الخلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبقي ثابت بن سليمان على عادته. فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان استكتب عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر^(٥) إلى حين انقراض دولة الأمويين.

ثم صارت الخلافة إلى بني العباس فاتخذوا كتابهم وزراء ورفضوا التلقيب بالكاتب، وكان أول من أخذ الدعوة لبني العباس أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح في يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فاستوزر أبا سلمة الخلال وهو أول وزير وزر في

(١) يزيد بن المهلب: هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي والي خراسان في عهد عبد الملك بن مروان، وولده سليمان بن عبد الملك ت ١٠٢ هـ - ٧٢١ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٦، ص ٢٧٨-٣٠٩ ت رقم ٨١٦.

(٢) رجاء بن حيوة الكندي: هو أبو المقدم رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، كان من العلماء، وكان ذا حظوة وحضور عند خلفاء بني أمية خاصة عمر بن عبد العزيز، توفي عام ١١٢ هـ - ٧٣١ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٣ ت رقم ٢٣٧.

(٣) سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، أبو مجاشع، كان يكتب لهشام بن عبد الملك، وكان غالباً عليه. الصفدي: الوافي، ج ١٥، ص ٢٧٠-٢٧١ ت رقم ٣٧٨.

(٤) ثابت بن سليمان بن سعد الحنفي، كان يتقلد ديوان الرسائل ليزيد بن الوليد الناقص. الطبري: السابق، ج ٦، ص ١٨١-١٨٢.

(٥) عبد الحميد بن يحيى: هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى العلاء بن وهب العامري الأنباري، كان معلماً للصبيان، ثم اتصل بمروان بن الحكم وتولى الكتابة له، وكان ممن يضرب بهم المثل في البلاغة والأدب، توفي عام ١٣٢ هـ - ٧٥١ م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢٨ - ٢٣٢ ت رقم؛ الصفدي: الوافي، ج ١٨، ص ٨٦ - ٨٨ ت رقم ٩٠.

الإسلام، ثم إن السفاح استوزر معه خالد بن برمك^(١)، وسليمان بن مخلد^(٢)، والربيع بن يونس^(٣)، وأبو الجهم بن عطية^(٤)، وأوسع لهم المجال في التدبير للخلافة، وأطلق قلمهم في الأخذ والأمر والنهي والعطاء والاستقرار والعزل، فتراكمت عليهم الأشغال واتسعت عليهم [١٤ ب] الأمور فأفردوا ديواناً للمكاتبات وجعلوا فيه منهم من يستبد أمره، وكانوا يعبرون عنه تارة " بصاحب ديوان الرسائل " وتارة " بصاحب ديوان المكاتبات " على ما تقدم، وتفرقت دواوين الإنشاء في الأقطار شرقاً وغرباً بحسب تفرق الممالك فكان بكل مملكة ديوان الإنشاء.

وكانت الديار المصرية لابتداء أمرها من حين الفتح الإسلامي وإلى الدولة الطولونية إمارة لم يكن لديوان الإنشاء بها كبيرة أمر إلى أن استولى عليها أحمد بن طولون بعد الثلاثمائة^(٥) فعظمت مملكتها وقوى أمرها واستكتب أبا جعفر محمد بن أحمد بن مودود. فكان لديوان الإنشاء به الجمال وصدر عنه جليل المكاتبات لديوان الخلافة وغيرها، وكتب لولده هارويه إسحق بن نصر العبادي وتوالت دواوين ديوان الإنشاء بذلك إلى حين انقراض الدولة الإخشيدية.

(١) خالد بن برمك: تولى الوزارة لأبي العباس السفاح بعد أبي سلمة الخلال. ابن خلكان: السابق، ج٦، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢) سليمان بن مخلد: هو أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مخلد - وقيل داود - المرياني الخوزي، كان وزيراً لأبي جعفر المنصور، تولاها بعد خالد بن برمك، قتله أبو جعفر المنصور عام ١٥٤ هـ / ٧٧١ م. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٤١١-٤١٤ ت رقم ٢٧٦.

(٣) الربيع بن يونس: هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، كان حاجباً لأبي جعفر المنصور، ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني، توفي عام ١٧٠ هـ / ٧٨٧ م، وقيل سمه الخليفة الهادي. ابن خلكان: السابق، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٩ ت رقم ٢٣٥.

(٤) أبو الجهم بن عطية مولى باهلة، أحد الذين قاموا بدور في الدعوة للعباسيين، وقد ولاه أبو مسلم الخراساني كاتباً على الجند. الطبري: السابق، ج٧، ص٣٥٦، ٣٨٩.

(٥) يقصد المؤلف بالثلاثمائة المائة الهجرية الثالثة.

ثم كانت الدولة الفاطمية، فعظم ديوان الإنشاء بها، ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له وفضلاؤهم^(١) ما بين مسلم وذمي، فكتب للعزیز بن المعز في الدولة الفاطمية أبو المنصور بن سورين النصراني^(٢)، ثم كتب لابنه الحاكم ومات في أيامه، وكتب للحاكم بعده القاضي أبو الطاهر البهركي، ثم كتب بعده لابنه الظاهر، وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران^(٣)، وولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميدى، وكتب للأمين^(٤) والحافظ الشيخ أبو الحسن علي بن أبي أسامة الحلبي^(٥) إلى أن توفي، فكتب له بعده ولده أبو المكارم إلى أن توفي في أيام الحافظ، فكتب له الشيخ الأمين تاج الرئاسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفي^(٦)، والقاضي كافي الكفاة محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس^(٧)، وابن أبي الدم اليهودي^(٨). ثم كتب بعد أبي المكارم القاضي

(١) وولى ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم: صبح، ج ١، ص ٩٦.

(٢) يذكره المقرئى في اتعاظ الحنفا والخطط باسم أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصراني، ولكن القلقشندي والسيوطي يذكران أنه أبو المنصور بن سورين النصراني: توفي عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٨ م.

م. المقرئى: اتعاظ، ج ٢، ص ٨٣، ٥؛ الخطط، ج ٢، ص ١٤؛ القلقشندي: صبح، ج ١، ص ٩٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٢٧ هـ، ج ٢، ص ١٣١.

(٣) ولى الدين بن خيران: هو ولى الدولة أبو محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب، متولى كتب السجلات إمام كتاب مصر في المائة الرابعة توفي عام ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٢٨٢ - ٢٨٣؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٥؛ الصفدى: الوافى، ج ٧، ص ٢٣٤. ويذكر المقرئى أن وفاته كانت عام ٤٠٣ هـ. اتعاظ، ج ٢، ص ٩٢.

(٤) الصواب: الأمر.

(٥) أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة الحلبي الأصل المصري الدار، تولى ديوان الإنشاء في أيام الأمر، وكانت له منزلة كبيرة بالدولة، توفي عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٥٨٩؛ ابن ميسر: أخبار، ص ٩٠ هـ ٣٢٢؛ المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٨٦، ٢٩١.

(٦) انظر قبل ص ١٥.

(٧) محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس: هو أبو الفتح محمود بن قادوس بن الدمياطى توفي عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م كان أحد كبار الشعراء في عصره. انظر: العماد: الخريدة، ج ١، ص ٢٢٦؛ ابن ميسر: أخبار، ص ٩٧.

(٨) ابن أبي الدم اليهودي: تولى الكتابة عن الخليفة الأمر عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م. المقرئى: اتعاظ، ج ٣، ص ١٣٣.

الموفق بن الخلال ^(١) أيام الحافظ وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسائى، ثم شرك العاضد مع الموفق بن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمود [١٥ أ] الأنصارى، وكان فى أيامه القاضى المؤتمن كاسيوييه الكاتب، ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفق بن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكتب فى أيامه عدة سجلات ومكاتبات.

ثم كانت الدولة الأيوبية فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوكهم القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسائى ثم أضيف إليه الوزارة ثم كتب بعد وفاة الناصر لابنه العزيز وأخيه العادل أبى بكر، ثم مات العادل والفاضل وتولى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج إلى أن توفى فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدة قليلة، وكتب للصلاح نجم الدين أيوب، ثم ولى ديوان الإنشاء صاحب هاء الدين زهير ثم صرفه وولى بعده صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردى ^(٢) فبقى إلى انقراض الدولة الأيوبية.

ثم كانت الدولة التركية فكتب للمعز أليك أول ملوكهم صاحب فخر الدين المذكور، ثم كتب بعده للمظفر قطز ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله [المنصور] ^(٣) قلاوون عن ديوان الإنشاء إلى الوزارة وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر ^(٤) فى حياة والده محبى الدين فبقى حتى توفى المنصور قلاوون وملك بعده ابنه الأشرف خليل فكتب

(١) الموفق بن الخلال: هو الموفق أبو الحجاج يوسف بن على بن الخلال، تولى ديوان الإنشاء فى عهد الحافظ حتى وفاته سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م. ابن ميسر: السابق، ص ١٥١؛ ابن خلكان: وفیات، ج ٦، ص ٢١٩-٢٢٥؛ العماد: السابق، ج ١، ص ٢٣٥.

(٢) فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردى: تولى كتابة الإنشاء والوزارة من بعدها، توفى عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ١، ص ١٣٦، ت رقم ٦٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٧.

(٤) فتح الدين بن عبد الظاهر: هو محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر، تولى كتابة سر مصر عهد المنصور قلاوون حتى توفى عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٥ مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٧٢، ورقة ١٥٥ ب _ ١٥٦ ب.

في أيامه مدة يسيرة ثم توفي معه في سفره إلى الشام فولى الأشرف مكانه القاضي تاج الدين^(١) ابن الأثير^(٢) بعد وصوله إلى الديار المصرية فبقى حتى توفي، ثم ولي مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله^(٣) فبقى بقية أيام الأشرف وأيام أخيه الناصر محمد في سلطنته الأولى، ثم أيام العادل كتبغا بعده، ثم أيام المنصور لاجين ثم أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية [وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير وبرهة من أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة]^(٤) نقله إلى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه القاضي محي الدين، وتولى مكانه بمصر القاضي علاء الدين بن الأثير^(٥) فبقى حتى مرض بالفالج وبطلت حركته، فاستدعى الملك الناصر [١٥ ب] محي الدين بن فضل الله^(٦) من الشام وولاه صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وكان القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان وتنفيذ المهمات إلى سنة اثنتين [وثلاثين]^(٧) وسبعمئة فأعادها الملك الناصر إلى دمشق الخروسة وولى القاضي

(١) عماد الدين إسماعيل بن الأثير: ضوء، نفسه.

(٢) تاج الدين بن الأثير: هو أحمد بن سعيد بن محمد صاحب تاج الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن الأثير الحلبي، باشر التوقيع بدمشق ثم مصر للملك الظاهر بيبرس، ثم للملك المنصور قلاوون، ولي كتابة السر لمدة شهر إلى أن توفي بغزة في شوال عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م. الصفدي: الوافي، ج ٦، ص ٣٩٢ ت رقم ٢٩٠٦؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ت رقم ١٦٠.

Björkman, Op.Cit. P. 67.

(٣) شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله: هو عبد الوهاب بن فضل الله بن المجلى بن دعجان بن خلف العمري، أول أفراد الأسرة العمرية شغلاً لوظيفة كاتب سر مصر، شغلها من ذى الحجة عام ٦٩٢ إلى ذى الحجة عام ٧١١ هـ / ١٢٩٣ - ١٣١١ م. ابن تغري بردي: المنهل، ج ٧، ص ٣٨٧ - ٣٩٠ ت

رقم ١٥٠٣؛ Björkman; Op.Cit. P 67

(٤) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ١، ص ٩٨؛ ضوء، ص ٣٧.

(٥) علاء الدين بن الأثير: علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد بن الأثير، مرض بالفالج عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م، وتوفي عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢٨٣.

(٦) محي الدين بن فضل الله: محي الدين محي بن فضل الله بن مجلى العمري، أحد مشاهير كُتّاب الإنشاء، ومن نسله تولى العديد من كتاب السر، توفي عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م. ابن تغري بردي: السابق، ج ٩، ص ٣١٦.

(٧) ما بين الحاصرتين من ضوء، نفسه.

شرف الدين بن الشهاب محمود^(١) فبقى حتى حج السلطان وغاد إلى مصر فأعاد القاضي محيى الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية فبقى إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ثم تغير السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه عن المباشرة وأقام أخوه القاضي علاء الدين^(٢) مكانه مع والده القاضي محيى الدين، ثم سأل القاضي محيى الدين السلطان في العود إلى دمشق فأعاده وصحبته القاضي شهاب الدين وقد كبر سنه وكتب له تقليد في قطع الثلثين بأن يستمر على صحابة دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية، وأن يكون جميع المباشرين بهذه الوظيفة بالباب الشريف فمن دونه نوابه، وأنه حيث حل يقرأ القصص ويقرر الولايات والرواتب والعزل وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويجهز ذلك إلى مصر ليشملها الخط الشريف.

وولى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ولده القاضي علاء الدين المشار إليه، فبقى في الوظيفة بقية أيام الناصر ثم أيام ولده المنصور أبى بكر ثم أيام أخيه الأشرف كجك ثم أيام أخيه الناصر أحمد، فلما خلع الناصر نفسه في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وتوجه إلى الكرك وتوجه معه القاضي علاء الدين وأقام عنده واستقر الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه الناصر أحمد فقرر في الديوان القاضي بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله^(٣) [فبقى حتى عاد الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون إلى السلطنة فعاد القاضي علاء الدين بن فضل الله فبقى^(٤) بقية أيام الصالح إسماعيل ثم أيام أخيه الكامل شعبان ثم أيام أخيه المظفر حاجى ثم أيام

(١) شرف الدين بن الشهاب محمود: هو أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمود أحد مشاهير الكتاب وابن الشهاب الحلبي صاحب كتاب حسن التوسل، تولى كتابة السر عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م. توفى عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٥٥٤ - ٥٥٦، ت رقم ١٢٤٥.

(٢) علاء الدين بن فضل الله: أحد أبناء الشيخ محيى الدين بن فضل الله توفى عام ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م. ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ١٦٣ - ١٦٤، ت رقم ٣١٧؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ١١، ص ١٠٢.

(٣) بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله: تولى كتابة السر ثلاث مرات، الأولى في حياة أبيه في ٢٨ رمضان من سنة ٧٦٩ / ١٣٦٧ م، وعزل في شوال سنة ٧٨٤ / ١٣٨٢ م، والثانية في ٤ ذى الحجة سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م، وعزل عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م، والثالثة آخر شوال ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م إلى أن توفى في شوال سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م. المقرئ: المقفى، ج ٦، ص ٣٨٩-٣٩٣ ت رقم

٢٨٦٠. Björkman, Op.Cit, pp.68-271-272. Wiet, Les Secretaires.

أخيه الناصر حسن في سلطنته الأولى ثم أيام أخيه الصالح صالح، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطنته الثانية، ثم أيام [١٦ أ] المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون، ثم في أيام الأشرف شعبان وتوفي في أيامه وولى الوظيفة بعده ولده القاضي بدر الدين محمد فبقي بقية أيام الأشرف شعبان ثم ولده المنصور على ثم أخيه الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خلع.

وولى السلطنة الظاهر برقوق فاستقر القاضي أوحده الدين بن التركماني^(١) فبقي حتى توفي فأعيد القاضي بدر الدين إلى الوظيفة وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الأشرف شعبان فبقي على ولايته حتى حضر الظاهر برقوق من الكرك فولى عوضه القاضي علاء الدين الكركي^(٢) وتوجه بصحبته إلى الشام في طلب منطاش^(٣) فتوفي القاضي علاء الدين الكركي وأعيد القاضي بدر الدين إلى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبقي حتى مات صحبة السلطان بالشام وولى مكانه القاضي بدر الدين محمود الكلستاني^(٤) في شوال سنة ست

(١) أوحده الدين التركماني: عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين بن القاضي تاج الدين الحنفى، تولى كتابة سر مصر من شوال سنة ٧٨٤ إلى ذى الحجة عام ٧٨٦ هـ / ديسمبر ١٣٨٢ إلى يناير ١٣٨٥ م. ابن حجر: إنباء، ج ١، ص ٢٩٥؛ الدرر، ج ٣، ص ٣٤، ت رقم ٢٥٣٢؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٧، ص ٣٧٦-٣٧٧ ت رقم ١٤٩٥؛ Wiet, Op.Cit, P.272-273; Björkman, Op.Cit, P.69

(٢) علاء الدين الكركي: علاء الدين على بن عيسى بن موسى الأزرقى المقيرى الكركي، تولى كتابة سر مصر في صفر عام ٧٩٢ إلى ربيع أول سنة ٧٩٣ هـ / فبراير ١٣٩٠ إلى سبتمبر ١٣٩١ م. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١٣٢؛ Wiet, Op.Cit, P.274; Björkman, Ibid.

(٣) منطاش: هو الأمير سيف الدين قمر بغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش، استولى على حكم الديار المصرية، وتنازع على حكمها مع الظاهر برقوق، توفي عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م. ابن تغرى بردى: السابق، ج ٩، ص ٥٢ هـ ٢.

(٤) بدر الدين محمود الكلستاني: تولى كتابة سر مصر من شوال سنة ٧٩٦ إلى جمادى الأول من عام ٨٠١ هـ / أغسطس ١٣٩٤ إلى يناير ١٣٩٩ م. السخاوى: الضوء، ج ١٠، ص ١٣٦-١٣٧، ت رقم

وتسعين وسبعمائة فبقى إلى أن تولى فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح الله^(١) فبقى بقية أيام الظاهر ومدة من أيام ولده الناصر فرج ثم صرفه الناصر فرج وولى بعده القاضى سعد الدين بن غراب^(٢) فبقى مدة ثم أفصل وأعيد القاضى فتح الله إلى الوظيفة ثم أفصل وتولى القاضى فخر الدين بن المزوق^(٣) فبقى مدة لطيفة ثم أعيد إليها القاضى فتح الله فبقى إلى أن خلع الناصر فرج واستقر فى السلطنة المنصور عبد العزيز ثم خلع وأعيد الناصر فرج وخلع وأسند الأمر إلى المستعين بالله أبو الفضل العباس بالسلطنة مضافاً إلى الخلافة، فلما خلع العباس من الخلافة والسلطنة وتولى السلطنة المؤيد شيخ فقبض على فتح الله وولى القاضى ناصر الدين البارزى

(١) فتح الدين فتح الله: فتح الله بن معتصم بن نفيس الإسرائيلى الداودى التبريزى، مهر فى صناعة الطب واستخدمه الظاهر برفوق فى كتابة سر مصر مرتين، الأولى جمادى الأولى عام ٨٠١ إلى ربيع أول عام ٨٠٨ هـ/ يناير ١٣٩٩ إلى سبتمبر ١٤٠٥ م، والثانية من ذى الحجة عام ٨٠٨ إلى شوال عام ٨١٥ هـ/ مايو ١٤٠٦ إلى يناير ١٤١٣ م. المقرئى: الخطط، ج٢، ص٦٢-٦٣؛ Wiet, Op.Cit, P.276-277; 284-286; Björkman, Ibid

(٢) سعد الدين بن غراب: سعد الدين إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب، أحد الشخصيات المؤثرة فى تاريخ الممالك فى ذلك الوقت على الرغم من عمره القصير حتى وصل إل أن يكون من الأمراء الكبار فى السلطنة، تولى كتابة السر من ربيع أول إلى جمادى الآخرة من عام ٨٠٨ هـ/ سبتمبر إلى نوفمبر ١٤٠٥ م. المقرئى: السابق، ج٢، ص٤١٩-٤٢٠؛ Wiet, Op.Cit, P.277-283; Björkman, Op.Cit, P.69

(٣) فخر الدين بن المزوق: فخر الدين ماجد بن المزوق، كاتب سعد الدين بن غراب، ولاه كتابة السر مكانه بعد أن أصبح من أمراء المئين واستمر بها بعد وفاته من جمادى الآخرة إلى ذى الحجة من عام ٨٠٨ هـ/ نوفمبر ١٤٠٥ إلى مايو ١٤٠٦ م. Wiet, Op.Cit, P.283-284; Björkman, Ibid

الحموى ^(١) فبقى إلى أن توفي وتولى مكانه ولده القاضى كمال الدين ^(٢) فبقى بقية أيام المؤيد ثم ولده المظفر أحمد مدة قليلة ثم نقل إلى نظر الجيش، وتولى مكانه القاضى علم الدين بن الكويز ^(٣) فبقى بقية أيام المظفر إلى أن خلع [١٦ ب] وتولى السلطنة الظاهر ططر فبقى مدة سلطنته إلى أن توفي الظاهر ططر وتسلطن ولده الصالح محمد فبقى إلى أن خلع الصالح وتسلطن مولانا الإمام الملك الأشرف برسبای ثم توفي واستقر في الوظيفة جمال الدين الكركى ^(٤) فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر القاضى شمس الدين الهروى ^(٥) فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر

(١) ناصر الدين البارزى الحموى: هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم الجهنى الحموى، تولى كتابة سر مصر من شوال عام ٨١٥ إلى أن توفي في شوال عام ٨٢٣ هـ/ يناير ١٤١٣ إلى أكتوبر ١٤٢٠ م. المقرئى: المقيى، ج٧، ص٧١-٧٢ ت رقم ٣١٤٨؛ السخاوى: الضوء، ج٩، ص١٣٧ ت رقم ٣٥٠. Wiet, Op.Cit, P.286-288; Björkman, Op.Cit, P.70.

(٢) كمال الدين البارزى: عمل مع أبيه في نيابة كتابة السر، ثم بعد وفاته أصبحت له الوظيفة لعدة فترات في شوال عام ٨٢٣ إلى محرم عام ٨٢٤ هـ/ أكتوبر ١٤٢٠ إلى يناير ١٤٢٠ م؛ والثانية من ربيع الأول عام ٨٣٦ إلى رجب عام ٨٣٩ هـ/ نوفمبر ١٤٣٢ إلى يناير ١٤٣٦ م، والثالثة من ربيع الثانى عام ٨٤٢ إلى ربيع الأول عام ٨٥٦ هـ/ أكتوبر ١٤٣٨ إلى أبريل ١٤٥٢ م. السخاوى: السابق، ج٩، ص٢٣٧-٢٣٩ ت رقم ٥٨٣؛ Wiet, Op.Cit, P.288-289, 299-300, 303; Björkman, Ibid.

(٣) علم الدين بن الكويز: هو داود بن عبد الرحمن بن زين الدين المعروف بابن الكويز الكركى، كان نصرانياً وأسلم، وتولى وظيفة كاتب السر في الحرم عام ٨٢٤ إلى شوال عام ٨٢٦ هـ/ يناير ١٤٢١ إلى سبتمبر ١٤٢٣ م، وكان غير أهل لها. المقرئى: السلوك، ج٢٤، ص٦٥٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣١٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٨٩-٢٩٢ ت رقم ١٠١٦؛ النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٧٤-١٧٥. Wiet, Op.Cit, P.289-291; Björkman, Ibid.

(٤) جمال الدين الكركى: جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، كان أبوه نصرانياً فأسلم، وتولى كتابة السر في شوال ٨٢٦ هـ إلى ربيع الآخر من عام ٨٢٧ هـ/ سبتمبر ١٤٢٣ إلى مارس ١٤٢٤ م. المقرئى: السلوك، ج٢٤، ص٦٦٠، ٦٤٢. Wiet, Op.Cit, P.291-292; Björkman, Op.Cit, P.70.

(٥) شمس الدين الهروى: شمس الدين محمد الهروى، كان يشغل وظيفة قاضى القضاة قبل ولايته كتابة السر، تولاهما من ربيع الآخر من عام ٨٢٧ هـ إلى عام جمادى الآخرة من العام نفسه/ مارس إلى مايو ١٤٢٤ م. المقرئى: السابق، ج٢٤، ص٦٦٠، ٦٦٤-٦٦٥. Wiet, Op.Cit, P.292-293; Björkman, Ibid.

القاضي نجم الدين بن حجي^(١) فأقام مدة يسيرة ووقع منه هفوة في حق جاني بك الدوادار^(٢) فتم عليه فأفصل إقصاءً شنيعاً واستقر القاضي بدر الدين بن مزهر^(٣) فبقى إلى أن توفي وتولى عوضه ولده القاضي بدر الدين^(٤) فبقى مدة يسيرة ثم أفصل واستقر عوضه السيد الشريف شهاب الدين الحسيني^(٥) فأقام إلى أن توفي بالطاعون^(٦) واستقر بعده القاضي شهاب الدين بن

(١) نجم الدين بن حجي: نجم الدين عمر بن حجي، تولى كتابة سر مصر جمادى الآخرة عام ٨٢٧ إلى جمادى الآخرة عام ٨٢٨ هـ/ مايو ١٤٢٤ إلى أبريل ١٤٢٥ م. المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٦٦٥،

Wiet, Op.Cit, P.293-294; Björkman, Ibid: ٦٨٥.

(٢) جاني بك الدوادار كان أحد الأمراء المقربين من السلطان برسباي، وأصحاب النفوذ في الدولة، وقد حدث أن ابن حجي كان ملزماً بدفع مبلغ من المال نظير تعيينه في وظيفته إلا أنه لم يستطع بعد فترة الوفاء بما التزم به، فلما طالبه السلطان به أرسل إليه ورقة بما تكبده من أموال منذ ولايته كتابة السر، ومن ذكرهم الأمير جاني بك، فلما سألهم السلطان أنكروا، بل عددوا عليه العديد من المآخذ فعزله السلطان وعهد بعقوبته إلى جاني بك. وعن ذلك انظر: المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٦٨٥.

(٣) بدر الدين بن مزهر: محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي الشافعي، تولى كتابة سر حلب ثم نيابة سر مصر أيام داود بن الكويز، تولى كتابة سر مصر في جمادى الآخرة عام ٨٢٨ إلى جمادى الآخرة عام ٨٣٢ هـ/ مايو ١٤٢٥ إلى مارس ١٤٢٩ م. السخاوي: السابق، ج ٩، ص ٣٩-٤٠ ت رقم ١٠٨؛

Wiet, Op.Cit, P.294; Björkman, Ibid.

(٤) بدر الدين بن بدر الدين بن مزهر: استقر بعد أبيه في كتابة السر في رجب عام ٨٣٢ إلى ذي الحجة عام ٨٣٢ هـ/ أبريل إلى سبتمبر ١٤٢٩ م. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٣، ص ١٥٤-١٥٥؛ السخاوي:

السابق، ج ٩، ص ١٩٧ ت رقم ٤٨٤؛ Wiet, Op.Cit, P.294-295; Björkman, Ibid.

(٥) شهاب الدين الحسيني: أحمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان الدمشقي، تولى وظيفة كتابة السر بمصر من ذي الحجة عام ٨٣٢ إلى شعبان عام ٨٣٣ هـ/ سبتمبر ١٤٢٩ إلى مايو ١٤٣٠ م. ابن حجر: إنباء الغمر ج ٣، ص ٤٤١ - ٤٤٢؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ١، ص ٤٠٦-٤٠٧ ت رقم ٢١٨؛

السخاوي: السابق، ج ٢، ص ٦٥-٦٦ ت رقم ١٤؛ Wiet, Op.Cit, P.295-296;

Björkman, Ibid.

(٦) كان ذلك عام ٨٣٣ هـ، وقد أرسل السلطان بمن أحضر أخاه عماد الدين أبا بكر ليتولى عوضه فتولى الوظيفة بدون تقليد لمدة أيام ثم لحق بأخيه بعد أن أصيب بالطاعون. المقرئ: السلوك، ج ٤، ص ٢،

ص ٨٤٨؛ ابن الصيرفي: نزهة، ج ٣، ص ١٩٧.

السفاح الحلبي^(١) فأقام إلى أن توفي واستقر عوضه الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ^(٢) مضافا إلى الوزارة فأقام مدة يسيرة ثم انتقل عن كتامة السر إلى وظيفة الأستاذية وأعيد إلى كتامة السر القاضي كمال الدين بن البارزى المشار إليه فأقام إلى أن أفصل واستقر مكانه القاضي محب الدين بن الأشقر^(٣) وكان شيخ الشيوخ لخانقاه سرياقوس فأقام مدة يسيرة ثم أفصل واستقر مكانه القاضي صلاح الدين ابن الصاحب [بدر الدين حسن]^(٤) بن نصر الله^(٥) فأقام مدة يسيرة وتوفي، فاستقر في الوظيفة عوضه والده الصاحب بدر الدين بن نصر

(١) هو أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر القاضي شهاب الدين المعروف بابن السفاح، تولى كتابة سر حلب، ثم كتابة سر مصر من رمضان ٨٣٣ إلى رمضان عام ٨٣٥ هـ/يونيو ١٤٣٠ إلى مايو ١٤٣٢ م، وكان غير أهل لها وله العديد من النوارد ذكرها كثير من المؤرخين. المقرئ: السلوك، ج ٤ ق ٢، ص ٨٧٧؛ درر العقود، ج ٢، ص ٢٨٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٤٨٢؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ١، ص ٣٢٠ - ٣٢٢، ت رقم ١٧٢؛ السخاوى: السابق، ج ١، ص ٣١٤ - ٣١٥. Wiet, Op.Cit,

P.296 ; Björkman, Op.Cit, P.70

(٢) كريم الدين بن كاتب المناخ: تولى كتابة سر مصر على غير العادة في أن يليها أحد الأقباط مما عد من الأعاجيب في ذلك الوقت وقد تولاه في شوال ٨٣٥ إلى الحرم عام ٨٣٦ هـ/ يونيو إلى سبتمبر ١٤٣٢ م. السخاوى: السابق، ج ٤، ص ٣١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٤٢. Wiet, Op.Cit, P.296-297; Björkman, Ibid

(٣) محب الدين بن الأشقر: محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول القرمي الأصل الحنفى، شيخ خانقاه سرياقوس، تولى وظيفة كاتب سر مصر أكثر من مرة، الأولى في رجب عام ٨٣٩ إلى ذى الحجة عام ٨٤٠ هـ/ يناير ١٤٣٦ إلى يونيو ١٤٣٧ م، والثانية في ربيع الأول عام ٨٥٦ إلى ذى القعدة عام ٨٥٧ هـ/ أبريل ١٤٥٢ إلى نوفمبر ١٤٥٣ م، والثالثة من جمادى الثانية عام ٨٥٨ إلى ربيع الأول عام ٨٦٣ هـ/ يونيو ١٤٥٤ إلى مايو ١٤٥٩ م. ابن تغرى بردى: المنهل - مخطوط -، ورقة ١٧٠ أ - ١٧٠ ب؛ السخاوى: السابق، ج ٨، ص ١٤٣-١٤٤ ت رقم ٣٣٥؛ Wiet, Op.Cit,

P.300,304-305; Björkman, Ibid

(٤) ما بين الحاصرتين من، المقرئ: السلوك، ج ٤ ق ٢، ص ١٠١١.

(٥) هو الأمير صلاح الدين بن الصاحب بدر الدين بن حسن بن نصر الله: تولى كتابة سر مصر من ذى الحجة ٨٤٠ إلى ذى القعدة عام ٨٤١ هـ/ يونيو ١٤٣٧ إلى مايو ١٤٣٨ م. ابن تغرى بردى: المنهل -

مخطوط - ج ٥، ص ١١٧-١١٨؛ Wiet, Op.Cit, P.300-301; Björkman, Ibid

الله^(١) إلى أن توفي الأشرف برسبای وتولى السلطنة السلطان الظاهر جقمق فباشر في أيامه مدة يسيرة ثم طلب القاضي كمال الدين بن البارزى من الشام وأعيد إلى وظيفة كتابة السر بالديار المصرية وكان صهر السلطان الظاهر جقمق فأقام مدة طويلة إلى أن ذرح بالوفاة إلى رحمة الله تعالى واستقر بعده العبد الصالح القاضي محب الدين بن الأشقر المشار إليه كما كان فأقام بقية أيام الظاهر جقمق ومدة أيام ولده المنصور عثمان ومدة من أيام الأشرف إينال إلى أن أفصل واستقر مكانه القاضي محب الدين بن الشحنة^(٢) فأقام ستة أشهر وأفصل ثم أعيد إلى الوظيفة القاضي محب الدين بن الأشقر.

(١) حسن بن نصر الله بن حسن، صاحب بدر الدين، استقر بعد ولده صلاح الدين في كتابة سر مصر من ذى القعدة عام ٨٤١ إلى ربيع ثانی عام ٨٤٢ هـ/ يونيو إلى أكتوبر ١٤٣٨ م. السخاوى: السابق،

ج٣، ص ١٣٠-١٣١ ت رقم ٥٠٥؛ Wiet, Op.Cit, P.301-302

(٢) محب الدين بن الشحنة: تولى كتابة سر مصر مرتين، الأولى من ذى القعدة عام ٨٥٧ إلى جمادى الثانية عام ٨٥٨ هـ/ نوفمبر ١٤٥٣ إلى يونيو ١٤٥٤ م، والثانية من ربيع الأول عام ٨٦٣ إلى ربيع الأول عام ٨٦٧ هـ/ مايو ١٤٥٩ إلى مايو ١٤٦٣ م. السخاوى: السابق، ج٩، ص ٢٩٥-٣٠٥ ت رقم

٧٥٥؛ Wiet, Op.Cit, P.304-305; Björkman, Op.Cit, P70

القسم الأول

فيما يحتاج إليه كاتم السر من المهام العلمية والمعرفة بها

وهو على عشرة أنواع:

النوع الأول

حفظ كتاب الله تعالى وتدبر معانيه

ليكون مصوراً في قلبه، جارياً في فكره، دائراً على لسانه ذاكراً له في كل ما يصدر من ديوانه^(١) من الوقائع الذي يحتاج إلى الاستشهاد بها ويفتقر إلى إقامة الأدلة عليها فله الحجة البالغة، قال عز وجل ﴿ مَا قَرُّنَا فِي الْمَكْتَبِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣).

روى عن عبد الله محمد بن أحمد الأصفهاني رحمه الله عليه قال " وجدت في كتاب أبي قال: أمر الحجاج بن يوسف الثقفي أبا عمرو بن علاء وعاصما الحجازي، وسليمان الأعمش، وشهاباً المخاشعي، والمفضل القرشي، أن يحصوا عدد آيات القرآن وكلماته وحروفه، فأحصوه فإذا عدد آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون آية في الكوفي، منها ألف آية وعد، وألف آية وعيد، وألف آية أمر، وألف آية تقى، وألف آية عبر وأمثال، وألف آية قصص وأخبار، وخمسمائة محلل ومحرم، ومائة دعاء وتسبيح، وستة وستون ناسخاً ومنسوخاً "

قال بعضهم: لو ضاع لي عقل لو جدته في كتاب الله. قيل إن رجلاً سأل بعض العلماء: أين يجد في كتاب الله تعالى معنى قولهم التمسوا الجار قبل الدار. فقال: قال عز وجل ﴿ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾^(٤)، فطلبت الجار قبل الدار.

وأن كلام الله أحسن ما يرد في الإطناب والإيجاز، [وتضمن القرآن على ضربين]^(٥):

(١) ما يرد عليه: صحيح، ج ١، ص ١٨٩.

(٢) الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) النحل، الآية ٨٩.

(٤) سورة التحريم، الآية ١١.

(٥) بياض في الأصل.

الضرب الأول: الاستشهاد

وقد ذهب أكثر العلماء رضى الله عنهم إلى جواز الاستشهاد في المكاتبات مستدلين في ذلك بما ورد في صحيح البخارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه إلى هرقل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١) إلى قوله "مسلمون".

وكما كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه في عهده [١٧ ب] بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾^(٢) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣).

وكتب على كرم الله وجهه في آخر كتاب إلى معاوية: قد علمت مواقع سيوفنا من جدك وخالك وأخيك^(٤)، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾^(٥). إلى غير ذلك من الاستشهادات التي لا تحصى.

الضرب الثاني: الاقتباس.

وهو أكثر وقوعاً من الاستشهاد، وهو أن يضمن شيئاً من القرآن العزيز، ولا ينبه عليه كقول الحريري " فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب " حتى أنشد فاطرب^(٦)، وقوله " أنا أنبئكم بتأويله وأميز الصحيح من القول من عليه ". وقول الوزير ضياء الدين بن الأثير في ذم البخل " ومن بسط يده في فيه ثم قبضها بخله فإنه يقف دون الرجال مغموراً، ويقعد عن نيل المعالي محصوراً، وإذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ".

ثم إن الآية الواحدة لتستعمل في عدة وجوه، فيوردها النائر في معنى، ثم يسلمنا إلى معنى آخر، كما وقع للوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي

(١) آل عمران ، الآية ٦٤.

(٢) النور ، الآية ١١.

(٣) الشعراء ، الآية ٢٢٧ ؛ ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم: نفسه، ص ١٩٠.

(٤) يريد بهم جده عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخيه حنظلة، وهم من قتلى المشركين في بدر. ابن

سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٢٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ١٧، ص ٤٥.

(٥) هود ، الآية ٨٣.

(٦) فأغرب: صبح، ج ١، ص ١٩٧.

رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١﴾، فقال في دعاء صدر كتاب "، وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها، وأعلى خطرها، وقضى من العليا وطرها، وأظهر على يديها آيات المكارم وسورها، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها".

أورد في معنى آخر فقال " أبرز^(٢) النعم ما كان فيه ذكرى للذاكرين^(٣) " وتقدمه " إلى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين "، ثم نقله إلى معنى آخر فقال في تقليد يكتب من ديوان الخلافة " فليزدد إعجاباً بما نالته مواطئ أقدامه، ولينظر إلى سجد الكواكب له في يقظته لا في منامه "، إلى غير ذلك من الاقتباسات التي لا تحصر.

قيل إن القاضي الفاضل رحمه [الله] كان يقرأ في كل يوم وليلة ختمه مع قيامه بوظائفه وكثرة تصانيفه وإنشائه، وعلى نحو من ذلك كان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ولهما الفخار على غيرهما بتدريج كلامهما غالباً بكلام الله.

النوع الثاني

الاستكثار من [١٨ أ] حفظ الأحاديث النبوية

على قائلها أفضل الصلاة والسلام والآثار المروية عن الصحابة رضى الله عنهم ليحتج بذلك في الأحكام السلطانية والولايات وغير ذلك وخصوصاً في السير والمغازي. فإذا تأمل فصاحتها ونظر في معانيها وفهم أحكامها اهتدى بها وبني كلامه على أصل لا يزلزل، وساق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه، فإن الفصاحة والبلاغة والأحكام إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله العزيز في كلام من أوتي جوامع الكلم، وإن ضمنها لما يرد عليه في موقعه من الأمور المهمة فيبلغ بذلك رتبة الكمال.

وتضمنين الأحاديث النبوية على ضربين:

(١) يوسف، الآية ٤.

(٢) أكرم: صبح، نفسه، ص ٢٠٠.

(٣) للعابدين: صبح، نفسه.

الضرب الأول: الاستشهاد.

وهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث وينبه عليه كقول أبي إسحاق الصائبي في وصفه عهداً عن خليفة لسلطان " وأن تقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: المسلمون يسعون بذمتهم أدانهم وهم يد على من سواهم ^(١). وكقوله في حفظ اللقطة من وصية عهد آخر فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم يعترض فيها عليه، فقد قال صلى الله عليه وسلم " ضالة المؤمن من حرقه النار".

[الضرب الثاني]: الاقتباس.

وهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه كقول الحريري في بعض مقاماته " وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ". وكقول ضياء الدين بن الأثير في دعاء كتاب " جعل الله ذكره زاداً لكل ركب، وأنساً لكل سمر، ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(٢). إلى غير ذلك مما لا يحصر.

النوع الثالث

الفقه

وهو في اللغة الفهم، وفي الاصطلاح العلم بكل الأحكام الشرعية العملية التي قد ظهر نزول الوحي بها، وانعقد الإجماع عليها من أدلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها. فيجب أن يكون عالماً فقيهاً محققاً بحثاً مستحضر الأدلة، كثير الاطلاع ليمشى سلطانه على منهاج الشرع الشريف، [١٨ ب] والعمل بأقوى الأقوال، وما عليه الفتوى والاتفاق والخروج من الخلاف على مذهب سلطانه.

(١) ونسكت: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن ١٩٣٦، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) السابق، ج ١، ص ٤٧.

وأكثر ما يرفع إلى الملوك من الأمور الفقهية ما يؤيده العلماء من الأحكام كإحياء الموات^(١)، وإخراج^(٢)، والغصب^(٣)، والوقف، والفرائض^(٤)، والوصايا، وقسم الفسء والغنيمة، وقسم الصدقات وإخراج، وكيفية القصاص^(٥) ومستوفيه والاختلاف فيه، والديات وموجبات الدية، المعاملة^(٦)، والكفارة، ودعوى الدم والقسامة^(٧)، والبغاة، والردة، والحدود، وقاطع الطريق، والصيل^(٨)، وضمان الولاة والسير، والجزية، والهدنة، والصيد، والذبائح، والمسابقة^(٩)، والمناضلة^(١٠)، والأيمان، والقسمة، والدعوى^(١١)، والندبات^(١٢)، والعق، والتدبير^(١٣)، والكتابة^(١٤)، والصلح، ونحو ذلك. فيكون مستحضر الأقوال فيها كثير البحث عن دقائق مسائلها، والكشف عن غوامض مشكلاتها ليجرى لسانه وقلمه على الطريق المستقيم.

- (١) إحياء الموات: هو استصلاح الأرض وزراعتها بعد موتها. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٤٤.
- (٢) هو إخراج الناس جزءاً من أموالهم بقدر معلوم في وقت معين في السنة. السابق، ج ٢، ص ٢٥١.
- (٣) هو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً. السابق، ج ١، ص ٦٤٨.
- (٤) يسمى علم توزيع أنصبة الميراث علم الفرائض. السابق، ج ٧، ص ٢٠٢.
- (٥) وهو الحكم في الجرائم سواء كانت في قتل أو جرح. السابق، ج ٧، ص ٧٦.
- (٦) المعاملة: هي تأجير التخييل للمزارعين مقابل سهم معلوم في غلتها والباقي لصاحب الأرض. ابن منظور: السابق، ج ١٤، ص ٣٩٤.
- (٧) القسامة ودعوى الدم أن يُقتل رجل فلا تشهد على قتل القاتل إياه بينة عادلة كاملة، فيقسم أولياء المقتول على القاتل خمسين قسماً لاستحقاقهم الدية ولا يكون فيهم صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد، فإن حلف أهل المدعى عليه خمسين قسماً مثلها بنفى التهمة سقطت عنهم الدية. السابق، ج ١٢، ص ٤٨١.
- (٨) الصيال: هو الذي يضرب الناس ويتناول عليهم. السابق، ج ١١، ص ٣٨٧.
- (٩) المسابقة: حدد الفقهاء أنواع السباق في ثلاثة أنواع، الخيل والإبل والنصل، ويمكن أن يضاف إليها ما يماثلها. السابق، ج ١٠، ص ١٥١.
- (١٠) المناضلة: هي المسابقة أو المفاخرة. السابق، ج ١١، ص ٦٦٦.
- (١١) الدعوى: هي القضية المرفوعة لإثبات نسب أحدهم لرجل لم يعترف ببنوته. السابق ج ١٤، ص ٢٦١.
- (١٢) الندبة: هي أثر الجرح الباقي على الجلد. القاموس المحيط، ج ١، ص ١٧٥.
- (١٣) التدبير: أن يعتق الرجل عبده بعد موته. ابن منظور: السابق، ج ٤، ص ٢٧٣.
- (١٤) الكتابة: هي أن يكتب العبد على نفسه بأن يؤدي لسيده مالاً مقابل عتقه. السابق، ج ١، ص ٧٠٠.

النوع الرابع

اللغة

وهي على ضربين:

الضرب الأول: اللغة العربية.

التي هي لسان صاحب ديوان الإنشاء وأس فصاحته، وكثر إنفاقه، فإذا عرف أسماءها^(١) من الأسماء المترادفة: وهي توارد الأسماء على المسمى الواحد، كالبر والحنطة. والأسماء المشتركة وهي أن يتحد الاسم ويختلف المسمى كالعين فإنها تقع على العين الباصرة والعين الجارية، وغير ذلك من أنواعها، و[من] عرف التصرف في وجوه دلالتها الظاهرة والخفية اقتدر بذلك على الاتفاق على مواقع التكلم بها واستعمالها في مجالها وعرف ما يرد عليه من كلام العلماء بهذا الفن وما يصدر من ديوانه من ذلك ويجد سبيلاً إلى التوسع في الألفاظ والعبارة عن الصور القائمة في نفسه فيتسع عليه النطق في العبارة ويسهل عليه التعبير عن مقصوده.

وإذا عرف المشترك يغير^(٢) في الكلام بتعبيره عن الشيء بلفظ، ثم يعبر عنه مرة أخرى بلفظ آخر مع إيضاح ذلك بذكر قرينة تخصصه كقولك "عين حسنة في الباصرة" "وعين نضاجة في الجارية"، ونحو ذلك. وأنت إذا ما تأملت [١٩ أ] كتاب كشاجم^(٣) ظهر لك كيف يورد الرسالة متواردة الألفاظ العديدة على المعنى الواحد كما قال في كريم الأصل "مخضر الأرومة"^(٤)، نجيب العنصر، خالص السنخ^(٥)، صادق المحتد^(٦)، وافر الحسب، ثاقب النسب، محض الضرائب^(٧)، ظاهر الحرم، زكي الغرس، طيب المنتمى، سامي المركب، رفيع النحر، تالد الجدد، موفى الشرف، سابق القدم، شريف المنصب، وافر المقدم، عالي البيت، مثبت

(١) أنواعها: ضوء، ص ٥٧.

(٢) تفتن: السابق، نفسه.

(٣) كثر الكتاب لكشاجم: السابق، نفسه.

(٤) تعنى الأصل. ابن منظور: السابق، ج ١٢، ص ١٤.

(٥) هو أصل كل شيء. السابق، ج ٣، ص ٢٦.

(٦) هو الأصل والطبع. السابق، ج ٣، ص ١٣٩.

(٧) أي كريم الطبع. السابق، ج ١، ص ٥٤٩.

الإنالة^(١)، موفر الأثرة^(٢)، أغر المناقب ". فلولا سعة باعه في الألفاظ المترادفة والمتقاربة في اللغة ما تأتي له مثل هذه الألفاظ على المعنى الواحد إلى غير ذلك مما لا نهاية له.

الضرب الثاني: اللغة الترككية.

قال محمد بن عمر المدائني " قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهم عنهم، وكذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده إلى عكرمة إنه قال: سئل ابن عباس عن تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية. قال: نعم، دخل عليه سلمان فقال له " درستة وسادته ". قال محمد بن أميل: أظنه " مرحباً وأهلاً ".

واللغة الترككية شرط في كاتم السر من وجهين، أحدهما أن ملوك الديار المصرية وأرباب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية في عشر الستين من الستمائة وإلى زماننا عشر الأربعين من التسعمائة لم يدر الكلام بينهم إلا بهذه اللغة، حتى نظرائهم لا يعرفون غيرها، فإذا كان كاتم السر عارفاً بها أعانه على فهم مقاصدهم والأخذ بخواطيرهم والاطلاع على أحوالهم، واكتساب هذه اللغة يكون من النشأة والمخالطة.

الثاني: أن غالب ما يرد على ديوان الإنشاء من الأمور المهمة مكاتبات ملوك الشرق، وحكامهم، وغالباً أن قصادهم لم يتكلموا إلا بهذه اللغة، وإن كان فيهم من يتكلم بالفارسية فإن ذلك نادر. فمعرفة لها يطلع على مقاصدهم ويأمن من انحراف كلامهم أو تدليس أو تليسه، وأكتم لسر سلطانه من حيث إنه لا يطلع على سر سلطانه غيره.

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن ثابت رضي الله عنه: يا زيد تعلم كتاب يهود [١٩ ب] فإن الله لا آمن يهود على كتابي. قال فتعلمت كتابهم فما مر بي ست عشرة ليلة حتى حذفته، فكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيبهم إذا كتب. فإن قيل كيف أمر زيد بحفظ كتاب يهود _ يعني العبرانية أو السريانية _ يُفهمه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أنه كان صلى الله عليه وسلم يعرف اللغات جميعها. فالجواب ما أمر زيداً بتعلم كتاب السريانية والعبرانية إلا لتحريم الكتابة عليه صلى الله عليه وسلم.

(١) الإنالة، هي المعروف. ابن منظور: السابق، ج ١١، ص ٦٨٥.

(٢) الأثرة، المكرمة. السابق، ج ٤، ص ٧.

النوع الخامس

النحو والتصريف

وهو على ضربين:

الضرب الأول: النحو.

قال صاحب الريحان والربعان: إن الخلفاء الراشدين لم يزالوا يحثون على تعلم العربية وحفظها والرعاية بمعانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم والخل المخصوص. قال عثمان الخيري^(١): أتنا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمرنا بأشياء ويذكر فيها " تعلموا العربية فإنها تصلح^(٢) في العقل وتزيد في المروءة ".

والشرط في كاتم السر معرفة كلام العرب لغة ونحوا، وأخذه منهما بحظ وافر ليرتسم ذلك في فكره، ويدور على لسانه، وينطلق به عقال قلمه وكلامه، ويكون على بصيرة في نطقه ووضع خطه، فإنه لو أوتى من الفقه والبلاغة بآتم ما يكون ولحن فيه ذهبت محاسن ما أتى به، وانهدرت طبقة كلامه، وألغى جميع ما يحسنه، ووقفت به عند ما جهله. على أن النحو يختص بجالب العلوم.

مهمة: من المعلوم أن البيعات والعهود المكتوبة من ديوان الإنشاء للخلفاء والسلطين وولاية عهودهم مجردة عن رسم شكل الحروف الذى هو ضابط الإعراب، والنقط التى تمنع التصحيف، واختار السلف لذلك إنما هو اختيار صاحب ديوان الإنشاء فى حاصله من الفضيلة فى علم النحو وإدراك المعاني، وتطبعه بصحة النطق فإن قراءة ذلك مختص به على رءوس الأشهاد، وهنالك تظهر فضيلة صاحب ديوان الإنشاء.

قال أبو سعيد البصرى: [٢٠ أ]

النحو يسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

(١) الصواب: المهري، صبح، ج ١، ص ١٦٨؛ ضوء، ص ٥٨.

(٢) ثبت: صبح، نفسه.

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها عندى مقيم الألسن

قال الجاحظ: وأقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم، فإنه لا فائدة من ذلك. والذي يقتضيه حال الزمان أن نحافظ على الإعراب في القرآن والحديث والشعر والكلام المسجوع وما يضعه القلم في الطروس ويغتر فيما عدا ذلك، وعلى ذلك جرت طريقة السلف منذ فسدت الألسن.

الضرب الثاني: التصريف.

وهو علم نعرف من أحواله بنية الكلمة التي ليست بإعراب، وقيل أن تعرف أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها وجمعها وتثنيها وصحتها وأعلاها وهودها واشتقاقها وتصريفها إلى ماض ومضارع وأمر ونهى وغير ذلك. لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها، ولم يعرف الأصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ضل، وكثير مما وقع في ذلك من أكابر الشعراء والكاتب.

حكى عن [ابن] ^(١) إسرائيل مع قدمته في الكتابة أنه قال: كانت رسومنا مساناة، ثم صارت مشاهرة، ثم صارت مياومة، ثم صارت مساعة. فأخطأ وكان يجب أن يقول " مساعة ". ومن وقع في ذلك أبو نواس حيث قال:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصاء در على أرض من الذهب

فإن فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام فيها، وإنما يجوز حذفهما من فعلى السق لا أفعل لها نحو " حبلى " إلا أن يكون فعلى أفعل مضافة، وهاهنا لا إضافة ولا ألف ولا م، وكان الصواب أن يقول " كأن الصغرى والكبرى " أو " كأن صغراها وكبراهها در ".

وهذا العلم لم يزل مندرجاً في علم النحو حتى أفرده عنه أبو عثمان المازني ثم تبعه جماعة من العلماء وصنفوا فيه كتباً كثيرة.

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من ضوء، ص ٦١.

النوع السادس

معرفة المعاني والبديع

والمعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها تطابق مقتضى الحال [٢٠ ب]. والبيان علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لوضوح الدلالة عليه. والبديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بقدر عام للمطابقة ووضوح الدلالة، وهذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة.

وإن صاحب هذا الديوان مضطر إلى معرفتها ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب ورد الجواب، وليكون جارياً على قوانين اللغة في التركيب مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء في كل ما يقع له من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتحسين الكلام وتنميته إلى غير ذلك من الأمور.

قال الشهاب محمود الحلبي في " حسن التوسل " : وهذه العلوم الثلاثة وإن لم يضطر إليها ذو الذهن الثاقب، والطبع السليم، والقريحة المطاوعة، والفكرة المنقحة، والبديهة المحسنة، والرؤية المتصرفة، لكن العالم بها يتمكن ^(١) من أزمة المعاني وصناعة الكلام يقول عن علم ويتصرف عن معرفة، وينتقد بحجة، ويتخير بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب".

مهمة: حيث ما كان صاحب هذا الديوان مغدوق به ما يصدر من ديوان الإنشاء كان لازماً له تحصيل ما ذكرناه من أنواع العلوم ليستعين بها على كمال ما ينشأ ويكتب من ديوانه وينطرد عنه النقص، ويكون على يقين من أمره من حيث أن يكون له قانوناً يرجع إليه، وأصلاً يقف عنده. ألا ترى أنه إذا جرى قانون الثلاثة علوم المتقدمة الذكر من التشبيه والاستعارة والتجنيس وغيرها من الأنواع إلى ما يبهز العقول ويأخذ بأزمة القلوب كقول القاضي الفاضل " في ليلة قد حمد جهرها، وحمد خمرها، إلى يوم تود البصلة لو زيد في قمصها، والشمس لو جرت إلى قرصها ". وقول الوأواء الدمشقي:

قالت متى هذا البين يا هذا فقلت لها أما غداً زعموا أو لا فبعد غد

(١) متمكن: صبح، ج ١، ص ١٨٤.

فاستمطرت^(١) لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وغصت على العناب بالبرد
[٢١ أ] وقول آخر:

أزورهم وظلام الليل يشفع لي وأنثى وضياء الصبح يغرى بي
وقول آخر:

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصوناً واثنتين جاذراً
فأتوا بالسحر^(٢) الحلال وأبدوا من محاسن البلاغة ما وقع من بدائعه في وارف الظلال.
والسيف ما لم يلف فيه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال

النوع السابع

في صناعة الكلام

وهو على أصلين:

الأصل الأول: قال في الصناعتين " والمعاني من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب بل المعاني هي أرواح الألفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت وعليها بنيت، فالألفاظ تابعة والمعاني متبوعة واحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى أشد من احتياجه إلى تحسين الألفاظ، لأنه إذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطاً ساقطاً عن أسلوب الفصاحة كان الكلام كالإنسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميت الذي لا روح فيه ولا حركة ولو كان على أحسن صورة وأجملها ".

قال في المثل السائر: وإنما اعتنت العرب بالألفاظ وهذبتها وأصلحتها لأن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدراً في نقوشها، ولما كانت الألفاظ عنوان المعاني، وطريقاً إلى إظهار أغراضها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد.

قال في الصناعتين: ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوها بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى فهماً له فيها من صناعة الكلام ما فهماً له في الأول، ألا ترى أن عبد

(١) فاستمطرت: ضوء، ص ٦٣.

(٢) ونظموا على ذلك فأتوا بالسحر: السابق، نفسه.

الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها إلى اللسان العربي فلا تكتمل صناعة الكلام إلا من يكمل له إصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال.

وأما الألفاظ فقد تقدم في الكلام على المعاني، فإن الألفاظ من المعاني بمنزلة الأبدان من الثياب، ولا خفاء في أن الوجه [٢١ ب] الصبيح يزداد شباباً بالخلل الفاخرة والملابس البهية، والقبیح يزول عنه بذلك بعض القبح، كما أن الحسن يغض حسنه برثائه ثيابه وعدم صحة ملبوسه. والقبیح يزداد قبحاً إلى قبحه مثل ذلك، وقد ذكر في الصناعتين هنا ما يدل على تعظيم شأن الألفاظ وعلو مرتبتها، قال: ليس البيان في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروى والبدوى، وما ^(١) هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته [ومائه] ^(٢) مع صحة السبك والتركيب والخلو من الخلوص والتأليف ^(٣). قال: وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ولا يقنع من اللفظ بذلك. ثم قال: والدليل على أن مدار البلاغة [على] ^(٤) تحسين اللفظ أن الخطب الرائقة والأشعار الذلقة ^(٥) ما عملت لإفهام المعاني فقط لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته ورويق ألفاظه وجودة مطالعه وجودة مقاطعه ^(٦) وبديع مبادئه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم منشئه. وقال: وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني. ثم قال: وتوخي صواب المعاني ^(٧) أحسن من توخي هذه الأمور في الألفاظ. " ولو كان الأمر في المعاني لطرخوا

(١) إنما: الصناعتين، ص ٥٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من الصناعتين، ص ٥٨، ضوء، ص ١٠٥.

(٣) أود النظم والتأليف: الصناعتين، نفسه، ضوء، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من الصناعتين، نفسه، ضوء، نفسه.

(٥) الخطب الرائقة والأشعار الرائقة: الصناعتين، نفسه، ضوء، نفسه.

(٦) وحسن مقاطعه: الصناعتين، نفسه.

(٧) المعنى: الصناعتين، نفسه.

أكثر ذلك "، " وأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً سهلاً سليماً^(١) ومعناه وسطاً دخل في جملة الجيد [وجرى مع الرائع النادر]^(٢)، ألا ترى إلى قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المثلى^(٣) الأباطح
ليس فيه كبير أمر من المعنى^(٤)، ومع ذلك^(٥) فهو رائع معجب^(٦) بخلاف ما إذا كان
المعنى صواباً واللفظ بارداً فاتراً فإنه يكون مستهجناً مرفوضاً لقول أبي العتاهية:
مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي
فإنه منحط إلى الغاية.

الأصل الثاني: الفصاحة والبلاغة. أما الفصاحة [٢٢ أ] فهي في أصل اللغة " الخلوص"، فقال " أفصح اللبن " إذا انجلت عنه رغوته وظهر، " وأفصح عما في نفسه " إذا أظهر. ويوصف بها المفرد [من] الكلام واللفظ، فقال " لفظ أفصح "، " وكلام فصيح "، " ومتكلم فصيح ". فأما الفصاحة في المفرد فأعتبر المحققون من علماء المعاني أربع صفات: الصفة الأولى: سلامته من تنافر الحروف، وهو ما يتنقل النطق به ويعسر، وجعله في الإيضاح على مرتبتين:

المرتبة الأولى: ما يخف الثقل فيها بعض الخفة كلفظ " مستشرزات " في قول الشاعر^(٧):

(١) وسلساً سهلاً: الصناعتين، ص ٥٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من السابق، ص ٥٩.

(٣) الصواب: المطى، السابق، نفسه.

(٤) وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى: السابق، نفسه.

(٥) ساقطة من الصناعتين.

(٦) وهي رائقة معجبة: السابق، نفسه.

(٧) هي للشاعر امرئ القيس، ابن فهد الحلبي: حسن التوسل، ص ١٢.

غدائره ^(١) مستشرزات إلى العلا تفضل المدارى فى مثنى ومرسل

فالدوائر الذوائب، والمستشرزات بفتح الزاى بمعنى " مرفوعات "، وكسرهما بمعنى "مرتفعات"، والمدارى " السنان " ^(٢)، والمثنى والمرسل صفتان للشعر. وإغنا وقع الثقل فى مستشرزات لتوسط الشين وهى مهموسة رخوة بين الزاى ^(٣) وهى مهموسة شديدة، والزاى وهى مجهورة.

المرتبة الثانية: ما تكون الكلمة فيه متناهية فى الثقل وتغير النطق بها كما يحكى أن أعرابياً سئل عن ناقة فقال: تركتها ترعى المعنع، بضم الهاء والحاء، ويقال " الخمعع " بخاءين معجمتين مضمومتين، ويقال " المعهخع " بضم العينين المهملتين، والمعنع قيل إنه نبت، وقيل شجر، وقيل كلمة معاياة لا أصل لها.

الصفة الثانية: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من الغرابة عند أهل اللسان من العرب كقريش ونحوهم لقلة استعماله عندهم، فالغريب عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ثم صار غريباً بالنسبة لمن بعدهم فإنه فصيح.

الصفة الثالثة: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من مخالفة القياس نحو قول أبى النجم: الحمد لله العلى الأجلل، فإن قياس التصريف أن يقول الأجلل لاجتماع المثليين وتحرك الشان وذلك مما يوجب الإدغام.

الصفة الرابعة: من صفات اللفظ الفصيح، سلامته من الابتذال، وهو الامتهان بأن لا يكون عاماً ولا ساقطاً سوقياً، ثم المبتذل ضربان:

الأول: ما لم يتغير عن وصفه اللغوى إلا أن العامة اختصت باستعماله فابتذل لأجل ذلك وسخف لفظه وأنحطت رتبته وصار من استعماله من الخاصة [٢٢ ب] ملوماً على الإتيان به للمشاركة العامة فيه، وقد وقع ذلك لجماعة من فحول الشعراء كقول الفردوق:

(١) ذوائبه: حسن التوسل، ص ١٢.

(٢) أسنان المشط: ضوء، ص ١٠٧.

(٣) الصواب: التاء.

وأصبح مبيض الضريب كأنه على سروات النبت قطن مندف

فقوله " مندف " من الألفاظ العامية المبتذلة، وقول أبي العباس^(١):

وملحة بالعدل تحسب أنى بالجهل أترك صحبة الشطار

" فالشطار " جمع شاطر وهو الشجاع الذى أعجب الناس بشجاعته، وغلب دورانه على لسان العامة فابتذل، ونحو ذلك.

الضرب الثانى: ما كان فى أصل اللغة دالاً على معنى وضع له فغيرته العامة وجعلته دالاً على معنى آخر وهو إما غير مستقبح فى الذكر أو مستقبح. فأما غير المستقبح فكتسميتهم الإنسان إذا كان دمث الأخلاق وحسن الصورة واللباس " ظريفاً "، والظرف فى أصل اللغة يختص بنطق اللسان فقط فغيرت العامة موضوع الظرف عن بابه ونقلته إلى أعم من موضوعه، وقد وقع الذهول فى ذلك لأبي نواس فى قوله:

وقال هذا^(٢) وجهه لى الحسن والظرف والكمال

فوصف الوجه بالظرف وهو يختص بالنطق كما تقدم.

وأما المستقبح الذكر فكما فى لفظ " الصريم " بالصاد المضمومة، فإنه فى أصل اللغة " القطع " يقال " صرمه يصرمه صرمًا " إذا قطعه، وبالسین المحل المخصوص فقلبت العامة السین فى المحل المخصوص صادًا واستعملوها بمعنى السرم الذى هو المحل المخصوص فصار لفظاً مستقبحاً وسماعه مستكرهاً، وعُتب على أبي الطيب فى قوله:

أذاق الغوانى حسنه ما أذاقنى وعف فجازاهن عنى بالصرم

والفصاحة فى الكلام قد اعتبروا فيها ثلاث صفات:

الصفة الأولى: سلامته من ضعف التأليف نحو " ضرب غلامه زيد " كان الصواب " ضرب زيداً غلامه "، كقوله " وإذ ابتلى إبراهيم ربه " كان فيه عود الضمير إلى المتأخر لفظاً ورتبة، والجمهور على منعه وإن جوزوه ابن جنى وابن مالك وغيرهما مستدلين بقول الشاعر:

(١) أبي نواس: ضوء، ص ١١٠.

(٢) هذاك: السابق، نفسه.

جزى ربه عني عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات ^(١) وقد فعل
[٢٣ أ] وإذا كان الجمهور ذهبوا إلى امتناعه فلا أقل أن يكون ضعيفاً.

الصفة الثانية: سلامته من تنافر الحروف كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حبر ^(٢) قبر

قال الرماني ^(٣): يقال إنه من شعر الجن لأنه لا يقوله أحد ثلاث مرات إلا تكعكع فيه.
قال الخفاجي: وثقل هذا البيت لتقارب الحروف المتماثلة وتكررها أيضاً. وجعل في الإيضاح
التنافر منقسماً إلى أعلى وهو ما تقدم وأدنى كلفظ " أمدحه " من قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما نلته ^(٤) لنته وحدى

وعلله بأن في قوله " أمدحه " ثقلاً لما بين الحاء والهاء من التنافر لتقاربهما، وأن التقارب
قد يكون سبباً للتنافر، وكذلك حكم على الكلمات التي تكررت فيها الحروف المتماثلة بالنقل.
الصفة الثالثة: سلامته من التعقيد، وهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل، وهو
على ضربين:

الضرب الأول: وهو الذى سماه ابن الأثير " المعازلة المعنوية " وهو أن لا يكون ترتيب
الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك مما يوجب صعوبة
فهم المراد وإن كان تاماً في الكلام جارياً على القوانين بحيث يخيل على السامع نظم الكلام فلا
يدرك كيف يصل إلى معناه كقول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال
هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حى أبوه يقاربه

يريد وما مثل هذا الممدوح في الناس حى يقاربه في الفضل إلا مملكاً أبو أم ذلك الملك أبو
الممدوح فيكون الممدوح خال الملك، والمعنى أنه لا يماثل أحداً هذا الممدوح الذى هو إبراهيم
بن هشام ولا ابن أخيه هشام ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبر بـ " حى " الأجنبي

(١) العاديات: ضوء، ص ١١١.

(٢) الصواب: حرب، السابق، نفسه.

(٣) الزيجاني: السابق، نفسه.

(٤) الصواب: لنته، السابق، نفسه.

وفصل بين المبتدأ والخبر وهما مثله وجاء بقوله في الناس إلا مملوكاً أبو أمه، وفصل بين حي وبين موصوف يقاربه بـ " أبوه " وهو أجنبي، وقدم [٢٣ ب] المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعقد. وخالي من التعقيد لا يكون فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا بقرينة ظاهرة لفظاً ومعنى.

الضرب الثاني: أن يكون ظاهر الدلالة على المراد بحال في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود لإيراد اللوازم التعقيدية المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع جفاء القرائن الدالة على المقصود كقول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيني الدموع لتجمدا

يريد أن من عادة الدهر معاكسة المقاصد فأراد بعد الدار ليحصل القرب وتسكب [عيناه الدموع فتجمدا] ^(١) بحصول السرور بالملاقاة، فكفى بسكب الدموع عن إبكائه ^(٢) والحزن وهو الظاهر من المعنى لأنه كثيراً ما يجعل دليلاً عليه بجمود العين عما يوجبه التلاقي من الفرح، فإن التبادر ^(٣) إلى الذهن من جمود العين بخلفها بالدمع عند إرادة البكاء حال الحزن بخلاف ما أراده الشاعر من التعبير به عن الفرح، فإن كانت حالة جمود العين مشتركة بين بخل العين بالدمع عند إرادة البكاء وبين زمن السرور التي لم يطلب فيه بكاء.

والفصاحة في التكلم قال في التلخيص: هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح وهو يسمى المفرد المركب.

وأما البلاغة: قال في الصناعتين: هي مأخوذة من قولهم " بلغت الغاية " إذا انتهت إليها وبلغتها غيرك ^(٤). والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها تضمن ^(٥) المعنى إلى قلب السامع فيفهمه وهي مما يوصف به الكلام والمتكلم فيقال " كلام بليغ ومتكلم بليغ".

(١) ما بين الحاصرتين من ضوء، ص ١١٢.

(٢) الكتابة: السابق، نفسه.

(٣) المتبادر: السابق، نفسه.

(٤) غيرى: الصناعتين، ص ٦.

(٥) تنهى: السابق، نفسه.

فأما البلاغة في الكلام فقد اختلفت فيها عبارتهم^(١) اختلافاً كثيراً يأتي على نيف وثلثين عبارة^(٢) ترجع إلى معنى الوصف لها وقد عرفها صاحب التلخيص: بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. وعرفها في حسن التوسل: بأن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال وإطالة في غير إملال. وهذان [٢٤ أ] التعريفان مما لا خفاء فيه. ثم لها طريقتان أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما لو عبر عنه إلى ما دونه التحقق^(٣) عند البلغاء بأصوات البهائم، وقد يظهر لك أن كل بليغ من كلام أو متكلم فصيح ولا عكس.

النوع الثامن

معرفة السجع وأحكامه واختلاف أحواله

وهو عمدة هذه الصناعة وأساس بهائها^(٤) لأن غالب مهمات ديوان الإنشاء لا تكون إلا مسجوعة من ابتدائها إلى انتهائها، فإذا كان كاتم السر عالماً به استعان به على قصده من ذلك وظهر له معائب ما يصدر من ديوانه من ذلك فنهى عن إصداره.

قال في مواد البيان: هو مشتق من " الساجع " وهو المستقيم لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه. وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على حد واحد فقال: منه سجعت الحمامة تسجع سجعاً فهي ساجعة. سمي السجع في الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة، وكلمات متوازنة متعادلة فأشبه ذلك الترجيع وهو في الاصطلاح تقفية مقاطع الكلام من غير وزن.

وقال في المثل السائر: هو تواطىء الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد، ويقال للحرف الواحد منه " سجعة " وتجمع على " سجعات "، و" فقرة " و" فقرات "، ويقال "فقرة" و" فقرات "، وربما قيل " فقرة ". ويقال لها أيضاً " قرينة " لمقارنة أختها وتجمع على "قرائن"، ويقال للجزء الأخير منها " الفاصلة " و" حرف الروي "، والقاعدة أن تكون كلمات الأسجاع

(١) اختلف عبارتهم فيها: ضوء، ص ١١٣.

(٢) بلاغة: السابق، نفسه.

(٣) للحق: السابق، نفسه.

(٤) بنائها: السابق، ص ١٢٧.

ساكنة الأعجاز مرفوعاً عليها بالسكون في حالى الوقف والدرج لأن الغرض منه المناسبة بين القرائن والمزاوجة بين الفقر أو آخر القرائن.

قال في الصناعتين: ولا يحسن منتور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً خالياً^(١) من الازدواج. وناهيك أن القرآن الكريم الذى هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سوره وإن قصرت بل ربما وقع السجع في فواصل جميع متن^(٢) السورة كما في سورة النجم والقمر وغيرها، بل ربما وقع في أوساط الآيات لقوله [٢٤ ب] تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(٣)، وقوله ﴿ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^(٤). وكذلك وقع في كثير من كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله عند قدومه إلى المدينة " أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام "^(٥)، بل ربما صرف الكلمة عن موضعها مراعاة للمزاوجة كقوله " انصرفن مأزورات غير مأجورات " ^(٦) أصلها " موزورات " أخذاً من " الوزر " فعبر " بمأزورات " موافقة لمأجورات وعلى ذلك كان يجرى كلام العرب في مهمم كلامهم، تقول بعض العرب وقد ذهب السيل بابه: اللهم إن كنت قد أبلت فطالما عافيت. فإن قيل^(٧) إنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل في الجنين بغرة عبد أو أمة فقال الرجل: أأدى^(٨) من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " أسجع كسجع الكهان ؟

(١) يخلو: الصناعتين، ص ٢٦٠، محلولاً: ضوء، ص ١٢٨.

(٢) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٣) الأنعام، الآية ١.

(٤) الأعراف، الآية ١٠٠.

(٥) ونسك، السابق، ج ٥، ص ١٤٨.

(٦) السابق، ج ١، ص ١٧.

(٧) أما ما روى: ضوء، ص ١٢٩.

(٨) أئدى: الصناعتين، ص ٢٦١، من الدية وذلك حق القتل، انظر: الصناعتين، ص ٢٦١ هـ ٢.

فالجواب إنما كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع لمشابهة سجعه سجع الكهان لما فيه من التكلف في التعسف كما قاله أبو هلال العسكري، وإما ^(١) لجريانه على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع ما قاله غيره أو إنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بإنكار إيجاب الدية لا نفى السجع المأثي به كما اختاره في المثل السائر.

واعلم أن السجع تارة تكون القرينتان فيه متفتحتين في حرف الروى ويسميه الرمان "السجع الحالى" وعليه عمل أكبر الكتاب من زمن الفاضل وإلى زماننا، وأعلاه أن تكون القرينتان مستوييتي الأوزان ويسمى "التصريع" وهو أحسن أنواع السجع وأعلاهما كما قال عز وجل ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ^(٢)، وكقوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ^(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي" ^(٤) إلى غير ذلك مما لا نهاية له.

ودون ذلك في الرتبة أن يختص التوارد بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط دون الألفاظ كقوله تعالى ﴿فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مُوَضُّوعَةٌ﴾ ^(٥)، ثم قال ﴿وَتَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ ^(٦) [٢٥ أ] ودون ذاك أن يقع الاتفاق في حرف الروى مع قطع السطر عن التوازن في شيء من أجزاء الفقرة في الآخر ولا غيره ويسمى "المطرف" كقوله تعالى ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ^(٧).

وتارة يختلف حرف الروى في آخر الفقرتين وبين الذى نعبر عنه بـ "الازدواج"، والرمان يسميه "السجع العاطل" وعليه كان عمل الصحابة والتابعين ومن قارب زمانهم، وأعلاهما أن يراعى الوصل في جميع كلمات القرينتين، وفي أكثرهما مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزناً ويسمى "التوازن" كقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ

(١) أو: ضوء، نفسه.

(٢) الغاشية، الآية ٢٥ — ٢٦.

(٣) الانفطار، الآية ١٣ — ١٤.

(٤) ونسبك، السابق، ج ١، ص ٥٣٣.

(٥) الغاشية، الآية ١٣ — ١٤.

(٦) الغاشية، الآية ١٥ — ١٦.

(٧) نوح، الآية ١٣ — ١٤.

أَلْمُسْتَقِيمَ^(١). ودون ذلك في الرتبة أن يراعى التوازن في الكلمتين الأخيرتين فقط ويسمى "التوازن" أيضاً كقوله تعالى ﴿وَكَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَائِبُ مَبْثُوثَةٌ﴾، ودون ذلك أن لا موازنة في إحدى القريبتين ولا في شيء من أحدهما كقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ أَلْمَوْعُودِ﴾^(٢).

واعلم أن من السجع ما يوصف بالقصر ومنه ما يوصف بالطول، فالسجعة القصيرة من عشرة ألفاظ فما دونها، قال في حسن التوسل: وهي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة^(٣) ولا سيما القصير منها للغاية، وأقل ما تكون من لفظتين كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾^(٤). قال: ومثله في القرآن كثير إلا الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(٥).

والسجع الطويل، قال في حسن التوسل: وهو الذي في السمع لتشوف السامع لمثل يرد فيتزايد على سمعه. وأقل ما يكون من إحدى عشرة كلمة فما فوقها كقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾^(٦). فالأولى من إحدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث عشرة لفظة وغالب ما يكون من خمس عشرة لفظة فما فوقها كقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٧). فالأولى من أربع [٢٥ ب] عشرة لفظة، والثانية من خمس عشرة لفظة.

(١) الصفات، الآية ١١٧ - ١١٨.

(٢) البروج، الآية ١ - ٢.

(٣) الصناعة: حسن التوسل، ص ٥١.

(٤) المدثر، الآية ١ - ٤.

(٥) النجم، الآية ١ - ٢.

(٦) هود، الآية ٩ - ١٠.

(٧) التوبة، الآية ١٢٨ - ١٢٩.

تنبيه مما اعتنى به كتاب زماننا أفهم يجعلون السجعة الأولى من خطبة الولايات ونحوها قصيرة بحيث يكون إنهاؤها وابتداء الثانية في السطر الأول فإن فات فيكون في السطر الثاني ليقع نظر الناظر على السجعة الأولى لأول وهلة.

وأقل ما يكون السجع سجعتان، والازدواج قرينتان ولا نهاية لغايته وإن ازداد السجع على سجعتين ووقع على حد واحد فهو مستحسن، وقد وقع في القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾^(١)، هذه السجعات الثلاث مركبة من كلمتين كلمتين، وقد تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾^(٢). فالأولى من ثمان كلمات والثانية والثالثة من تسع، وقد تكون الأولى والثانية متساويتين والثالثة زائدة عليهما.

قال في حسن التوسل: فإن زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأوليين وزيادة الثالثة. ثم مثل^(٣) لها. وقد تكون الثانية زائدة على الأولى، والثالثة زائدة على الثانية، قال في المثل السائر: وينبغي أن تكون في مثل هذه الحالة زيادة الثالثة معتبرة في الطول على الأولى، والثانية أكثر من تميز الثانية على الأولى، فإذا كانت الأولى ثلاث لفظات، والثانية أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات، ومثل له في حسن التوسل بقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾^(٤). فالأولى من ثمان كلمات والثانية من تسع والثالثة من عشرين، ولا يخفى حكم الرابعة في الزيادة مع^(٥) الثالثة.

(١) الواقعة، الآية ٢٧ — ٣٠.

(٢) الفرقان، الآية ١١ — ١٣.

(٣) ولم يمثل: ضوء، ص ١٣٢.

(٤) مريم، الآية ٨٨ — ٩٣.

(٥) على: ضوء، نفسه.

[٢٦ أ] قال في حسن التوسل: ولا بد من الزيادة في آخر القرائن، ومن السجع ما

يستحسن، ومنه ما يستقبح.

فحسنه بأمور منها أن يكون بريئاً من التكلف، خالياً من التعسف^(١) محمولاً على ما يأتي به الطبع وتبديده الغريزة، ويكون التلفظ منه تابعاً للمعنى بل يقتصر من اللفظ على ما يحتاج إليه في المعنى دون الإتيان بزيادة أو نقص تدعو إليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز الحسن إلى حيز القبح.

ومنها أن تكون الألفاظ حلوة لا غثة ولا باردة، موثقة المعنى، حسنة التركيب، غير قاصرة على صورة السجع الذي هو تواطىء الفكر فيكون كمن نقش أثواباً من الكرسف أو نظم عقداً من الجواهر^(٢) الملون.

ومنها أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها كقول الصائب في وصف مدبر: يسافر رأيه وهو دان لم يبرح، ويشخن الجراح في عدوه وسيفه في الغمد لم يبرح. لأن استعمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون في أحدهما بمفرده وهو غير التطويل المذموم في الكلام.

ومنها أن يقع التفصيل في نفس الفواصل كقوله: "إذا قلت الأنصار كلت الأبصار" ونحو ذلك.

ومنها أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار فتكون سجعة في سجع كقوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٣) ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٤). فقوله نطبع على قلوبهم سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها حتى يروا العذاب الأليم.

(١) التعسف: ضوء، ص ١٣٢.

(٢) الخرز: ضوء، نفسه.

(٣) الأعراف، الآية ١٠٠.

(٤) يونس، الآية ٨٨.

وقبحه يكون بأمور منها، التجميع وهو أن يكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني. ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره وهو أن يجيء الجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة الثاني بالضرورة إلى غير ذلك.

واعلم أن الذي يلزم في الرسائل والخطب هو أن يجعل مزدوجة فقط ولا يلزم فيها السجع فإن جعلت مسجوعة كان أحب ما لم يكن في السجع استكرار وتنافر وتعقيد، وكانوا المقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة كافية ولا يتقصّدونه إلا [٢٦ ب] إذا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام وأبقوه من غير قصد ولا اكتساب، وإنما كانت ألفاظهم متساوية وكلماتهم متوازنة ومعانيهم لاصقة وعباراتهم راتقة.

قال في مواد البيان: وأقل ما يكون من الازدواج قرينتان، وينبغي أن لا يستعمل ما جاء به القرآن الكريم من الحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة، وما يجري مجرى ذلك فإن القرآن نزل بلغة العرب وخوطب به فصحاؤهم بخلاف الرسائل ولا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف ما لا ينصرف وحذف ما لا يحذف وقصر الممدود ومد المقصور والإخفاء في مواضع الإظهار وتصغير الاسم في موضع تكبيره.

قال في الصناعتين: وأحسن الكلام ما حسن نسجه ولم يستخف حسن نظمه ولم يهجن ولم يستعمل فيه اللفظ من الكلام ولا السوقى من الألفاظ، ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً والألفاظ إذا أجبرت قسراً، وأحسن الكلام ما كان سلساً عذباً وسهلاً حلواً ليكون أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع. وقد وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد يروم أن تكون له مثل بلاغته، فإذا أخذ منها تعذر عليه ذلك.

النوع التاسع

معرفة الإيجاز والإطناب والمساواة

وهو على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: الإيجاز، وهو في اللغة تقصير الكلام يقال "أوجزت الكلام" إذا قصرته، و"كلام موجز وموجز ووجز ووجيز"، وفي الاصطلاح "جميع المعاني الكبيرة في الألفاظ

قليلة"، وعليه ورد أكثر آي القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) فإنه انتظم فيه خلق السماوات والأرض وسائر المخلوقات لم يشذ عنه شيء في أوجز لفظ وأقربه وأسهله. وكما في قوله تعالى ﴿ اَلَا لَهٗ اَلْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾^(٢) استوعب جميع الأشياء على الاستقصاء في كلمتين لم يخرج عنهما شيء. يقال إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية فقال من بقى له شيء فليطلبه. وقوله ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(٣) [٢٧ أ] ثلاث كلمات اشتملت على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها.

وكذلك ما وقع في هذا المعنى من كلام النبوة مثل قوله صلى الله عليه وسلم " نية المرء خير من عمله "، وقوله عليه السلام " حبك للشيء يعمى ويصم " ^(٤) إلى غير ذلك مما أوتى من جوامع الكلم، فذهبت طائفة إلى ترجيح الإيجاز على الإطناب والمساواة محتجين بأنه صورة البلاغة وإن ما يجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلية في خبر العفو والهدد وهما من أعظم أوزار الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة وغباوته.

قال الأمين بن الرشيد: عليكم بالإيجاز فإن له إفهاماً وإطالة استبهاماً. وقال بعضهم: البلاغة بالإيجاز أنجع من البيان بالإطناب. قيل لبعض الشعراء: لم اخترت البيتين والثلاثة على القصائد؟ فقال: لأنها في القلوب أوقع وفي الآذان أوقع ^(٥) وفي الآفاق أسير.

والإيجاز يصلح لمخاطبة ذوى الأخطار العلية والشئون السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما همته مصروفة إلى مطالعة غيره ويستعمل في الملخصات والملطفات والبطائق وأوراق الولايات ونحو ذلك.

الحالة الثانية: الإطناب، وهو في اللغة المبالغة يقال " أطنب الرجل في الكلام " إذا بالغ فيه، وفي الاصطلاح " الإشباع في القول وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد "، وقد وقع منه الكثير في القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾^(٦)،

(١) الفاتحة، الآية ٢.

(٢) الأعراف، الآية ٥٤.

(٣) الحجر، الآية ٩٤.

(٤) ونسبك، ج ٣، ص ٤١٥.

(٥) الصواب: أوج، ضوء، ص ١١٥.

(٦) الشرح، الآية ٥ - ٦.

وقوله ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) كرر اللفظ في الموضعين تأكيد الأمر وإعلاماً أنه كذلك لا محالة. وقوله ﴿ فَاقْرَأْ إِلَى اللَّهِ إِلَهِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَهِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٢)، فكرر إني لكم منه نذير مبین مرتين في آية. وكرر في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، حيث عدد لها نعمه وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة تنبيهاً على ما أسداه إليهم فيها، وقد وقع التكرار في كلام العرب كثيراً كقول الشاعر:

أتاك أذاك اللاحقون احبس احبس

إلى غير ذلك مما لا تحصره الإحاطة.

وذهبت طائفة إلى ترجيح الإطناب [٢٧ ب] على الإيجاز والمساواة واحتجوا لذلك بأن النطق إنما هو بيان، والبيان إنما هو إيضاح العبارة، وإيضاح العبارة لا يتهيأ إلا بمردفة الألفاظ على المعنى حتى يحيط به إحاطة يؤمن معها من اللبس والإبهام، وأن الكلام الموجز لا يؤمن وقوع الإشكال فيه ومن ثم لم يحصل على معانيه إلا خواص أهل اللغة العارفون بدلالات الألفاظ بخلاف الكلام المتسع فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخاص والعام في جهة ذلك.

والإطناب يستعمل في ما يقرأ على رءوس الأشهاد من الفتوحات، وطلب العساكر، ودفع النوازل، وجلس الملوك على تخت المملكة بالسلطنة، والبيعات والعهود، والتقاليد، والتهاني، والتعازي، والمكاتبات الصادرة للقنات وعظماء الملوك ونحو ذلك.

الحالة الثالثة: المساواة، وهي أن تكون الألفاظ بازاء المعاني في القلة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض، وقد مثل له العسكري في الصناعتين بقوله تعالى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتُ فِي الْخِيَامِ ﴾ ^(٣)، وقوله ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ^(٤). وقول النبي صلى الله عليه وسلم " لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا " ^(٥).

(١) النكاثر، الآية ٤ - ٥.

(٢) الذاريات، الآية ٥٠ - ٥١.

(٣) الرحمن، الآية ٧٢.

(٤) القلم، الآية ٩.

(٥) ونسك، ج ٤، ص ٤٨٤.

وقول بعض الكتاب: سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها إلا فقدك، ونعمة لا مزيد فيها إلا بك. وقول آخر: فتولى الله النعمة عليك وتولى إصلاحك والإصلاح بك، وأجزل من الخير حظك، والحظ منك ومن عليك وعلينا بك، وقول الشاعر:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملئ عيني^(١) حببها
وما هجرتك النفس إنك عندها قليل ولا أن قل منك نصيبها
إلى غير ذلك مما لا يحصر.

وذهبت طائفة إلى ترجيح مساواة اللفظ المعنى احتجاجاً بأن ينوع الفضيلة من الوسط دون الأطراف، والحسن إنما يوجد في الشيء المعتدل، قال في مواد البيان: والذي يوجه النظر الصحيح أن الإيجاز والإطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منهما^(٢) موضع لا يخلفه فيه رديفه إذا وضع فيه انتظم في سلك البلاغة، ودل على قصد^(٣) [٢٨ أ] الواضع، وإذا وضع فيه غيره دل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة.

والمساواة تستعمل لمخاطبة الأكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء لأنها متوسطة بين إيجاز وإطناب.

مهمة مما يدل على أن الكلام في الإيجاز والإطناب يختلف باختلاف المقامات، أنك إذا تأملت كلام الله تعالى وجدت أن الله عز وجل إذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً، وقلما تجد في القرآن قصة لبنى إسرائيل إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم وعبادتهم.

(١) ملء عين: ضوء، ص ١١٥.

(٢) الصواب: منهم.

(٣) عقل: ضوء، ص ١١٦.

النوع العاشر

معرفة أيام العرب والسنين المشهورة

وتسمية الأيام التي كانت بينهم، ويوم كل قبيلة على الآخرة، وما جرى بينهم من المناقضات والأشعار^(١)، وذكر كبار من مشهور وملك مذكور^(٢) وواقعة معينة لشخص خاص وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه^(٣) لما في ذلك من الاطلاع والاستشهاد بذلك عند الحاجة إليه، وهو على ضربين:

الأول: أيام الحروب، وهي التي كان يقع فيها القتال بين قبائل العرب فيسمى ذلك اليوم تارة باسم المكان الذي تقع فيه الحرب، وتارة باسم سبب الحرب، وتارة بغير ذلك كـ "يوم جرار"، وهو جبل بين البصرة ومكة كانت الحروب عنده بين ربيعة وبين قبائل اليمن، وكانت الغلبة فيه لربيعة، ويوم "عين أباغ" وهو موضع يسمى "ذات الخيار"، وكانت الحرب فيه بين غسان ولخم، وفيه قُتل المنذر بن ماء السماء فانهزمت لخم، "ويوم الكديد" وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فارس كنانة ربيعة بن مكدم، ويوم "ذى قار" وكان بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى أبرويز ملك الفرس، وكانت الغلبة فيه للعرب على العجم. قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه به فقال "اليوم انتصفت العرب من العجم"، و"يوم البسوس" وهو بين بكر وتغلب، و"يوم الفجار" بين كنانة وقيس، و"يوم الحفار" بين أسد وتميم، و"يوم ذى قار" كان بين بكر ووائل، و"يوم حليلة" كان بين منذر والحارث، و"يوم اليمامة" قتل فيها مسيلمة. [٢٨ ب]

وأما السنين المشهورة فهي "عام الجحاف" سيل كان بمكة عام ثمان من الهجرة جحاف الحاج وذهب بأحماهم، و"عام الفيل" وردت فيه الحبشة إلى مكة وقصدت هدم الكعبة فأرسل الله طيراً من أبابيل كما ورد وكانوا يؤرخون منه، "عام الرمادة" لشدة قحط كان بمكة والمدينة

(١) الأشعار والمناقضات: ضوء، ص ٩٤.

(٢) وذكر فارس مشهور أو ملك مذكور: ضوء، نفسه؛ صبح، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) ليومه: صبح، نفسه؛ ضوء كالنفر.

في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، " مفتاح الفتن " لقتل عثمان رضى الله عنه، " مفتاح الأمصار " لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه فتح أكثر البلاد كما سيأتى.

وأما أيام المفاخرة، فهي الأيام التى وقعت المفاخرة فيها بين قبائل العرب كما حكى ابن الكلبي أن كسرى أبرويز قال يوماً للنعمان بن المنذر: هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: فبأى شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء رؤساء ثم اتصل بكمال الرابع. قال: فاطلب ذلك. فطلبه فلم يجده إلا فى آل حذيفة بن بدر، وآل حاجب بن زرارة، وآل ذى الجدين، وآل الأشعث بن قيس. فجمع هؤلاء الرهط ومن معهم من عشائهم وأقعد لهم الحكام والعدول. وقال: ليتكلم منكم كل رجل بما يرى قومه وليصدق، فكان حذيفة بن بدر الفزارى أول متكلم وكان ألسن^(١) القوم فقال: قد علم العرب أن فينا الشرف الأقدم والعماد الأعظم ومآثر^(٢) الصنيع الأكرم. فقال من حوله: لم ذلك يا أخا فزارة؟ فقال: ألسنا الدعائم التى لا ترام، والعز الذى لا يضام. قيل صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهمُ فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة والفخار والحسب الذى بناه لقيس فى القديم رجالها

وقال أبيات أخرى وجلسوا.

فقام الأشعث الكندى فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر، وأنا لغياث الكربات ومعدن المكرمات. قالوا: ولم يا أخا كندة؟ قال: لأننا ورثنا ملك كندة واستظللنا بفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بجوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

[٢٩]

إذا قست أبيات الرجال بيتنا وجدت لنا فضلاً على من يفاخر
فمن قال كلا أو أنانا بحطة ينافرنا فيها فتحن نحاطر
تعالوا قفوا كى تعلم الناس أننا له الفضل فيما أورثته الأكابر

(١) أسن: ضوء، ص ٩٥.

(٢) مآثر: السابق، نفسه.

ثم قام بعده بسطام الشيباني فذكر مآثر قومه وتكلم شاعرهم بما يليق، ثم قام حاجب بن زرارة اليمنى وشاعرهم فتكلما بمثل ما تقدم، ثم قام قيس بن عاصم وشاعرهم فأتيا بمثل ذلك. فقال كسرى: ليس منهم إلا سيداً يصلح لمكانه. وأسنى عطاءهم^(١) وأعظم صلاتهم. فإذا علم كاتم السر أيام العرب وما وقع فيها من حرب ومفاخرة ومن فقد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومفلقى شعرائها وما وقع بينهم كان مستعداً لما يستشهد به كما قال أبو تمام يمدح بني شيبان:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم رماح الذين استهونوا^(٢) قوس حاجب

يشير بذلك إلى أن حاجب بن زرارة وفد على كسرى في سنة مجدبة، فلما وقف بباب كسرى قال له الحاجب: من أنت؟ فقال: رجل من العرب. فأذن له بالدخول، فلما دخل على كسرى قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب وسيد بني تميم. فقال: ألم تقل بالباب إنك رجل من العرب! فقال: كنت بالباب رجلاً منهم فلما كنت بجانبك سدقتم. فقال: زوه^(٣). فملاً فاه درأ، ثم قال له: بم جئت الآن؟ فشكى إليه محل الحجاز وطلب منه حمل ألف بعير بُرا، على أن يبعث له ثمنها حين وصوله إلى الحجاز، فقال له كسرى: وما ترهنني على ذلك؟ قال: ها^(٤) قوسى. فاستعظم كسرى هتمه لذلك وأمر له بطلبه، فأخذها وتوجه بها إلى بلاده، فمات بعد ذلك، فاجتمع أولاده وجمعوا المال وأحضروه إلى كسرى وطلبوا قوس أبيهم منه، فافتخرت بني تميم بذلك بين العرب، فأشار أبو تمام في شعره بهذه القصيدة^(٥) ليظهر موافقتهم إلى غير ذلك من الوقائع والماجريات التي لا تنحصر ولا تضبط.

(١) حياءهم: السابق، نفسه.

(٢) استرهنوا: ضوء، ص ٩٥.

(٣) ساقطة من ضوء.

(٤) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٥) الصواب: القضية، ضوء، ص ٩٦.

القسم الثاني

في معرفة التاريخ

القسم الثاني

في معرفة التاريخ

ليطلع على الحوادث ووقائع الأمور ويصور ذلك في فكره ليحتج بكل واقعة منها في موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها وقت الحاجة إليها

[٢٩ ب] واعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له، ومن أهم ما يحتاج إليه كاتب السر من ذلك تاريخ الإسلام ومعرفة الأوائل ونوادير الأمور ولطائف الجريات وسير الخلفاء والسلاطين والملوك وأرباب الدول ليظهر لسلطانه ما وقع من محاسن السلف، وقد أوردت هنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما تيسر من ذلك لتوصل منه إلى قصده وجعلته سبعة أبواب:

[الباب الأول]

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن يشرف به

نسبه الكريم:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر^(١) بن نزار بن معد بن عدنان. هذا هو المتفق عليه، وما فوق عدنان إلى آدم خلاف. وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

مولده يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من عام الفيل على الصحيح، وقيل ثانيه وقيل ثالثه، وقيل غير ذلك. حملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وقيل غير ذلك. وليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام اضطرب إيوان كسرى حتى سمع صوته، وسقط منه أربع عشرة شرافة، وخدمت نار فارس ولم تخمد قبل ذاك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة.

وأرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب الهذلية، ورأت [من] معجزاته ما لا يحصر، وعندها شق صدره وملئ حكمة وإيماناً بعد أن استخرج حظ الشيطان منه.

(١) القلقشندي: صح، ج ١، ص ٣٥٨؛ مجهول: جواهر السلوك، ورقة ٤ أ.

وحضنته أم أيمن بركة الحبشية، وكان ورثها من أبيه، فلما كبر أعتقها [٣٠ أ] وزوجها زيد بن حارثة.

وتوفى أبوه وهو حمل، وقيل وله شهران، وقيل سبعة وقيل ثمانية وعشرون شهراً، وماتت أمه وهو ابن أربع وقيل ست سنين، وكفله جده عبد المطلب فلما بلغ ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام توفي عبد المطلب فوليه عمه أبو طالب، ولما بلغ اثني عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، فلما وصل إلى بصرى رآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده وقال: هذا رسول رب العالمين إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإنا نجد في كتبنا. وقال لأبي طالب: لئن قدمت به إلى الشام لتقتلنه اليهود. فردّه خوفاً عليه منهم.

ثم خرج مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوجها فترّل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتد الحر نزلنا ملكان يظلاله. ولما رجع من سفره ذلك تزوج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، وقيل غير ذلك.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، ووضع الحجر الأسود بيده. ولما بلغ أربعين سنة ويوماً بعثه الله بشيراً ونذيراً فاتاه جبريل عليهما السلام وهو يتعبد بغار حراء فقال: اقرأ، فقال ما أنا بقارئ، قال عليه السلام: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فقال في الثالثة: اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله علم الإنسان ما لم يعلم.

وكان مبدأ النبوة يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول فحسدوه أهل مكة وحاصروه في الشعب فأقام محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته، ثم خرج من الحصار وعمره تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً مات عمه أبو طالب، وماتت خديجة بعد أبي طالب [٣٠ ب] بثلاثة أيام.

ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس، ثم أوتي له بالبراق فركبه ثم

عرج به إلى السماء واخترق السماوات السبع إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى ورأى ربه، وفي تلك الليلة فرضت الصلاة خمساً.

ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنة هاجر من مكة إلى المدينة في يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الاثنين فأقام بها عشر سنين إلى أن انتقل إلى ربه واختار الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم.

[غزواته]، وكانت غزواته في هذه المدة خمساً وعشرين غزوة وقيل سبع وعشرين:

أولها: غزوة الأبواء، وهي غزوة ودان، وكانت في صفر في السنة الأولى

وفي السنة الثانية في شهر ربيع الأول غزوة بواط، وفي جمادى الآخرة غزوة ذي العشيرة، وفي سابع عشر رمضان يوم الجمعة كانت غزوة بدر الكبرى، وفي شهر شوال غزوة بني قينقاع، وفي شهر ذي الحجة غزوة السويق.

وفي السنة الثالثة في المحرم غزوة قرقرة الكدر، وفي ربيع الآخر غزوة غطفان، وفي جمادى الأولى غزوة بني سليم ببحران، وفي سابع شوال غزوة أحد وفيه أيضاً غزوة حراء الأسد. وفي السنة الرابعة، في ربيع الأول غزوة بني النضير، وفيه غزوة بدر الصغرى، وفي شهر ذي القعدة غزوة ذات الرقاع.

وفي السنة الخامسة، في شهر ربيع الأول غزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق، وفي شعبان غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، وفي ذي القعدة غزوة بني قريظة. وفي السنة السادسة، في شهر ربيع الأول غزوة بني لحيان، وفيه غزوة الغابة وهي ذو قرد^(١)، وفي ذي القعدة غزوة الحديبية.

وفي السنة السابعة، في المحرم غزوة خيبر وقيل كانت في جمادى الأولى.

وفي السنة الثامنة، في شهر رمضان غزوة الفتح، وفي شوال غزوة حنين، وفيه [٣١ أ] أيضاً غزوة الطائف.

وفي السنة التاسعة، غزوة تبوك في ثلاثين ألفاً معهم عشرة آلاف فرس وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم، قاتل منها في سبع وهي بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة، وبني

(١) هي بئر ماء على بعد ليلتين من المدينة. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٧٦٠.

المصطلق، وخيبر والطائف، وقيل قاتل أيضاً بوادى قرى والغابة، وبنى النصير، وكانت بعوثه نحرًا من خمسين.

وحج عليه السلام بعد أن فرض الحج حجة واحدة وقبل ذلك مرتين، وخرج في حجة الوداع بعد أن ترجل وادهن وتطيب فبات بذى الحليفة وقال: أتاني الليلة آت فقال صل في هذا الوادى المبارك وقل عمرة في حجة. فأحرم بهما قارناً ودخل مكة بكرة يوم الأحد من كداء من الثنية العليا وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً، ثم أمر من يسوق الهدى [ففتح] ^(١) الحج إلى العمرة ونزل بأعلى الحجون، فلما كان يوم التروية توجه إلى منى فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات بها وصلى بها الصبح، فلما طلعت الشمس سار إلى عرفة وضربت قبة بنمرة فأقام بها حتى زالت الشمس فخطب الناس وصلى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم راح إلى الموقف فلم يزل يهلل ويكبر حتى زاغت الشمس، ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلى الصبح ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر، ثم دفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات وثلاثة أيام التشريق كان يرمى في كل يوم منها بالجمرات الثلاث ماشياً بسبع سبع يبدأ بالذى يلي الخيف، ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ولحر يوم نزوله منى وأفاض إلى البيت وطاف به سبعا، ثم أتى السقاية فاستقى ثم رجع إلى منى، ثم نفر في اليوم الثالث فزل الخصب وأعمر عائشة من التنعيم، ثم أمر بالرحيل ثم طاف للوداع وتوجه إلى المدينة، وأما عمره فأربع كلها في ذى القعدة.

وصفته صلى الله عليه وسلم، كان ريع القامة بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مشرب الحمرة، يبلغ شعره [٣١ ب] شحمة أذنيه، ولم يبلغ الشيب في لحيته ورأسه عشرين شعرة، ظاهر الوضأة متألئى وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سمي وعلاه البهاء، أجهل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، واسع الجبين، أزج ^(٢) الخواجب في غير قرب، أفنى ^(٣) العرنين ^(٤)، سهل الخدين ^(٤)، ضليع

(١) كذا في الأصل.

(٢) أزج الخواجب: هو تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد. ابن منظور: السابق، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٣) العرنين هو الأنف، والقفى في الأنف هو طوله ورقة أرنبته. السابق، ج ١٥، ص ٢٠٣.

(٤) أى غير مرتفع الوجنتين. السابق، ج ٢، ص ٥٣.

الفم^(١) أشنب^(٢)، مفلج^(٣) الأسنان، بين كتفيه خاتم النبوة لم ير قبله ولا بعده أحسن منه بل ولا من يماثله أو يقاربه.

ومن أسمائه، قال صلى الله عليه وسلم: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي أحشر الناس، وأنا العاقب ولا نبى بعدى، وأنا المقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة، وفي صحيح مسلم ونبي الملحمة وسماه الله في كتابه بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورحمة للعالمين، ومحمداً وأحمد وطه ويس، ومزملاً ومدثراً وعبداً في قوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(٤)، وعبد الله في قوله ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾^(٥)، ونذيراً ميناً في قوله ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْأَبِينُ﴾^(٦)، ومذكراً في قوله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٧)، وغير ذلك، وأكثر هذه الأسماء صفات.

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت " كان خلقه القرآن "، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمت الله فينتقم لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد، وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم، ما سئل شيئاً فقال لا، ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يأخذه فجاءه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لم يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام فيقترض.

وكان أصدق الناس لهجة [٣٢ أ]، وأوفاهم بزمة وألينهم عريكة، وأوفاهم عشيرة، وأحلم الناس وأشد حياء من العذراء في خدرها، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، وكان أكثر الناس تواضعاً بحيث من دعاه من غنى أو فقير أو حر أو عبد [أجابه]، وكان أرحم الناس يصفى الإناء للهرة وما يرفعه حتى تروى رحمة لها،

(١) أى واسع الفم. ابن منظور: السابق، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٢) أشنب من الشنب وهو البياض والبريق وذلك تحديداً في الأسنان. السابق، ج ١، ص ٥٠٧.

(٣) هي الفرجة بين الثنايا والرباعيات من الأسنان. السابق، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٤) الإسراء، الآية ١.

(٥) الجن، الآية ١٩.

(٦) الحجر، الآية ٨٩.

(٧) الغاشية، الآية ٢١.

وكان أغضب الناس وأشدّهم إكراماً لأصحابه، لا يمدّ رجله بينهم ويوسع لهم إذا ضاق المكان، ولم تكن ركبته تتقدمان ركبة جلسيه، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وأن أمر تبادروا لأمره، يبدأ من لقيه بالسلام من المسلمين، ويتجمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم، فمن مرض عاده ومن غاب دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له، ومن كان يتخوف أن يكون وجد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه في منزله، ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم، ويتألف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل، ولا يطوى بسرّه عن أحد ولا يحفو عليه، ويقبل معذرة المعتذر إليه، والقوى والضعيف عنده في الحق سواء، ولا يدع أحداً يمشى خلفه ويقول: خلّو ظهري للملائكة، ولا يدع أحداً يمشى معه وهو راكب حتى يحمّله فإن أبي قال تقدمني إلى المكان الذي يريد، ويخدم من خدمه، وله عبيد وإماء لا يترفع عليهم في مأكّل ولا مشرب ولا ملبس، قال أنس: خدمته نحواً من عشر سنين فو الله ما صحبته في حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، ولا قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا، ولا شيء لم أفعله ألا فعلت كذا، وكان عليه السلام في سفر فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل يا رسول الله على ذبحها، وقال آخر على طبخها [٣٢ ب] فقال صلى الله عليه وسلم وعلى جمع الخطب، فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال علمت أنكم ستكفونني ولكن كرهت أو قال أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام وجمع الخطب. وكان في سفر فزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً فقبل يا رسول الله أين تريد فقال أعقل ناقتي، فقالوا نحن نعقلها فقال: لا يستعن أحدكم بالناس ولو في قصمة من سواك.

ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر وإذا جلس إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى ليحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، وإذا أجلس أحدهم لم يقم عليه السلام حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ولا يقابل أحداً بما يكره، ولا يجزى السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح، وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يعظم النعمة وإن قلت لا يذم منها شيئاً، ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسماً وأحسنهم بشراً، لا يمضي له وقت في غير عمل لله أو فيما لا بد منه، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه،

يخسف نعله بيده ويرقع ثوبه ويركب الفرس والبغل والحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره،
يسمح وجه فرسه بطرف كفه أو بطرف رداءه.

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة، وإذا جاء ما يحب قال الحمد لله رب العالمين، وإذا جاء ما يكره قال الحمد لله على كل حال، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة يكثر الذكر ويطول الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة، وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز كآزيز الرجل من البكاء، وكان يصوم الاثنين [٣٣ أ] والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء، وقل ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان، وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً لوحي، إذا نام نفخ ولا يغط، وإذا رأى في منامه ما يكره قال هو الله لا شريك له، وإذا أخذ مضجعه قال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك، وإذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، وكان لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية ويكافئ عليها، ولا سابق في مأكله، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وأتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها واختار الآخرة، وأكل الخبز بالخل وقال نعم الإدام الخل، وأكل لحم الدجاج ولحم [الجبدي] وكان يحب الدباء والذراع من الشاة، وقال كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة.

وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب، وقال برد هذا يطفى حر هذا، وأكل التمر بالزبد، ويحب الخلوى والعسل ويشرب قاعداً وربما شرب قائماً، ويشرب ثلاثاً مثباً للإناء، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه، وشرب لبناً فقال من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيراً منه، وقال ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن، وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنق في ملبس، وأحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض، وأحب الثياب إليه القميص، ويقول إذا لبس ثوباً استجده اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له. وتعجبه الثياب الخضراء وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفه بين كتفيه ويصلي، وكان يعتم ويلبس خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله في خنصره الأيمن، وربما في الأيسر، ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويقول: إن الله جعل لذتي في النساء والطيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة. وكان يتطيب بالغالية [٣٣ ب]

وبالمسك أو المسك وحده، ويتبخر بالعود والكافور، ويكتحل بالإثمد^(١) واكتحل ثلاثاً في اليمين واثنين في اليسار، وربما اكتحل وهو صائم، ويكثر دهن رأسه ولحيته، وادهن عباً واكتحل وترأً، ويحب التيمن في ترجمه وتنعله، في ظهوره وفي شأنه كله، وينظر في المرأة ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمرأة والمكحلة والمشط والمقراط والسواك والإبرة والخيط، ويستاك في الليل ثلاث مرات، قبل النوم وبعده وعند القيام لورده وعند الخروج إلى صلاة الصبح، وكان يحتجم.

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً، جاءته عجوز فقالت: يا رسول الله احملي على جمل، فقال: أحملك على ولد الناقة، قالت: لا يطيقني، فقال لها الناس وهل الحمل إلا ولد الناقة.

وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض وهو يدعوك، فقال: لعل زوجك الذي في عينيه بياض، فرجعت وفتحت عيني زوجها فقال: مالك؟ فقالت: أخبرني رسول الله عليه وسلم أن في عينيك بياض. فقال: وهل أحد إلا وفي عينيه بياض.

وقالت أخرى: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت المرأة وهي تبكي، فقال عليه السلام أخبروها أنها لا تدخل الجنة وهي عجوز، إن الله يقول ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾^(٢).

إلى غير ذلك مما لا يحصر، قال عز وجل في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

ذكر زوجاته صلى الله عليه وسلم، أولهن خديجة بنت خويلد، وقد تقدم ذكرها، ثم سودة بنت زمعة بن قيس، وكبرت عنده فأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وقالت: لا حاجة لي بالرجال وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك يا رسول الله.

ثم عائشة وتكنى أم عبد الله وأم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، تزوجها بمكة قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث وهي بنت ست أو [٣٤ أ] سبع سنين وبني بها

(١) الإثمد: قيل هو حجر يتخذ منه الكحل، وقيل هو نوع من الكحل، وقيل هو الكحل نفسه. ابن منظور:

السابق، ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) الواقعة، الآية ٣٥ - ٣٧.

(٣) القلم، الآية ٤.

بالمدينة وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ولم يتزوج بكرًا غيرها.

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب، روى أنه طلقها فول جبريل عليه السلام وقال له إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وفي حديث قال رحمه ^(١) لعمر.

تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب وهي بالحبيشة وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار وولى نكاحها عثمان بن عفان، وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت عام أربع وأربعين.

وتزوج هند بنت أبي أمية بن المغيرة وتكنى أم سلمة ماتت عام اثنتين وستين، وهي آخرهن موتًا، وقيل ميمونة. وتزوج زينب بنت جحش بن رثاب وهي ابنة عمته آمنة ^(٢)، توفيت بالمدينة سنة عشرين وهي أولاهن وفاة وهي أول من حل على نعش.

وتزوج صفية بنت حيى بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الحزرج النضرية من ولد هارون عليه السلام، سبيت من خير فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة خمسين.

وتزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق، سبيت في غزوة بنى المصطلق فوقعت لثابت بن قيس فكاتبها فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابها وكانت امرأة ملاحه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك أؤدى عنك كتابك وأتزوجك فقبلت فقضى عنها وتزوج بها، وتوفيت سنة ست وخمسين.

وتزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن، وهي آخر من تزوج، وتوفيت عام إحدى وخمسين وقيل عام ست وستين فإن ثبت كانت آخر من مات منهن.

هؤلاء الذى مات عنهن غير خديجة، وتزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وماتت.

وتزوج فاطمة بنت [٣٤ ب] الضحاك، وخبرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها، ثم كانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول أنا الشقية اخترت الدنيا.

(١) في الأصل ناقصة ولكنها موجودة على هامش الصفحة.

(٢) الصواب: أميمة، النويري: نهاية الأرب، ج ١٨، ص ١٨٠؛ ابن كثير: البداية، ج ٥، ص ٢٩٥.

وتزوج إساف أخت دحية الكلبي، وتزوج خولة بنت الهذيل، وقيل بنت حكيم وهى التى وهبت نفسها له، وقيل تلك أم شريك، وتزوج أسماء بنت كرب الجوينية، وتزوج عمرة بنت يزيد وطلقها قبل الدخول، وتزوج بامرأة من غفار فرأى منها بياضاً فألحقها بأهلها، وتزوج بامرأة تيمية فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال منع الله عائذة الحقى بأهلك، وتزوج عالية بنت ظبيان وطلقها حين أدخلت عليه، وتزوج بنت الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها، وتزوج مليكة اللبية، فلما دخل عليها قال هبى لى نفسك، قالت: وهل تهب المليكة نفسها للسوقة فسرحتها.

وخطب امرأة من " مرة " فقال أبوها إن بها برصاً ولم يكن فرجع فإذا هى برصاء، وخطب امرأة من أبيها فوصفها له وقال أزيدك أنها لم ترض قط، فقال ما لهذه عبد الله من خير فتركها، وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة إلا صفية وأم حبيبة.

ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم، وهم القاسم وبه كان يكنى، رزقه من خديجة رضى الله عنها، وعبد الله ويسمى الطيب والظاهر، وقيل الطيب غير الطاهر، وإبراهيم رزقه من مارية القبطية، وتوفى وعمره سبعون ليلة وقيل سبعة أشهر وقيل ثمانية عشر شهراً، والقاسم والطيب ماتا أطفالاً قبل الإسلام.

والبنات أمامة^(١) ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وأدركن الإسلام وأسلمن وكلهن من خديجة وممن فى حياته إلا فاطمة عاشت بعد وفاته ستة أشهر.

وكانت زينب عند أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس فولدت علياً مات صغيراً، وأمامة تزوجها على ثم خلف [٣٥ أ] عليها المغيرة بن نوفل فولدت له يحيى.

وفاطمة تزوجها على فولدت له الحسن والحسين ومحسن، فمات محسن صغيراً، وولدت له زينب وأم كلثوم فماتت قبل البلوغ وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له زيداً وخلف عليها بعده عون بن جعفر ثم أخوه محمد ثم أخوه عبد الله.

(١) الصواب: زينب، ويبدو أنه أخطأ فى النقل عن مصدره، وذلك أن أمامة هى ابنة زينب ابنة الرسول التى تزوجها الإمام على بن أبي طالب بعد السيدة فاطمة الزهراء، انظر: النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢١١؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٢٩٣.

وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بالفتح يوم بدر، فتزوج أختها أم كلثوم وماتت عنده في شعبان سنة تسع، وكانت قبله عند عتيبة، ورقية كانت عند عتبة ابني أبي لهب.

ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم، وهم الحارث، وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى وعبد الكعبة، وحجل واسمه المغيرة وضرار والغنداق، وصفية، وعاتكة، وأروى، وآمنة^(١) وبرة، وأم حكيم البيضاء، أسلم منهم حمزة والعباس وصفية.

ذكر مواليه صلى الله عليه وسلم، وهم زيد بن حارثة، وأعتقه وابنه أسامة، وثوبان بن بُوْجْدُد^(٢)، وأبو كبشة سليم^(٣) شهيد بدر وأعتقه، وشقران^(٤) واسمه صالح قيل ورثه من أمه، وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف، ويسار نوبى قتله العرنيون^(٥)، وأبو رافع أسلم^(٦)، وهبه

(١) الصواب: أميمة، انظر ص ١٨٨ هـ ٢.

(٢) والصواب بجدد، النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٢٩؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣١٤، وثوبان من موالى رسول الله، قيل أنه من حير اشتراه ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، توفي بمحصر سنة ٥٤ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ١، ص ٢١٨؛ ابن قانع: السابق، ج ١، ص ١١٩، ت رقم ١٢١؛ ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٤١٣، ت رقم ٩٦٨.

(٣) هو أبو كبشة سليم مولى رسول الله، وقيل سلمة، وقيل أوس، شهد بدرًا، توفي عام ١٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٦٤٨، ت رقم ١٠٥٠، ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٣٤٢، ت رقم ١٠٤٤٣. (٤) شقران مولى رسول الله ويقال أن اسمه صالح بن عدى، وكان حبشياً يقال أن عبد الرحمن بن عوف أهده للرسول، ويقال اشتراه منه، ويقال أن الرسول ورثه من أبيه. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٧٠٩، ت رقم ١٢٠٠؛ ابن قانع: السابق، ج ١، ص ٣٤٨، ت رقم ٤٣٩؛ ابن حجر: السابق، ج ٣، ص ٣٥١، ت رقم ٣٩٢٠.

(٥) هم نفر من قبيلة قيس كبة من بجيلة، النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٣٠؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣٢١ هـ ١.

(٦) هو إبراهيم أبو رافع مولى الرسول، يقال إن اسمه أسلم. ابن عبد البر: السابق، ج ١، ص ٨٣؛ ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٢٠، ت رقم ٩.

له العباس فأعتقه حين بشر بإسلام العباس وزوجه سلمى أمته فولدت عبيد الله كتب لعلی، وأبو مويهبة^(١) وأعتقه وقضا له، مات بالشام، ورافع^(٢) مولى سعيد بن العاص فأعتقه، ومدعم^(٣) وهبه له رفاعه الجذامي^(٤) قتل بوادی القرى، وكركلة^(٥) نوبی أهداه له هوزة بن علی وأعتقه، وزید جد هلال بن بساف، وعبيد^(٦)، وطهمان^(٧)، أمايور^(٨) القبطی من هدية المقوقس،

(١) ويقال له أبو مويهبة، وأبو مهيبة، من موالی رسول الله. ابن عبد البر: ج ٤، ص ١٧٦٤، ت رقم ٣١٩٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٣٩٣، ت رقم ١٠٥٨٩.

(٢) رافع مولى رسول الله، يكنى بأبي البهي. ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٤٧، ت رقم ٢٥٥٣.

(٣) هو مدعم الأسود مولى رسول الله، قيل أهداه للرسول فروة بن عمر الجذامي، قيل استشهد في غزوة خيبر. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٤٦٨، ت رقم ٢٥٣٨؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٦٠، ت رقم ٧٨٦١.

(٤) هو رفاعه بن زيد بن وهب الجذامي أسلم بعد صلح الحديبية وحسن إسلامه. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٥٠٠، ت رقم ٧٧٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٩٠، ت رقم ٢٦٦٩.

(٥) والصواب كركرة، النويري: السابق، ج ١٨ ص ٢٣١؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣١٩. وكركرة مولى نوبی كان يمسك دابة الرسول عند القتال في خيبر، يقال أنه توفي في عهد الرسول وكان لا يزال مملوكاً. ابن حجر: السابق، ج ٥، ص ٥٨٧، ت رقم ٧٤٠٥.

(٦) هو أحد موالی رسول الله. ابن قانع: السابق، ج ٢، ص ١٨١، ت رقم ٦٧٠.

(٧) ويقال له ذكوان، أحد موالی رسول الله. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٧٧٥، ت رقم ١٢٩٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٠٦، ت رقم ٢٤٤١.

(٨) أسمه مأبور القبطی، النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٣٢؛ ابن كثير: السابق، ج ٥، ص ٣١٩. وهو من أقرباء السيدة مارية القبطية. ابن حجر: السابق، ج ٥، ص ٦٩٩، ت رقم ٧٥٨٧.

وهشام^(١)، وأبو ضميرة^(٢) من الفيء وأعتقه، وحنين^(٣)، وعسيب^(٤) واسمه أحر، وأبو عبيد^(٥)، ومهران بن فروخ^(٦) واسمه أيضاً تاج [٣٥ ب] كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وسلم حياته، فقال لو لم تشرطني على ما فارقت، وأبو هند^(٧) وأعتقه، وأنجشة الحادي^(٨) وأعتقه، وعدوا أكثر من ذلك.

- (١) أحد موالى رسول الله. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٥٤١، ت رقم ٢٦٨٨؛ ابن قانع: السابق، ج ٣، ص ١٩٥، ت رقم ١١٧١؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٥٤٦، ت رقم ٨٩٨٢.
- (٢) هو أبو ضميرة الحميري، مولى رسول الله، وقيل اسمه سعد وقيل روح. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٦٩٥، ت رقم ٣٠٥١؛ ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٢٢٦، ت رقم ١٠١٥٤.
- (٣) كان عبداً وخادماً للرسول، وهبه الرسول لعمه العباس فأعتقه، وقيل إنه مولى لعلى بن أبي طالب. النويري: نهاية، ج ١٨، ص ٢٣٢.
- (٤) ذكر ابن كثير ١، أسمه عسيب أو عثيب والثاني أصح، السابق، ج ٥، ص ٣٢٢. ومعروف بكنيته أبو عسيب، وهو من موالى الرسول، وقيل من موالى زوجه أم سلمة. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٧١٥، ت رقم ٣٠٩٢؛ ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٢٧٥، ت رقم ١٠٢٤٧.
- (٥) هو من موالى رسول الله، ولا يعرف له اسم غير كنيته. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٧٠٩، ت رقم ٣٠٧٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٢٦٩، ت رقم ١٠٢٢٤.
- (٦) هو من موالى رسول الله، ولم يعرف اسمه على وجه الدقة، فقيل مهران، أو سفيان، أو سفينة، أو ميمون أو هرمز. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٦٨٤، ت رقم ١١٣٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٢٣٢، ت رقم ٨٢٦٨.
- (٧) أبو هند مولى رسول الله. ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٤٤٨، ت رقم ١٠٦٧٩.
- (٨) الخداء يعنى الغناء. انظر: النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٣٣ هـ ٢. وهو أنجشة الأسود الحبشى، كان حسن الصوت، وكان يسوق الأبل لنساء النبي. ابن عبد البر: السابق، ج ١، ص ١٤٠؛ ابن حجر: السابق، ج ١، ص ١١٩، ت رقم ٢٦١.

ذكر إمامته صلى الله عليه وسلم، وهن سلمى أم رافع^(١)، وبركة حاضنته^(٢) ورثها من أبيه، ومارية القبطية أهداها له المقوقس، وربحانة^(٣) سبية من قريظة، وميمونة بنت سعد^(٤)، وخضرة^(٥)، ورضوى^(٦).

ومن الأحرار، أنس بن مالك^(٧)، وهند وأسماء ابنا حارثة^(٨)، وربيعة بن كعب

(١) هي سلمى أم رافع من موالى رسول الله، وقيل مولاة صفية بنت عبد المطلب. ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٧٠٩، ت رقم ١١٣٢٥.

(٢) هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك، يقال لها أم الطباء، وتعرف بأم أيمن، وقيل كانت أمة لأُم النبي. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٩٢٥، ت رقم ٤١٢٣؛ ابن حجر: السابق، ج ٨، ص ١٦٩، ت رقم ١١٨٩٨.

(٣) هي ربحانة بنت شمعون بن زيد، وقيل زيد بن عمرو، من بنى النضير، وكانت متزوجة رجل من بنى قريظة، سباهها الرسول عند غزوه لبنى قريظة، وظلت عنده في ملك يمينه إلى أن ماتت بعد حجة الوداع، وقيل بل أعتقها الرسول وتزوجها، وقيل بل طلقها. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٨٤٧، ت رقم ٣٣٥٠؛ ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٦٥٨، ت رقم ١١١٩٧.

(٤) هي ميمونة بنت سعد، ويقال سعيد، إحدى موالى النبي، روت عنه عدة أحاديث. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٩١٨، ت رقم ٤١٠١؛ ابن حجر: السابق، ج ٨، ص ١٢٩، ت رقم ١١٧٨٠.

(٥) إحدى إماء النبي المعتقدات، ولها رواية في تفسير سورة التحريم. ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٦٠٩، ت رقم ١١٠٩٥.

(٦) إحدى إماء النبي المعتقدات. ابن حجر: السابق، ج ٧، ص ٦٤٥، ت رقم ١١١٧٢.

(٧) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله، وأحد الصحابة الذين رووا الحديث عن الرسول بكثرة، قطن بالبصرة بعد موت الرسول ومات بها، وكان آخر الصحابة وفاة بالبصرة، توفي عام ٩٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ١٠٩؛ ابن قانع، معجم، ج ١، ص ١٤، ت رقم ١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٢٦، ت رقم ٢٧٧.

(٨) هما هند وأسماء ابنا حارثة بن سعيد بن عبد الله بن غياث الأسلمياني، ولطول ملازمتهم لباب النبي ظنهما البعض من خدمه، توفي أسماء عام ٥٣ أو ٦٦ هـ بالبصرة. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٦٤، ت رقم ١٣٧.

الأسلمي^(١)، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر^(٢)، وبلال، وسعيد، وذو مخمر بن أخى النجاشي^(٣)، وبكر بن شداخ الليثي^(٤)، وأبو ذر الغفاري.

ذكر حرسه، وهم سعد بن معاذ يوم بدر، وذكوان بن عبد قيس^(٥)، ومحمد بن مسلمة^(٦) بأحد، والزبير يوم الخندق، وعباد بن بشر^(٧)، وسعد بن أبي وقاص، وأبو

(١) وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر أبو فراس الأسلمي، كان يخدم رسول الله وبيت عند بابه، وهو من أهل الصفة، توفي بالحرّة سنة ٦٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٩٤، ت رقم ٧٦٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٧٤، ت رقم ٢٦٢٥.

(٢) هو عقبة بن عامر، وقيل عطية بن عامر، أحد الصحابة الرواة عن الرسول. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٦٦٨، ت رقم ٢٩٨٩؛ ابن قانع: معجم: السابق، ج ٢، ص ٢٧٢، ت رقم ٧٩٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ٥١٠، ت رقم ٥٥٧٦.

(٣) ويقال له ذو مخبر الحبشي، ابن أخى النجاشي، قدم على الرسول وخدمه وله حديث رواه عنه، عاش بقية حياته بالشام. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٧٥، ت رقم ٧٢٣؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤١٧، ت رقم ٢٤٧١.

(٤) هو بكر بن الشداخ الليثي، ويقال له بكير، كان ممن يخدمون النبي وهو غلام بعد، شهد فتح العراق. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٣٢٤، ت رقم ٧٢٨.

(٥) هو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الأنصاري الخزرجي، أحد الصحابة الذين استشهدوا في غزوة أحد. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٦٦، ت رقم ٧١٠؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٠٥، ت رقم ٢٤٣٨.

(٦) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى الأوسى الأنصاري، أحد فضلاء الصحابة، استخلفه النبي على المدينة في بعض غزواته، توفي بالمدينة عام ٤٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٣، ص ١٣٧٧، ت رقم ٢٣٤٤؛ ابن قانع: السابق، ج ٣، ص ١٥، ت رقم ٩٥٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٣٣، ت رقم ٧٨١١.

(٧) هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة، من بني عبد الأشهل، أحد الصحابة الذين شهدوا بدرًا، استشهد في اليمامة. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٨٠١، ت رقم ١٣٥٤؛ ابن حجر: السابق، ج ٣، ص ٦١١، ت رقم ٤٤٥٨.

أيوب^(١) بخير، وبلال بواذى القرى، فلما نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ترك الحرس. ذكر رسله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، وهم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فوضع كتاب النبي صلى الله عليه وسلم على عينيه ونزل عن سريره ونزل إلى الأرض وأسلم، وقد تقدم.

ودحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل عظيم الروم فثبت عنده نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بالإسلام فلم يوافقوه الروم فأخافوه على ملكه فأمسك. وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز ملك فارس فمزق الكتاب، فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه كل ممزق، فما انتظم له بعدها أمر. وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس بمصر، فقارب الإسلام وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية المتقدم ذكرها وسيرين والبغلة الشهباء دلدل، قيل وألف دينار وعشرين ثوباً من الخز.

وعمر بن العاص إلى جيفر وعبيد بن الجندى^(٢) ملكى عمان فأسلما وخلياً بين عمرو وبين الصدقة، فلم يزل حتى توفى النبي صلى الله عليه وسلم [٣٦ أ] عليه وسلم. وسليط بن عمر العامري^(٣) إلى هوزة بن على صاحب اليمامة فأكرمه، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، أنا خطيب قومي وشاعرهم فاجعل لى بعض الأمر. فأبى عليه السلام، ولم يسلم هوزة.

(١) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف الأنصارى الخزرجى، المعروف بأبى أيوب الأنصارى، نزل عليه الرسول بعد هجرته إلى المدينة، وكان من الصحابة المقربين إليه، شهد الغزوات كلها، وشهد الفتوح، وتوفى فى حصار القسطنطينية عام ٥٢ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٢٤، ت رقم ٦٠٠؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٢٣٤، ت رقم ٢١٦٥.

(٢) هما جيفر وعبيد بن الجندى الأزدي ملكا عمان، أسلما ولم يريا النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل أن أباهما أسلم أيضاً. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٧٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٥٣٨، ت رقم ١٢٩٨، ص ٥٤٢، ت رقم ١٣١١.

(٣) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم وهاجر المهجرتين. ابن حجر: السابق، ج ٣، ص ١٦٢، ت رقم ٣٤٢٤.

وشجاع بن وهب الأسدي^(١) إلى الحارث بن شمر الغساني ملك البلقاء من الشام، فرمى بالكتاب وقال أنا سائر إليه فمنعه هرقل.

والمهاجر بن أبي أمية المخزومي^(٢) إلى الحارث الحميري باليمن.

والعلاء بن الحضرمي^(٣) إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم.

وأبو موسى الأشعري بعثه إلى اليمن ومعه معاذ بن جبل فأسلم ملوك اليمن وعامة أهله.

وكتابه، فقد تقدم الكلام عليهم في مقدمة الكتاب، وكان على والزبير ومحمد بن مسلمة

وعاصم بن ثابت بن أبي أفلح^(٤) والمقداد^(٥) يضربون الأعناق بين يديه.

والنجباء من أصحابه، أبو بكر، وعمر، وعلي، وحزرة، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد،

وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمار، وبلال.

والعشرة المشهود لهم بالجنة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص،

والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح،

وسعيد بن زيد رضي الله عنهم.

ذكر دوابه صلى الله عليه وسلم، وهي عشرة من الخيل، على خلاف في ذلك بزيادة أو

نقص، أولها " السكب " ^(٦)، وهو أول فرس ملكه، وكان أغر محجلاً طلق اليمين، له سبحية

(١) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن خزيمعة الأسدي، من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، استشهد باليمامة. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٠٧، ت رقم ١١٩٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٣١٦، ت رقم ٣٨٤٥.

(٢) هو المهاجر بن أبي أمية بن عبد الله بن عمر المخزومي، شقيق أم سلمة زوج النبي. ابن عبد البر: السابق، ج ٤، ص ١٤٥٢، ت رقم ٢٥٠٢؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٢٢٨، ت رقم ٨٢٥٩.

(٣) هو عبد الله بن ضمار بن مالك. ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ١٣٤، ت رقم ٤٧٦٩.

(٤) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، من السابقين من الأنصار. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٧٧٩، ت رقم ١٣٠٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٣، ص ٥٦٩، ت رقم ٤٣٥٠.

(٥) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، الشهير بابن الأسود، أحد الصحابة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، توفي عام ٣٣ هـ. ابن عبد البر: السابق، ج ٣، ص ١٤٨٠، ت رقم ٢٥٦١؛ ابن قانع: السابق، ج ٣، ص ١٠٧، ت رقم ١٠٧٤؛ ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ٢٠٢، ت رقم ٨١٨٩.

(٦) السكب: هو ما يطلق على الجواد السريع العدو. ابن منظور: لسان، ج ١، ص ٤٧٠.

فسابق عليه ففرح النبي صلى الله عليه وسلم عليه به، وكان عليه يوم أحد. و"المرتجز" ^(١) وهو الذى شهد له به خزيمه بن ثابت ^(٢)، و"الليخيف" ^(٣) أهده له ربيعة بن أبي البراء، و"الظرب" ^(٤) أهده له فروة الجذامي ^(٥)، و"الورد" ^(٦) أهده له تميم الدارى، و"الضرس" ^(٧)، و"ملاوح" ^(٨)، و"وسبخة" ^(٩) هجن شقراء ابتاعها من أعرابي من جهينة بعشرين من الإبل، وقيل هو فحل اشتراه من تجار من اليمن فسبق عليه ثلاث مرات [٣٦ ب] فمسح على وجهه وقال ما أنت إلا بجن.

- (١) المرتجز: وسمى الفرس بذلك لجهازة صوته وحسنه. ابن منظور: السابق، ج ٥، ص ٣٥٢.
- (٢) خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصارى الأوسى، وهو الذى شهد للرسول بملكته للفرس ضد الأعرابي، وقد جعل الرسول شهادته تعدل شهادة رجلين، وتوفى في موقعة صفين عام ٣٧ هـ، وكان ممن مع الإمام على بن أبي طالب. ابن عبد البر: السابق، ج ٢، ص ٤٤٨، ت رقم ٦٦٥؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٢٧٨، ت رقم ٢٢٥٣.
- (٣) في هامش الصفحة [الليخيف بفتح اللام وكسر الحاء المهملة، فليل بمعنى فاعل، سمي بذلك لطول ذنبه كأنه يلحف بالأرض يغطيها، وفيه التصغر، وفي صحيح البخارى بالحاء المهملة]. انظر: ابن منظور: السابق، ج ٩، ص ٣١٥.
- (٤) في هامش الصفحة [والظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء بعدها باء موحدة، يسمى بذلك لكبره وسننه، وقيل لقوته وصلابته مأخوذ من الظراب وهى الراوى الصغار]. انظر: ابن منظور: السابق، ج ١، ص ٥٧٠.
- (٥) هو فروة بن عامر الجذامى، أسلم في عهد الرسول وبعث إليه بإسلامه من غير أن يجتمع به، وكان عاملاً للروم على العرب من ميلة معان، وقد قتله الروم بسبب إسلامه، ويقال أن الذى أهده للرسول كان بغلة بيضاء. ابن حجر: السابق، ج ٥، ص ٣٨٦، ت رقم ٧٠٢٤.
- (٦) الورد: هو لون بين الكميث والأشقر. النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٩٩، هـ ١١.
- (٧) هو من الخيل سبي الخلق، وقيل أن هذا الفرس هو نفسه السكب وأن الذى سماه السكب هو الرسول صلى الله عليه وسلم. ابن منظور: السابق، ج ٦، ص ١١٩.
- (٨) ملاوح: هو الفرس الضامر الذى يسمن. ابن منظور: السابق، ج ٢، ص ٥٨٥.
- (٩) هى الناقة ذات الوبر الكثيف. ابن منظور: السابق، ج ٣، ص ٢٤.

ومن البغال ثلاثة، " الدلدل " ^(١) التي أهداها المقوقس وهي أول بغلة ركبت في الإسلام، و" فضة " وهبها ^(٢) من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و" الأيلة " أهداها له ملك أيلة ^(٣). وكان له حمار يقال له " يعفور " ^(٤).

وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئاً، وكانت له عشرون لقحة ^(٥) بالغابة، وأرسل إليه سعد بن عبادة بمهرية ^(٦) من نعم بني عقيل، وكانت له " القصوى " ^(٧)، وهي التي هاجر عليها إلى المدينة، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها، قيل وهي " العضباء " و" الجدعاء"، وكانت سابقاً ثم سبقت فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم " إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه ". وكانت له مائة من الغنم، وشاة يختص بشرب لبنها تدعى " غبيثة " ^(٨)، وكان له ديك أبيض.

(١) هو اسم يطلق على البغال التي لا تنسب إلى الخيول ولا إلى الحمير. ابن منظور: السابق، ج ١١، ص ٢٥٠.

(٢) في النوير: السابق، ج ١٨، ص ٣٠١؛ جواهر السلوك، ورقة ٢٤ ب، أنه وهبها لأبي بكر رضي الله عنه.

(٣) وكان ملك أيلة هو يحنة بن ربيعة. ابن هشام: سيرة، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٤) وقيل أن اسمه عفير وهو تصغير عفر، والعفرة هي الغبرة، واليعفور أى الشديد الغبرة، وقيل هو السريع الحركة مثل الظبي والظبي يسمى يعفور. ابن منظور: السابق، ج ٤، ص ٥٩٠.

(٥) اللقحة: هي الناقة القرية العهد بالنتاج. ابن منظور: السابق، ج ٢، ص ٥٧٩؛ النويري: السابق، ج ١٨، ص ٣٠١، هـ ٢.

(٦) المهرية: من كرائم الإبل تنسب إلى حى مهرة بن حيدان. ابن منظور: السابق، ج ٦، ص ٢٩٠؛ النويري: السابق، ج ١٨، ص ٣٠١، هـ ٣.

(٧) أو القصواء، والقصوى: اسم يطلق على الناقة المقطوع منها طرف أذنها، والتي يقطع من أذنها عامة تسمى الجدعاء، والتي يزيد مقدار القطع فيها على ربع الأذن تسمى العضباء، ومع ذلك لم تكن ناقة رسول الله مقطوعة الأذن وإنما كان ذلك صفة في النوق جميعاً فأخذ اسمها كل هذه الألقاب بدون أن تكون محتصة بصفة منها. انظر: ابن منظور: السابق، ج ١٥، ص ١٨٥.

(٨) الغبيثة: هي الغنم المختلطة اللون فيكون لونها غير. ابن منظور: السابق، ج ٢، ص ١٧١.

ذكر سلاحه صلى الله عليه وسلم، كان له تسعة أسياف، " ذوالفقار " ^(١) من غنائم بدر لبني الحجاج السهميين، ورأى في منامه في ذابته ثلثة فأولها هزيمة فكانت يوم " أحد " . وثلاثة أصابها من بني قينقاع، " القلعي " ^(٢)، و" اللسان "، و" الخنف " ^(٣)، وله " المخدّم " ^(٤)، و" الرسوب " ^(٥)، وسيف ورثه من أبيه، و" العضب " ^(٦) أعطاه له سعد بن عبادة، و" القضيب " ^(٧)، وهو أول سيف تقلد به.

وأربعة رماح " المشى " وثلاثة من بني قينقاع، وعشرة ^(٨) تحمل بين يديه في العيدين، ومحجن ^(٩) بقدر الذراع، ومحصرة ^(١٠) تسمى العرجون، وقضيب ^(١١) يسمى المشقوق، وأربع قسي وجعبة، وترس عليه بمثال عقاب أهدي له فوضع يده على العقاب فذهب، قال أنس بن مالك رضى الله عنه كان نعل ^(١٢) سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيبعته ^(١٣) من فضة، وما بين ذلك حلق فضة، وكان له درعان أصابهما من سلاح بني قينقاع وهما السعدية وفضة، ودرع يسمى ذات الفضول لبسها يوم حنين، ويقال كان عنده درع داود عليه السلام

-
- (١) ذو الفقار هو السيف الذى كان به حفر صغار حسان. النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٩٦، هـ ١.
- (٢) القلعي: هي السيوف المنسوبة إلى منطقة تسمى القلعة في البادية، والقلعي أيضاً يطلق على النوع الجيد من الرصاص شديد البياض. ابن منظور: السابق، ج ٨، ص ٢٩٤.
- (٣) الخنف: بمعنى الموت، وجمعه خنوف. السابق، ج ٩، ص ٣٨.
- (٤) المخدّم من الخدّم وهو القطع، النويري: السابق، ج ١٨، ص ٢٩٧.
- (٥) السيف الرسوب: هو السيف الذى يمضى في الضربة ويغيب فيها. ابن منظور: السابق، ج ١، ص ٤١٨.
- (٦) العضب: هو السيف القاطع. ابن منظور: السابق، ج ١، ص ٦٠٩.
- (٧) القضيب: هو السيف اللطيف الدقيق. السابق، ج ١، ص ٦٧٩.
- (٨) العثرة: هي الرماح، السابق، ج ٤، ص ٥٣٩.
- (٩) هي العصا المعوجة أو العصا معقفة الرأس كالصولجان. السابق، ج ١٣، ص ١٠٨.
- (١٠) المحصورة: هي الشيء الذى يمسكه الرجل من عصا أو قضيب أو غيره، وكانت الملوك تمسكه حين تخطب في الناس. السابق، ج ٤، ص ٢٤٢.
- (١١) القضيب من الرماح هي التي صنعت من غصن غير مشقوق. السابق، ج ١، ص ٦٧٩.
- (١٢) نعل السيف: ما يكون أسفل جفنه من حديد أو فضة أو أسفل القراب. السابق، ج ١١، ص ٦٦٩.
- (١٣) القبيعة: هي التي تكون على رأس قائم السيف، وقيل هي ما تحت شاربى السيف مما يكون فوق الغمد فيجىء مع قائم السيف. السابق، ج ٨، ص ٢٥٩.

التي لبسها لما قتل جالوت، وكان له مغفر يقال له السبوغ^(١)، ومنطقة من أديم فيها حلق من فضة [٣٧ أ] بثلاثة وأبريم، وطرف فضة، وكان لواؤه أبيض.

ذكر أثوابه وأثاثه، ترك يوم مات صلى الله عليه وسلم ثوبى حبرة^(٢) وإزاراً عمانياً، وثوبين صحاريين، وقميصاً صحارياً^(٣)، وآخر سحولياً^(٤)، وجبة يمانية، وخميصة^(٥) وكساء أبيض، وقلانس^(٦) صغار لاطئة^(٧) ثلاثاً وأربعاً، وملحفة موضة^(٨).

وكانت له ربعة^(٩) فيها مرآة، ومشط عاج، ومكحلة، ومقراض^(١٠)، وسواك، وكان له فراش آدم حشوه ليف، وقدر مصب بفضة في ثلاث مواضع، وقدر آخر وتور^(١١) من حجارة، ومخضب من شبه يعمل فيه الحناء والكتم^(١٢) ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة، وقدر من زجاج، ومغتسل من صفر، وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر، ومد وسرير وقطيفة.

(١) الغفر هي كل شيء قد ستر، والمغفر الذى يحمى به العنق وقت الحروب، والسبوغ الذى يغطي كل ما يراد ستره. ابن منظور: السابق، ج ٨، ص ٤٣٣.

(٢) الحبرة ضرب من برود اليمن، وهو ما كان موشياً مخططاً. السابق، ج ٤، ص ١٥٩.

(٣) نسبة إلى صحار بعمان. ياقوت: معجم، ج ٤، ص ١٥٠.

(٤) نسبة إلى قبيلة سحول باليمن، وهو ثوب لا يرم غزله. السابق، ج ٣، ص ١٩٥.

(٥) الخميصة: هي كساء أسود من خز أو صوف مربع له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة. ابن منظور: السابق، ج ٧، ص ٣١.

(٦) قلانس، ومفردها قلنسوة هي لباس للرأس تشبه العمامة. السابق، ج ٦، ص ١٨١.

(٧) هي الجلود المنزوعة على القلانس. السابق، ج ٧، ص ٣٩٦.

(٨) الملحفة الموضة هي الملحفة المصبوغة. السابق، ج ٦، ص ٢٥٤.

(٩) هو إناء ذو شكل مربع. السابق، ج ٨، ص ١٠٧.

(١٠) القرض هو التهذيب، والمقراض ما يهذب به الأظافر. السابق، ج ٧، ص ٢١٦.

(١١) التور: هو إناء معروف تشرب فيه العرب، وقد يتوضئون فيه، مصنوع من صفر [نحاس] أو حجارة. السابق، ج ٤، ص ٩٦.

(١٢) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر اللون يجعل فيه الزعفران. السابق، ج ١٢، ص ٥٠٨.

وخاتم من فضة فصفه منه نقشه محمد رسول الله، وقيل أنه كان من حديد ملوى بفضة^(١)، وأهدى له النجاشي خفين ساذجين^(٢) فلبسهما، وكان له كساء أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهيها علياً فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهي عليه أتاكم على في السحاب، وله ثوبان للجمعة غير الثياب التي يلبسها سائر الأيام، ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء.

ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم، فمنها القرآن الذي أعجز الفصحاء أن يأتيوا بسورة من مثله ولو استعانوا بجميع الخلق، ومنها شق الصدر، وأخباره عن بيت المقدس، وانشقاق القمر، وأن الملائكة من قريش تعاقبوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شأهت الوجوه وحصبهم فما أصاب رجلاً منهم شيء من تلك الحصباء إلا قتل يوم بدر. ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى. ونسج العنكبوت في الغار عليه وما كان من أمر سراقه بن مالك إذ تبعه في الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلد، ومسح على ظهر عناق لم يتر عليها الفحل فدرت، وشاة أم معبد، ودعوته لعمر أن يعز الله به [٣٧ ب] الإسلام فكان، ودعوته لعلي أن يذهب الله عنه الحر والبرد فكان، وتفل في عينيه وهو أرمم فعوفي لساعته ولم يرمد بعدها. ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سألت على خده فكانت أحسن عينيه، ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين فكان. ودعا لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوفاً، ودعا لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد فكانوا، وفي تمر جابر بالبركة فأوفي غير ماؤه وزاد ثلاثة عشر وسقاً، واستسقى عليه السلام ولم تكن في السماء قرعة فأمرت أسبوعاً، ثم استصحوا لهم فأنجبت السحاب، ودعا على عتبة بن أبي لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام، وشهدت الشجرة له بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه للإسلام فقال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: نعم هذه الشجرة، ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها. وأمر شجرتين فاجتمعا ثم افترقا. وأمر إنساناً أن ينطلق إلى نخلات فيقول أمركن رسول الله أن تجتمعن فاجتمعن، فلما قضى حاجته أمره أن

(١) عن خواتم رسول الله وأوصافها. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٤٧٠ - ٤٧٧؛ النويري:

السابق، ج ١٨، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) هو الخف غير المنقوش أو لا شعر عليه، أو على لون واحد لا يخالط سواده لون آخر. النويري: السابق،

ج ١٨، ص ٢٩٢، هـ.

يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن. ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له، قال هي شجرة استأذنت ربها أن تسلم على فأذن لها. وسلم عليه الحجر والشجر ليالي بعث [.....] السلام عليك يا رسول الله، وقال إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، قيل إنه الحجر الأسود. وحن إليه الجذع وسبح الحصاء في كفيه، وكذلك الطعام، واعلمته الشاة بسمها، وشكا إليه البعير قلة العلف وكثرة العمل، وسألته الطبية أن يخلصها من الحبل لترضع ولديها وتعود فخلصها، فأرضعت وعادت ونظقت بالشهادتين. وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه، وأخبر أن طائفة من أمته يغزون في البحر، وأن أم حرام بنت ملحان منهم فكان كذلك [٣٨ أ] وقال لعثمان تصيبه بلوى شديدة فكانت. وقيل قال للأنصار إنكم ستلقون بعدى أثرة، فكانت زمن معاوية. وقال في الحسن أن ابني هذا سيد وأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكانت. وخبر بقتل العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله ومن قتله. وقال لثابت بن قيس تعيش حميداً وتقتل شهيداً فقتل يوم اليمامة^(١). وارتد رجل ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات فقال إن الأرض لا تقبله فكان كذلك. وقال لرجل يأكل بشماله كل يمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد. ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط. وشهد الضب بنبوته. وأطعم ألفاً من صاع شعير بالخنديق فشبعوا، والطعام أكثر مما كان. وأطعمهم من تمر يسير فاكثفوا. وجمع فضل الأزواد على النطع فدعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر فقامت بهم. وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفهن في يده وقال يا رسول الله أدع الله فيهن بالبركة ففعل، قال أبو هريرة فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى ليقطع في زمن عثمان. ودعا أهل الصفة لقطعة ثريد قال أبو هريرة فجعلت أطاول ليدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في حوافها فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعها في أصابعه وقال كل بسم الله فوالذي نفسي بيده ما زلت أكل منها حتى شبع. ونبع الماء من أصابعه حتى شرب القوم وتوضئوا وكانوا ألفاً وأربعمائة. وأتى بقدر فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يسع فوضع أربعة منها وقال هلموا فتوضئوا أجمعين وهم من السبعين إلى

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس من قبيلة الخزرج. ابن حجر: الإصابة،

الثمانين. وورد في غزوة تبوك على ماء لا يروى واحداً والقوم عطاش فشكوا إليه فأخذ سهماً من كنانته فغرسه فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً. وشكى إليه قوم ملوحة [٣٨ ب] ماء فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على نهرهم فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين. وأتته امرأة بصبي لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه لساعته، فسمع أهل اليمن بذلك فأتت امرأة إلى مسيلمة بصبي فمسح برأسه فصلع وبقي الصلع في نسله. وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جدلاً من حطب فصار في يده سيفاً ولم يزل عنده بعد ذلك. وعزت كدية بالخذق أن يأخذها المعول فضرها فصار كتيهاً أهيل. ومسح على رجل أبي رافع وقد انكسرت فكأنه لم يشتكها قط.

ومعجزاته صلى الله وسلم عليه لا تحصر وكتب منها في كتاب واحد ألف معجزة. ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم، توفي وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة على الصحيح، وقيل غير ذلك، يوم الاثنين حين اشتد الضحى لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، ومرض أربعة عشر يوماً ودفن ليلة الأربعاء، ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول اللهم أعني على سكرات الموت، وسجى ببرد حبرة وقيل أن الملائكة سجته.

وكذب بعض أصحابه بموته دهشة، يحكى عن عمر، وأخرس عثمان، وأقعد على ولم يكن أثبت من العباس وأبي بكر، ثم إن الناس سمعوا من باب الحجر لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر، ثم سمعوا بعد ذلك غسلوه فأن ذلك إبليس وأنا الخضر وعزاهم فيه، وقال أن في ذلك عزاء من مصيبة وخلفاء من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب.

واختلفوا في غسله هل يكون في ثيابه أو يجرد عنها فوضع الله عليهم النوم فقال قائل لا ندرى من هو: اغسلوه في ثيابه. فانتبهوا وفعلوا ذلك، والذي ولى غسله على والعباس وولده الفضل، وقثم^(١)، وأسامة وشقران مولياه، وحضرهم أوس بن حولى من الأنصار، ونفضه على

(١) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، كان ورعاً تقياً، أخو الإمام الحسن من الرضاع، استشهد في فتح سمرقند. ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ٣٦٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٥، ص ٤٢٠، ت رقم ٧٠٨٦.

فلم يخرج منه شيء، فقال صلى الله عليك لقد طهرت حياً وميتاً، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص [٣٩ أ] ولا عمامة بل لفائف من غير خياطة، وصلى عليه المسلمون أفذاذاً لم يؤمهم أحد، وفرش تحته في القبر قطيفة حمراء كان يتغطى بها نزل بها شقران وحفر له ولحد وأطبق عليه تسع لبنات، واختلفوا أيلحد أم يضرح، وكان بالمدينة حفاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة، والآخر يضرح وهو أبو عبيدة، فاتفقوا أن من جاء منهما أولاً عمل عمله فجاء الذي يلحد فلحد له في [بيت]^(١) عائشة صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً وتكريماً، ثم دفن معه أبو بكر وعمر رضى الله عنهم.

(١) غير موجودة في الأصل والإضافة لتناسق المعنى.

الباب الثاني

في ذكر من ولي الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى آخر دولة الأمويين
أولهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

وأسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة،
مولده بمضى بعد عام الفيل بثلاث سنين، ونشأ بمكة، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن
مات، وأنفق عليه أربعين ألف دينار في حياته، وكراماته كثيرة.

ولما أنتقل النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاة بايع الصحابة أبو بكر بالخلافة في يوم الاثنين
ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاثة عشر^(١) من الهجرة، وكانوا يسمونه خليفة رسول الله، واختلف
في أول من دعاه بذلك، قيل وليد بن ربيعة، وقيل أبو وبرة حين بعثه خالد بن الوليد إلى أبي بكر
يسأله عن حد الخمر.

وكان رحمه الله زاهداً خاشعاً حليماً وقوراً براً رءوفاً شجاعاً كثير الحياء عديم النظر في
الصحابة رضي الله عنهم، وفي أيامه فتحت اليمامة على يد خالد بن الوليد، وجهاز الجيوش لفتح
الشام وقاتل^(٢) الروم، وقاتل أهل الردة حتى أدوا الزكاة فأنه كانت جماعة من العرب ارتدوا
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان نحيفاً، أبيض، خفيف العارضين حتى لا يستملك^(٣) إزاره على حقويه^(٤)، معروق
الوجه، ناتئ^(٥) الجبهة، عارى الأشاجع^(٦).

كان يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم أجرته لقوته، وعند موته قال لابنته
عائشة رضي الله عنها انظري يا بنية ما زاد في بيت المال [٣٩ ب] الذي لأبي بكر منذ ولينا

(١) الصواب: إحدى عشرة.

(٢) وقاتل: الجوهر، ص ٢٨.

(٣) يستملك: الجوهر، ص ٢٩.

(٤) حقويه: خاصرته. ابن منظور: السابق، ج ١٤، ص ١٨٩.

(٥) ناتئ: رقيق عظام الوجه. السابق، ج ٦، ص ٣٢٨.

(٦) والأشاجع ومفردها أشجع، وهي مفاصل الأصابع، وقيل هي رءوس الأصابع، وعارى الأشاجع أى قليل
اللحم عليها. السابق، ج ٨، ص ١٧٤.

هذا الأمر فردوه ^(١) على المسلمين، فو الله ما بلينا ^(٢) من أموالهم إلا ما أكلنا في بطوننا من جريش طعامهم، ولبسنا على ظهورنا من خسيس ^(٣) ثيابهم. فنظرت حين وفاته فإذا بكر وجرد ^(٤) قطيفة لا تساوي خمسة دراهم، فلما جاء الرسول إلى عمر بهما قال له عبد الله ^(٥) بن عوف يا أمير المؤمنين: أتسلبها ولد أبي بكر؟ قال عمر كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر في حياته وأعملها ^(٦) بعد وفاته، فأخذ ثمنهما ورده لبيت مال المسلمين رضى الله عنهم.

مات أبو بكر بالسل ليلة الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة خمس عشر ^(٧) من الهجرة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام، ورثه أبوه أبو قحافة ومات بعده بسنة، وكان نقش خاتمته " نعم القادر الله "، وقيل كان في يده خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما استحضر استخلف على المسلمين.

عمر بن الخطاب:

أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريط بن رزاح بن عدى في اليوم الذى توفى فيه أبو بكر.

وكان طوالاً جسيماً في عارضيه خفة، سبلته ^(٨) كبيرة في أطرافه صهبة ^(٩)، وقيل كان أسمر شجاعاً عظيماً، ذا رأى صائب، ورعاً، زاهداً. قال قتادة كان عمر رضى الله عنه يلبس

(١) الصواب: فرديه، الجوهر، ص ٣٠.

(٢) نلنا: الجوهر، ص ٣٠.

(٣) خشن: الجوهر، نفسه.

(٤) جرد: هو الخلق من الثياب، انظر لسان العرب، ج ٣، ص ١١٥.

(٥) الصواب: عبد الرحمن.

(٦) الصواب: أتملها، الجوهر، نفسه.

(٧) الصواب: ثلاثة عشرة.

(٨) سبلة الرجل ما على الشارب من الشعر، وقيل طرفه، وقيل هي مجتمع الشاربين، وقيل ما هو على الذقن إلى طرف اللحية، وقيل هو مقدم اللحية، وقيل هي اللحية كلها بأسرها. انظر، ابن منظور: السابق، ج ١١، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٩) الصهبة هي الشقرة، والصهبة لون حمرة في شعر الرأس واللحية، وقيل الأصهب من الشعر أن يخالط بياضه حمرة. انظر: ابن منظور: السابق، ج ١، ص ٥٣١.

جبة صوف مرقوعة بجلد فيها ثلاثة عشر رقعة، ويطوف السوق ومعه الدرة فيؤدب الناس، وكان يحمل القرية على كتفه ويتفقد الأرامل، قيل مر ليلة بالمدينة فسمع صغيراً يبكي^(١) وأمه تقول: في ذمة عمر. ففرع الباب ففتحت له فقال لها: أيش^(٢) عمل بك عمر؟ قالت: بعث زوجي في الغزاة ولا عندنا شيء للصغار يومين ما أفطروا على العيش، وليتين أقد النار تحت القدر وأوهمهم أنه عيش حتى يناموا، وقد غلب على وعليهم الجوع.

فبكى عمر بكاء شديداً وقال عمر: يا امرأة من أين يعرف عمر ما في البيوت!، ثم ولى مسرعاً إلى بيت المال وأخذ قطعة من دقيق وشيء من عسل وسمن وحملهم على رأسه، فقال غلامه: يا سيدى دعنى أحمل، فقال: أنا المطالب بذنبهم. [٤٠ أ] وأتى إلى المرأة فقال: قدى^(٣) النار تحت القدر. ففعلت^(٤)، وجعل عمر يتفخ والدخان يطلع من بين شعر لحيته حتى استوت عصيدة فجعلها في قصعة، وصب عليها السمن والعسل، ونهت^(٥) الأولاد فأكلوا، فقال له الغلام: يا سيدى أذهب. فقال: جئت وهم ييكون ولا أذهب^(٦) إلا وهم يضحكون. فما زال حتى سمع ضحكهم. وقال: لو مات جل على جانب الفرات ضياعاً لخشيت أن يسألنى الله عنه يوم القيامة.

وفتح الله له الفتوح، ففي أيامه فتحت دمشق على يد خالد بن الوليد وأبا عبيدة عامر بن الجراح في سنة ثلاثة عشر، وفتح الجابية^(٧)، وبيت المقدس، والقادسية^(٨) من بلاد العجم على

(١) صغاراً يتباكون: الجوهر، ص ٤٠.

(٢) أى شيء: الجوهر، نفسه.

(٣) أوقدى: الجوهر، ص ٤١.

(٤) فأوقدت النار: الجوهر، نفسه.

(٥) وقال لها نهى الأطفال يأكلون فأنهتهم: الجوهر، نفسه.

(٦) أروح: الجوهر، نفسه.

(٧) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان، ياقوت: معجم، ج ٢ ص ٩١ - ٩٢.

(٨) القادسية: مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. السابق، ج ٤ ص ٢٩١.

يد سعد بن أبي وقاص، وفتح سروج^(١) والرها^(٢) ونصيبين^(٣) والرقعة^(٤) والجزيرة^(٥) وعين التمر^(٦) على يد عياض بن غنم^(٧) في سنة ست عشرة، وفتح قيسارية^(٨) على يد معاوية بن أبي سفيان، وفتح مدائن كسرى وثماوند على يد النعمان بن مقرن^(٩)، وفتح مصر ودمياط والإسكندرية وبرقة في سنة إحدى وعشرين على يد عمرو بن العاص، وكذلك طرابلس الغرب وهي أول مدن الغرب، وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر، وفتح كور الأهواز^(١٠) واصطخر^(١١) على يد أبي موسى الأشعري، وفتح همدان^(١٢) وأصبهان^(١٣) على يد عبد الله

(١) سروج: بلدة قريبة من حران. السابق، ج ٣ ص ٢١٦.

(٢) الرها: مدينة بإقليم الجزيرة بين الموصل والشام. السابق، ج ٣ ص ١٠٦؛ وتقع اليوم بتركيا. البلاذري: فتوح، ج ٣، ص ٧٢٦.

(٣) نصيبين: مدينة بإقليم الجزيرة بين الموصل والشام. السابق، ج ٥، ص ٢٨٨. وتقع اليوم بسوريا. البلاذري: السابق، ص ٧٨٦.

(٤) الرقة: هي الأرض التي ينبسط عليها الماء، مدينة مشهورة على نهر الفرات. السابق، ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩؛ وتقع اليوم في سوريا. البلاذري: السابق، ج ٣، ص ٧٢٦.

(٥) الجزيرة هي الأراضي الممتدة بين دجلة والفرات، وفيها ديار مصر، وديار بكر، وتقع اليوم بين سوريا وتركيا والعراق. السابق: فتوح، ج ٣، ص ٧٠٦؛ لي سترانج: بلدان الخلافة، ص ١١٤.

(٦) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة. ياقوت: السابق، ج ٤ ص ١٧٦.

(٧) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد القرشي الفهري، أحد الصحابة الذين اختلف في وقت إسلامهم فليل هاجر المجرتين وشهد بدرًا وأحد، وقيل بل أسلم بعد الحديبية، توفي بالشام عام ٢٠ هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٢٣٤، ت رقم ٢٠١٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٧٥٧، ت رقم ٦١٤٤.

(٨) قيسارية: بلدة على ساحل البحر بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. السابق، ج ٤ ص ٤٢١.

(٩) هو النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ من مزينة، ولاه قيادة المسلمين في ثماوند، وقد استشهد بها عام ٢١ هـ. ابن حجر: السابق، ج ٦، ص ١٨.

(١٠) الأهواز: كورة بين البصرة وفارس. السابق، ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٦؛ وهي اليوم تقع بإقليم خوزستان بإيران. البلاذري: فتوح، ج ٣، ص ٦٩٠؛ لي سترانج: بلدان، ص ٢٦٧.

(١١) اصطخر: إحدى مدن فارس. السابق، ج ١ ص ٢١١.

(١٢) همدان: إحدى مدن فارس. السابق، ج ٥ ص ٤١٠.

(١٣) إصبهان: إحدى مدن فارس. السابق، ج ١ ص ٢٠٦.

الخرزاعي. وفي أيامه دخل معاوية أرض الروم حتى بلغ عمورية، وفتح خراسان وأعمالها في سنة ثلاث وعشرين، وفتح فلسطين وعسقلان. وفي أيامه زالت دولة الفرس.

وعمر البصرة والكوفة في سنة ست عشر^(١)، وعمرت الجيزة بمصر بحفة النيل الغربية بمباشرة عمرو بن العاص في سنة إحدى وعشرين، وعمر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ووسعه في سنة تسعة عشر.

وقد أطاع الله له النار والهواء وكراماته لا تحصر، طعنه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبه فقتله في ذي الحجة لليلة^(٢) بقيت منه سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين ونصفاً، ومات وعمره ثلاثاً وستون سنة.

ولما حضرته الوفاة قال لولده عبد الله انظر ما على من [٤٠ ب] الديون^(٣). فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً، فقال " إن وفي له مال^(٤) أل عمر فأده من أموالهم، وإن لا فسئل^(٥) في بني عدى، فإن لم تف أموالهم فسئل في قريش وأدى^(٦) عني هذا المال. ثم قال " أوصي الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين وأن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً وأن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً "، ثم قضى نحبه رضى الله [عنه]^(٧)، ولما مات أجمع الصحابة على مبايعة.

(١) لقد عمرت البصرة عام ١٤هـ، والكوفة عام ١٧هـ. انظر البلاذري: فتوح البلدان، ج ١ ص ٢٧٤،

(٢) ثلاث يقين منه: الجوهري، ص ٣٨.

(٣) الدين: الجوهري، نفسه.

(٤) دين: الجوهري نفسه، والصواب ما ذكره صاحب التفرغ.

(٥) وإلا فاسأل: الجوهري، نفسه.

(٦) فأد: الجوهري، ص ٣٩.

(٧) ناقصة في الأصل.

عثمان بن عفان:

أبي عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. مولده في السنة السادسة بعد الفيل، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة، وتزوج بابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم - علي ما تقدم - فسمى لذلك ذى النورين، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان لي ثلاثة لزوجتكها.

وكان رجلاً ربيع القامة، حسن الوجه، دقيق البشرة، كبير اللحية، أسمر اللون، ضخيم الكردانين^(١)، بعيد ما بين المنكبين، صواماً قواماً بأسلاً هماماً، ثابت الجنان، جامع القرآن.

بويع بالخلافة يوم السبت غرة الحرم سنة أربع وعشرين، فأشرقت أنواره وارتفع في الدارين مناره، فتح في أيامه سابور^(٢) من بلاد العجم، وإفريقية من بلاد الغرب وقبرص على يد معاوية بن أبي سفيان، وكرمان^(٣) وسجستان^(٤) وفارس الأولى، وفتح جور^(٥) وفارس الآخرة، وطبرستان ودا بجرد^(٦) والأساورة في البحر^(٧)، ثم فتح سورية، وذلّ^(٨) وكابل^(٩)، وهراة^(١٠)، ومرو^(١١)، وساحل بحر الأردن.

(١) الصواب: الكراديس، ابن دقماق: الجوهر، ص ٤٤، والكراديس هي رءوس العظام، انظر، لسان العرب، ج ٦ ص ١٩٥.

(٢) سابور: كورة كبيرة بأرض فارس. ياقوت: معجم، ج ٣ ص ١٦٧.

(٣) كرمان: ناحية كبيرة بين فارس وخراسان. السابق، ج ٤ ص ٤٥٤.

(٤) سجستان: ناحية كبيرة في بلاد فارس. السابق، ج ٣ ص ١٩٠.

(٥) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. السابق، ج ٢ ص ١٨١.

(٦) الصواب: درا بجرد، وهي إحدى مدن فارس. ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٧) يقصد معركة ذات الصواري أو السواري بين المسلمين والبيزنطيين.

(٨) ذلق: أو أذلّ بالفتح ثم السكون وفتح اللام والقاف، إحدى مدن فارس بالقرب من كرمان. السابق، ج ١، ص ١٣٢.

(٩) كابل: أرض كابل بين الهند ونواحي سجستان. السابق، ج ٤ ص ٤٢٦.

(١٠) هراة: مدينة كبيرة من مدن خراسان. السابق، ج ٥ ص ٣٩٦.

(١١) مرو: إحدى مدن فارس. السابق، ج ٥ ص ١١٢.

قتل رحمه الله في ذى القعدة ^(١) سنة خمس وثلاثين للهجرة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنان وعشرون يوماً، ولما قتل أقام مطروحاً إلى الليل فحمله رجل على باب ليدفنه فعرض له ناس ليمنعوه فوجد قبراً محفوراً لغيره فدفنه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم وغيبوا ^(٢) قبره، وبلغ من العمر ثمانين سنة رحمه الله عليه، ثم ولي الخلافة من بعده

على بن أبي طالب:

أبو الحسن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، واسم أبي طالب عبد مناف عم النبي صلى الله عليه وسلم.

سئل الحسن رضى الله عنه عن صفة أبيه فقال " كان رجلاً أسمر ثقیل العينين عظيمهما، ذا بطن، أصلع، ربعة إلى القصر، وإذا ورد عليه مال لا يبقى منه شيئاً ". قال معاوية لضرار: صف لى علياً. قال: أعفى يا أمير المؤمنين. قال: لتصفنه. قال: أما إذا لابد من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة ^(٣)، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ونحن والله مع قربنا له لا نكاد نكلمه هبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، [وأشهد] ^(٤) وقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى [الليل] ^(٥) ستوره وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تلمل السليم ^(٦) ويكي بكاء الحزين ويقول: يا دنیا غری غری، إلى تعرضت؟ أم إلى تشوفت؟ هيهات هيهات قد

(١) ذى الحجة : الجوهري، ص ٤٥.

(٢) غيروا: الجوهري، ص ٤٦.

(٣) الفكر: الجوهري، ص ٥٠.

(٤) ما بين الحاصرتين من الجوهري، ص ٥٠.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهري، نفسه.

(٦) الصواب: السقيم.

باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمركي^(١) قصير، وخطرك حقير، أه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية رضى الله عنه وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها في حجرها.

قال ابن إسحق: لما قتل عثمان سعى الناس إلى دار على فأخرجوه وقالوا لا بد للناس من إمام والأمر فيك فبايعوه، وأول من بايعه طلحة ثم الزبير وسعد بن أبي وقاص، [وتبعه] الصحابة، وكان إصبع طلحة مشلولة فقال بعض الصحابة "يد شلاء وأمر لا يتم".

قتل يوم الجمعة سابع عشر رجب^(٢) الفرد عام أربعين من الهجرة النبوية، ومات بعد يومين، اغتاله عبد الرحمن بن ملجم المرادى سحراً وضربه في [٤١ ب] دماغه بخنجر نحاس. فلما مات صلى عليه ابنه الحسن بالكوفة ودفن في الكوفة بدار الإمارة، قال الواقدي: دفن ليلاً وغيب قبره.

وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل ثمان وخمسون سنة، وتولى الخلافة من بعده ولده

الحسن بن علي:

أبو محمد الحسن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة الصحابة رضى الله عنهم بالكوفة في يوم دفن والده، وسار إلى الشام ليأخذها من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لقصده، فلما تقارب الجيشان رأى الحسن المصلحة في جمع الكلمة فترك القتال وراسل معاوية ليزول له عن الخلافة وأن يكون العهد من بعده له، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجته ففرح معاوية لذلك وأجاب به، فخلع الحسن نفسه وسلم الخلافة لمعاوية ودخل هو ومن معه إلى الكوفة فأعطاه معاوية ألفي ألف درهم، وأصلح الله به بين الفتنتين العظيمتين من المسلمين كما أخبر جده صلى الله عليه وسلم.

(١) الصواب: فعمرك، الجوهر، ص ٥١.

(٢) رمضان: الجوهر، ص ٤٩.

ثم أن الحسن سار بأهله وحشمه إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات في شهر ربيع الأول عام
تسع وأربعين ودفن بالبقيع. قال الشيخ شمس الدين بن خلكان " أن امرأته جعدة بنت الأشعث
سمته فمكث شهرين، وكل يوم ليرفع من تحته كذا وكذا طشتا من دم " (١).
ومن شعره رضى الله عنه:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمساً أرجى قابلاً بعد قابلاً
فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذی أهوى كدحت بطائل
وقد أسرعت في المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت معاجل

(١) ما ذكره صاحب الثغر يتفق في لفظه مع ابن خلكان، على عكس صاحب الجواهر الذي اختصر فيه انظر:

ابن خلكان: وفيات، ج ١ ص ٦٥-٦٩ ت ١٥٥؛ ابن دقماق: الجواهر، ص ٥٥.

الدولة الأموية

معاوية بن أبي سفيان:

ولما تسلم الإمام أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي الصحابي في سنة إحدى وأربعين للهجرة [قال " ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(١) يا معاوية إذا ملكت فأحسن ". فاجتمع له الأمر وهو أول من جلس بين الخطبتين، وقيل أنه أول [٤٢ أ] من اتخذ الخراب في المسجد.

صحب النبي صلى الله عليه [وسلم]، وتزوج بأخته أم حبيبة، وكتب الوحي، وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، واجتمع له الأمر تحت حكمه من حدود بخارى من الشرق إلى حد القيروان من الغرب، وهو الذي ركب البحر، وفتح قبرص وبنى بها جامعاً وهو إلى الآن.

وكان طوالاً أبيض إذا ضحك انقلبت شفته العليا وكان حليماً وقوراً كريماً شجاعاً. توفي بدمشق في يوم الخميس لثمان بقين من شهر رجب، وقيل في نصفه سنة ستين من الهجرة، وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وشهرين، وقيل كان أميراً وخليفة أربعين سنة، وبلغ من العمر ثمانون وقيل خمسة وسبعون سنة، وقبره بالبواب الصغير، ولما توفي ولى الخلافة بعده ولده:

يزيد بن معاوية:

بعهد من أبيه، فأقام فيها إلى [أن] توفي في ربيع الأول عام أربع وستين، وكانت خلافته أربع سنين، ومات وعمره تسع وثلاثون سنة ثم وليها ولده:

معاوية بن يزيد:

في يوم توفي والده فأقام أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر، وقيل عشرين يوماً، خلع نفسه من الخلافة ثم مات بعد أربعين يوماً من خلع نفسه، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، فلما كبر الوليد تكبرتين مات، فأكمل الصلاة مروان بن الحكم، ودفن معاوية إلى جانب أبيه يزيد، ثم ولى الخلافة بعده:

(١) ناقص في الجوهر، ص ٥٧.

مروان بن الحكم:

وكانت المبايعة بالخلافة له بالشام، وعبد الله بن الزبير بمصر والحجاز والعراق، ولم يقيم مروان في الخلافة غير تسعة أشهر، وتوفي عام ست وستين، قيل أن زوجته سمته^(١)، ثم ولى الخلافة بعده ولده:

عبد الملك بن مروان:

بويح بالخلافة بعد موت أبيه بالشام في شهر رمضان سنة خمس وستين، وفي أيامه كانت الدواوين رومية وفارسية وقبطية فحولهم إلى العربية. توفي في شوال سنة ست وثمانين للهجرة، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وخلف سبعة عشر ذكراً، ولما مات تولى بعده ولده:

الوليد بن عبد الملك:

أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان في نصف شوال سنة ست وثمانين، وكان أكبر أولاده، وهو عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحات [٤٢ ب] وأعظمهم نفقة في سبيل الله، [وهو الذي]^(٢) بنى جامع بني أمية فكان فيه حين عمارته اثنا عشر ألف مرخم، وتوفي ولم تتم عمارته فأكملة أخوه سليمان وجعله ما أنفق عليه أربعمئة صندوق في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وكانت فيه ستمئة سلسلة من الذهب برسم القناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز فأمر أن تجعل في بيت المال، وأن يجعل عوضها سلاسل من حديد ونحاس، ولم يطق الناس الصلاة فيه إذ ذاك لكثرة شعاعه وتزخرفه فدخلت حتى اسودت وقبلها البصر.

وعمر مسجد المدينة، وهدم البيوت التي بجوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأدخلها المسجد حتى صار طوله مائتي ذراع وعرضه كذلك، وعمل المنابر، وأغنى المجذومين عن سؤال الناس أوقف عليهم بلداً، وأعطى كل مكسح خادماً يخدمه، وكل ضرير قائداً يقوده ويخدمه. وكان ديناً عالماً كثير التلاوة يختم القرآن في كل ثلاث، وفي أيامه فتح الهند وبعض بلاد الترك وجزيرة الأندلس.

(١) يذكر ابن قتيبة أنها قتيلة خنقاً مع جواربها. الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٦٥.

وكان أسمر طوالاً أفتس بوجهه أثر جدري، شجاعاً مهاباً له همة عالية، وكان سديد الرأي، ولكنه كان أهوج سريع البطش، استعمل الحجاج^(١) على الكوفة والبصرة وعلى مكة، وكان الحجاج سفاكاً للدماء، قيل أحصى من قتله الحجاج صبراً سوى من قتله عساكره فكانوا مائة وعشرين ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس الرجال والنساء في حبس واحد مرخاً من غير سقف ليجدوا فيه شدة الحر والبرد، كان يطوف الليل فإن رأى أحداً بعد العشاء قتله، فبينما هو ليلة يطوف إذ نظر إلى غلامين فقال من أنتما فقالا " أخوان في الإسلام معروفان في الكلام^(٢) كل منا ينطق بلسان صاحبه يفرح لفرحه ويتألم لتألمه^(٣) " فقال لهما انتسبا فقال أحدهما:

أنا ابن الذي لا يزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود
تري الناس أفواجاً إلى باب داره^(٤) فمنهم قيام حولها وقعود
[٤٣ أ] فقال الحجاج لله در أبيك مطعم الطعام، وقال للآخر وأنت فقال:

أنا ابن الذي يعلو الرجال بسيفه ويضرب أعناق الرجال القشاعم
وما ذاك من دخل ولا هو تائر^(٥) ولكنه حاوى الغنى والمكارم

فقال الحجاج لله در أبيك ثم مضى ولم يتعرض لهما فلما كان الغد دخل إليه أيوب بن القرية فذكر له ذلك فضحك وقال " والله إن أحدهما ابن باقلائي، والآخر ابن حجام " فغضب الحجاج وطلبهما فاعترفا بذلك فأطلقهما.

توفي الحجاج في رمضان عام خمس وتسعين بواسط العراق، وخفي قبره وأجرى عليه الماء وعمره أربع وخمسون سنة، وبلغ الوليد بن عبد الملك من العمر أربعاً وأربعين سنة وتوفي يوم

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أحد مشاهير ولاية بني أمية، وكانت له الأيادي البيضاء في القضاء على خصومهم، كان سفاكاً للدماء ظلوماً، ولي مكة والمدينة ثم العراقيين وظل بها إلى حين وفاته عام ٩٥ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ٢٩، ت رقم ١٤٩.

(٢) الأناصير: الجوهر، ص ٦٨.

(٣) لأله: الجوهر، نفسه.

(٤) ضوء ناره: الجوهر، نفسه.

(٥) التائر المداوم على العمل بعد فتور، والتير الحاجز بين حائطين، لسان العرب، ج ٤، ص ٩٦—٩٧.

السبت نصف ربيع الأول سنة ست وتسعين ودفن خارج باب الفراديس^(١)، وخلف أربعة عشر ولداً ذكوراً، وتولى الخلافة بعده أخوه:

سليمان بن عبد الملك:

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان يوم السبت نصف شهر ربيع الأول عام ست وتسعين وكان الناس يتبركون به ويسمونهم مفتاح الخير وذلك أنه أذهب الله عنهم الحجاج ببركته فأطلق الأسرى، وأخلى الحبوس وأحسن إليهم وأمرهم بغزو القسطنطينية، وكان عادلاً ديناً متوقفاً عن الدماء، وكان أכולاً يأكل في اليوم مائة رطل، وكان به عرج.

توفي بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وعمره ثلاث وأربعون سنة، وخلافته ستين وعشرة أشهر ونصف، وعند موته أوصى بالخلافة لابن عمه:

عمر بن عبد العزيز:

الإمام العادل أبي حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فتولى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر، فقدمت له فرس الخلافة فلم يركبها وركب فرسه، وشرع في بسط العدل الذي ما سمع بمثله، قال الشافعي رضي الله عنه " الخلفاء الراشدون خمس، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز.

وكان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين وخطه الشيب، وإليه المنتهى في الفضل والعلم والعمل والشرف ونشر العدل، جدد الله به للأمة دينها، [٤٣ ب] ومنع من لعن الإمام علي بن أبي طالب آخر الخطبة، وجعل مكانه " إن الله يأمر بالعدل والإحسان "، وكان إذا جلس ليلاً يقضى حوائج الناس أمر بإحضار شعة من بيت المال، فإذا فرغ [من]^(٢) حاجتهم أطفأها. وأخرج مرة بين يديه مسكاً فأمسك على أنفه مخافة أن يجرد رائحته^(٣)، وكان يجمع العلماء والزهاد كل ليلة فيتذاكرون الموت حتى كأن بين أيديهم جنازة، وحج خمس حجج.

(١) باب الفراديس أحد أبواب دمشق، والفراديس اسم يطلقه أهل الشام على البساتين والحدائق. ياقوت:

معجم، ج ٤، ص ٢٤٢.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ٧٤.

(٣) ريحة: الجوهر، نفسه.

وتوفي بدير سمعان ^(١) في سنة إحدى ومائة أول القرن الثاني فكان مدة أيامه سنتين وستة أشهر وخمسة أيام رضى الله عنه، وتولى بعده الخلافة:

يزيد بن عبد الملك بن مروان:

أبو ليلى يزيد بن عبد الملك بن مروان، ابن عم عمر بن عبد العزيز في شعبان سنة إحدى وثلاثين ^(٢).

وكان أبيض اللون طويلاً جسيماً مدور الوجه متسرعا إلى الدنيا ^(٣) والأموال، يحب اللعب والسماع والشراب، ولما ولي الخلافة قال سيروا بي سيرة عمر بن عبد العزيز، فأتوه بأربعين شيخاً من جهال الشاميين فشهدوا عنده أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب، فأسرف على نفسه إلى أن توفي ببلاد البقاع لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكانت أيامه أربع سنين وشهوراً ^(٤)، وتولى الخلافة بعده أخوه:

هشام بن عبد الملك:

أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان، وكانت داره عند الخواصين بدمشق ثم جعلت تربة نور الدين الشهيد ^(٥). وكان أبيض سمينا غير أنه كان أحول، وكان ذا رأى ودهاء وحزم، وفيه حلم وقلة شر، حج مرة فحمل قماش بدنه على سبعمائة جمل.

توفي يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بدمشق وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت خلافته عشرون سنة إلا شهراً، وتولى بعده الخلافة:

(١) هو دير في نواحي دمشق. ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٥١٧.

(٢) الصواب: ومائة.

(٣) الصواب: الدماء: الجوهر، ص ٧٥.

(٤) شهراً: الجوهر، نفسه.

(٥) هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي، ملك دمشق عام ٥٤٩ هـ ثم استولى على بقية بلاد الشام، وكان ملكاً عادلاً زاهداً مجاهداً، كانت وفاته عام ٥٦٩ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ١٨٤، ت رقم ٧١٥.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان في يوم وفاة هشام، وكان من أحسن الناس شكلاً وأجملهم وأقرأهم^(١)، لكن كان فاسقاً منهتكاً جباراً عنيداً، أحضر المغنيين من جميع الآفاق وتجراً فابتلاه [٤٤ أ] الله بثلاثة وثلاثين بلية أقلها^(٢) أنه كان يبول من سرته فقام الناس^(٣) عليه لفسقه وتظاهره بالمعاصي، فخرج إليه ابن عمه يزيد بن الوليد فأخذ منه دمشق، وكان الوليد بتدمر يتصيد، فجهز إليه يزيد عسكر فحاربوه، ثم أمسكوه وذبحوه في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت خلافته سنة وشهرين، وخلف ثلاثة عشر ولداً ذكوراً، ولما قتل تولى الخلافة بعده:

يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بـ " يزيد الناقص " لأنه لما تولى نقص من أرزاق الجند^(٤) فما قامت مدته غير ستة أشهر إلا أياماً، وكذا كل من كان سبباً في قطع رزق لا تطول له مدة.

توفي بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة عام ست وعشرين وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ثم ولى الخلافة بعده:

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك:

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، بويغ بعد أخيه يزيد في يوم وفاته، وكان مروان بن محمد بن مروان نائب أرمينية وأذربيجان، فلما بلغه قتل الوليد سار من مكانه طالباً بدم الوليد، فمات يزيد قبل وصوله، فلما بلغ مروان موته سار في جيشه وأخرج له إبراهيم

(١) الصواب: أقواهم، الجوهر، ص ٧٨.

(٢) أيسرها: الجوهر، ص ٧٩.

(٣) المسلمون: الجوهر، ص ٨٠.

(٤) اختلف في تلقيه بهذا الاسم، فقليل له الناقص لفرط كماله، وقيل لنقصه الناس الزيادة التي أعطاهم إياها

الوليد بن يزيد، وقيل لنقصه أعطيات أهل الحجاز، وقيل لنقصان كان في أصابع قدميه وقيل بسبب سب

مروان بن محمد له فقال " الناقص ابن الوليد. انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٧، ص ٢٩٩ ؛ ابن عبد

ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ١٧ ؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٠.

عسكرياً، فالتقى الجمعان فغلب مروان وزحف إلى مرج عذراء، فخرج له إبراهيم فخذله جنده وخامروا عليه فهرب واختفى، ودخل مروان دمشق، وكانت خلافة إبراهيم شهرين وأياماً، ثم تولى الخلافة بعده:

مروان بن محمد بن مروان:

مروان بن محمد بن مروان، نزل له إبراهيم عن الخلافة بعد دخوله إلى دمشق، وبايعه [الناس] ^(١) في سادس صفر ولقبوه بـ "مروان الحمار" وهو آخر خلفاء بني أمية.

وفي أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس، وكان أول ظهوره بمرو فاستولى عليها ثم على خراسان ثم ملك العراق ثم فتح نهاوند، وأقبل سعد بن العباس وولى عن بني أمية ^(٢)، فسار عبد الله [بن علي] ^(٣) عم السفاح فالتقى هو ومروان بأرض الموصل في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأنكسر مروان وزالت أيامه وأخذت دمشق على يد [٤ ب] عبد الله [بن علي] ^(٤) بعد حصار وحروب، وقتل جماعة عدة ألوف من الأمويين، ثم أهرزم مروان إلى مصر فلحقته الجيوش [بأبو صير البندر] ^(٥) من الجيزة، وقتلوه بها في شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فكانت خلافته خمس سنين وشهراً، وكان عمره ستة وخمسين سنة.

وكان أبيض اللون أشهل ^(٦) العين شديداً ^(٧)، ضخم الهامة والمنكين، كبير اللحية، ولما قتل قطعت رأسه فجاءت هرة فأكلت لسانه انتزاعاً.

وعدة خلفاء بني أمية أربعة عشر خليفة أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان بن محمد بن مروان، ومدة أيام خلافتهم منذ تسلم معاوية الخلافة من الحسن إلى أن زالت بظهور

(١) ناقص في الأصل والإضافة لتناسق المعنى.

(٢) وأقبلت سعادة بني العباس وولت الدنيا عن بني أمية: الجوهر، ص ٨٤.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، نفس الصفحة.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، نفس الصفحة.

(٥) بأبو صير السدر: الجوهر، ص ٨٥.

(٦) عين شهلاء، هي العين التي يخالط سوادها زرقه. ابن منظور: لسان، ج ١١، ص ٣٧٣.

(٧) شديداً: الجوهر، نفسه، والصواب ما ذكره صاحب الثغر.

بنى العباس إحدى وتسعون سنة يخرج منها أيام عبد الله بن الزبير إلى أن قتل سبع سنين وثمانية أشهر فتكون أيام بنى أمية خالصة ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر مجموعها ألف شهر سواء.

الباب الثالث

في ذكر الخلفاء من بنى العباس من السفاح وإلى زماننا

أول خلفاء بنى العباس هو:

عبد الله بن محمد:

أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء المبتلين بالصفاح^(١)، وولغت في دمائهم ثعالب الرماح، وطهر الله بنى هاشم ضواحي البسيطة وسبلها، وأقر [الله]^(٢) الخلافة في بنى العباس وكانوا أحق بها وأهلها.

بويع بالكوفة^(٣) يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فصعد المنبر وخطب قائماً وكان بنو أمية يخطبون جلوساً^(٤)، فنادى الناس: يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله فأفصح، وقال في آخر خطبته " واعلموا أن الخلافة فينا ليست بخارجة عنا حتى نسلمها إلى عيسى ابن مريم ".

وكان جميل الصورة حسن اللحية أبيض اللون سديد الرأي كريم الأخلاق، أعطى عبد الله بن الحسن في يوم واحد ألفي ألف درهم، وهو أول من أتخذ الكتاب وزراء وأهمل تلقيبهم بالكتاب على ما تقدم. توفي بالجدري في يوم الأحد [٤٥ أ] لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة عام ست وثلاثين ومائة، وعمره اثنان وثلاثون سنة ونصف، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ودفن بالأنبار^(٥) العتيقة، ثم بويع بالخلافة بعهد من السفاح لأخيه:

(١) الصفاح، من صفحة السيف، يقال صفح السيف، وصفحنا السيف. انظر: لسان العرب، ج ٢ ص ٥١٣.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفس الصفحة.

(٣) الأنبار: الجوهر، نفسه. والصواب ما ذكره صاحب الثغر. انظر: الطبري: تاريخ الأمم، ج ٧، ص ٤٢٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٦.

(٤) قعوداً: الجوهر، نفسه.

(٥) وهي غير الأنبار من مدن فارس قرب بلخ. ياقوت: معجم، ج ١، ٢٥٧؛ التي تقع اليوم كقرية قرب بغداد على بعد ٦٥ كم. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٦٨٩؛ لي سترايج: بلدان، ص ٩١.

أبو جعفر عبد الله المنصور:

أبو جعفر عبد الله المنصور لأنه كان مسافراً بالحجاز يوم وفاة السفاح، وهو أول خليفة لقب نفسه، وهو جد ^(١) الخلفاء إلى زماننا ^(٢) وهو الذي عمر بغداد بالجانب الغربي، وكان جبروتاً ^(٣)، مهاباً ^(٤) ذا جبروت وسطوة، وعلم وفقه وخبرة بالأمر، وقد عركته التجارب وهذبتة الدهور، وكان يجود بالمال حتى يقال أكرم الناس ويخل حتى يقال أبخل الناس، ويسوس سياسة الملوك ويثب وثبة الأسد العادي على ^(٥) فريسته، وكان حافظاً لكتاب الله كثير التلاوة متبوعاً لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيهاً محدثاً كاتباً بليغاً، جمع من الأموال ما لا يحصى كثرة، يقال أنه وجد له من العين خاصة تسع مائة ألف ألف دينار، وستون ألف ألف درهم، وكان يقول من قل ماله قلت ^(٦) رجاله، ومن قلت ^(٧) رجاله قوى عليه عدوه، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه، ومن اتضع ملكه استبيح حماه.

وفي أيامه شكا الناس ضيق المسجد الحرام، فاشتري المنازل حوله حتى زاد فيه ضعفه، وعمر مسجد الخيف بمضى ^(٨).

حج عام ثمان وخمسين ومائة، فلما وصل إلى بئر ميمونة بظاهر مكة أدركته المنية وهو محرم لثلاث خلت من ذى الحجة وبلغ عمره ثلاثاً وستين سنة، وعند موته عهد بالخلافة لولده: محمد المهدي:

أبو عبد الله محمد المهدي يوم التروية بمكة المشرفة بين الركن والمقام على يد الربيع وزير أبيه، وكان المهدي ببغداد فأتاه الخبر بعد اثني عشر يوماً فبايعه الناس.

(١) أبو: الجوهر، ص ٩١.

(٢) اليوم: الجوهر، نفسه.

(٣) صارماً: الجوهر، ص ٩٢.

(٤) مهيباً: الجوهر، نفسه.

(٥) إلى: الجوهر، ص ٩٣.

(٦) قل: الجوهر، ص ٩٤.

(٧) قل: الجوهر، نفسه.

(٨) انظر: اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٣٦٩.

وكان أكرم أهل زمانه، إذا أعطى ألف دينار يستقلها^(١)، جواداً ممدحاً متحبباً إلى رعيته حسن الخلق والخلق أجاز شاعراً بخمسين ألف دينار، وأزال المظالم وأحيا المعالم ونصر المظلوم وقمع الظالم، وأكرم أهل العلم والدين [٤٥ ب]، وهو أول من مشى^(٢) بين يديه بالسيوف^(٣) المجردة^(٤) والقسي المعقوف^(٥) فيها الأسهم والعمد، وأول من لعب بالأكرة والصولجان في الإسلام^(٦).

وقتل الزنادقة، وحج عام ستين ومائة فجرد الكعبة وكساها الخبز والديباج، وطلّى جداره^(٧) بالمسك والعنبر من أسفلها إلى أعلاها، وزاد في المسجد الحرام، وأحضر المهندسين والصناع من كل جهة^(٨)، وصير الكعبة في وسط الحرم على ما هي عليه الآن، وحمل إلى المسجد الحرام من مصر أربع مائة وثمانية^(٩) أعمدة من الرخام، وعمل للمسجد ثلاثة وعشرين باباً، وجعل سلاسل قناديله ذهباً، ووسع مسجد المدينة الشريفة، وحمل إليه عمد الخام ورفع سقفه وألبس خارج القبر [الشريف]^(١٠) الرخام.

رأى رجلاً في المنام يخبره بهدم قصره فمات بعد ذلك بعشر ليال، وسبب موته أنه ساق خلف صيد خربة فدخل خلفه فدق ظهره باب الخربة مع قوة سوق الفرس فمات لوقته^(١١) يوم الخميس لثمان ليال بقين من الحرم عام تسع وستين ومائة وعمره ثلاثة وأربعون سنة، ومدة خلافته عشر سنين وشهراً ونصفاً، ثم تولى الخلافة بعده ولده:

(١) استقلها: الجوهر، ص ٩٥.

(٢) مشوا: الجوهر، نفسه.

(٣) انظر عن دخول الهادي البصرة والجنود تمشي أمامه بالسيوف: الطبري: تاريخ الأمم، ج ٨، ص ١٨٦.

(٤) المسئلة: الجوهر، نفسه.

(٥) في الأصل غير واضحة.

(٦) ذكر المقرئ أن هارون الرشيد هو أول من ابتدع هذه الأشياء، السابق، ص ٣٥.

(٧) الصواب: جدرانها، الجوهر، ص ٩٦.

(٨) بلد: الجوهر، ص ٩٦.

(٩) ثمانين: الجوهر، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٩٦.

(١١) زاد في الجوهر [وقيل بل سمته جاريته فمات، وقيل إن الطعام كان قد سمته لضرباً فدخل المهدي فمد

يده وأكل فما جسرت أن تقول له هو مسموم]، ص ٩٧.

موسى الهادى:

أبو محمد موسى الهادى، وكان مقيماً بـجرجان، فلما مات أبوه بعثوا إليه فقدم بغداد، وباعوه في شهر رجب ^(١) منها وهو ابن أربع وعشرين سنة، وكان طويلاً جسيماً عظيماً ذا ظلم وجور وجبروت.

وكانت خلافته سنة وشهرين ثم أصابته قرحة فمات منها ^(٢) ليلة السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وفي هذه الليلة مات خليفة هو الهادى، وولى خليفة، وهو الرشيد، وولد خليفة وهو المأمون، وتولى الخلافة بعده:

هارون الرشيد:

أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد، بويع بالخلافة في صبيحة ليلة وفاة أخيه، وكان مولده لثلاث بقين من ذى الحجة عام تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور، وفي أيامه كملت الخلافة بكماله وعدله وتواضعه ودينه وزيارته الصالحين في ديارهم كالإمام مالك بن أنس، وعبد الرزاق بن همام ^(٣)، وسفيان بن عيينة ^(٤)، والفضيل بن عياض ^(٥) وغيرهم.

وكان يغزو سنة ويحج سنة، فركب على جمل [٤٦ أ] ويعادله أبو يوسف صاحب الإمام أبو حنيفة، وكان عالماً بجاناً شجاعاً مهاباً كريماً جواداً فصيحاً عظيم الهمة متضلعا بالأدب يجيد الشعر، ومن شعره:

ملك الثلاث الآنسات عنائى وحلن من قلبى بكل مكان

(١) صفر: الجوهر، ص ٩٨.

(٢) اختلف في سبب موته، هل كان بسبب هذه القرحة أم أن أمه الخيزران قتله بسبب نقمته عليها من ورود الناس عليها وتحكمها في أمور الخلافة، ورداً على محاولته دس السم لها. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج ٨، ص ٢٠٥ - ٢٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائى مولى حمير، أحد المحدثين المشهورين، ولد عام ١٢٦ وتوفى عام ٢١١ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٢١٦، ت رقم ٣٩٨.

(٤) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالى، أحد الفقهاء التابعين المشهود لهم بالعلم، ولد بالكوفة عام ١٠٧، وتوفى بمكة عام ١٩٨ هـ. السابق، ج ٢، ص ٣٩١، ت رقم ٢٦٧.

(٥) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى، أحد الزهاد المشهورين. السابق، ج ٤، ص ٤٧، ت ٥٣١.

مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطان

أشحت الكتب تواريخه وأخباره وملأت المسامع فضله وآثاره، قتل البرامكة ونكبتهم مشهورة، واستوزر الفضل [بن] ^(١) الربيع، وكان نذر إن أظفره الله من البرامكة يحج إلى بيت الله راجلاً حافياً، فلما ظفر بهم خرج حاجاً ضرب ^(٢) له الخيام فيسير تحت ظلها فيرد ^(٣) من خيمة إلى أخرى [حتى] قضى الحج.

وكان أبيض اللون عبل الجسم، طوالاً ممدوحاً ^(٤)، مجاهداً، غازياً مهيباً، كثير الصلاة يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة، ويتصدق من خالص ماله [في كل يوم] ^(٥) بألف درهم. ووقع له الأمور الغربية في الترتيب والإنشاء والكتابة والأجوبة مما لم يسعنا هنا إيراده. توفي بأرض طوس ^(٦) من بلاد خراسان ليلة السبت نصف جمادى الآخرة ^(٧) سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن أربع وأربعين سنة وشهور، ودفن بطوس، وكانت خلافته ثلاثة وعشرين سنة، وعند موته بويع ولده:

محمد الأمين:

أبو عبد الله محمد الأمين، جاءه خاتم الخلافة والبردة والقضيب من طوس، وهو أول خليفة أبواه هاشميان من بني العباس، فلما بويع استناب أخاه المأمون على بلاد ^(٨) خراسان، ثم وقع بينه وبين أخيه [المأمون] ^(٩) إلى أن أفضى الحال إلى الحرب، فأرسل المأمون من خراسان

(١) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٠١.

(٢) الصواب: تضرب، الجوهر، ص ١٠٢.

(٣) فيخرج: الجوهر، نفسه.

(٤) الصواب: ممدوحاً، الجوهر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٠٣.

(٦) هي إحدى مدن إقليم خراسان، وتقع اليوم بإيران، وقد أصبحت قرية صغيرة. البلاذري: فتوح، ق ٣،

ص ٧٤٨؛ لي سترانج: بلدان، ص ٤٣٠.

(٧) الأولى: الجوهر، ص ١٠٢.

(٨) ممالك: الجوهر، ص ١٠٤.

(٩) ما بين الحاصرتين من، الجوهر، نفسه.

طاهر بن الحسين بجيش إلى بغداد فظفر بالأمين وقتله لثمان بقين من الحرم عام ثمان وتسعين ومائة ببغداد، وشال رأسه على رمح.

وكان مبذراً للمال لعباً لا يصلح لإمرة المؤمنين، عاش سبعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام، ولم يكن من نسله خليفة، ولما مات بويع بالخلافة لأخيه:

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد:

أبي العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد البيعة العامة بمرو [٤٦ ب] من بلاد خراسان لخمس بقين من الحرم منها قريباً من القرن الثالث.

وكان عالماً محدثاً لغوياً، أديباً، فاضلاً، ديناً، يجلس مع العلماء من أول النهار إلى آخره فيشاركهم ويدق البحث بينه وبينهم، ويمدهم بالأموال والكتب، ويتفقددهم إذا ^(١) غابوا ويوزورهم في أماكنهم تعظيماً لهم.

وكان أجمل أهل زمانه، وهو الذي أنزل لبس السواد ولبس الخضر، وكان كثير الرغبة في حسن الثناء، وكان يخرج في الليل يتفقد أحوال عسكره وينظر من يحبه ومن يبغضه، وكان يحب معرفة أحوال الناس أتخذ ألفاً وسبعمائة عجوز يدورون في المدينة يعرفون له أحوال الناس ظاهراً وباطناً [وكان] ^(٢) لا ينام حتى يأتوه كلهن ^(٣) ويخبرونه ^(٤) بأحوال الناس في ذلك اليوم. وكان جزيل العطايا، أنعم في يوم واحد بثلاثمائة ألف دينار، وكان يقول لو يعلم الناس ما عندي من حلاوة العفو لما تقربوا إلى إلا بالذنوب، وكان أمره نافذاً من إفريقية الغرب إلى أقصى خراسان [إلى] ^(٥) وراء النهر وولاته بالسند، وقدم المأمون من بغداد إلى مصر في سنة سبع عشرة ومائتين وتوجه إلى بلاد الصعيد وقتل العربان العاصين وسبى ذراريهم [لأنهم قد كانوا نافقوا] ^(٦) ثم رجع، وغزا بلاد الروم في عام ثمانية عشر ومائتين فمات بقرية من قرى طوس

(١) إن: الجوهر، ص ١٠٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٣) سائر العجائز: الجوهر، نفسه.

(٤) ويخبروه: الجوهر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١١٠.

يقال لها البذندون^(١) في نصف رجب منها ودفن بطرسوس وقبره الآن يزار، ومدة خلافته عشرون سنة ونصف، وقيل وقف رجل بين يديه وقد جنى جناية فقال والله لأقتلنك قال له يا أمير المؤمنين لئن تلقى الله حائثاً خيراً من أن تلقاه قاتلاً فخلني سبيله. ولما مات تولى بعده الخلافة:

محمد المعتصم بن هارون الرشيد:

أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد أخيه المأمون وكان ولي عهده وكان معه ببلاد^(٢) الروم فبايعته الجيوش وعاد إلى العراق في رمضان [٤٧ أ] وتمكن من الأمر^(٣) وسمى المثنى لأن دولته كانت ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمان فتوحات منها البذ^(٤) مدينة بابل^(٥) وعمورية الكبرى وهي أكبر

(١) وهي عين ماء تسمى عين رقة، انظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٦.

(٢) ببلاد: الجوهري، ص ١١١.

(٣) الملك: الجوهري، نفسه.

(٤) البذر مدينة بابل: هكذا كتبها محقق الجوهري، ولكن في نسختين من مخطوط الجوهري كما في الثغر، انظر الجوهري، ص ١١٢ هـ ٧. والصواب هي مدينة " البذ " الواقعة بأذربيجان كما ذكرها ياقوت: معجم، ج ٤، ص ٤٧٥؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ٣١.

(٥) الصواب: بابل. أي المدينة التي قامت منها دعوة بابل الخرمي. وبابل الخرمي قاد جماعة دينية تدعو لهدم الإسلام، فقد قامت دعوته على الإيمان بتناسخ الأرواح ومقالات الجوس، وقد استمرت هذه الفتنة من عام ٢٠١ إلى ٢٢٣ هـ. انظر: الطبري: تاريخ الأمم، ج ٨، ص ٥٥٦ وما بعدها؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٠٠.

مدن الروم بعد القسطنطينية، ومدينة الزط^(١) وقلعة الأحراف^(٢) وديار مضر وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية، ووقف ببابه ثمان ملوك، وخلف ثمان بنين وثمان بنات، وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الدراهم ثمانية [عشر ألف]^(٣) ألف درهم وثمانين ألف فرس وثمانين ألف جبل، وثمانين ألف بغل، وثمانية عشر ألف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وثمانية آلاف عبد.

وكان كريماً كريماً خارجاً عن الحد، يقال أنه أعطى حبيب بن أوس الشاعر مدينة الموصل^(٤)، وكان أماً لا يقرأ ولا يكتب، مهابةً شجاعاً قوى البدن مربوعاً فيه ظلم وجبروتية وعسف، ومات وهو ابن ثمان وأربعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام، وابتضت لحيته، مات لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين، ثم بويع بالخلافة لولده:

هارون الواثق:

أبي جعفر هارون الواثق في يوم وفاة أبيه، وكان جميل الصورة أبيض اللون شجاعاً صارماً مهابةً فيه جبروتية، أسرف في التمتع بالنساء بحيث أنه أكل لذلك لحم الأسد فولد له أمراضاً تلف منها.

(١) الزط كورة بخوزستان ببلاد فارس، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٠٠؛ وهي مكتوبة في جميع نسخ مخطوط الجواهر كما في الثغر، ولكن محقق الجواهر ذكر أن لفظ مدينة نوع من التحريف لأن المعروف أن المعتصم وجه جيوشه لضرب جماعة الزط النازلين عندئذ بالبطائح بين البصرة وواسط. الجواهر، ص ١١٣ هـ ١. وقد عرفهم الخوارزمي بأنهم جماعة من حفاظ الطرق وهم جنس من السند يقال لهم جتان. مفاتيح العلوم، ص ١٤٣.

(٢) كذا في نسخ الجواهر وعلق المحقق بقوله [كذا في نسخ المخطوطة، وفي كتاب العبر في خبر من غير للذهبي ورد الاسم قلعة الأحزات، وفي عقد الجمان للعيني حوادث سنة ٢٢٧ هـ قلعة الأحراق]. انظر الجواهر، ص ١١٣ هـ ٢.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجواهر، نفسه.

(٤) هو الشاعر المشهور أبو تمام حبيب بن أوس، وقد ذكر ابن خلكان أن هذه الرواية لا أساس لها. وفيات، ج ٢، ص ١١، ت رقم ١٤٧.

توفي في يوم الثلاثاء خمس بقين من ذى الحجة عام اثنتين وثلاثين ومائتين وعمره ست وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ولما مات تولى الخلافة بعده أخوه:

جعفر المتوكل:

أبو الفضل جعفر المتوكل بن المعتصم في اليوم التالي من وفاة أخيه، وهو الذي أمر اليهود والنصارى بلبس العسلى^(١) وشد الزنار^(٢)، ونساؤهم الأزر العسلىة ليعرفن وأن يعلقن في رقابهن^(٣) جلاجل إذا دخلن الحمام^(٤)، وأن يصور على أبوابهم صور شياطين من خشب مسمور^(٥)، وأبطلهم من دواوين السلطان وغيرها التي تجرى فيها أحكامهم فيها على المسلمين، وأن لا يعلموا [٤٧ ب] أولادهم في مكاتب [أولاد]^(٦) المسلمين، وكتب إلى الآفاق بذلك^(٧)، ورفع الخنة بخلق القرآن وأظهر السنة، وأيامه عُمر المقياس بمصر الذي يقاس فيه الآن وكان النصارى يلونه^(٨) فأبطلهم وولى أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤذن البصرى^(٩)، وهم فيه إلى الآن.

(١) عسلى اليهود: علامتهم، ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٤٤٧.

(٢) زنار وجمعه زنائر، وهو حزام أو وشاح يشده الذمى على وسطه، انظر: السابق، ج ٤، ص ٣٣٠.

(٣) أرقابهن: الجواهر، نفسه.

(٤) الحمامات: الجواهر، نفسه.

(٥) مسحورة: الجواهر، ص ١١٧. والصواب ما كتبه صاحب الثغر.

(٦) عن أمر المتوكل مع أهل الذمة والكتاب الذى بعثه لجميع أمصار الخلافة. انظر: الطبرى: تاريخ الرسل، ج ٩، ص ١٧١ - ١٧٥.

(٧) ما بين الحاصرتين من الجواهر، نفس الصفحة.

(٨) يتولونه: الجواهر، ص ١١٨.

(٩) هو أبو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله الرداد المؤذن البصرى صاحب المقياس بمصر، وكان يؤذن بالمسجد العتيق، تولى المقياس الجديد بجزيرة الروضة في سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م، توفي ٢٧٩ هـ أو

٢٦٦ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ١١٢-١١٥، ت رقم ٣٥٥.

وكان يحب الشراب فاتفق ولده المنتصر مع ممالكه الترك فدخلوا عليه في مجلس أنسه وعنده الوزير الفتح بن خاقان ^(١) فابتدره باغر التركي ^(٢) بضربه على كتفه وأذنه فقدما فقام الوزير في وجوههم ورمى نفسه على الخليفة فضربه ^(٣) الترك بسيوفهم حتى [قتلوهما معاً] ^(٤) واختلطت لحومهما معاً ^(٥). وموجب ذلك انه جعل ولده المنتصر ولي عهده من بعده ثم عزله وعهد لولده المعتر، فاتفق مع الأتراك وقتلوه في ليلة الأربعاء رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة، وكانت خلافته أربعة عشر وتسعة أشهر وثمانية أيام، وكان فيه كرم زائد غير أنه كان منهمكاً على اللهو والشراب ساءحه الله.

ومن العجيب أنه قدم إلى المتوكل سيفاً [قاطعاً] ^(٦) لا يكون مثله [في السيوف أبداً] ^(٧) فسأله فيه أعيان عسكرة ^(٨) فأبى أن يعطيه لأحد منهم وقال هذا ما يصلح إلا إلى ساعد باغر فوهبه له دونهم فقتل باغر المتوكل بذلك السيف وتولى الخلافة ولده:

محمد المنتصر بن المتوكل:

أبو جعفر المنتصر صبيحة قتل والده، وصار يسىء إلى عيال أبيه، وكان بخيلاً رديئاً، رأى أباه في المنام وهو يقول له: ويلك يا محمد قتلتني وظلمتني، والله لا تمتعت بالخلافة إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار ^(٩). فانتبه مرعوباً فبكى وندم حيث لا ينفعه الندم فكان يكون جالساً فإذا

(١) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان من المشتغلين بالأدب، قتل مع المتوكل ودفن معه. انظر هـ-٩، نفس الصفحة.

(٢) أحد القادة الترك الذين خططوا وقاموا بقتل المتوكل، كانت له الخطوة عند ولده المنتصر، قتل عام ٢٥١ هـ. الطبري: السابق، ج ٩، ص ٢٧٨؛ ابن الجوزي: السابق، ج ١٢، ص ٤٢.

(٣) في نسخ الجوهر المخطوط كما في الثغر، وقام محقق الجوهر بتعديلها إلى [فضربه]، الجوهر، ص ١١٨ هـ-٤.

(٤) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٥) عن قتل المتوكل، انظر: الطبري: السابق، ج ٩ ص ٢٢٢ — ٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٩٨.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١١٩.

(٧) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٠.

(٨) فطلبه منه سائر أهل مملكته: الجوهر، نفسه.

(٩) عن هذه الرؤيا انظر: الطبري: السابق، ج ٩، ص ٢٥٢؛ ابن الأثير: السابق، ج ٧، ص ١١٥.

تذكر ذلك ترعدت فرائصه خيفة، ولم يزل منكساً^(١) إلى أن مات بعلة الخوانيق، وقيل مريض غير ذلك.

وكانت خلافته ستة أشهر وأياماً وعمره ست وعشرون سنة، قيل أن أمراء الترك خافوه فلما حم دسوا إلى الطبيب ثلاثين ألفاً فسمه في أنجاصه، فلما أحس بالموت قال لأمه: ذهبت مني الدنيا والآخرة، وكان أعرق الخلفاء العباسيين.

[٤٨ أ] قلت وعلى مثل ذلك ما حكاه النويري في تاريخه أن أعرق الأكاسرة في الملك شرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، ومن العجيب أن شرويه اتفق مع جماعة من عسكر أبيه وقتله وأخذ الملك بعده فلم يعيش إلا ستة أشهر ومات^(٢). ولما مات محمد المنتصر بايعوا بالخلافة بعده:

أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرشيد:

أبا العباس أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم بن الرشيد في يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، فاضطرب أمره وخلعه الأتراك لأنه كان يولي الرجل [في وظيفة]^(٣) ثم يعزله ثم يعيده ثم يعزله ثم يعيده، ومن قول الحكماء " ما على الدولة شر من تقلب الولاة ولا اختلفت الآراء على دولة إلا تعجل هلاكها ولا قدمت^(٤) السفلة وأخرت^(٥) أعيان الناس إلا احترقت^(٦) تلك الدولة ". فاجتمع الأتراك مع المعتز وحضروا إلى بغداد وقتلوا المستعين إلى أن خلع نفسه وسلم الخلافة:

(١) منكساً: الجوهر، ص ١٢١.

(٢) ابن الأثير: السابق، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٢.

(٤) قدم: الجوهر، نفسه.

(٥) وترك: الجوهر، نفسه.

(٦) الصواب: احترقت، الجوهر، نفسه.

المعتز محمد بن المتوكل:

لأبي عبد الله المعتز محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم ونفوا المستعين إلى واسط صحبة أحمد بن طولون فأحسن ابن طولون إليه وأمره أن يتزده ويتصيد وأقام المستعين بالله بواسط تسع شهور، ثم أن المعتز أرسل لابن طولون بقتل المستعين وإرسال رأسه فأبى عن ذلك وقال: والله لا يراني الله أقتل خليفة بايعته. وكتب بذلك للمعتز، ثم أن المعتز أرسل سعيد الحاجب ^(١) لقتله فبينما المستعين يسير إذ رأى غيرة [خيل] ^(٢) فاستخبر أمرها فقبل عاقدة على سعيد الحاجب فقال: أستودعكم الله قد جاء ليقتلني. فلم تمض ساعة حتى وصل إليه فأخذه وأبعده وأدخله خيمة ثم خرج سعيد منها وأرماها على ما فيها، [وركب] ^(٣) وسار، ثم جاء ابن طولون فكشف ^(٤) الخيمة [ونظر إلى ما تحتها] ^(٥) فإذا جثة المستعين بغير رأس وحمل سعيد الرأس وسار فأخذ ابن طولون الجثة فغسلها وكفنها وصلى عليها ^(٦) ودفنها في يوم الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

وأما المعتز فإن أمراء الأتراك طلبوا منه عطاياهم فطلب من والدته مالا فحست ^(٧) به عليه فخلعوه أولاً وأشهدوا عليه أنه نزل عن الخلافة، ثم بعد خمسة [٤٨ ب] أيام أدخلوه حماماً ومنعوه الماء حتى عاين التلف ثم أتوه بماء وملح فشربه فسقط ميتاً لوقته، وقيل عذب بالضرب حتى مات وعمره أربع وعشرون سنة، وكان خلعه لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين فمدة أيام خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثلاثة أيام، وكان أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شكلاً، ثم تولى الخلافة من بعده:

(١) هو سعيد بن صالح المعروف بسعيد الحاجب، ولي شرطة بغداد مكافأة له على قتله المستعين. انظر:

الطبرى: السابق، ج ٩، ص ٣٦٢ - ٣٦٤؛ ابن الجوزي: السابق، ج ١٢، ص ١٠٨.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٢٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٤) فشال: الجوهر، ص ١٢٤.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٦) عن قتل المستعين، انظر: الطبرى: السابق، ج ٩، ص ٣٦٢ - ٣٦٤؛ البلوى: سيرة ابن طولون، ص ٤٠،

ابن الأثير: السابق، ج ٧، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٧) فشحت، الجوهر، ص ١٢٥.

محمد المهتدى بن هارون الواثق:

أبو عبد الله محمد المهتدى بن هارون الواثق حين خلع المعتز، وكان ديناً شجاعاً ورعاً مهاباً على الهمة كأنما خلق للإمارة لكنه لم يجد ناصراً على الحق، وكان على منهج الخلفاء الراشدين في سرد الصوم والقنع في بعض الليالي بخبز وخل وزيت.

وكان قد غلق^(١) باب المغني واللهو وأمر [الأمراء]^(٢) بترك الظلم ورفع الحوادث، وكان هو الذي يحاسب الدواوين بنفسه لكنه عنده وزير وقاض وحاجب ظلمة فكانوا سبياً لقتله فإن ظلمهم قد زاد فخرج أمراؤه عليه بسبب ذلك ووقفوا لخاربتهم. فلبس المهتدى سلاحه ولبس حاشيته وخرجوا معاً وأشهر المهتدى سلاحه وحمل عليهم فأدخلوا إلى أن صار بينهم فأحاطوا به وأنزلوه وأسروه ثم قتلوه بخنجر لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكان له سبط^(٣) فيه جبة من صوف يصلى فيها ليلاً، فلما قتله الأتراك تصارعوا على السبط في مظنة مال فيه مدخر، فلما رأوا ما فيه ندموا على قتله وافتنوا، وتولى الخلافة:

أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل:

أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل، بويع بالخلافة حين خلع المهتدى وكانت أيامه مضربة الأحوال مختلفة التدبير كثيرة العزل والتولية لغلبة الأمراء عليه، فقام أخوه الموفق بالله طلحة بأمره أحسن قيام، وكان من الشجاعة وجودة الرأي وبلاغة اللفظ المقام

(١) سد: الجوهر، ص ١٢٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفسه.

(٣) السبط: والجمع أسقاط، كالجوانق يعاً فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. انظر: ابن منظور: لسان

العرب، ج ٧ ص ٣١٥.

الأعلى، وكان ينقطع إلى الله في مهماته، ولما قاتل في حرب صاحب الزنج ^(١) كشف رأسه [٤٩ أ] وقاتل حاسراً وجعل ينادى " أنا الغلام الهاشمي " ويكرره حتى قتل صاحب الزنج، ثم أنه مات في أيام أخيه المعتمد، ولما مات أهمل المعتمد أمر الرعية فاختلفوا عليه فقتلوه لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وعمره خمسون سنة، وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ونصفاً، ثم بايعوا بالخلافة بعده:

أحمد المعتضد بن الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل:

أبو العباس أحمد المعتضد ابن الأمير الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل بعد عمه المعتمد لانتقى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فأزال الظلم وأقام العدل وبذل المال وأصلح الحال وحج وغزا وجالس العلماء وأهل الفضل والدين، قال ثابت بن قرة ^(٢) " أنه تولى الخلافة وليس في بيت المال إلا أقل من دينار واحد والخلافة مطلوبة والبلاد منهوبة والأعداء متسلطون والأكراد والعربان منافقون والأمراء فاسدون طامعون. فأحسن الأمور وأصلح التدبير وقمع الفجار وأباد الأكراد ^(٣) وبالغ في المعاملة بالإنصاف، واجتهد في العمارة، ورفق بالرعية، وحكم بالعدل والسوية، واستفضل في أيام خلافته بعد الكفاية من كل مصروف تسعة عشر ألف ألف دينار "

سمع يوماً صوتاً في كرم فأنفذ من يعلم له الحال فقبل له سايس اغتصب حصراً. فأحضره واستفهم عن أستاذه فقبل له فلان فأحضره وضرب عنقه. وكان وزيره عبيد الله بن

(١) ثورة الزنج قام بها أحد الأدياء إلى نسل الإمام علي بن أبي طالب بالبصرة يسمى علي بن محمد بن عبد الرحيم، زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وانضم تحت لواء هذه الثورة كثير من العبيد الزنج نتيجة لظروف اجتماعية ومعيشية فاستفحل أمرها واستمرت منذ عام ٢٥٥ حتى عام ٢٧٠ هـ. انظر أخبار هذه الثورة في مواضع متفرقة من: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧.

(٢) هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون، كان صابئاً، ولد عام ٢٢١ هـ بحران، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعلوم الأوائل وبرع في الطب. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٥، ت رقم ١٢٩.

(٣) وقمع الشيطان وأباد الأشرار: الجوهر، ص ١٣١.

سليمان نائياً ديناً^(١) فتوهم الخليفة إنكار وزيره على هذه الفعلة فقال للوزير: كنت في خلافة المعتمد جالساً بمكان فرأيت هذا الرجل وقد قتل رجلاً بغير ذنب، ولم يكن له من يطالب بدمه، فنذرت لئن ولاني الله لأقتلنه، فلما وليت صرت أترقب له العثرات حتى جرى ذلك من غلامه فقتلته بقتل ذلك الرجل وأقمت السياسة للمكي. فلم ير بعدها مفسد وهابته الأمراء وغيرهم.

وكان كثير الصدقات منصور الرايات محافظاً على الصلاة في الجماعات، ويقال إنه أحد رجال [٤٩ ب] بنى العباس الخمسة، توفي ليلة الثلاثاء لست بقين من شهر ربيع الآخرة عام ثمان وثمانين ومائتين، وكانت خلافته عشر سنين وتسعة أشهر، ثم تولى الخلافة بعده:

على المكتفى بن المعتض بالله بن الموفق:

أبو محمد على المكتفى بن المعتض بالله بن الموفق، ولم يكن في خلفاء بني العباس [من اسمه]^(٢) على غيره، أنفق في حرب القرامطة^(٣) الأموال العظيمة حتى أبادهم واستأصلهم، وفي أيامه فتحت أنطاكية بعد استيلاء الروم عليها وقتل منهم زيادة عن ستة آلاف، وأسر زيادة عن سبعة آلاف، واستنقذ من المسلمين منهم زيادة عن أربعة آلاف كانوا أسارى عندهم، وظفروا جماعة بستين مركبا للفرنج^(٤) أخذوها.

توفي ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر، ثم تولى الخلافة بعده:

(١) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير الخليفة المعتض، توفي في خلافة المكتفى عن نيف وثلاثين عاماً عام ٢٩١ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٣٣.

(٣) الصواب: القرامطة، والقرامطة يرجع أمرهم إلى رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، قام بأمر أحد الشيعة المدعين إلى أهل البيت يسمى يحيى بن المهدي، واستمرت هذه الحركة من سنة ٢٨٦ هـ إلى

٣٧٨ هـ / ٨٩٩ - ٩٨٨ م. انظر: ابن الأثير: السابق، ج ٧، ص ٤٩٥ وما بعدها.

(٤) كان ذلك عام ٢٩١ هـ.

جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله:

أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وقيل أن اسمه إسحاق وإنما تشبهه^(١) بجعفر المتوكل^(٢) في يوم وفاة المكتفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهرين، وهو أول من ولى الخلافة قبل البلوغ من بنى العباس، وتكلم جماعة من الفقهاء فيه فاحتج له جماعة بأن الله تعالى بعث يحيى بن زكريا رسولاً وهو غير بالغ، واستدلوا بقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣) ولا يقال في من بلغ صبياً وفي أيامه ضعفت الخلافة، وفي ربيع الأول عام ست وتسعين قرياً من أول القرن الرابع ركب المقتدر في موكب الخلافة وكان راكباً في خدمته سيف الدولة بن حمدان^(٤) فجرد سيفه وضرب الوزير وحمل على الأمير فأتك المعتضدى وضرب عنقه وساق لقتل المقتدر ففر ودخل دار الخلافة وأغلقت الأبواب، ثم نزل ابن حمدان وطلب عبد الله بن المعتز وأحضر الأمراء والقضاة وأعيان الناس سوى من يلوذ بالمقتدر فبايعوا عبد الله بن المعتز في ذلك اليوم ولقبوه الغالب بالله ورسوله^(٥)، واستوزر ابن الجراح^(٦)، وكتبت الكتب في الحال بخلافته وجهزت إلى الآفاق وأرسلوا إلى المقتدر [٥٠ أ] ليتحول من دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقى معه سوى مؤنس^(٧) الخادم وخاله الأمير غريب، فثحنوا بدار الخلافة فحاصروهم ابن

(١) الصواب: اشتهر، الجوهر، ص ١٣٥.

(٢) الصواب: المقتدر، الجوهر، نفسه.

(٣) مريم، الآية ١٢.

(٤) الصواب: الحسين بن حمدان، الجوهر، ص ١٣٦. والحسين بن حمدان أحد قواد جيش المقتدر، قام بالعمل

على قتله وبقيّة القواد الأتراك، وقد حبسه الخليفة المقتدر حتى قتله في محبسه عام ٣٠٥ هـ. انظر:

الطبرى: السابق، ج ١٠، ص ١٤٠؛ ابن الجوزى: السابق، ج ٦، ص ٨٠؛ ابن ظافر الأزدى: أخبار الدولة

الحمدانية، ص ١٣.

(٥) ساقطة من الجوهر.

(٦) هو أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح، ولد سنة ٢٤٥ هـ، أصله من الفرس كان فاضلاً

عاقلاً، تولى الوزارة لكل من المقتدر والقاهر، توفي عام ٣٣٥. ابن الجوزى: السابق، ج ٦، ص ٣٥١، ت

رقم ٥٦٩.

(٧) مؤنس الخادم، أحد القواد الترك الأقوياء في بلاط الخلافة العباسية، اشترك في العديد من الأحداث الخاصة

بخلع خلفاء وتثبيت آخرين. وعن هذه الأحداث انظر: ابن الجوزى: السابق، ج ٦، ص ٦٩، ٨٢، ٨٧،

حمدان فرموه بالسهم^(١) وتحايوا^(٢) غلمان المقتدر وفتحوا باب دار الخلافة وخرجوا على حمية على بن المعتز وهو راكب ومعه وزيره وحاجبه ففزع ابن المعتز منهم وانهمز هو ومن معه، فمر بدار ابن الجصاص الجوهري^(٣) فترل فيها واختفى وهرب وزيره ووقع النهب والقتل بالمدينة وقتلت جماعة من كبارها واستقام أمر المقتدر وأحاط بدار ابن الجصاص وأسر ابن المعتز وقتل سرّاً وصور صاحب البيت وأخذ منه ستمائة ألف دينار، وكانت خلافة ابن المعتز يوماً واحداً في سنة ست وعشرين وثلاثمائة^(٤).

ثم ثار الأمراء والجند على المقتدر فخلع نفسه وأجلس أخاه محمداً يوم^(٥) السبت والأحد، فوثبوا غلمان الأمراء والجند الذين من جهته وقتلوا أكابر الأمراء والجند وأعادوا المقتدر إلى رتبته وسجنوا أخاه محمداً بداره، ثم فرق على الجيوش الأموال الجزيلة، وأنعم بالعطايا الواسعة على جماعته، وكان جواداً كريماً يصرف في كلفة الحج وإلى أهل الحرمين في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، ولما ولي الخلافة كان في بيت المال اثنان وسبعون ألف دينار فأنفقها مع خراج الممالك. اشتملت جريدة المقتدر على أحد عشر ألف خادماً خصى صقلبي ورومي وحبشي وأسود، هذا جنس واحد من داخل داره، وكانت كل نوبة من نوب الفراشين أربعة آلاف فراش، وكان عنده كثير من المساخر والمضحكين، وقالت الحكماء: "إنما يشين الدول ويهون الملك في أعين الناس بدخول المضحك والمساخر فيها".

(١) الشاب: الجوهري، نفسه.

(٢) في نسخ الجوهري المخطوط [تناجوا]، وصححها محققه [تناجى]، ص ١٣٧.

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري، كان ذا مال عظيم وثروة، وكان قريباً من بيت أحمد بن طولون، وسمى بالجوهري لقيامه بشراء الجواهر لأحمد بن طولون. توفي عام ٣١٥ هـ. انظر: ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ١٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٨٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٥٦.

(٤) هذا التاريخ غير صحيح لأن ابن المعتز تولى الخلافة لمدة يوم واحد عام ٢٩٦ هـ وليس ٣٢٦ هـ. وعن ذلك انظر: الطبري: تاريخ الأمم، ج ١٠، ص ١٤٠؛ ابن الجوزي: السابق، ج ٦، ص ٨٠؛ ابن الأثير: السابق، ج ٨، ص ٤٤١ — ٤٤٣.

(٥) الصواب: يومى، الجوهري، نفسه.

وفي عام عشرين وثلاثمائة هاج الجنيد ببغداد ونهبوا دار الوزير^(١)، فخرج المقتدر إليهم فعطف واحد من الجنيد بحربة فضرب المقتدر بها فخر ميتاً فقطعوا رأسه وجعلوها^(٢) على رمح. وقيل أخرجوه إلى الميدان ليتفرج على لاعب يلعب بحربة فلما وقف [٥٠ ب] رماه اللاعب بها في صدره [فلما] خرجت من ظهره خر ميتاً فتفرقت الناس عنه، فخرج اللاعب يطلب دار الخلافة فلقيه حمل شوك في سوق الثلاثاء فعدل عنه وهو لا ينظر^(٣) من عن يمينه فصادفه كلاب في دكان قصاب فهشوه فحارقه الحمل الشوك فعلقه، وخرج الفرس من تحته فما زال معلقاً بالحمل الشوك والكلاب تنهشه حتى مات لوقته فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك^(٤).

وكانت قتلة المقتدر يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال عام عشرين وثلاثمائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، ولما مات ببيع بالخلافة:

محمد القاهر بن المعتضد أحمد:

أبو المنصور محمد القاهر بن المعتضد أحمد في يوم الخميس ثاني يوم قتلة المقتدر، فوجد الخزان فارغة، والكلمة مختلفة بتدبير وزيرين ضعيفي الرأي، وهما أبو علي [بن] مقله^(٥)، ومحمد بن القاسم الكرخي^(٦). فحط على الوزير بن مقله إلى أن اختفى، قيل إن ابن مقله أبدل في الوزارة من صنف الذهب خاصة خمسمائة ألف دينار، وكان كاتباً جواداً، وهو الذي عرب

(١) هو الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وكان متبعاً لمذهب مغالي في التشيع لرجل اسمه أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني الذي قتل في خلافة الراضي بالله عام ٣٢٢ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٣٩ وما بعدها.

(٢) وشالوه: الجوهر، نفسه.

(٣) يبصر: الجوهر، نفسه.

(٤) عن قتل المقتدر وظروف قتله. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٤١ — ٢٤٣؛ أبي الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١١١.

(٥) هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقله الكاتب، تولى العديد من الوظائف، ثم تولى الوزارة من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م عدة مرات تخللها عزل ومصادرة إلى أن ساءت به الأحوال حتى قطعت يده ولسانه

ومات عام ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ١١٣ — ١١٨.

(٦) محمد بن القاسم بن عبيد الله الكرخي، انظر ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٥٩.

الخط من الكوفي إلى طريقتنا هذه. فلما اختفى صار يباطن الخاصكية ويجسرهم على قتل القاهر حتى اتفقوا جميعاً على قتله، فركبوا إلى دار الخلافة، وكان القاهر سكران فوثبوا عليه فقام مرعوباً هرباً إلى السطح ويده سيف مشهور ففوق أحدهم إليه سهماً وقال له: لئن لم تزل قتلتك. فترل فقبضوا عليه في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ثم أخرجوا محمد بن المقتدر فبايعوه وأكحلوا القاهر حتى سالت عيناه وهو أول خليفة سملت عيناه وكانت مدة خلافته سنة وستة أشهر وثمانية أيام، وسجن إلى أن مات في خلافة المطيع، ولما سمل بويع بالخلافة:

محمد الراضى بن المقتدر جعفر:

أبو العباس محمد الراضى بن المقتدر جعفر، وكان جواداً كريماً شاعراً بليغاً، وهب لعبد الله بن عيسى مائة ألف دينار، وهو أول ^(١) خليفة خطب على منبر في يوم الجمعة وفي [٥١ أ] أيامه ضعفت الخلافة وأخذوا الفرنج السواحل والثغور، وسبب ذلك وزراء أخيه.

ثم أن الراضى مسك الوزير ابن مقله وقطع يده وعنقه بما وقع منه، وتوفى الراضى على فراشه وكان أكثر آفاته الجماع، وهو آخر خليفة له شعر يدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة أخذ المجلس والندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وخدمه ومصالحه على ترتيب الخلفاء المتقدمين. توفى ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، ودفن بالرصافة ^(٢) وعمره اثنان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ولما مات بويع بالخلافة:

إبراهيم التقي لله بن جعفر المقتدر:

أبو إسحق إبراهيم التقي لله بن جعفر المقتدر، فصلى ركعتين ثم جلس على سرير فبايعته الناس، وكان ديناً كريماً كثير الصدقة والصوم ولم يشرب خمر قط، وأجرى ذكر ندماء الخلافة عنده على عادة الخلفاء فقال: نديمي المصحف.

(١) الصواب: آخر، الجوهر، ص ١٤٣.

(٢) الرصافة هي الجانب الشرقي من بغداد سمي كذلك لأن الرشيد بنى فيه قصراً وسماه الرصافة. انظر: أبو

الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٣.

ولما ولى الخلافة لم يتغير على أحد كان يصحبه قبلها حتى ولا على جارتها ولم يغدر بأحد قط، فاختلفوا الوزراء عليه بتحاسدهم فأضعفوا الخلافة وتغلب الخوارج على الأطراف حتى ما حمل لبغداد شيء من الأقاليم، ولم يزالوا عليه حتى غدر به الترك فخلعوه وأكحلوه بالنار يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر عام ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وعمره ثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ومات بعد أربع وعشرين سنة من خلعه ودفن بداره، ولما خلع بوبع بالخلافة:

عبد الله المستكفي بن المكتفي بالله:

أبو القاسم عبد الله المستكفي بن المكتفي بالله على بن المعتض، وفي أيامه استولت الديلم على البلاد ووقع بين الوزراء والأمراء، ثم أن معز الدولة بن بويه^(١) أكثر من جمع الديلم ففوى بهم، وكان رافضياً، فخلع المستكفي وأكحله لأنه كان يحط على الروافض، — واجتمع ببغداد ثلاثة خلفاء عميان — وذلك في يوم [٥١ ب] الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين، وكانت وفاته في بيته مخلوعاً لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ولما مات^(٢) بوبع بالخلافة:

المطيع لله بن المقتدر بالله جعفر:

أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله جعفر في يوم خلع المستكفي، وهو أول من طال عمره من خلفاء بني العباس ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، وإنما الأمر لمعز الدولة بن بويه الديلمي، فرتب له في كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته. انحطت درجة الخلافة.

وكان المطيع كريماً أنعم على أقاربه من العباسيين والعلويين بما ينيف عن ثلاثين ألف دينار على قلة ماله، وكان ينفق على ثلاثة خلفاء وهم القاهر والمتقى والمستكفي، وكان في كل عام يرسل إلى الكعبة قناديل الذهب والفضة، وإلى الحجرة الشريفة طيباً كثيراً وخداماً برسوم خدمتها، وكان نائبه على مصر والإسكندرية محمد بن طعج الإخشيد أستاذ كافور، فكان في

(١) هو أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه، أحد سلاطين الأسرة البويهية. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٨،

ص ٢٦٤ وما بعدها، ابن خلكان: وفیات، ج ١، ص ١٧٤ — ١٧٧، ت رقم ٧٢.

(٢) الصواب: خلع.

كل سنة يرسل له مائة ألف دينار وفي أيامه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعيد الحجر الأسود إلى الكعبة بعد إقامته عند القرامطة مدة اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً، وأن المطيع حصل له خلط فالج فخلع نفسه اختياراً لعهد ولده الطائع لله في ثالث عشر ذي القعدة عام ثلاث وستين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته تسعة وعشرين سنة وأربعة شهور وأحد وعشرين يوماً، ومات يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم عام أربع وستين وثلاثمائة وعمره ثلاث وستون سنة، وكان العهد لولده:

الطائع لله بن المطيع لله:

أبو بكر عبد الكريم الطائع لله، وفي أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبني العباس وأقيمت للمعز العبيدي صاحب مصر والمغرب^(١)، وكان الطائع ديناً كريماً لكن كان عنده وزيران سيئا الاعتقاد، وهما أبو الحسن الأصبهاني، وعيسى بن مروان النصراني العجميان [٥٢ أ] فاستخفا بالشرعية ومالا إلى النجامة والقول بالطبيعة ورأوا بخلع الطائع لاتباعه الشرعية فدسا إلى بهاء الدولة بن بويه في خلع الطائع فدبر بهاء الدولة في ذلك أنه قدم قصة للطائع فمد الطائع يده ليأخذها فجذبه بهاء الدولة من السرير ورماه وقبض عليه ونهب الديلم دار الخلافة حتى الرخام والأبواب وخلع الطائع نفسه لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، واعتقل إلى أن مات ليلة عيد الفطر عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة.

قلت: لم يل الخلافة من أبوه حتى إلى زماننا غير أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأبو بكر الطائع لله. ولما خلع الطائع لله ببيع بالخلافة:

أحمد القادر بالله بن إسحق المتقي:

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحق المتقي، وكان هرب من الطائع إلى البطيحة^(٢)، وهو آخر خليفة من بني العباس حكم وأسجل على نفسه وأشهد الشهود. ولما ولي الخلافة ورفض الدنيا ولم ينازع فيها، ولم يدخر ديناراً ولا درهماً، ولم يرد سائلاً قط. وصحب العلماء

(١) كان ذلك عام ٣٦٥ هـ، ثم رجعت مرة ثانية إلى العباسيين، وهكذا ظلت تتأرجح بين الفاطميين

والعباسيين طوال العصر الفاطمي. المناوي: الوزارة، ص ٢١٠ - ٢١٢.

(٢) البطيحة أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: ياقوت: معجم، ج ١، ص ٤٥٠.

وأكرم حديث النبي صلى الله عليه وسلم وأهله والعلماء وأجزل لهم العطاء وملاً الدنيا بالعدل والإحسان.

وكان عظم أمر الديلم وزاد شرهم حتى خشى على الخلافة منهم فأظهر الله [تعالى]^(١) يمين الدولة محمود بن سبكتكين^(٢) وأمكنه من رقابهم وسلطوا السيف عليهم، وصلب الروافض والزنادقة والمعتزلة، وفي أيامه فتحت الهند والسند على يد السلطان يمين الدولة، وفتح مدينة بهورة^(٣) التي تزعم اليهود أن الجن عمرتها وبنيت بيوت أصنامها ذات سور عظيم مرتفع كانت تشتمل على ألف قصر شواهد وزيادة، وكان فيها ألف بيت للأصنام والصور المصنوعة من الذهب والفضة فكسرها جميعاً يمين الدولة وعاد بها وبالأموال غنائم ومعهم جواهر ومواقيت عدد الرمل.

وكان القادر عفيفاً ديناً عالماً متواضعاً كريماً صنف كتباً كثيرة في فنون عديدة من العلوم منها كتاب في السنة وذم المعتزلة والروافض وغير ذلك من الكتب، وكان كثير الصدقات والتهجد [٥٢ ب] والبر. توفي في حادى عشر ذى الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وعمره ثلاث وتسعون سنة، وكانت مدة خلافته ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وما أقام أحد من الخلفاء مدة إقامته ولا طول عمره، ولما مات بويغ بالخلافة:

عبد الله القائم بالله بن القادر بالله أحمد:

أبو جعفر عبد الله القائم بالله بن القادر بالله أحمد، وكان أبوه لقبه في حال حياته بالقائم فاستمر عليه ذلك اللقب، أقام العلماء والمحدثون يرفعون له قصص الناس بعد اطلاعهم عليها

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ١٥٢.

(٢) هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين، لقبه الخليفة القادر بالله " يمين الدولة وأمين الملة ". انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٠٢، ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ١٧٥ - ١٨٢، ت رقم ٧١٣.

(٣) في الرسالة التي بعثها محمود بن سبكتكين للخليفة القادر لم يذكر مدينة بهورة وإنما ذكر مدينة تسمى " عاين "، ووصفها بأن حولها ألف قصر وألف بيت للأصنام. انظر: ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١١ ص ٣٩٤. الجوهر، ص ١٥٣ هـ ٦.

فانصلح الحال بذلك. وأسلم في أيامه من الترك في عام واحد خمس وثلاثون ألف خرگاه^(١)، وكان كثير الصوم والصدقة ولا يلتمس من المال إلا بقدر قوت عائلته، وترك أكل اللحم لإسكات الشهوة، ولا يلبس الحرير ولا ينام إلا على سجاده من غير فراش، وأفرد له بيتاً للعبادة إلى أن مات ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية شهور، ووقع له من الوقائع ما يضيق هذا الكتاب عن إيراده، بلغ من العمر سبعاً وسبعون سنة.

وفي أيامه انقطعت دولة بنى العباس من بغداد، وخطب للعبيدين بها، وأقام القائم غائباً محبوساً عن بغداد سبعة عشر شهراً^(٢)، ثم أن السلطان طغرل بك^(٣) حضر إلى بغداد وأحضر الخليفة من الحديثة^(٤) وقبل الأرض بين يديه سبع مرات ومسك لجام بغلته وسعى في ركابه إلى أن أدخله دار الخلافة، وتزوج ابنته ولم يسبق أن ملك تزوج من الخلفاء حريم، وانقطع أمر العبيدين ببغداد إلى أن مات، وعند موته بويع بالخلافة ولد ولده:

(١) ذكر محقق الجوهر نقلاً عن ابن الأثير أن ذلك حدث عام ٤٢٢ هـ، وأنهم أسلموا وضحوا يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم، الجوهر، ص ١٥٥ هـ ٦. ولا اعلم ما القصد من لفظ الخرگاه لأن معناه بيت مصنوع من الخشب يحمل أثناء السفر للمبيت به اتفاق للبرد. انظر: القلقشندي: صبح ج ٢، ص ١٣٨، DOZY ; SUPPL. P 1. P 366 ..

(٢) قام البساسيري وهو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري بإقامة الدعوة للفاطميين في بغداد لمدة عام من ذي القعدة ٤٥٠ إلى ذي القعدة ٤٥١ هـ / ١٠٥٨ - ١٠٥٩ م. ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٦٤٦؛ ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٣، ت رقم ٨١؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا، ج ٢، ص ٢٣٢، ٢٥٧.

(٣) هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ت عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م، انظر: ابن الأثير: السابق، ج ٩، ص ٤٧٣ وما بعدها، ابن خلكان: السابق، ج ٥ ص ٦٣ - ٦٨، ت ٦٩٠.

(٤) الحديثة: اسم مدينة أطلق على ثلاث مواضع هي حديثة الموصل، حديثة الفرات، الحديثة من قرى غوطة دمشق. انظر: ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

عبد الله المقتدى بن ذخيرة الدين محمد بن القائم عبد الله:

أبو القاسم عبد الله المقتدى بن ذخيرة الدين ^(١) محمد بن الإمام القائم عبد الله، وكان جده لقبه بالمقتدى، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، وكان محكوماً عليه، وكان مجاب الدعوة، جُرب ذلك منه مرات منها أن السلطان جلال الدين خوارزم شاه السلجوقي أرسل له أن أخرج من بغداد إلى حيث شئت. فأجابه بالهيلة عشرة أيام، ثم أن المقتدى لبس جتبه الصوف وصلى ودعا فمات خوارزم شاه يوم العشر. وكانت [٥٣ أ] وفاة المقتدى فجأة عشية نصف المحرم عام سبع وثمانين وأربعمائة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، ويقال أن جاريته سمته وعهد إلى ابنه:

أحمد المستظهر بن المقتدى عبد الله:

أبي العباس أحمد المستنصر ^(٢) بن المقتدى عبد الله في يوم وفاة أبيه، وفي زمنه أخذوا الفرنج بيت المقدس عنوة وقتلوا من أهله ما يزيد على سبعين ألفاً بالمسجد الأقصى، وأخذوا السواحل، اتسعت عليه الأمور، ثم أنه حصل له مرض في باطنه فأقام ثلاثة عشر يوماً وتوفي إلى رحمة الله تعالى في سابع عشرين ربيع الأول عام اثنتي عشرة وخمسمائة وعمره أحد وأربعون سنة ونصف وسبعة أيام، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وأشهر، وكان محباً للخير حسن الوجه جيد الكتابة، ولما مات بعد اثنتي عشرة سنة من القرن السادس بويع بالخلافة لولده:

(١) في الكامل لأبن الأثير [ابن الذخيرة]، ج ١٠، ص ٢٢٩؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢، ص ٦٦٢. والذخير في اللغة لما يدخر من النقائس، وقد استعمل في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل " ذخيرة الملك ". حسن الباشا: الألقاب، ص ٢٩٢ — ٢٩٣.

(٢) الصواب: المستظهر.

(٣) الصواب: أخذ، وكذلك في جميع نسخ الجوهر المخطوط، انظر: الجوهر، ص ١٦١.

الفضل المسترشد بن أحمد المستظهر:

أبو المنصور الفضل المسترشد بن أحمد المستنصر^(١) قبل دفن والده، وكان فارساً شجاعاً يسمح بالأموال [ويخرج بنفسه إلى القتال]^(٢)، ويضرب بسيفه^(٣) هام الرجال، خرج مرة^(٤) لقتال الأعاجم فترل قريباً من مراغة^(٥) فترل في خيمته فدخلوا عليه جماعة من الباطنية فقتلوه في سادس عشر ذى القعدة عام تسعة وعشرين وخمسمائة^(٦) قيل إن السلطان سنجر^(٧) أرسلهم لقتله، ثم أن السلطان سنجر ركب حافياً وقتل الباطنية وحرقهم وحمل المسترشد مقتولاً إلى مراغة وخرج أهل مراغة مكشفين الرؤوس حفاة الأقدام لتلقى جنازته فدفن بالمراغة وقبره الآن بها، ولما وصل الخبر بقتله كسروا منابر الجوامع وناحت عليه النساء والرجال حتى الأطفال، وكانت خلافته سبعة عشر عاما وستة أشهر وأياماً وعمره ثلاثة وأربعون سنة، ثم بويع ولده:

أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد:

أبو جعفر منصور الراشد بالله بن المسترشد بالله الفضل بن المستظهر بن المقتدى بعد موت والده في ثامن عشرين ذى القعدة منها فانصلح بولايته أحوال الناس، ورد على الناس ما أخذ لهم في المصادرات.

(١) الصواب: المستظهر.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ١٦٣.

(٣) بنفسه: الجوهر، نفسه.

(٤) يوماً: الجوهر، نفسه.

(٥) مراغة، بلدة تقع في بلاد أذربيجان. انظر: ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٩٣.

(٦) يذكر ابن الأثير أن الخليفة كان في قبضة السلطان مسعود السلجوقي وأن القتل تم في حين انشغال السلطان مسعود برسل السلطان سنجر، وأن الباطنية دخلوا عليه وقتلوه. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٢٧ - ٢٨، التاريخ الباهر، ص ٤٩ - ٥٠.

(٧) هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، خطب له بالعراقيين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام الموصل وديار بكر وربيعة والحرمين، استقل بالسلطنة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

ثم وقع بينه وبين الملك مسعود السلجوقي^(١) فقصده مسعود بجيوش عظيمة فخرج الراشد بالله من بغداد وتوجه [٥٣ ب] إلى عند السلطان زنكى بن أق سنقر الموصل^(٢) فأقام عنده ودخل السلطان مسعود بغداد واجتمع بأكابرها وكتبوا على الراشد محضراً بشربه الخمر والفسق، فأفتى العلماء بخلعه فاخترأوا خليفة غيره وبايعوه كما سيأتي، وكتب السلطان مسعود كتاباً إلى زنكى بالقبض على الراشد ويجهزه^(٣) إلى بغداد، فلما وصل الكتاب أراد أن يسلمه الراشد فمنعه فارس الإسلام زين الدين علي بن بكتكين^(٤) صاحب إربل وقال له: هذا ضيفنا وكان بالأمس خليفة علينا، والله لا سلمناه. فاعتذر زنكى وقال للسلطان مسعود: أنا أخرجه من بلادى وجهز أنت إليه عسكرياً من عندك فأقبض عليه.

ثم إن صاحب الموصل^(٥) وجهه مع جماعة من الأكراد فساروا به بين جبال لا يعرفها إلا القليل من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ثم خرج عسكر السلطان وعاد خائباً، ثم ارتحل من مراغة إلى الرى^(٦) فلما قرب من بلاد الباطنية وضع فيهم السيف فقتل منهم كثير، ولم يزل تتقلب به الأحوال ولا يناله من الدنيا إلا الغربة والارتحال إلى سبع عشرين رمضان عام اثنين وثلاثين وخمسمائة نزل على باب اصبهان ومعه خوارزم شاه فقتلوه الباطنية وكانوا في خدمته كاخترسانية^(٧) فلما قتل صاح الناس فركب خوارزم شاه وقتل الباطنية، وكانت خلافته إلى أن خلع سنة إلا عشرة أيام، ولما خلع الراشد تولى الخلافة:

(١) هو أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي خطب له ببغداد عام ٥٢٧ هـ/

١١٣٢ م: انظر: ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ٢٠٠ - ٢٠٢، ت رقم ٧٢٠.

(٢) هو أبو الجود عماد الدين زنكى بن أق سنقر بن عبد الله، تولى حكم الموصل عام ٥٢١ هـ إلى ٥٤١ هـ/

١١٢٧ - ١١٤٦ م. السابق، ج ٢، ص ٣٢٧ - ٣٢٩، ت رقم ٢٤٥.

(٣) يرسله: الجوهري، ص ١٦٥.

(٤) زين الدين علي بن بكتكين، المعروف بكوجك ومعناه الصغير باللغة التركية، ملك إربل وما حوها من

البلاد، وفرقها على أولاد قطب الدين زنكى بن مودود صاحب الموصل، عمر طويلاً حتى بلغ المائة، توفي

عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٤، ص ١١٤، ت رقم ١٥٦.

(٥) صاحب إربل: الجوهري، ص ١٦٦. والصواب ما ذكره صاحب النفر. انظر الصفحة السابقة هـ ٢، ٤.

(٦) هي إحدى مدن فارس، وقد خربت وتقع أطلالها اليوم بالقرب من طهران. البلاذري: السابق، ق ٣،

ص ٧٢٨.

(٧) على زى الخترسانية: الجوهري، ص ١٦٧.

محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى:

أبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى عبد الله في سابع عشر ذى القعدة عام ثلاثين وخمسمائة، فأقبل عليه السعد من كل جانب، ومات في أيامه السلطان مسعود بهمدان، وقتل السلطان زنكي، ومسك المقتفى جماعة من أصحاب السلطان مسعود وأخذ ما كان بأيديهم، وجند الجنود وجهاز العساكر إلى الأطراف، وأقام ناموس الخلافة واجتمع له الأمر إلى أن توفي في ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرين يوماً، ولما مات تولى الخلافة بعده ولده:

يوسف المستنجد بن المقتفى محمد:

أبو المظفر [٥٤ أ] يوسف المستنجد بن المقتفى محمد بعد الصلاة على أبيه، وأظهر سيرة جميلة ورد أموالاً اغتصبت، وسجن أقواماً كانوا ينسبون إلى الظلم، وأسقط مكوساً وأبطل ما كان السلاطين يتناولونه بإشارة وزير أبيه ابن هبيرة^(١)، ومشى في الخلافة على طريقة السلف، ثم إن شخصاً يسمى قايمار المستنجدى من مماليكه سمه وضعف ومات عام ست وخمسين وخمسمائة^(٢)، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، ثم بويع بالخلافة ولده:

الحسن المستضىء بن المستنجد يوسف:

أبو محمد الحسن المستضىء بن المستنجد يوسف في تاسع ربيع الآخرة منها، وكان ديناً عادلاً فهاجر الناس إلى بغداد لعدله وحسن سيرته، أمر بإطلاق المسجونين وفرق أموالاً جزيلة وغمر الناس جوده وفضله، وفرق الخلع والثياب النفيسة على الناس، وأسقط الخراج المجدد والضرائب والمكوس.

(١) ابن هبيرة: هو الوزير أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة، اشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، تولى

الوزارة عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٦، ص ٢٣٠ - ٢٤٤، ت رقم ٨٠٧.

(٢) يتفق هذا التاريخ مع جميع نسخ مخطوط الجوهر، ولكن الصواب أنه توفي عام ٥٦٦ هـ. انظر: ابن

الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٨؛ الجوهر، ص ١٦٩.

وفي أيامه عادت الخطبة بمصر لبني العباس بعد انقطاعها منها مائتي وخمسة عشر عاماً، وطلب قايماز قاتل أبيه فهرب منه إلى همدان، ثم هبت داره وتشتت شمله. وأقام المستضيء في الخلافة نافذ الأمر إلى أن عرض له مرض مات منه في ثاني ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخسمائة، وبويع بالخلافة:

أحمد الناصر بن الحسن المستضيء:

أبو العباس أحمد الناصر بن الحسن المستضيء البيعة العامة في يوم وفاة والده، فأخذ الأمر بقوة، وفتح البلاد عنوة وطاعة، وطبقت دعوته البلاد وجميع الآفاق، وأوقع بوزراء السوء النكال وأمر بإراقة الخمر وكسر الملاهي وأبطل المكوس، وكان عالماً أديباً فاضلاً حسن الرأي والتدبير سيوساً ذا فكرة ناضجة وقريحة جيدة. وكان يباشر الأمور بنفسه، ويطلع على أحوال رعيته، وما كان يحتجب على عادة من تقدمه من الخلفاء، إلا أنه كان يحب جمع المال، وكانت راياته منصوره، وانتظم له أمر الخلافة إلى أن توفي ثاني شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكانت خلافته ستة وأربعين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً، وعند موته عهد إلى ولده:

محمد الظاهر بالله بن الإمام الناصر أحمد:

أبي [٥٤ ب] نصر محمد الظاهر بالله بن الإمام الناصر أحمد بعد أن كان والده سجنه مدة طويلة ^(١)، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وخمسين سنة وكان يقول من يفتح دكانه بعد العصر متى ^(٢) يبيع. وكان عادلاً كريماً حسن السيرة والاعتقاد كارهاً للظلم أعاد إلى خلق كثير ما اغتصبه والده منهم وسأهم براءة ذمة والده، وسار في الناس سيرة حسنة إلى أن أدركته الوفاة لأربع ليال خلت من رجب عام ثلاث وعشرين وستمائة، فكانت مدة خلافته تسع شهور وأربعة عشر يوماً، ثم بويع بالخلافة ولده الإمام:

(١) عن سجن الظاهر. انظر ابن الأثير حوادث عام ٦٢٢ هـ.

(٢) إيش: الجوهر، ص ١٧٣.

عبد الله المستنصر بالله بن الظاهر محمد:

أبو جعفر عبد الله المستنصر بالله بن الظاهر محمد في رابع شهر رجب منها، وكان جيد السياسة كثير العدل والإحسان متجباً للرعية.

وفي أيامه قصد التتار بغداد فاستخدم العساكر وقتلهم وكسروهم وأفنى منهم خلقاً كثيرة، عمر ببغداد المدرسة المستنصرية ولم يكن على وجه الأرض مثلها لأنها كانت بالعراق مثل الجامع الأموي بالشام وجعلها للمذاهب الأربعة وأوقف عليها أوقافاً كثيرة وكتباً نفيسة، وكان يحب العلم وأهله، انتظم له الأمر في الخلافة إلى أن توفي ثاني عشرين جمادى الآخرة عام تسع وثلاثين وستمائة وعمره إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام، وكانت خلافته ست عشرة سنة إلا خمسة وعشرين يوماً، ثم بويع بالخلافة أخوه:

محمد المستعصم بالله بن الإمام الظاهر بالله:

أبو عبد الله محمد المستعصم بالله بن الإمام الظاهر بالله، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين قتل في الحرم سنة ست وخمسين وستمائة، وكان سبب قتله أن وزيره ابن العلقمي الرافضي لعنه الله قصد إبطال كلمة أهل السنة، فكتب إلى هولاكو ملك التتار " إنك تحضر إلى بغداد، وأنا أسلمها لك "، وكان داخل قلب الملعون الكفر فكتب إليه هولاكو " أن عساكر بغداد كثيرة ومال قدرها، فإن كنت صادقاً فيما قلته ففرق العساكر، فإذا علمت ذلك حضرت إليك ". فلما وصل كتابه إلى الوزير دخل على المستعصم فقال له " إن جندك كثيرون وعليك [٥٥ أ] كلف كثيرة والعدو قد رجع من بلاد العجم وعندى من الرأى أن تعطى دستوراً خمسة عشر ألف فارس من عسكرك وتوفر معلومهم ".

فأجابته الخليفة إلى ذلك، فخرج الوزير وعرض ^(١) العسكر وصرف منهم خمسة ألف فارس شجعان العسكر، ومنعهم الإقامة ببغداد وأعمالها، ففرقوا في الأطراف. ثم إنه أتى إلى الخليفة مرة ثانية وذكر ما قاله أولاً، فطاوعه الخليفة على ذلك، وأعطى دستوراً لعشرين ألف فارس، وكان هؤلاء الخمسة والثلاثون ألف فارس مقومين بمائتي ألف فارس.

(١) أعرض: الجوهر، ص ١٧٦.

ثم إن الملعون كاتب هولاء بما فعله، وطلب حضوره، فقصده هولاء بـغداد ونزل عليها، فأجمع أهل بغداد وتحالفوا وخرجوا إلى ظاهر بغداد، وقتلوا هولاء، وصبر المسلمون فكسروا هولاء وعسكره، وساق المسلمون خلعهم وأسروا منهم جماعة، ونزلوا في خيامهم مطمئين منصورين. فأرسل الوزير في تلك الليلة جماعة فقطعوا شط الدجلة، فخرج ماؤها على عسكر بغداد وهم نائمون فأوحلهم وأوحل خيولهم، وغرقت حوائجهم وأموالهم والسعيد فيهم من نجا بفرس عرى، وأرسل الوزير إلى هولاء يعلمه بما وقع ويعرفه أن يعود على المسلمين ففعل، وعادوا على المسلمين ودخلوا بغداد صباحاً وأوقعوا السيف في أهلها، ولم يرحموا شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً، ومسكوا أعيان بغداد، ودخلوا إلى دار الخلافة فهبوها، ومسكوا الإمام المستعصم وولده منها فأحضرهما إلى هولاء، فأخرجهما إلى ظاهر بغداد ثم وضعهما في عدلين ورفسهما التتار إلى أن ماتا رحمة الله عليهما، ونبت بغداد وقتل في تلك القضية ألفاً^(١) ألف وثلثمائة ألف وثلثون مسلماً أثاهم الله الجنة.

وكانت خلافة المستعصم ستة عشر عاماً وشهوراً، انقضت الخلفاء ببغداد، وقيل في ذلك:

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

وأما الوزير العلقمي لعنه الله فإن الملك هولاء استدعاه إلى بين يديه وعنفه على سوء ما فعله مع أستاذه وأنه ما حفظ حق إحسانه إليه، ثم [٥٥ ب] قال: لو أعطيناك ما نملكه ما نرجو منك خيراً، وأنت مخالف للثنا، وأهل ملتك فما أحسنت إليهم وقتلتهم وسبيت حرعهم، فنقتلك ونريح المسلمين والتتار منك ". ثم قتله هولاء أشر قتلة، وانقطعت الخلافة من بغداد إلى سنة تسع وخمسين وستمائة.

ثم في أيام الظاهر بيبرس البندقداري في شهر رجب حضر إلى الديار المصرية الإمام أبو العباس أحمد المستنصر بالله ابن الإمام الظاهر بالله محمد بن الإمام الناصر أحمد، فلما ورد إلى ظاهر القاهرة خرج له السلطان في موكب عظيم وأحسن في تلقيه وبالغ في إكرامه وقصد إثبات نسبه وتقرير بيعته لأن الخلافة شغرت من وفاة المستعصم. فأحضر السلطان أكابر الدولة وأعيانها وقضاة القضاة والعلماء والصلحاء والفقهاء وأعيان الصوفية بقاعة الأعمدة بقلعة الجبل، وتأدب السلطان معه وجلس معه بغير مرتبة ولا كرسي، "وحضرت العربان مُحضريه من

(١) ألف: الجوهر، ص ١٧٨.

بغداد " (١) والطواشي (٢) الذي من البغدادية، وسئلوا (٣) عنه في ذلك المجلس: هل هذا هو الإمام أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر محمد بن الناصر أحمد؟ فأجابوا بنعم، فشهد جماعة بالاستقضة عند القاضي تاج الدين بن بنت الأعز بذلك فأُسجل على نفسه بثبوت النسبة، وقام قائماً وبايعه وتلقب بالإمام المستنصر بالله (٤).

ثم بايعه السلطان، ثم إن الخليفة قلد السلطان البلاد الإسلامية وما أضيف إليها وما سيفتح من بلاد الكفار ولقبه "بقسيم أمير المؤمنين"، وهو أول من تلقب بذلك، ثم بايع الناس الخليفة على قدر طبقاقم، وأمر السلطان بالكتابة إلى النواب أن يخطبوا باسمه واسم السلطان الملك الظاهر، ثم ألبس السلطان فرجية (٥) سوداء بتركية زركش، وعمامة سوداء بعديّة، وطوق من ذهب، وحمله سيف بداوى، وشق السلطان القاهرة وأعيان الدولة مشاة في خدمته، وكتب له تقليد، وربت الديار المصرية وكتب بذلك إلى الآفاق.

وقصد الخليفة العود إلى بغداد [٥٦ أ] فجهزه السلطان وعين له أصحاب وظائف من أعيان المملكة وممالك كبار وصغار أربعين فارساً وخزانة وسلاح خاناه وبيوتات ومائة فرس وعشر قطر جمال ومثلها بغال وإماماً ومؤذناً، وجهز معه خمسمائة فارس، وخرج السلطان معه إلى دمشق وجهز معه طائفة من العسكر وأوصاهم أن يوصلوا الخليفة إلى الفرات، فتوجهوا على أكمل نظام. ثم إن الخليفة نزل على الرحبة (٦) وركب معه على بن حديثة من آل فضل في

(١) وأمر بإحضار العربان الذين حضروا مع الخليفة من العراق فحضروا: الجوهر، ص ١٨١.

(٢) الطواشي لقب عام للخصيان من الغلمان، وقد صار لقباً يطلق على جند الأمراء في المكاتبات إليهم.

حسن الباشا: الألقاب، ص ٣٨٢.

(٣) فسئلوا: الجوهر، نفسه.

(٤) انظر بالتفصيل عن أحداث المبايع، المقرئ: السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٥٢ — ٤٥٧.

(٥) الفرجية: نوع من الملابس عبارة عن ثوب من الصوف له أكمام طويلة متسعة. انظر: DOZY

.Suppl. Dict. Vol. 1 p 248

(٦) الرحبة: اسم لأكثر من موضع، والمقصود هنا في المتن موضع بالقرب من الفرات. انظر: ياقوت: معجم،

ج ٣ ص ٣٣؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٨٠.

أربعمائة فارس من العرب في خدمته^(١) إلى أن نزلوا بمشهد على وقصد هيت^(٢) فاتصل خبره بقرابغا مقدم التتار ببغداد، وبات الخليفة في ليلة ثالث المحرم بجانب الأنبار، فلما أصبح جاء عليه قرابغا فاقتتلوا فانكسر مقدم التتار ودفع أكثر عسكره في الفرات ثم خرج عليهم كمين من جهة قرابغا وأحاط بعسكر الخليفة فقتلوههم ولم ينج منهم إلا القليل، ولم يعرف للخليفة خبر إلى الآن، قيل قتل في الواقعة وما أشهروه بعد القتل، وقيل جرح فأخذته طائفة من العرب لمداواته فمات عندهم، وقيل غرق في الفرات.

ولما أنقطع خبره وأيسوا منه ظهر الإمام:

أحمد الحاكم بالله بن محمد بن الحسين:

أبو العباس أحمد الحاكم بالله بن محمد بن الحسين بن أبي بكر بن الحسن بن علي الفقي^(٣) بن أمير المؤمنين الراشد بالله، فقدم إلى مصر سادس عشر صفر عام ستين وستمائة، فأكرمه السلطان وأنزله في البرج الكبير من القلعة ورتب له فوق كفايته من كل ما يحتاج إليه فأقام إلى ثامن المحرم سنة إحدى وستين وستمائة، ثم إن السلطان الملك الظاهر بيبرس أقام موكباً^(٤) عظيماً في الإيوان لأخذ البيعة للخليفة، وحضر الوزير وقضاة القضاة والأمراء والأعيان وأرباب الدولة وقرئ نسبه عليهم وشهد جماعة منهم عند قاضي القضاة بالنسبة فأثبتها وسجلها.

(١) يذكر المقرئ أن الظاهر بيبرس كان ينوي إرسال عشرة آلاف فارس مع الخليفة إلا إن بعضهم قد خوفه من ذلك أن يشتد عود الخليفة ويخرجه من مصر، فلم يرسل مع الخليفة إلا ثلاثمائة فارس فقط. انظر: السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٦٢.

(٢) هيت: بلدة على نهر الفرات. ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٤٢١.

(٣) في جميع نسخ مخطوط الجوهر كما في الثغر، ولكن محقق الجوهر أثبت "القي" وهو ما جاء عند ابن تغري بردى والسيوطي. انظر: ابن تغري بردى: النجوم، ج ٧، ص ١١٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩، ص ٤٧٨؛ الجوهر، ص ١٨٦ هـ - ٣.

(٤) مجلساً: الجوهر، نفسه.

ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم قاضي القضاة ثم الأمراء ثم الأعيان على قدر طبقاتهم وانفض ذلك الموكب فخطب له على المنابر وكتب إلى الأعمال بذلك، وأنزل بمنظر الكيش^(١) وسكن بها إلى أن أدركته المنية فتوفي ثاني عشر جمادى الأول سنة إحدى وسبعمئة وحمل إلى جامع [٥٦ ب] طولون وصلى عليه فيه ودفن بمشهد السيدة نفيسة بجوارها في قبة بنيت له، وكانت خلافته أربعين سنة، وهو أول خليفة دفن بمصر من الخلفاء العباسيين، وكان عهد لابنه:

سليمان المستكفي بالله:

الإمام أبي الربيع سليمان المستكفي بالله، وكان عمره عشرين سنة في أول القرن الثامن في يوم وفاة أبيه، وخطب له على المنابر واستمر مع الناصر محمد بن قلاوون وسارا معاً إلى التتار لملاقاة غازان وعادا، فأقام الخليفة بمنازل الكيش إلى عام ست وثلاثين وسبعمئة سأل السلطان في النقلة بقلعة الجبل فأقام بها مدة أربعة أشهر وستة وعشرين يوماً ثم اختار العود إلى موطنه فعاد وأقام به إلى يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة فحصل للسلطان منه حنق فأذن له بالتوجه إلى قوص فسافر إليها^(٢)، ثم إن السلطان أقام ابن عمه إبراهيم بغير مبايعة، وأقام الإمام المستكفي بالله بقوص إلى أن أدركته الوفاة في العشر الأول من شعبان سنة اثنين^(٣) وأربعين وسبعمئة، ولما جاءت الأخبار بوفاة منعه إبراهيم من الأمر وبايعوا:

(١) المناظر ومفردها منظر، هي الأماكن المخصصة للخلفاء الفاطميين في الأماكن الجميلة والمتزهات لكي يطلوا منها على هذه الأماكن، وهي في حقيقتها قصور للخلفاء صغيرة الحجم نسبياً. ومناظر الكيش تقع على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وكانت من أهم متزهات مصر حينئذ، وقد هدمت وأعيد بناؤها مرة سنة ٧٢٧ هـ في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومرة في عهد السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م. انظر: المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٦٥، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) يُرجع المقرئ سبب نفيه إلى نقمة الناصر محمد عليه لقيام المستكفي بتقليد المظفر بيبرس السلطنة عام ٧٠٨ هـ عوضاً عنه، ثم لما أراد الناصر استرجاع ملكه جدد المستكفي الولاية للمظفر فأمرها الناصر في نفسه. وعن تفاصيل هذا الأمر. انظر: المقرئ: السلوك، ج ٢، ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٣) الصواب: إحدى.

أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكفي بالله:

الإمام أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكفي بالله أبو الربيع سليمان في العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وخطب باسمه بجميع الأعمال، واستمر إلى أن توفي في سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان إذ ذاك الأمير شيخو^(١) هو نظام المملكة فاستفهم عن الحاكم إن كان عهد لأحد قبل وفاته؟ فقالوا له إنه مات ولم يعهد إلى أحد، فعند ذلك جمع قضاة القضاة والأمراء والأعيان وتكلم معهم في ذلك فوقع الاختيار على:

أبي بكر المعتضد بالله بن الإمام المستكفي بالله:

أبي الفتح أبي بكر المعتضد بالله بن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان فبايعوه بعد موت أخيه الحاكم بأمر الله في سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان عارفاً مهاباً واسع الفكرة محباً لأهل الخير والعلم فأقام إلى أن أدركته المنية في ثامن عشر شهر جمادى الأول عام ثلاث وستين وسبعمائة، وعند موته عهد إلى ولده:

محمد المتوكل على الله بن المعتضد بالله: [المرة الأولى]

الإمام أبي [٥٧ أ] عبد الله محمد المتوكل على الله بن الإمام المعتضد بالله أبي بكر في يوم وفاة والده، وكان حسن الشكل كريم الأخلاق عظيماً مهاباً تقابله الملوك فمن دونهم، قوى الحجة والمملكة، غليظاً على الظاهر برقوق في أول مملكته وامتنع عن مبايعته فأخافه السلطان فلم يخف، وحمل منه فمسكه وقيده وعقد البيعة:

(١) الأمير شيخو هو الأمير الكبير سيف الدين شيخو بن عبد الله الناصري، أصله من كتابية الملك الناصر،

تقدم في دولة المظفر حاجي وصار من أعيان الأمراء. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٢٥٧ - ٢٦٢،

ت رقم ١١٩٢.

عمر الواثق بالله بن إبراهيم:

للإمام أبي حفص عمر الواثق بالله بن إبراهيم في سنة خمس وثمانين وسبعمائة، فأقام إلى أن توفي عام ثمان وثمانين وسبعمائة، ومدة خلافته ثلاث سنين وأشهرًا، ولما توفي تولى الخلافة بعده:

زكريا المعتصم بالله:

أبو يحيى زكريا المعتصم بالله أخو الإمام الواثق بالله، فأقام في الخلافة على أحسن منهاج إلى أن توفي في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

محمد المتوكل على الله بن المعتضد: [المرة الثانية]

ثم إن السلطان الظاهر برفوق طلب الإمام المتوكل على الله من قوص وأحسن ملتقاه وأكرمه وأزال ما عنده ولبس حلة الخلافة ونزل بأهمة عظيمة إلى بيته وأعيان المملكة في خدمته وجددت له بيعة ثانية وأقام في الخلافة إلى أن أدركته الوفاة في سابع عشرين رجب الفرد عام ثمان وثمانمائة، وعند وفاته عهد إلى ولده الإمام:

العباس المستعين بالله بن المتوكل على الله:

أبي الفضل العباس المستعين بالله في مستهل شهر شعبان فيها فأقام إلى أن كان خلع الناصر فرج بالشام من السلطنة وقتله في خامس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة فأضيفت إليه السلطنة مع الخلافة وضربت السكة ^(١) باسمه، وعلم وأقطع وخطب له على المنابر، ووجه البرد شرقاً وغرباً، ونفق الأموال وأجرى الخيرات وحضر إلى الديار المصرية على أعظم ما تكون الخلفاء والملوك من تعاطى شعار المملكة وأقام بقلعة الجبل المحروس، وكان إذ ذاك نظام المملكة الأمير شيخ من مبارك شاه، له الرأي وتدبير الأمور ولا ينفذ أمر إلا بأمره ولا ينعقد

(١) السكة هي الحديدية التي تطبع عليها العملات سواء كانت فضية أو ذهبية، وسميت سكة لأنه طبع عليها بالحديدية المعلمة، وكل مسمار عند العرب سكة. ابن منظور: السابق، ج ١٠، ص ٤٤٠؛ البقلى: التعريف، ص ١٨٢.

فعل إلا بشوره، ثم إن الأتراك اختاروا ^(١) أن الملكة لا تزال بأيديهم، وأن السلطنة لا تكون إلا فيهم، فاتفق أعيان الدولة على خلع الإمام المستعين بالله من السلطنة والخلافة وولاية الأمير شيخ السلطنة، فخلعوا المستعين [٥٧ ب] وولوا الأمير شيخ السلطنة ولقبوه بالملك المؤيد كما سيأتي في موضعه في ثاني شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة، وتوجهوا به إلى ثغر الإسكندرية فأقام إلى أن مات بالطاعون في شهر رجب عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وكانت مدة خلافته بغير سلطنة ست سنين وستة أشهر ونصف، وخلافته مع السلطنة خمسة أشهر وستة عشر يوماً، ولما خلع بوبع بالخلافة أخوه.

(١) الصواب: أشاروا.

[٥٨ ب]

الباب الرابع

في معرفة الدولة العبيدية الواردة من المغرب وتملكهم الديار المصرية إلى حين
وفاة العاضد

وهو آخر من ملك منهم بالديار المصرية في سنة سبع وستين وخمسمائة، وأول من ملك من هذه
الطائفة بالمغرب:

عبيد الله المهدي:

أبو محمد عبيد الله المهدي بن الحسن بن محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن
جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه. وقيل هو عبيد الله بن التقى بن الوفي بن الرضى، وقيل اسمه عبد الله وإنما سمي
نفسه [عبيد الله] ^(١) استتاراً، هذا عند من يصحح نسبه.

أما أهل العلم بالأنساب فينكرون دعواهم في النسب ويقولون إن اسمه سعيد ^(٢) ولقبه
عبيد الله، وللناس في ذلك أقوال كثيرة ^(٣) وقد عدلنا عنها خوف الإطالة.
ويقال إن المهدي لما دخل إلى سجلماسة ^(٤) ونما خبره إلى اليسع ^(٥) ملكها — وهو آخر

(١) ما بين الحاضرتين من الجوهر، ص ١٩٥.

(٢) جمال الدين بن ظافر: أخبار الدول المنقطعة — القسم الخاص بالفاطمين — مقدمة تحليلية وتعقيب أندريه
فريه، القاهرة ١٩٧٢، ص ٦.

(٣) عن هذه الأقوال، انظر: ابن ظافر: السابق، ص ١ — ٥؛ ابن الأبار: الحلة السراء، ج ١ ص ١٩٠ —
١٩١؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، محمد حلمي أحمد
القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٢ — ٣٤، الخطط، ج ١، ص ٣٤٨.

(٤) سجلماسة: تقع في جنوب بلاد المغرب الأقصى جنوب مدينة فاس، على نهر ملوية وقد أسسها المدراريون
عام ١٤٠ هـ. البكري: المغرب، ص ١٤٩؛ ياقوت: معجم، ج ٣، ص ١٩٢.

(٥) هو اليسع بن ميمون بن مدرار بن اليسع بن أبي القاسم، أمير دولة بني مدرار ٢٧٠ إلى عام ٢٩٧ هـ.
ابن عذاري: البيان، ج ١، ص ٢١٦.

ملوك بني مدرار ^(١) — قيل له هذا هو الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي وإلى بيعته، فأخذه اليسع واعتقله، فلما سمع به أبو عبد الله الشيعي جند جنداً كثيراً ^(٢) من كتامة ^(٣) وغيرها وقصد ^(٤) سجلماسة وأخذها فوجد المهدي مقتولاً وعنده رجل يهودي أو سامري كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه الأمر فيما دبره إن عرفت العساكر بقتل المهدي فأخرج ذلك الخديم إلى العساكر وقال لهم: هذا هو المهدي ^(٥) وأجازه سبعين.

والمهدي أول من قام بهذا الأمر وأدعى الخلافة، وقتل أبا عبد الله الشيعي الذي كان سبب قيام دولته ^(٦) وبني المهديدة بإفريقية وذلك في سنة ست وتسعين ومائتين ^(٧)، وبني سور مدينة تونس وأحكم عمارته، وكانت وفاته منتصف ربيع الأول عام اثنين وعشرين وثلاثمائة بالمهديّة، فمدة ملكه ستة وعشرون سنة وشهور ^(٨)، وقام بالأمر بعده:

(١) قامت دولة بني مدرار في بلاد المغرب الأقصى على مبادئ الخوارج الصفرية وذلك عام ١٤٠ هـ — على يد عيسى بن يزيد المكناسي الصفرى. عن هذه الدولة ونشأتها انظر: ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ١٢٦، وما بعدها؛ سعد زغلول عبد الحميد: المغرب العربي، ص ٤٠٥؛ محمود إسماعيل: الخوارج، ص ١١٢.

(٢) حشد جمعاً كثيراً: الجوهر، ص ١٩٦.

(٣) كتامة إحدى قبائل البربر التي قامت الدولة الفاطمية على أكتافها. وعن دور هذه القبائل انظر: ابن عذارى: السابق، ج ١، ص ١٧٢ وما بعدها.

(٤) ووفد: الجوهر، ص ١٩٦.

(٥) ابن ظافر: أخبار، ص ٧ — ٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٧ — ٤٨.

(٦) لقد كان السبب الأساسي في قتل أبو عبد الله الشيعي يتمثل في محاولة المهدي تجميع كل سلطات الدولة في يده وهو ما أثار أبا عبد الله وأنصاره الذين وجدوا أن هذا الأمر لا يكافئ ما قدموه في قيام الدولة. انظر بالتفصيل: ابن ظافر: السابق، ص ٨ — ١٠؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ١٦٤ — ١٦٥؛ المقرئى: اتعاظ الخنفا، ج ١، ص ٦٧ — ٦٨.

(٧) لقد اختلف في تاريخ بناء المهديّة إلا أنه لم يقل أحد منهم أنها بنيت عام ٢٩٦ هـ، بل كان الاختلاف كان بين عامي ٣٠٠ هـ، أو ٣٠٣ هـ، وتم الانتهاء من تأسيسها عام ٣٠٨ هـ. البكرى: المغرب، ص ٢٩ — ٣٠؛ ياقوت: معجم، ج ٥، ص ٢٢٩.

(٨) يقرها المقرئى أربعة وعشرين عاماً وعشرة أشهر وعشرين يوماً، السابق، ص ١٠٦.

القائم بأمر الله نزار:

الإمام أبو المنصور القائم بأمر الله نزار [٥٩ أ] بن الإمام المهدي عبد الله، تولى المملكة في ربيع الأول ومات بالمهدية تحت حصار مغلد البربري ^(١) في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، ومات وعمره نيفاً وخمسون سنة وقام بالأمر بعده ولده

المنصور بالله بن القائم بالله نزار:

أبو الطاهر إسماعيل المنصور بالله بن القائم بالله نزار، ومولده بالقيروان في عام اثنين وثلاثمائة، وكان في غاية الفصاحة والبلاغة يرتجل الشعر والخطب وما يقصد من الكلام المسجوع لوقته، تولى المملكة وهو محصور فكسر مغلد البربري الذي حاصر والده ثم ملك جميع مدن القيروان وبني مدينة سماها " المنصورية " واستوطنها، توفي في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومدة مملكته سبع سنين وثمانية أيام، وقام بالأمر بعده ولده:

المعز لدين الله:

أبو نزار معد المعز لدين الله بن الإمام المنصور إسماعيل، كان شهماً شجاعاً مهيباً عظيماً، اتسعت مملكته وكثرت عساكره، فلما اختل أمر الديار المصرية بعد موت كافور الإخشيدى ومواليه — لاشتغال الخلفاء بني العباس بالديلم عن الديار المصرية لفتن قامت عندهم ببغداد — قصد أخذ مصر وخاف أن يغرر بنفسه وعساكره فيفوته المغرب ولا تحصل له مصر، فجهز قائداً من قواده يسمى جوهر الصقلي وكان يعرف بقائد القواد ومعه مائة ألف رجل إلى الديار المصرية وأمره أنه إذا تملك الديار المصرية يبنى بلداً بالقرب من مصر لتكون سكناً للمعز.

(١) هو أبو يزيد مغلد بن كيداد النكارى الخارجى، ويعرف بصاحب الحمار، ثار ضد الفاطميين بإفريقية. عن ثورته انظر: ابن عذارى: السابق، ج ١، ص ٢١٦ وما بعدها؛ المقرئى: السابق، ص ١٠٩ وما بعدها.

فلما وصل القائد إلى مصر وتسلمها من غير قتال بعد أمور جرت له — اختصرنا ذكرها — اختط سور القاهرة وبناه بالطوب اللبن^(١) وبعضه موجود بالقرب من سوق الغنم^(٢) وكانت تربة عند الركن المخلق^(٣) وإلى جانبها دير يعرف بدير العظام يقال إنه كان به [عظام] جماعة من الحواريين فنبشت عظامهم ونقلوها إلى الخندق واختط القصر مكان الدير في وسط المدينة بترتيب ألقاه إليه سيده وهو الآن دار الضرب^(٤)، ورتب القاهرة وحارات لطوائف العسكر القادمين صحبة أستاذه من بلاد الغرب كحارة زويلة^(٥) وحارة المصامدة^(٦)، وعمر الجامع الأزهر وسمى هذه المدينة بالمنصورة وذلك في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، ثم أرسل عرف أستاذه المعز بذلك [٥٩ ب]، ثم حضر المعز من المهديدة بعساكره من بلاد الغرب إلى أن دخل القاهرة من غير ضرورة^(٧)، وجلس على سرير الملك وولى وعزل وفرق وأقطع وذلك في شهر ذى القعدة عام اثنين وستين وثلاثمائة.

(١) هذا السور تم هدم آخر جزء منه يرجع إلى العصر الفاطمي في العهد المملوكي عام ٨٠٣ هـ. انظر:

المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٣٧٧.

(٢) السابق، ج ١، ص ١٠٤، ج ٢، ص ٤٥.

(٣) يقع موقعه على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحرى للقصر الكبير بالحائط الغربى له، وقيل إن السبب في تسميته بذلك يرجع إلى عام ٦٦٠ هـ وذلك لظهور حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعرقان. وقد أرجع المقريزي سببا آخر لتلك التسمية في أنه وجدت كتابة على أسكفة باب الجامع الأقمر تقول " والحوانيت التي ياكُر من المخوق " وهي في اللغة بمعنى الواسع، أو يكون المخلق أى مستو وأملس، وأن العامة حرفته إلى الركن المخلق. السابق، ج ١، ص ٤٠٥.

(٤) دار الضرب هي بقايا القصر الكبير والذي كانت به خزانة الإيوان الكبير. المقريزي: السابق، ج ١، ص ٤٠٦ — ٤٠٧.

(٥) حارة زويلة: نسبة إلى قبيلة زويلة التي نزلت بها بعد دخول الفاطميين مصر. المقريزي: السابق، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٦) عرفت هذه الحارة باسم إحدى طوائف الجند الفاطميين المنسوبون إلى قبيلة مصمودة البربرية، وقد بنيت هذه الحارة عام ٥١٥ هـ عهد الخليفة الأمر بأحكام الله. المقريزي: السابق، ج ٢، ص ٢٠.

(٧) الضرورة هي العزيمة والإصرار، وتقال أيضاً للرجل المتبتل غير الراغب في الزواج. ابن منظور: لسان، ج ٤، ص ٤٥٣.

وكان عارفاً ذكياً فطناً يقطاً مطلعاً على الأمور، وكان عارفاً بالنجامة وهو الذى ابتداءً بهذه المدينة باسم القاهرة وذلك لأنه عند حفر أساسها كان الطالع نجم يسمى القاهر يقال إنه المريخ، وحمل أحجار الأساس لجماعة وجعل لهم حبلاً على قوائم هذا الأساس، وجعل في الحبال أجراس نصبت وأمر حملة الأحجار برميها إذا سمعوا صوت الأجراس، وقعد يرصد لاستحقاق الرمي يحرك لهم الأجراس ليرموا الحجار، فحط غراب على تلك الحبال فتحركت الحبال بالأجراس فصيتت فسمعوها حملة الحجار فظنوا أن المعز أشار إليهم فرموا الحجار في ذلك الطالع فرأى المعز ذلك فشق عليه وقال: إن الطالع القاهر. فسمّاها بالقاهرة لأنه لا يملكها إلا قاهر^(١). وأقام المعز بالقاهرة سنتين ونصفاً إلى أن توفى في ربيع الآخر عام خمسة وستين وثلاثمائة، وكانت مدة مملكته بالمغرب والقاهرة ثلاث وعشرون سنة ونصف، ولما توفى كانت الولاية بعده لولده:

العزیز بالله نزار:

أبى المنصور العزیز بالله نزار بن المعز لدين الله معد في يوم الخميس رابع ربيع الآخرة، وكان كريماً شجاعاً حسن العفو عند المقدرة، قريباً من الناس بصيراً بالجارج من الطير، مغرمّاً بحب الصيد حتى صيد السباع، وكان أديباً فاضلاً ذكياً ذكره الشعالي في يتيمة الدهر، توفى في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ومدة مملكته إحدى وعشرون سنة، ولما مات تولى بعده:

(١) من المعروف أن المعز لدين الله قدم إلى مصر بعد بناء القاهرة ولذلك لم يكن له دخل في بنائها، ولقد كانت هناك روايتان حول بناء القاهرة أوردتهما المقرئ في الخطط إحداهما مذكوره السحماوي وهذه الرواية تشابه مع ما رواه المسعودي في بناء الإسكندرية على يد الإسكندر الأكبر. والأخرى أن جوهر الصقلي سماها المنصورية على اسم مدينة المنصورية بالمغرب وعندما حضر المعز سماها القاهرة تيمناً بأنها ستقهر أعداءها وهذه الرواية هي الأقرب للصحة. انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٠٤؛ اتعاظ، ج ١، ص ١١١هـ-١١٢؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢١٥.

الحاكم بأمر الله:

أبو علي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار في اليوم الثاني من موت والده، وعمر جامعه المشهور عند باب النصر في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وسماه بالجامع المنصوري ثم عرف بعد ذلك به.

[كان] ^(١) شيطانياً مريداً سيئ الاعتقاد وسفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً [٦٠ أ] من أمراء دولته وأعيانها صبراً بغير ذنب، ادعى الألوهية وأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم، ومنع النساء من الخروج من بيوتهم ليلاً ونهاراً مدة سبع سنين، ومنع الخمر وقطع سائر الكروم من الديار المصرية وحرم أكل الملوخية وشرب النعناع، ثم إنه زهد ولبس الصوف وركب الحمار وصار يطوف بالأسواق بغير غلام، وهدم قمامة بالقدس الشريف ^(٢) وألزم النصارى بتعليق صلبان خشب في أعناقهم زنة كل صليب خمسة أرتال، وجعل على أبواب اليهود والنصارى صفة صور الشياطين وأمرهم بتعليق أجراس في رقابهم عند دخولهم الحمام، وكان رافضياً خبيثاً مُسَوِّدًا غاب بالجليل المقطب ^(٣)، وقيل قتل به وصح ذلك لأنهم وجدوا دابته معرقة عند حلوان في بركة، ووجدوا جثته وأثر السكاكين بها وذلك في شوال عام إحدى عشرة وأربعمائة وعمره ستة وثلاثون سنة، وكانت مدة ولايته عشرين سنة ^(٤) — وله الحكايات العجيبة والأمور الغريبة تركتها طلب الاختصار ^(٥) — ثم قام بالأمر بعده ولده:

(١) ما بين الحاصرتين لإيضاح المعنى.

(٢) المقصود بها كنيسة القيامة بالقدس الشريف، وذلك الاسم راجع إلى أن موضع الكنيسة كان الموضع الذى كانت توضع به القمامة خارج سور بيت المقدس. القلقشندي: صبح، ج ١٣، ص ٢٨٦.

(٣) الصواب: المقطم.

(٤) الصواب: خمسة وعشرون، لأنه من المعروف أن الحاكم بأمر الله تولى الخلافة عام ٣٨٦ إلى عام ٤١١ هـ/ ٩٩٦ — ١٠٢٠م فتكون مدة حكمه خمسة وعشرون عاماً، ولذلك فأعتقد أن كلمة " خمسة " قد سقطت عفواً من المؤلف.

(٥) لقد حاول بعض المؤرخين الدفاع عن سلوك الحاكم الذى شحنت به كتب التاريخ، منهم. عبد النعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٥٩.

الظاهر بالله على:

أبو الحسن الظاهر بالله على بن الحاكم بأمر الله بن معد بعد والده بشهرين فى يوم عيد النحر وكان عمره سبع سنين، ضعفت دولة العبيدين فى أيامه لصغر سنه، وأقام متولياً خمسة عشر سنة وتسعة أشهر، وتوفى ليلة النصف من شوال سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قال ابن خلكان: إنه مات بالمقس فى بستان يعرف ببستان الدكة^(١)، ولما مات قام بالأمر بعده:

المستنصر بالله معد:

أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله على فى يوم وفاة أبيه وهو ابن ثمان سنين وجرت فى أيامه فتن وشدائد، وخربت مصر إلى الآن وهى الكيمان التى بطريق مصر، وتغلبت أكثر ولاية الأطراف عليها وحوصر فى قصره، وتجنى الأجناد عليه وانتزعوا كل ما فى يده، وطالبوه بتزويج بناته وأخواته فأخرجهن مع أولاده الرجال من القصر وسيرهم إلى [٦٠ ب] غزة وعسقلان، وسبب ذلك الغلاء المسمى "بالأسود"، وهو الذى ما عهد بمثله من زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه فأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضاً، قيل بيع فيه رغيف واحد بخمسين ديناراً، ثم عدت الأقوات بعد ذلك.

قال ابن الجوزى فى مرآة الزمان "أن فى هذا الغلاء خرجت امرأة ومعها قدر مُد من جوهر فقالت: من يأخذ هذا ويعوضنى فيه قدر مُد من بُر، فلم تجد فقالت: إذا لم تنفعنى فى الضائقة فلا حاجة لى بك. فألقته فى الطريق وانصرفت، فاعجب ما كان من يلتقطه لأن أهل مصر إذ ذاك نزع أكثرهم عنها".

(١) بستان الدكة: بستان من بساتين القاهرة فيما بين أراضى اللوق والمقس، وكان به منظره للخلفاء الفاطميين، وقد تلاشى هذا البستان وحكر موضعه وصار منطقة سكنية كبيرة إلا إنه خرب منذ عام ٨٠٦ هـ. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٤٧٩ - ٤٨٠، ج ٢، ص ١٢٠ - ١٢١.

وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده ومعه مشاة لم يجدوا دواباً يركبونها، وكان المستنصر يستعير بغلة صاحب الديوان ليركبها حامل المظلة^(١) [يوم العيد]^(٢)، وكان عسكره يتساقطون من الجوع، وكان خطب له ببغداد وانقطعت خطبة بنى العباس منها على ما تقدم^(٣) ولم يزل في ضنك وفساد أمر حتى طلب أمير الجيوش بدر الجمالي وكان والياً في عكا فحضر إلى الديار المصرية وهو في ذلك الأمر واستوزره فدبر الأمور بأحسن تدبير وجلب الأقوات من الأماكن البعيدة ووطد العالم وزال عنهم ذلك الضنك^(٤). وأقام المستنصر في ولايته هذه ستين سنة إلى أن مات لاثنى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ثم قام بالأمر بعده ولده:

المستعلي بالله:

الإمام أبو العباس أحمد المستعلي بالله بن الإمام المستنصر بالله معد فاختلفت دعوتهم ودولتهم وضعف أمرهم وانقطع من أكثر بلاد الشام حكمهم، وتغلب الفرنج على أكثر بلاد الشام، ولم يكن للمستعلي مع وزيره الأفضل^(٥) كلام^(٦). وكانت ولادة المستعلي لعشر ليال بقين من المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وبويع في ثاني عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة واستمر في الولاية إلى أن مات بمصر لعشر بقين

(١) حامل المظلة وظيفة في العصر الفاطمي يتولاها أمير من أكابر الأمراء، وهي عبارة عن المظلة التي تكون فوق رأس الخليفة وتكون من نفس لون ثيابه. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٤٦٩.

(٢) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٢٠٩.

(٣) انظر ص ١٨١.

(٤) ظل بدر الجمالي وزيراً للخليفة المستنصر حتى وفاته ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م متحكماً في كل مظاهر الحياة السياسية في مصر، انظر بالتفصيل: ابن الصيرفي: الإشارة لمن نال الوزارة، ص ٩٤ - ٩٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٣٩ - ٥٤؛ المقرئ: اتعاظ، ج ٢، ص ٣١١ - ٣٢٩؛ الخطط، ج ١، ص ٣٨١ - ٣٨٢.

(٥) تولى الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي الوزارة قبل وفاة والده بحوالى عام وكتب له المستنصر تقليداً بذلك. ابن الصيرفي: السابق، ص ٩٧ هـ - ٣.

(٦) حكم: الجوهر، ص ٢١١.

من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكانت [٦١ أ] ولايته سبع سنين وشهر، ثم قام بالأمر بعده ولده:

الآمر بأحكام الله:

الإمام أبو علي الأمر بأحكام الله منصور بن المستعلى بالله وهو ابن خمس سنين وخمسة أيام، وطلع ظالمًا جاهلاً طماعاً كثير الفسق متظاهراً بالفواحش ردىء الطبع^(١) وثبوا عليه الباطنية فضربوه بالسكاكين^(٢) إلى أن مات وفرح الناس بقتله، ثم إن جماعته وثبوا على الباطنية فقتلوه في عام أربع وعشرين وخمسمائة فكانت خلافته ثلاثون سنة وثمانية أشهر، ووقعت المبايعة لابن عمه:

الحافظ لدين الله:

الإمام أبي الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن الإمام المستنصر بالله معد^(٣) في ذى القعدة منها وعمره ثمانية وخمسون سنة وشهراً، وكان وزيره ابن الحافظ^(٤) هو المتحدث ولم يكن للحافظ إلا اسم الخلافة، وكان ابن الأفضل^(٥) قد أظهر مذهب الإمامية.

(١) ابن ميسر: أخبار، ص ١١١.

(٢) قتل الأمر مجموعة من الزارية لكونه وأبوه عندهم من الغاصبين للخلافة دون نزار بن المستنصر، وعن عملية قتله بالتفصيل انظر: السابق، ص ١١٠؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ٢٤ — ٢٦.

(٣) لقد مات الأمر دون أن يعقب ولداً ولكنه ترك إحدى جواريه حاملاً فأوصى أن يكون ابن عمه عبد المجيد إماماً مستودعاً حسب العقيدة الإسماعيلية إلى أن تلد الحارية ذكراً يكون هو الإمام، ولكن الذي حدث أنها أنجبت أنثى فطلت الخلافة باسم عبد المجيد الذي تلقب بالحافظ. انظر: ابن الطوير: السابق، ص ٢٦ — ٢٧.

(٤) هو أحمد بن الوزير الأفضل شاهنشاه الملقب بكتيفات، انظر تفاصيل علاقته مع الخليفة الحافظ: السابق، ص ٣٠ — ٣٣؛ ابن ميسر: السابق، ص ١١٣ — ١١٥.

(٥) الصواب: الأفضل.

ثم إنه — أى الحافظ — دبر على وزيره حتى قتله فى سنة ست وعشرين، وتصرف فى مملكته وطالت يده وأحسن تدبير نفسه إلى أن مات فى عام أربع وأربعين وخمسمائة خمس خلون من جمادى الآخرة منه، وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وشهوراً ثم قام بالأمر بعده ولده:

الظافر بالله إسماعيل:

الإمام أبو الفداء الظافر بالله إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد، وزر له الأمير نجم الدين بن مصال^(١)، وكان عارفاً عاقلاً ديناً، عمر جامع الفكاكين^(٢) بالشواتين^(٣) المعروف بالظافرى، استوزر الملك عباس^(٤).

وكان لعباس ولد يسمى نصر صحبة الظافر واتحد معه حتى يكاد أنه لا يفارقه فحسده أكثر المملكة على ذلك، فخشى الوزير على نفسه من جريرة ذلك فرمى بين ولده وبين الظافر بمواقع شنيعة بأمور قبيحة^(٥) شنعها عليه، فعزم نصر على الظافر فى بيته فأتاه ليلاً إلى الدار

(١) نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال اللكى المغربى، وقد تولى الوزارة لمدة شهرين عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م، وقد خرج عن الوزارة على يد العادل بن السلار، انظر: ابن ميسر: أخبار، ص ١٤٠ — ١٤١؛ ابن الطوير: نزهة، ص ٥٥ هـ؛ المقرئى: اتعاط، ج ٣، ص ١٩٣.

(٢) جامع الظافر يعرف أيضاً بالجامع الأفخر ثم عرف فى العصر المملوكى بجامع الفاكهين أو الفكاكين. انظر: المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٣) كان قبلها يعرف بسوق السراجين، وفى العصر المملوكى عرف بسوق الشواتين. انظر: المقرئى: السابق ج ١، ص ٣١٥، ٣٧٣، ج ٢، ص ٣٩٣.

(٤) هو الملك عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، ربيب العادل بن سلار، قتل عباس العادل سلار بإيعاز من أسامة بن منقذ وتولى الوزارة بعده. عن قتل ابن سلار وتولى الملك عباس الوزارة انظر: ابن الطوير: السابق، ص ٥٩ — ٦٦؛ ابن ميسر: السابق، ص ١٤٦ — ١٤٧؛ أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص ١٨.

(٥) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٩١ — ١٩٢؛ ابن الطوير: السابق، ص ٦٧؛ المقرئى: اتعاط، ج ٣، ص ٢٠٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٥، ص ٢٨٨ — ٢٩٣.

المعروفة بالمأمون بن بطائح المعروفة الآن بمدرسة الصنادقيين ^(١) فقتل الظافر بها في شهر المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ^(٢)، وكانت مدة مملكته أربع سنين وثمان شهور، ثم قام بالأمر ولده:

الفائز بنصر الله:

الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر [بالله] إسماعيل صبيحة قتل والده وعمره خمس سنين ^(٣)، ووزر له الصالح [٦١ ب] طلائع بن رزيك ^(٤) وكان خيراً عارفاً ديناً عمر جامع الصالح ^(٥) خارج بابي زويلة والمشهد الحسيني ^(٦) في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وأوقف

(١) هذا الاسم " مدرسة الصنادقيين " لم يذكره المقرئى أو غيره من المؤرخين إلا باسم " المدرسة السيوفية " وهى المدرسة الخاصة بتدريس المذهب الحنفى، وكانت فى أصلها داراً للوزير الفاطمى المأمون بن بطائح، ولعل صاحب الثغر أطلق عليها هذا الاسم نتيجة وجودها قبالة قيسارية الصنادقيين. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٧٤، ج ٢، ص ١٠٢، ٣٦٥ - ٣٦٦، وهذه المدرسة حل محل جزء منها جامع الشيخ مطهر الواقع بشارع العز لدين الله من جهة شارع جوهر القاندة. انظر: ابن الطوير: السابق، ص ١١ هـ - ١٠ هـ.

(٢) السابق: ص ٦٧؛ ابن ميسر: السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨؛ المقرئى: اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٦؛ الخطط، ج ٢، ص ٣٠؛ وقد ذكر ابن منقذ رواية أخرى مفادها أن الخليفة الظافر أراد قتل الملك عباس عن طريق ابنه نصر، الاعتبار، ص ١٩ - ٢٠.

(٣) ابن منقذ: السابق، ص ٢٠ - ٢١.

(٤) تولى الصالح طلائع بن رزيك الوزارة بعد أن استجذبت به شقيقات الخليفة الظافر لكى يخلص البلاد من الوزير الملك عباس فزحف الصالح طلائع على القاهرة ودخلها بدون قتال وتولى الوزارة للخليفة الفائز. وعن هذه الأحداث بالتفصيل انظر: ابن الطوير: السابق، ص ٦٩ - ٧٣؛ ابن منقذ: السابق، ص ٢٣ - ٢٧؛ ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ٥٢٦، ت رقم ٣١١.

(٥) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣، وهذا الجامع مازال قائماً تحت رقم ١١٦.

(٦) باب المشهد الحسينى: هو الباب المعروف اليوم باسم الباب الأخضر بمسجد الإمام الحسين، وكان يعرف حتى عام ٥٤٨ هـ باسم باب الديلم، وهو الباب الذى يؤدى إلى قبة الديلم التى دفنت بها رأس الحسين فعرفت بالمشهد الحسينى. المقرئى: السابق، ج ١، ص ٤٢٧؛ ابن الطوير: نزهة، ص ١٨٨، هـ - ٢.

بلقس من الضواحي على الأشراف^(١)، وكان حسن الرأى والتدبير في أموره، وسار في الناس سيرة مشكورة إلى أن أدركته الوفاة في سابع عشر رجب عام خمس وخمسين وخمسمائة، ثم قام بالأمر بعده:

العاضد لدين الله:

الإمام أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن الأمير أبو الحجاج يوسف بن الإمام الحافظ عبد المجيد في ثامن عشر رجب منها وعمره أحد عشر سنة، وتوزر له طلائع بن رزيك ثم قتل، وتولى ولده العادل ثم قتل^(٢)، وتولى شاور^(٣) وهو الذى أخرب مصر^(٤)، لأن الفرنج حاصروا القاهرة حصاراً شديداً، فخاف على مصر فأحرق مدينة باب اليون^(٥)، وكانت مدينة عظيمة يقال إنه كان بها أربعمائة حمام، وهى الكيمان التى بالقرافة خارج السور^(٦) خوفاً لأن يملكها

(١) وأوقف على السادة الأشراف بلقس: الجوهر، ص ٢١٦؛ وبلقس الأشراف قرية قديمة ذكرها ابن ممتى ضمن أعمال الشرقية، وذكرها ابن الجيعان ضمن أعمال القليوبية، وهى الآن ضمن قرى مركز قليوب، وقد أوقفها الصالح طلائع على جماعات الأشراف يكون ثلثاها على الأشراف الحسينيين والحسينيين، وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل منها قيراطاً على بنى معصوم إمام مشهد الإمام على بالكوفة. ابن ممتى: قوانين، ص ١١٠؛ ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ٦؛ ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ٤٥، المقرئى: السابق، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٢) هو الملك الناصر العادل رزيك بن الصالح، تولى الوزارة بوصية من أبيه عام ٥٥٦ هـ، قتل على يد والى الصعيد شاور عام ٥٥٨ هـ. ياقوت: السابق، ج ٢، ص ٤٣٩ — ٤٤٤؛ محمد المناوى: الوزارة، ص ٢٨٧.

(٣) هو أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار، تولى الوزارة مرتين، الأولى عام ٥٥٨ هـ، والثانية من عام ٥٥٩ حتى عام ٥٦٤ هـ، وهو أول وزير من أرباب السيوف ينتمى للعرب. ابن خلكان: السابق، ج ٢، ص ٤٣٩، ت رقم ٢٨٥؛ محمد المناوى: السابق، ص ٢٨٨ — ٢٨٩.

(٤) يقصد بمصر هنا مدينة الفسطاط بما كانت تضمه من عواصم مصر القديمة قبل القاهرة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع.

(٥) يقصد به حصن بابليون.

(٦) كان لأهل القاهرة قرافتان، الأولى عند سفح جبل المقطم وهى القرافة الصغرى، والثانية فى مصر وهى القرافة الكبرى. انظر سعيد عاشور: المجتمع المصرى، ص ١٠٩ — ١١١؛ محمد حمزة الحداد: قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير بآثار القاهرة، ١٩٨٧.

الفرنج^(١)، وطلب الفرنج منه ألف ألف دينار^(٢)، فسمع لهم وأوعدهم بجباية الأموال، وأرسل العاضد إلى نور الدين الشهيد وكان إذ ذاك صاحب الشام يستنصر به^(٣)، وكان نور الدين بحلب، فجهز له أسد الدين شيركوه^(٤) ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في جيش نحو العشرة آلاف فارس وخمسين ألف رجل مشاة، فلما سمع الفرنج بقدومه رحلوا، ودخل إلى القاهرة، فخلع عليه العاضد خلعة الوزارة، ومسك أسد الدين بشاور وزير العاضد فقتلته، واستمر أسد الدين في وزارة العاضد شهرين وعشرة أيام، ومات ثالث عشرين جمادى الآخرة عام أربع وستين وخمسمائة، ودفن بالقاهرة، ثم نقل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بوصية منه.

وتولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة العاضد^(٥)، ثم قبض على العاضد وجعله في قصر تحت الحرز إلى أن توفي في المحرم عام سبع وستين وخمسمائة وهو آخر الفاطميين بمصر وعدتهم أربعة عشر منهم ثلاثة بالمغرب، وأحد عشر بمصر والشام على ما بيناه في هذا الباب.

(١) يقول في ذلك المؤرخ أبو شامة " وأمر شاور بإحراق مصر وأنذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجوا في بلاد مصر، وبلغ أجرة الجمل إلى القاهرة ثلاثين ديناراً وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت وأحرقت مصر في تاسع صفر، وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً ". الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١ ق ٢، ص ٤٣٢.

(٢) وعند أبو شامة " استقرت المصالحة على أربع مائة ألف دينار، وقيل ألفى ألف دينار ": السابق، ص ٤٣٣. (٣) يذكر المؤرخون روايتين عن استدعاء جيش نور الدين إلى مصر، الأولى: أن شاور هو الذي أرسل إلى نور الدين محمود وأوعز بذلك للخليفة العاضد بعد سقوط بليس في يد الفرنج، والثانية أن الكامل بن شاور هو الذي أشار بذلك على العاضد بسعاية شمس الخلافة محمد بن مختار الذي رأى عدم جدوى دفاع شاور عن مصر وأن من الصواب استدعاء نجدة من عند نور الدين محمود. انظر: السابق، ص ٤٣١.

(٤) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذى بن مروان، قائد جيش نور الدين محمود الذي بعثه لنجدة مصر من خطر الصليبيين، تولى الوزارة للعاضد من عام ٥٦٤ هـ إلى أن توفي في نفس السنة. ابن خلكان: السابق، ج ٢، ص ٤٧٩، ت رقم ٢٩٨؛ محمد النواي: السابق، ص ٢٩٠.

(٥) تولى صلاح الدين الوزارة في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة. انظر: أبو شامة: السابق، ج ١ ق ٢، ص ٤٣٩؛ المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٣٣.

الباب الخامس

فى معرفة السلاطين من بنى أيوب بالديار المصرية ومملكة الشام وأولهم [٦٢]

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب:

السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن مروان بن شادى الحميدى الدوينى، تولى الوزارة عن أسد الدين شيركوه^(١) كما تقدم، فرسم فى أول جمعة من السنة بالخطبة لبنى العباس وإبطال اسم العبيدين، ثم فى يوم عاشوراء توفى العاضد بالقصر وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه واعتقل به من أقارب العاضد ومنعوا من النساء لمنع النسل، ثم ورد عليه خلعة من أمير المؤمنين المستضىء بنور الله^(٢) بالسلطنة " وأعلام خليفته للخطباء " ^(٣).

وهذا السلطان صلاح الدين ووالده وعمه من أمراء السلطان العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى بن أقي سنقر فأفهم تربيته ونشؤه، ثم توفى نور الدين الشهيد حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسائة فى قلعة دمشق بعلة الخوانيق، ودفن فى بيت بالقلعة ثم نقل إلى تربة بمدرسته التى أنشأها عند باب سوق الخواصين^(٤).

قال ابن خلكان: سمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون أن الدعاء عند قبره مستجاب، وقد جربت ذلك فصح. وكانت ولاية^(٥) نور الدين الشهيد ثمانية وعشرون سنة، وفى عام وفاته أبطل كل المكوس من مملكته، وفتح من أيدي الفرنج دير سمعان، وقلعة جعبر، وقلعة صافينا،

(١) الصواب: العاضد لدين الله.

(٢) المستضىء بأمر الله: أبو شامة: السابق، ج ١ ق ٢، ص ٤٩٣؛ ولكنها عند صاحب الجواهر كما فى الثغر، الجواهر، ص ٢٢١.

(٣) وأعلام للخطباء بمصر: الجواهر، نفس الصفحة.

(٤) هى المدرسة التى بناها نور الدين محمود لأصحاب المذهب الحنفى جوار الخواصين فى الشارع الغربى بدمشق، أبو شامة: السابق، ص ٥٨٣؛ النعمى: الدارس، ج ١، ص ٤٧١.

(٥) دولة: الجواهر، ص ٢٢٢.

وقلعة هونين، وقلعة بانياس، وقلعة حارم، وتسلم حلب وحماة وحمص ومنبج وحران، وأخذ دمشق من صاحبها مجير الدين أبق^(١)، ثم فتح مرعش، وبهسنا، وعزاز، وبانياس.

وكان ملكاً زاهداً عابداً عادلاً مستمسكاً^(٢) بالشرعية فعالاً للخير كثير الصدقات بنى المدارس بأكثر بلاد الشام، وبنى الموصل الجامع النوري، وبحماء الجامع الذي على نهر العاصي، وبنى جامع الرها، وجامع منبج، والبيمارستان بدمشق ودار الحديث^(٣) بها، وكان رحمه الله في المصاف يقاتل بنفسه ويتعرض للشهادتين^(٤)، ويسأل الله [٦٢ ب] أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير، وكان حسن الخط كثير المطالعة للحديث والفقهاء ملازماً للصلاة مع الجماعة كثير الصلاة وتلاوة القرآن، ورعاً في مأكله خالياً من التكبر، له عقل تام ورأى صائب شديد الهيبة يزور الصالحين ويؤاخيهم ويعتق مماليكه ويزوجهم بسراريه^(٥)، أخذ من الفرنج نيفاً وخمسين مدينة وحصناً، وأنفق^(٦) على جامع الموصل سبعين^(٧) ألف دينار، وعلى البيمارستان وأوقافه مائتي ألف دينار، وفعل معروفاً وخيراً لا يحصر.

وكان أسمر اللون طوالاً تركياً جميل الصورة قصير اللحية من الله عليه بالرحمة أفضل ما من على دارج وجعله من الذين يتبوءون أشرف المنازل ويظهرون على أعلى المعارج^(٨).

(١) هو مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن الأتابك ظهير الدين طفتكين، تولى دمشق بعد والده عام ٥٣٤ هـ، استولى نور الدين محمود على دمشق منه عام ٥٤٩ هـ، توفي في بغداد عام ٥٦٤ هـ. انظر ابن خلكان: السابق، ج ١، ص ٢٩٧، ج ٥، ص ١٨٤، ١٨٨.

(٢) كذا في أصول الجواهر، وكتبها محققه "مستمسك"، ص ٢٢٣.

(٣) دار الحديث النورية، هي أول دار حديث بنيت في العالم الإسلامي خاصة بدراسة الحديث النبوي، بناها نور الدين محمود وجعلها وفقاً على تدريس الحديث النبوي. النعيمي: الدارس، ج ١، ص ٧٤.

(٤) للشهادة: الجواهر، نفسه.

(٥) للسراري: الجواهر، نفسه.

(٦) غرم: الجواهر، نفسه.

(٧) تسعين: الجواهر، نفسه.

(٨) انظر تفصيل وصف نور الدين محمود في. ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ١٨٤ — ١٨٩، ت رقم ٧١٥؛ أبو شامة: السابق، ج ١ ق ١، ص ٩ — ١٠، ج ١ ق ٢، ص ٥٨٢ — ٥٨٤.

ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية وانقطعت دولة الفاطميين، ومات نور الدين الشهيد. لعب ولده في المملكة الشامية، فسار السلطان صلاح الدين من مصر فملك دمشق وغيرها من البلاد الشامية، وقاتل الفرنج وفتح منهم نيفاً وسبعين مدينة وحصناً، فتح من اليمن إلى الموصل، ومن طرابلس الغرب إلى النوبة.

وكان رحمه الله ملكاً شجاعاً كريماً حليماً حسن الأخلاق متواضعاً صبوراً لطيفاً، وكان يحضر عند الفقراء والصوفية ويتفضل عليهم ويقضى لهم حوائجهم ويحببهم إلى مقاصدهم ويعمل لهم الولائم والأوقات الطيبة والسماعات، وإذا قام أحد من الصوفية يرقص قام لأجله ولا يجلس حتى ينتهي رقص الصوفي ويجلس. سمع الحديث النبوي حتى في مصاف الخيل، وأسمعه أيضاً.

وعمر البيمارستان العتيق^(١) بالقاهرة، وأخذ دار سعيد السعداء جعلها خانقاه^(٢)، وأخذ حبس المعونة بمصر وجعله مدرسة^(٣)، وعمر بمصر الخشائية للشافعية، وأخرى للمالكية^(٤)، وعمر بالقيوم مدرسة وخانقاه، وعمر بالقدس خانقاه^(٥)، وكل من الصوفية بهذه

(١) المارستان العتيق، ويعرف بالأعلى أنشأه أحمد بن طولون ما بين عامي ٢٥٩ - ٢٦١ هـ، وقد كان بمصر مارستان قبله بناه الفتح بن خاقان عهد المتوكل العباسي عام ٢٤٧هـ/٨٦١م. انظر: ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٩٩؛ القرظي: الخطط، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٢) هذه الدار تنسب إلى أحد الأساتذة احنكين أيام المستنصر الفاطمي يسمى بيان، وقيل اسمه قبر أو غير. ابن مسير: أخبار، ص ١٤٤؛ القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٣٦٤ - ٣٦٥؛ القرظي: الخطط، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦؛ المقفي: ج ٢، ص ٥١٢؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج ٤، ص ٥٠ - ٥١؛ والخانقاه كلمة فارسية معناها بيت، وأصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك. القرظي: الخطط، ج ٢، ص ٤١٤؛ البقلي: التعريف، ص ١١٥.

(٣) وهى دار المعونة أو الشرطة، وقد كان سجناً فى العصر الفاطمي، وقد حوله صلاح الدين إلى مدرسة تعرف بالمدرسة الشريفة. القرظي: الخطط، ج ٢، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٤) الخشائية هى المدرسة الصلاحية بجوار مسجد الشافعي المعروفة بالزاوية. ابن ناظر الجيش: الشقيف، ص ١٩٣؛ ويذكر السخاوي أن صلاح الدين "عمر زاويتين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية وتعرف الآن بالخشائية". تحفة الأجيال، ص ٢٠٥.

(٥) يقصد به الخانقاه الصلاحية ببيت المقدس، وموضعها مكان قبر حنة أم مريم عليها السلام. النعمي:

الدارس، ج ١، ص ٢٥٠.

الخوائق إذا سافر من خانقاه وقصد الآخرة وجد فيها ما فاته من التى سافر عنها، وعمر قلعة الجبل المقطم، وسور [٦٣ أ] القاهرة الذى هو الآن، وأربعين قنطرة بالجيزة بالجسر الذى يتوصل منه إلى الأهرام، وكتب ريعه ^(١) بخطه وأوقفها على خانقاه سعيد السعداء، وجعل في آخر كل جزء منها أدعية مروية بسند يكاد أن يرحل إليها، وقد وقفت عليها.

وخلص القدس من أيدي الفرنج، وكان جميع ما يتحصل له من الأموال إما ينفقها في سبيل الله، وإما يتصدق بها على المستحقين لأخذها، وإما يصرفها في مصالح المسلمين أو يعمر بها مساجد الله حتى لم يجدوا خلفه من الأموال " سوى ديناراً واحداً وسبعة عشر درهم صورية" ^(٢). وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وهم، الأفضل على، والعزیز عثمان، والظاهر غازى، والمفضل مظفر الدين موسى، والظاهر خضر، والأعز يعقوب، والمؤيد مسعود، والمعز إسحاق، والجواد أيوب، والأشرف محمد، والمنصور أبو بكر، والصالح إسماعيل، والغالب فروخ شاه، ونصرة الدين إبراهيم، وعماد الدين شادى، والزاهد داود، واخسن أحمد، وابنة واحدة تزوجها الملك الكامل محمد بن أخيه العادل.

وعند موته قسم البلاد بين أولاده الكبار، فأعطى الأفضل عليا دمشق والساحل وبيت المقدس وصرخد، وبصرى وهونين وتينين، والسواد وغزة الداروم. وأعطى العزيز عثمان مصر وما أضيف إليها من الصعيد والواحات وأسوان والوجه البحرى والإسكندرية، وبرقة ودمياط. وأعطى الظاهر غازى قبل ضعفه حلب وأعمالها ودير ساك وبولص وتل باشر وإعزاز والرواندان وتل خالد منبج وبالس وشيزر وبرزية وتفليس. وأعطى أخاه العادل أبو بكر حران ^(٣) والرها وسميساط وجعبر. وأعطى لابن أخيه عمر بن شاهنشاه حماة والمعرة والبقاعان ^(٤). وأعطى لابن عمه أسد الدين شيركوه حمص وأعمالها.

(١) في نسخ الجوهري: ربعة، صوبها محققه إلى: رقعة، ص ٢٢٦.

(٢) سوى دينار واحداً صورياً ودراهم يسيرة: الجوهري، ص ٢٢٤، والدينار الصورى هو الدينار الإفرنجى وسمى لذلك لصدوره بصور ملوكه. انظر: القلقشندي: السابق، ج ٣، ص ٤٤١.

(٣) هي مدينة قديمة كانت قصبة ديار مصر، وهي اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ج ٣، ص ٧١٢.

(٤) البقاعان هما، البقاع البعلبكى نسبة إلى بعلبك، والبقاع العزيزى نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين.

القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ١١٠؛ ابن دقماق: الجوهري، ص ٢٢٨ هـ ١٣.

ثم أدركته الوفاة رحمة الله عليه في قلعة دمشق في صفر عام تسع وثمانين وخمسمائة^(١)، وكانت دولته أربعاً وعشرين سنة ودفن بترتبه بالكلاسة^(٢) سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان، ثم ولى السلطنة من بعده [٦٣ ب] ولده السلطان الثاني من بنى أيوب:—

السلطان العزيز عثمان:

العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فتح الخزائن وخلع على أهل المملكة من أرباب الوظائف وتم له الأمر.

وكان ملكاً عادلاً كريماً حسن الطوية والأخلاق والعقيدة شديد الخوف من الله محباً للعلماء ولسماع الحديث سمع وأسمع بالإسكندرية ومصر، وخالط الفقهاء وأهل الخير واستفاد منهم وأنالهم البر والإحسان، وسار في الرعية سيراً حسناً إلى أن أدركته الوفاة في المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة^(٣)، ودفن عند ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان مولده بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، ولما عمرت والدته الكامل القبة على الإمام الشافعي أدخلت قبره فيها ثم تولى ولده السلطان [الثالث] من بنى أيوب:

السلطان المنصور محمد:

المنصور محمد بن السلطان العزيز عثمان، جلس على سرير الملك يوم وفاة والده فأقام إلى أن أخذ الملك منه الملك العادل أبو بكر، فكانت مدة مملكته سنة وشهراً وأياماً. ولما تسلطن السلطان الرابع من بنى أيوب:

(١) في الثامن عشر من صفر. المقرئى: السلوك، ج ١ ق ١، ص ١٤٠.

(٢) دفن السلطان صلاح الدين أولاً بداره الموجودة بقلعة دمشق التي مرض فيها، ثم نقل يوم عاشوراء سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م إلى تربته بجوار الجامع الأموى بدمشق. السابق، ج ١ ق ١، ص ١٤١؛ والكلاسة أحد أحياء دمشق. النعمي: الدارس، ج ١، ص ٣١٢، ٣٢٠.

(٣) في السابع عشر منه، وقد توفي العزيز عثمان في حادث صيد، وعن ظروف وملابسات موته، انظر: المقرئى: السابق، ج ١ ق ١، ص ١٧٤.

الملك العادل:

الملك العادل أبو بكر محمد بن أيوب في ربيع الآخر عام ست وتسعين وخمسمائة، وكان عارفاً شجاعاً خبيراً بالحيل، وكان عنده حلم يسمع ما يكره ولا يظهر^(١) أنه يسمع. فتح الحابور^(٢) ونصيبين وسنجار في عام ستة وستمائة، واستمر في السلطنة إلى سنة ثمان وتسعين فأخذ العهد على الأمراء وأعيان الدولة وحلفهم لولده الكامل محمد وجعله نائبه بمصر. وعند موته قسم البلاد بين أولاده فأعطى ولده الكامل محمد الديار المصرية وما هو مضاف إليها. وأعطى ولده المعظم عيسى دمشق وبيت المقدس وطبرية والأردن والكرك والشوبك واللاذقية وجبله وغير ذلك من الحصون. وأعطى ولده الأشرف مظفر الدين موسى شاه أرمن ديار بكر والجزيرتين وميفارقين وأخلاط وأعمالها. وأعطى ولده الحافظ أرسلان حماة وحمص وجعبر. فاتفقوا كلهم اتفاقاً حسناً وصاروا كنفس واحدة.

وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمسة عشر وستمائة بمدينة دمشق [٦٤ أ] في وسط الشدة والمسلمون يقاتلون الفرنج على ثغر دمياط وعمره خمس وعشرون^(٣) سنة واشهر، وكانت مدة مملكته تسعة عشر سنة وشهر، ثم تولى السلطنة ولده السلطان الخامس من بني أيوب:

الملك الكامل:

الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبو بكر محمد بن أيوب في يوم وفاة والده. وفي أيامه أخذ الفرنج دمياط في سابع عشرين شعبان عام ستة عشر وستمائة، فأرسل إلى أخويه الملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى شاه أرمن، فحضرا له بعساكرهما وساروا إلى دمياط وتقاتلوا مع الفرنج فكسروا الفرنج وتسلم دمياط في سابع رجب عام ثمان عشرة

(١) يورى: الجوهر، ص ٢٣٣.

(٢) الحابور: اسم لنهر كبير بأرض الجزيرة، نسبت إليه مجموعة بلدان كثيرة يمر بها. ياقوت: معجم، ج ٢،

ص ٣٣٤؛ ونهر الحابور منبعه اليوم بتركيا ويمتد إلى سوريا. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٧١٧.

(٣) الصواب: وسبعون، الجوهر، نفسه.

وستمائة. ولما جلس الكامل على السباط وجلس أخواه إلى جانبيه أنشد في ذلك جمال الدين بن مطروح وقيل شرف الدين الحلبي ^(١) قصيدة منها:

أعباد عيسى إن عيسى بزعمكم وموسى جميعاً يخدمان محمداً

ثم رجع الكامل إلى القاهرة ومعه أخواه فأنعّم عليهما بالذهب والخليل المسومة والأقمشة الفاخرة وعادوا إلى بلادهم. وفي أيامه أخذت ^(٢) الفرنج بيت المقدس مرة ثانية في سنة خمس وعشرين وستمائة.

وكان ديناً مهلباً شجاعاً عارفاً حسن التدبير، عمر مدرسته التي بين القصرين وجعلها دار الحديث ^(٣)، وعمرت والدته قبة الشافعي ^(٤) على ما هي عليه الآن، وأجرت ماء النيل من بركة الحبش ^(٥) إليها. فتح آمد، وحسن كيفا، والرها، وخرت برت ^(٦). وكان فقيهاً أديباً يحب العلم

(١) على الرغم من أن ابن دقماق قد نسب هذا البيت إلى جمال الدين مطروح إلا إن صاحب الثغر أضاف من عنده "أو شرف الدين الحلبي" وهو يتفق مع ما قاله ابن تغري بردي: النجوم، ج ٦، ص ٢٤٣. (٢) الصواب: أخذ.

(٣) هي المعروفة بدار الحديث الكاملية، أو المدرسة الكاملية بين القصرين، أنشأها الملك الكامل عام ٦٢٢ هـ، وقد وقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ومن بعدهم الفقهاء الشافعية. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٤) تم الإنتهاء من بناء هذه القبة عام ٦٠٨ هـ على ضريح الإمام الشافعي. المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٥) بركة الحبش: نسبت بركة الحبش إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدي، وكان ممن شهد فتح مصر، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها، وهي من أشهر برك مصر تقع في ظاهر مدينة القساطر فيما بين النيل والجليل. ابن تغري بردي: النجوم، ج ٥، ص ١٤، هـ ٢.

(٦) خرت برت: اسم أرمني للحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر. المقرئ: ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٢٦٤؛ السلوك، ج ٣ ق ١، ص ١٢٠ هـ ١؛ ولكن رجع لي سترانج إنما المدينة المعروفة عند البيزنطيين باسم orsamasaka وكان لها حصن متيع. انظر: لي سترانج: بلدان الخلافة، ص ١٤٩؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٣ ص ١٦٣ هـ ١؛ وعن هذه المدينة انظر فيما بعد، ص ٧١٥.

والعلماء ويشاركونهم في العلوم، كثير السياسة يحب جمع المال " وكان يحضر الدواوين بين يديه" ^(١) ويحاسبهم بنفسه ^(٢).

وعند موته قسم مملكته بين أولاده، فأعطى ولده العادل أبو بكر مصر وما يضاف إليها. وأعطى ولده الصالح نجم الدين أيوب حصن كيفا والرها وحران وآمد وسنجار والخابور من ديار بكر.

قلت: وإن ملوك حصن كيفا من إذ ذاك وإلى زماننا من بقايا ملوك الأيوبية ولم يكن بقي منهم غير ملوك الحصن وسيأتي أسماؤهم في [٦٤ ب] قسم المكاتبات.

توفي رحمه الله حادى عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة بقلعة دمشق ودفن بها، ومدة مملكته عشرون سنة وشهر ونصف، ثم ولى السلطنة من بعده السلطان السادس من بنى أيوب: —

الملك العادل الصغير:

الملك العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمد، تولى المملكة باتفاق من الأمراء لأن والده كان مات بالشام، ولما قدموا بقية الأمراء خرج وتلقاهم وبعد نزولهم في بيوتهم جهز لهم التعابي من القماش والخيول والأموال فحلفوا له وأقاموا بحق طاعته ثم توجهوا إلى بلادهم.

ثم إنه أخذ في اللهو واللعب وقعد في مجلس شراب فقوى عليه السكر فتكلم في قتل خدامه فبلغهم ذلك فاتفقوا مع الأمراء على حبسه فمسكوه وكتبوا الملك الناصر صاحب الكرك أن يطلق الملك الناصر ^(٣) نجم الدين أيوب من الأسر ويحضر به ليسلموه المملكة، فلما وصل إليه الكتاب تحالف مع الصالح وحضر إلى الديار المصرية فوصلا إلى مدينة بليس رابع

(١) " وكان يحضر الدواوين أمامه "، الجوهر، ص ٢٣٨، ولكن د | محمد كمال الدين يرى أن هذا تصحيف

من محقق الجوهر وأن النص الصحيح " وكان يحضر الدواوين قدامه. أربعة مؤرخين، ص ١٤٩.

(٢) يذكر المؤرخون أن الملك الكامل كان يباشر أمور ديوانه بنفسه، ولم يستوزر أحداً بعد صفى الدين بن

شكر وزيره ووزير أبيه العادل. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ١٥٧؛ المقرئ: السلوك، ج ١

ق ١، ص ٢٥٩ — ٢٦٠.

(٣) الصواب: الصالح.

عشرين شهر ذى القعدة، فخرج العسكر للقائه ودخل بشعار المملكة وحبس أخاه في القلعة وجلس على سرير الملك.

وأقام في السلطنة إلى أن قصد السفر إلى الشام في سنة أربع وأربعين وستمائة فخاف من غائلة أخيه فقصد إرساله إلى قلعة الشوبك فامتنع العادل من الخروج. فأرسل الصالح جماعة من الخدام فخنقوه سرا وأشاعوا موته، ولما تسلطن السلطان السابع من بنى أيوب:

الملك الصالح نجم الدين أيوب:

وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد، وحلفوا له الأمراء واستقر أمره، أحضر أخاه العادل ليلاً وسأله عن موجب عزله ومن كان السبب فيه؟ فأخبره عن ذلك فرد العادل إلى مكانه مسجوناً. ثم عرض الصالح الخزائن وبيت المال فلم يجد غير دينار واحد وألف درهم فسأل عن المال فقيل فرقه أخوك على الأمراء فكتم ذلك عنده مدة وأخذ وأعطى، ثم أحضر القضاة والأمراء [٦٥ أ] الذين كانوا السبب في مسك أخيه وقال لهم بحضرة القضاة: لأى شئ مسكتكم بسلطانكم العادل؟ فقالوا: كان سفيهاً، فقال الصالح للقضاة: من يكون سفيهاً يجوز تصرفه في بيت المال؟ فقالوا: لا يجوز تصرفه، ثم إنه قال للأمراء: أقسم بالله متى لم تحضروا المال الذى أخذتموه كانت أرواحكم عوضه. فخرجوا جميعاً وأحضروا المال فكان سبعمائة ألف دينار وخمسة وثلاثون ألف دينار، وألفى ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم فضة، ثم قام قليلاً ومسك الأمراء الذين اتفقوا على مسك أخيه على التدرج وعظم أمره وقويت شوكته.

عمر قنطرة السد^(١)، وحفر أساس قلعة المقياس^(٢) وعمر المدارس التى بين القصرين للقضاة

(١) قنطرة السد أنشأها الصالح أيوب مكان القنطرة التى بناها عبد العزيز بن مروان وعرفت بهذا الاسم لانحسار النيل عن الجانب الشرقى وانكشاف الأراضى التى تليها، فإذا ما أتى فيضان النيل جعل عند هذه القنطرة سداً من تراب إلى أن تأتى زيادة الفيضان عن ستة عشر ذراعاً فيفتح السد ويمر الماء. انظر: المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٤٦.

(٢) هى قلعة الروضة التى أسكن بها الصالح نجم الدين أيوب مماليكه المعروفون بالبحرية، وقد بدء فى إنشائها عام ٦٣٨ هـ، وعرفت بقلعة الجزيرة وقلعة جزيرة الفسطاط، وقلعة المقياس، وقلعة الصالحية. السابق، ج ٢، ص ١٨٣ — ١٨٥.

الأربعة^(١)، وأخذ دمشق من صاحبها بعد حروب يطول شرحها، وفي عام سبع وأربعين وستمائة وصل افرنيس إلى ثغر دمياط في عساكر عظيمة وحاصرها، وكان بها جماعة من الأمراء الكنانية^(٢) فاشتد عليهم الحصار فخرجوا ليلاً فأخذوها الفرنج مرة ثانية، وحضروا الأمراء الكنانية للسلطان فشتقهم بسبب انهمهم وكانوا نيفاً وخمسين أميراً، وتوجه للقاء العدو بالمنصورة فضعف بها ومات في ليلة نصف شعبان سنة سبع وأربعين، وفي ضعفه أوصى لولده المعظم تورانشاه بالسلطنة، وكان مقيماً بقلعة حصن كيفا، وكانت زوجته شجر الدر أم خليل الصالحة مدبرة الأمور في مرضه فلم يتغير شيء من معالم المملكة وأخفت موت السلطان وأقامت مدة على ذلك ثم ظهر موته.

وهو أستاذ الترك وأول من جلبهم لهذه البلاد، قتل خلقاً كثيرة من الأمراء وغيرهم وأخذ أموالهم، ومات في حبسه ما ينيف عن خمسة آلاف نفس، وكان ملكاً شجاعاً ذا هيئة وسطوة عظيمة ما جسر أحد أن يشفع عنده في أيام مملكته، وكانت مدة سلطنته عشر سنين إلا خمسين يوماً، ثم حضر ولده تورانشاه من حصن كيفا صحبة الفارس أقطاي من البرية، وكادا أن يهلكا من العطش [٦٥ ب]، ثم تسلطن ونقل الصالح من المنصورة إلى تربته بين القصرين فدفن بها، ولما ولي السلطنة السلطان الثامن من بنى أيوب:

الملك المعظم تورانشاه:

الملك المعظم تورانشاه بن السلطان الصالح نجم الدين أيوب مملكة الديار المصرية والشامية بعد موت أبيه في يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، فسافر إلى دمياط وكسر الفرنج كسرة عظيمة، وقتل منهم مائة ألف نفس وزيادة وأسر ملكهم

(١) هي المدرسة والقبة الصالحة الموجودة بين القصرين بدأت شجرة الدر في إنشائها عام ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، جعلها مدرسة للفقهاء الأربعة، ودفن داخل القبة بعد وفاته. السابق، ج ٢، ص ٣٧٤، وما زالت قائمة تحت الرقم الأثرى ٣٨.

(٢) هم الأمراء المنسوبون إلى بنى كنانة الموجودين مع الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ. المقرئ: السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

الفرنسيس واعتقل بدار ابن عثمان ^(١) بالمنصورة في سنة ثمان وأربعين، وفي ذلك قال ابن مطروح من جملة أبيات:

قل للفرنسيس إذا جئته مقالة من ذى وداد صحيح
دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صحيح

وكان هذا الطواشى صحيح خادماً حبشياً ذا حرمة وافرة وسطوة قاهرة، تولى أمير جندارية، وكان الطواشى شمس الخواص أستاذاره أمر المعظم أن يصاغ له عصابة من ذهب يلبسها وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات عظيمة وجعله أمير مائة وخمسين فارساً.

ثم شرع المعظم في إبعاد أمراء والده ومماليكه وتقريب من حضر معه بحصن كيفا وخالف والده في جميع ما أوصاه به، فاتفق الأمراء على قتله. ففي يوم الاثنين سادس عشر المحرم سنة ثمان وأربعين حضر الأمراء الموكب، وخرجوا من عنده فلما خلا المكان منهم تقدم إليه بعض مماليك والده وضربه بسيف التقاها بيده فانجرح، وخرج المملوك هارباً فقال له السلطان: عرفتك أين تروح؟ فخاف المملوك واجتمع باخوته ^(٢) وعرفهم ما جرى فدخلوا معه جميعاً إليه، فلما أبصرهم هرب إلى البرج الخشب الذى فى الخيمة فدخل فيه وأغلقه عليه، فأحضروا ناراً وحرقوه ^(٣) فرمى بنفسه من أعلى البرج وهرب إلى صوب البحر وهو يقول: ما أريد ملك دعونى أرجع إلى حصن كيفا. واستغاث بمن يجيره، ثم تعلق بذيل الفارس أقطاى فلم يجره وقطعوه قطعاً بالسيف.

وكانت مدة [٦٦ أ] مملكته سبعة وستين يوماً، واتفق الأمراء الأكابر على سلطنة شجر الدر أم خليل الصالحية لما علموا أنها كانت تدبر أمر زوجها الصالح نجم الدين أيوب وتقضى حوائج الناس وتعلم على المناشير والتواقيع، فحلف لها جميع العسكر المصرى وخطب باسمها وتوجه هو وزوجته وأولاده ومن يخدمهم إلى بلادهم بعد أن قامت بيد الفرنج أحد عشر شهراً وتسعة أيام. ثم تزوجت نائبها الأمير عز الدين أيلك، ثم اتفق رأى الأمراء على أن يسلطنوا السلطان التاسع من بنى أيوب:

(١) الصواب: ابن لقمان.

(٢) بخشداشيتة: الجوهر، ص ٢٥٠.

(٣) فأحرقوا البرج: الجوهر، نفسه.

الملك الأشرف مظفر الدين موسى:

الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فسلطنوه يوم الأربعاء ثاني جمادى الأول عام ثمان وأربعين وستمائة، وأشركوا اسمه مع اسم شجر الدر على السكة^(١)، ويعلمان معاً على المناشير وغيرها، وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطوا على المسلمين وكانوا ألف مملوك من الترك بالروضة، فكانوا يسبون الحرير ويأخذون الأموال وكان كبيرهم الفارس أقطاي الصالحى، وكلما طلب من الأموال أخذ من الخزائن وغيرها حتى أقطع ثغر الإسكندرية بمفرده، وهذا الأشرف هو آخر ملوك بنى أيوب رحمة الله عليهم.

(١) ضربت شجرة الدر ديناراً لها عرف بالدينار المستعصمى نسبة إلى الخليفة المستعصم العباسى الذى ذكر اسمه على وجه الدينار، وعلى الظهر ذكر اسم شجرة الدر منتسبة إليه "المستعصمية". وعن العملات التى ضربتها شجرة الدر انظر: سامح عبد الرحمن فهمى: الوحدات النقدية، ص ٣١ - ٣٢.

الباب السادس

فى معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك

وأولهم:

السلطان المعز عز الدين أيك:

السلطان المعز عز الدين أيك، وسبب ولايته أن الأشرف موسى كان صغيراً، وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد، فأجعت الآراء على إقامة [٦٦ ب] المعز بمفرده فتسلطن ودبر المملكة وشرع فى تحصيل الأموال واستخدام الرجال، واستجد وزيره الأسعد الفائزى^(١) مكوساً كثيرة وضمانات وسماها حقوقاً ومعاملات، ثم إن المعز لما تمكن وهربت جماعة البحرية إلى الشام ورءوسهم بيبرس البندقدارى، وقلاوون الألفى، وسنقر الأشقر^(٢) وبيبرى^(٣) احتاط على موجودهم وارتفعت الإسكندرية إلى الخاص وأبطل ما قرر من الضمان وخطب بنت صاحب الموصل، فسمعت شجر الدر بذلك فتغيرت عليه، فلما علم تغيرها عليه عزم على قتلها فبلغها ذلك فخافت على نفسها واتفقت مع الطواشى محسن الجوجرى ونصر العزيزى على قتله.

وفى خامس عشر ربيع الأول عام خمس وخمسين وستمائة دخل الملك المعز الدار فقامت بين يديه الملكة شجر الدر وقلعته قماشه وقبلت يده من غير عادة وقعد عندها ثم دخل الحمام فدخل عليه الخدام ومعهم غلام محسن فقتلوا المعز فى الحمام، فظهر خبر قتله فقبض على

(١) هو هبة الله بن صاعد الفائزى، لقب بالوزير صاحب شرف الدين، وينسب إلى الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل أبى بكر. توفى مقتولاً عام ٦٥٥ هـ بتدبير من والدته الملك المنصور بن المعز. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٠٥؛ العيى: عقد الجمان، ج ١، ص ١٤٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ٥٨.

(٢) هو الأمير شمس الدين سنقر بن عبد الله الصالحى النجمى، أحد ممالك الصالح نجم الدين أيوب، توفى عام ٦٩٢ هـ. انظر: ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٨٧ — ٩٥، ت. رقم ١١٢٣.

(٣) هو الأمير بدر الدين بيبرى بن عبد الله الشمسى الصالحى، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية، توفى عام ٦٩٨ هـ. انظر: المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٨٠، ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٥٠٠ — ٥٠١، ت. رقم ٧٤١.

الطواشي وغلّامه، وهرب نصر العزيزى إلى الشام، ثم دخل ممالك المعز على الملكة شجر الدر فوجدوا زوجة المعز أم ولده وجواربها قتلوا شجر الدر بالقباقيب إلى أن ماتت. وكان المعز ملكاً حازماً شجاعاً كريماً حسن التدبير والسياسة غير أنه كان سفاكاً، وكانت مدة مملكته سبع سنين إلا ثلاثة وثلاثين يوماً، ثم اتفق الأمراء وأركان الدولة على سلطنة السلطان الثانى من ملوك الترك:

الملك المنصور نور الدين على:

الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيك في اليوم الثانى من قتل والده وعمره عشر سنين، وجعل الأمير قطز نائبه وأتابكا كما كان في أيام والده. وفي أيامه أخذ التتار بغداد وقتلوا بها الخليفة المستعصم وولده — على ما تقدم — وقصد التتار إلى الشام، ثم إن الأمير قطز استشار الأمراء في أمر المنصور ووالدته لأنها التي كانت تدبر أمره في المملكة بتدبير النساء. فأشاروا بإمساكهم فكتم أمره إلى حين خرج الأمراء للصيد، ووجد قطز الفرصة فقبض على المنصور وإخوته ووالدته في [٦٧ أ] ثامن عشرين ذى القعدة عام سبع وخمسين وستمائة واعتقلهم بثغر دميّاط ببرج السلسلة^(١). وكانت مدة مملكته سنتين وثمان شهور وثلاثة أيام، ثم تسلطن السلطان الثالث من ملوك الترك:

الملك المظفر قطز:

الملك المظفر قطز المعزى، فعظم أمر المملكة، وفي عام ثمان وخمسين وستمائة وصلت التتار إلى مدينة حلب فأخذوها فشمخت أنفس النصارى بالشام ورموا^(٢) الصليب وعلوا أصواتهم ثم وصل كتاب من هولاءكو [ومضمون الكتاب]^(٣) وهو:

" كتاب إلى المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إننا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، فسلموا إلينا تسلموا قبل أن تندموا، وقد سمعتم إننا أخربنا البلاد

(١) ويقال إن الملك المظفر قطز أرسل الملك المنصور وأمه وأخاه قاقان إلى بلاد الأشكرى — أى بلاد الروم

— . انظر: العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٢٢١.

(٢) الصواب: رفعوا، الجوهر، ص ٢٦٥.

(٣) ما بين الحاصرتين من، نفسه.

وقتلنا العباد، فلکم منا الهرب ولنا منکم الطلب، فمن طلب حربنا ندم ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لأمرنا أطعتم فلکم ما لنا، ولنا ما لکم، وإن خالفتهم هلکتهم ولا تهلکوا أنفسکم بأیدیکم فقد حذر من أنذر فعجلوا لنا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترمیکم بشرارها، فما بقى لنا مقصد سواکم والسلام" (١).

وكان الكتاب صحبة أربعة رسل من عنده، فلما سمع المظفر قطز لفظ الكتاب تغير تغيراً شديداً، وأمر بتوسيط الأربعة رسل فوسطوا وعلقوا بسوق الخيل (٢) وباب زويلة وباب النصر (٣) وبالريدانية (٤)، ثم إنه نفق المال على عسكره، وسار إلى البلاد الشامية، فلقية الممالك البحرية ومقدمهم بيرس وقلاوون وبييسرى، فأقبل عليهم وساروا معه إلى غزة فوجدوا جاليش (٥) التار بغزة، فهرب التار لأصحابهم على عين جالوت من أرض كنعان، فوصل المسلمون لهم والتقوا بهم وتقاتلوا قتالاً عظيماً، وصاح المظفر للعساكر الإسلامية وحمل بنفسه على التار فكسروهم كسرة عظيمة وضربوهم إلى نيسان، ثم عادوا الثانية فحمل المسلمون عليهم فانكسروا أعظم من الأولى، وأتى برأس كتبغا مقدم التار وأسر منهم خلق كثيرة، ثم توجه المظفر إلى حلب ورتب حال الممالك ورجع إلى الديار المصرية، فلما قرب من القصر بين

(١) انظر نص الرسالة كاملة، المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٢٧ — ٤٢٨.

(٢) سوق الخيل: كان واقعاً تحت قلعة الجبل في المنطقة التي عرفت فيما بعد بالرميلة، وتعرف الآن بمنطقة

النشبة. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٨، ص ٤٢، هـ ٣.

(٣) بابا زويلة والنصر: تم إنشائهما على يد أمير الجيوش بدر الجمالى عام ٤٨٠ هـ، فقد قام بنقل البابين من

مكائهما الذى بناه جوهر الصقلی عند اختطاط القاهرة إلى مكائهما الحالى. المقرئى: الخطط، ج ١،

ص ٣٨٠، ٣٨١؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٤، ص ٣٨، هـ ٣.

(٤) الريدانية: كان يطلق على المنطقة الصحراوية المجاورة لبستان كبير لأحد خدام العزيز بالله اسمه ريدان

الصقلی، وموقعه اليوم حى مصر الجديدة بالقاهرة. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٣٩؛ ابن تغرى بردى:

السابق، ج ١٠، ص ٧، هـ ٥.

(٥) الجاليش أو شاليش. هو الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر تُحمل في مواكب السلطان، وكان

يطلق على طليعة الجيوش المخاربة. انظر: القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٨؛ المقرئى: السابق، ج ١ ق ٢، ص

الغرابي^(١) والصاحبة انحرف عن الدرب للصيد، فلما رجع طلب [٦٧ ب] الدهليز^(٢) سايره الأمير بيبرس وأصحابه وطلب منه امرأة من سبي التتار فأنعم له بها فأخذ يده ليقبلها، فقبض عليها، وكانت أمارة بينه وبين أصحابه فبادر أنص^(٣) وضربه بسيف فأبانه من كتفه ثم اختطفه من ظهر فرسه ورماه وضربه بهادر المعزى بسيف قتله في نصف ذى القعدة عام ثمان وخمسين وستمائة، واتفقوا على سلطنة السلطان الرابع من ملوك الترك :

الظاهر بيبرس البندقدارى:

الظاهر بيبرس البندقدارى العلاني، وكانت الديار المصرية ربت، والناس في فرحة وسرور لقدوم المظفر، ثم نادى مناد " ترحموا على الملك المظفر وادعوا بدوام أيام الملك الظاهر بيبرس " .

وكان المظفر قد أحدث حوادث منها، تسقيع الأملاك وتقويمها وزكاتها^(٤)، وعلى كل

(١) الغرابي: رمل بطريق مصر بين قطية والصاحبة، وكان صعب المسلك، انظر: معجم البلدان، ج٤، ص١٩٠.

(٢) الدهليز: هو الخيمة السلطانية التي تنتقل مع السلطان في ترحاله. انظر: البقلي: التعريف، ص

١٣٨، Dozy; Op.cit, vol.1, p.467.

(٣) هو الأمير سيف الدين أنص الأصفهاني. المقرئ: الخطط، ج٢، ص٣٠١؛ العيني: السابق، ج١، ص٢٥٣؛ ويذكر المقرئ أن الأمير بدر الدين بكتوت هو الذي بدره بالسيف على عاتقه واختطفه الأمير أنص [أنص] وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على روحه. واختلفت رواية العيني عن رواية المقرئ في بعض جوانبها. انظر: المقرئ: السلوك، ج١ ق٢، ص٤٣٥؛ العيني: السابق، ج١، ص٢٥٢ — ٢٥٤.

(٤) تسقيع الأملاك: هو إحصاء البيوت والعقارات لأجل فرض ضريبة عليها. سعيد عاشور: العصر المالكي، ص٤٠٠؛ ابن دقماق: الجوهر، ص٢٧٢ هـ ٧.

إنسان دينار، وأخذ ثلث التركة الأهلية، فأبطل الظاهر ذلك وكتب به مسموحاً^(١) وقرئ على المنابر.

وفي عام ستين وستمئة غلت الأسعار فأمر بجمع الخرافيش والفقراء وفرقهم على ولده والأمراء بقدر مقامهم وأخذ لنفسه خمسمائة وألزمهم بكفائتهم، فما رأى في تلك الغلوة من يسأل. وفي عام اثنين وستين طهر السلطان ولده السعيد وطهر معه من أولاد الأمراء المقدمين والجند ما ينيف عن مائتي نفر، ومن أولاد القضاة والفقهاء والتجار والعوام ما ينيف عن ألف وستمئة نفر^(٢)، وأنعم على كل منهم بكسوة ونفقة على قدر مقامه ورأس غنم أو رأسين، وفيها سلطن ولده الملك السعيد وركبه بشعار السلطنة ومشى هو وجميع العسكر قدامه وشقوا القاهرة وزينت وكان يوماً مشهوداً. وفيها^(٣) أخذ السلطان الظاهر بانياس، وفتح يافا والشقيف وأنطاكية وبغراس.

وفي عام سبع وستين حج من ثالث شوال من غزة ومر على الكرك إلى المدينة النبوية فزار وتصدق وتوجه لمكة فوصلها في خامس ذى الحجة فغسل الكعبة بيده بماء الورد، وكان ولده سافر صحبة الركب المصرى، ورجع الملك الظاهر صحبة الركب الشامى إلى القدس والجليل، ثم حضر إلى [٦٨ أ] مصر.

وكان رحمه الله تعالى ملكاً جليلاً عظيماً مشهوراً بالشجاعة والإقدام وحسن التدبير، محباً لأهل العلم والدين، تام الرأى، منصور العصابات^(٤) والجيوش، فتح قلعة البيرة والكرك

(١) يقصد بالمسموح هنا هو إعفاء الناس من أداء هذه الضرائب، وقد أطلق على هذا النوع من الإعفاءات قبل العصر المملوكى " المسامحة وجمعها مسامحات "، ويشبهها في اللفظ " المسموح وجمعها مسموحات " ولكنها استخدمت في العصر المملوكى على ما يأمر به السلطان لأمر من الأمراء من أموال يأخذها فوق إقطاعه. انظر: ابن ميسر: أخبار، ص ٥٣؛ ابن الطوير: نزهة، ص ٩٠ هـ - ٩١؛ القلقشندي: صبح، ج ١٣، ص ٢٣؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٨٣، ٨٦؛ البقل: التعريف، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) ألف وستمئة وخمسة وأربعون: الجوهر، ص ٢٧٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٨٦.

(٣) كان ذلك في عام ٦٦٦ هـ. ابن تفرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ١٤٢؛ ابن دقماق: الجوهر، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٤) العصابات جمع عصابة وهى الرايات والأعلام التى تحمل فى موكب السلطان. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٨.

والشوبك وقيسارية وقلعة الهوى وصفد وسائر حصون الإسماعيلية وحصن الأكراد وعكا وكتبوك ومدينتها، وأذنة والمصيصة، والبلاد التي تقدم ذكرها. وعمر الحرم الشريف على يد الأمير ابن يغمور^(١) وقبة الصخرة بالقدس الشريف بعد أن تداعت إلى السقوط، وعمر قناطر شبرمنت بالجيزة وأسوار مدينة الإسكندرية، وبنى مناراً بثغر رشيد لرؤية مراكب العدو، ورسم بردم فم دمياط وتوعيره بالقراييص^(٢)، وعمر الشوائى على ما كانت عليه وحفر بحر أشموم طناح^(٣)، وعمر القلاع التي أخرها هولاءكو وهي قلعة دمشق، وقلعة الصبية، وقلعة بعلبك، وقلعة الصلت، وقلعة صرخد، وقلعة عجلون، وقلعة بصرى، وقلعة شيزر، وقلعة حمص.

وعمر المدرسة التي بين القصرين إلى جانب تربة أستاذه الملك الصالح، وعمر الجامع الكبير بالحسينية^(٤) وخان للسبيل بالقدس الشريف وحفر خليج الإسكندرية وباشر حفره بنفسه وحفر فيه، وجدد عمارة جامع الأزهر بعد أن أقام خراباً مدة سنين، وعمر الظاهرية^(٥) والسعيدية عند العباسية، وعمر القصر الأبلق بدمشق.

(١) علم الدين بن يغمور: الجوهر، ص ٢٨٤. هو الأمير جمال الدين موسى بن يغمور المولود عام ٥٩٩ هـ بالقرب من قوص، وتنقل في الولايات الجليلية مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دمشق، توفي ٦٦٣ هـ.

ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ٢١٨ — ٢١٩.

(٢) قد تكون القراييص هي كتل الحجارة والصخر لتوعير مجرى الماء مما يحول دون دخول سفن الأعداء فيه. ابن دقماق: السابق، ص ٢٨٤ هـ ١١.

(٣) هناك بلدتان اسمهما أشموم، إحدهما أشموم طناح بالدقهلية، وتسمى الآن أشمون الرمان وهي المقصودة هنا، والأخرى أشموم الجريسات بالمنوفية، وتسمى الآن أشمون. ياقوت: معجم: ج ١، ص ٢٠٠؛ محمد رمزي: القاموس، ج ٢، ص ٢٢٩، ج ٢، ص ١٥٧. وعلى عكس الشائع بأن اسم أشمون الرمان ظهر في العصر العثماني كما ذكر محمد رمزي فإن صاحب الثغر ذكره فيما بعد بهذا الاسم. انظر فيما بعد، ص ٣٤٢.

(٤) هو جامع الظاهر بيبرس بدأ في بنائه عام ٦٦٥ هـ في مكان لعب السلطان الظاهر بيبرس بالكرة، ومازال المسجد قائماً تحت رقم ١. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٩ — ٣٠٠.

(٥) هي المدرسة الظاهرية بين القصرين، السابق، ج ٢، ص ٣٧٨ — ٣٧٩، ومازالت قائمة تحت رقم أثرى ٣٧.

وكان ذا قصد حسن وفعل جميل، أدركته المنية في مدينة دمشق^(١) في ثامن عشر من الحرم سنة ست وسبعين وستمائة وعمره نحو من سبع وخمسين سنة، وكانت مدة مملكته سبعة عشر سنة وشهرين، وخلف ثلاث بنين وهم: السلطان الملك السعيد بركة خان، والملك العادل سلامش، والملك المسعود خضر، وسبع بنات، ولما تولى السلطنة بعده السلطان الخامس من ملوك الترك ولده:

الملك السعيد محمد بركة خان:

الملك السعيد محمد بركة خان، قام بتدبير مملكته الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار^(٢) [٦٨ ب] نائب والده، ثم إن السلطان نافر بماليك والده ومسك أكابر الأمراء وقدم الأصاغر وأبعد الأكابر، وسافر إلى الشام فجرت له أمور عظيمة يطول شرحها، فلما رجع إلى بلبس خامر عليه العسكر الشامي ورجعوا مع نائب الشام ولم يبق معه إلا نفر قليل من الأمراء وماليكه، وطلع قلعة الجبل الخروس فحاصروه فيها الأمراء المخامرون عليه، وإن بماليكه هربوا من حوله أولاً فأول^(٣)، فأقام أسبوعاً^(٤) في المحاصرة من الأمراء، ثم إن الخليفة أرسل إلى الأمراء يختبر منهم عرضهم. فقالوا: يخلع الملك نفسه من السلطنة ويأخذ الكرك. فاستحلفوا فحلفوا على ذلك، وحلف لهم إنه لا يكتب أحدًا من النواب، ونزل من القلعة، ثم إنه أشهد على نفسه بحضرة الخليفة وقضاة القضاة والشهود أنه لا يصلح إلى الملك، ثم سفروه من وقته إلى الكرك فوصل إليها وتسلمها وجميع ما بها من الذخائر، وكانت مدة مملكته سنتين وشهراً وأياماً، ثم تولى المملكة بعده السلطان السادس من ملوك الترك أخوه:

(١) يروى بعض المؤرخين أن الظاهر بيبرس قد مات مسموماً، وعن ذلك انظر: العيقي: عقد الجمان، ج ٢،

ص ١٧٩ — ١٨٠، ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ١٧٧.

(٢) هو الأمير بدر الدين بيلبك بن عبد الله الظاهري الخازندار نائب السلطنة ومقدم الجيوش بالديار المصرية

وأحد ماليك الظاهر بيبرس، توفي عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٥١٢ —

٥١٤، ت رقم ٧٤٩.

(٣) فأولاً: الجوهر، ص ٢٩١.

(٤) فأقاموا كذلك أسبوعاً: الجوهر، نفسه.

الملك العادل سلامش:

الملك العادل سلامش بن السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس وعمره سبع سنين وشهور، وذلك في ربيع الأول عام ثمان وسبعين وستمائة، واستقر الأمير قلاوون أتاك العساكر فأخذ في القبض على الأمراء الظاهرية وصار يمهّد لنفسه والأمير بيسرى مشغول باللهو، وانفرد قلاوون بالأمر والنهي وأعطى وأنعم وأخذ بقلوب الأمراء وأحسن التدبير لنفسه، ومن تدبيره أنه ما أظهر أخذ المملكة بعد السعيد بركة لأن أكثر العسكر من جماعته، فلما بلغ مقصوده خلع العادل سلامش بعد أن تملك خمس شهور وأياما، ثم تولى السلطان السابع من ملوك الترك:

الملك المنصور قلاوون:

الملك المنصور قلاوون الصالحى النجمى في ثمانى عشر رجب الفرد عام ثمان وسبعين وستمائة فأفرج عن أيك الأفرم^(١) وجعله نائبه بالديار المصرية فأقام [٦٩ أ] مدة ثم استعفى فأعفاه واستتاب مملوكه طرنطاي^(٢) وولى سنقر الأشقر نيابة دمشق فعصى بها وتسلطن وحلف الأمراء لنفسه وتلقب بالملك الكامل^(٣)، ثم إن السلطان جهز له عسكراً فقاتلهم فكسروه فهرب إلى صهيون.

(١) هو الأمير عز الدين الصالحى النجمى المعروف بالساقى والأفرم الكبير، يقال إنه حر الأصل من أهل برقة وإن اسم أبيه مصطفى، ثم صار من جملة ممالك الصالح نجم الدين أيوب، توفي عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م. انظر: المقرئى: المقفى، ج ٢، ص ٣٢٨ — ٣٣٣، ت رقم ٨٦٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ١٣٠ — ١٣٢، ت رقم ٥٧٥.

(٢) كان ذلك عام ٦٧٨ هـ، والأمير طرنطاي هو حسام الدين أبو سعيد المنصورى، قتل على يد السلطان الأشرف خليل. انظر: المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٦٦٥؛ العيى: عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٦؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٦، ص ٣٨٦ — ٣٨٨، ت رقم ١٢٤١؛ ابن حبيب: تذكرة النبى، ج ١، ص ٤٩.

(٣) بعد أن تسلطن المنصور قلاوون ادعى السلطنة ثم صالحه المنصور عام ٦٨٠ هـ، ثم عادت الخلافات بينهما عام ٦٨٦ هـ وعاد إلى القاهرة وظل بها حتى قتله الأشرف خليل عام ٦٩٢ هـ. المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣ ص ؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٦، ص ٨٧ — ٩٥، ت رقم ١١٢٣؛ ويذكر ابن حبيب أن سنقر الأشقر قتل عام ٦٩١ هـ، السابق، ج ١، ص ١٥٤.

وفي عام تسع وسبعين وستمائة سلطن السلطان ولده الصالح علاء الدين على، وخلف له الأمراء وأركبه بشعار السلطنة فأمر ونهى ونفذ وأقطع، وتركه والده بالديار المصرية وتوجه إلى ملاقاته التتار فوصل إلى مرج حمص فوجد به التتار ومقدمهم منكوتر بن هولأكو، فالتقىا العسكرين^(١) واقتتلا فتقنطر منكوتر فترجلوا التتار لحمله فحملت عليهم المسلمين فانهزموا منهم وانكسروا وذلك في يوم الخميس رابع عشر رجب منها.

وفي عام اثنين وثمانين وستمائة عمر اليمارستان بين القصرين — الذى عمت صدقته الأحياء والأموات — وعمر المدرسة والقبّة بجانبه^(٢) ورتب أوقافها في مدة عشر شهور.

وفي عام سبع وثمانين توفى الملك الصالح على وتسطن عوضه الأشرف خليل وأركبه والده بشعار السلطنة وشق القاهرة وأهل المملكة مشاة في خدمته.

وكان المنصور مغرمًا بمشترى الممالك قيل إن ممالكه المشتراة بلغوا عنده اثنا عشر ألف مملوك، وكان يباشر أحوالهم بنفسه، يلعبون الرمح بين يديه ويركبون من عنده مع الخدام لرمى النشاب، وكانوا يلبسون كلفئات^(٣) صفر مضربة عريض بكلايب^(٤) من غير شاش،

(١) التقت العساكر: الجوهر، ص ٢٩٨.

(٢) أطلق عليه المارستان النصورى الكبير وجعل المدرسة من داخل باب المارستان وقد قام على إنشاء هذه المجموعة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وذلك عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، ورتب بالمدرسة دروساً للمذاهب الأربعة ودروساً للطب، وبالقبّة دروساً للحديث وتفسير القرآن. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٣٧٩ — ٣٨٠، ٤٠٦ — ٤٠٨، ومازال قائماً تحت رقم أثرى ٤٣.

(٣) هى الكلونات جمع كلوته، ويقال لها أيضاً كلفه وكلفته وكلفته، وهى غطاء للرأس من الصوف المضروب بالقطن ليس وحده أو مع العمامة. انظر: العمري: المسالك — أيمن —، ص ٣٤ هـ ٦؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٣٩؛ المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٩٣ هـ ١؛ الخطط، ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩؛ عاشور: العصر المالىكى، ص ٤٤٤؛ Dozy, supp. Vol. II. P. 482 — 485.

.Mayer, mamluk Costume. p. 28 — 29

(٤) كلايب جمع كلاب، وهو المشبك الذى تحلى به الكلوتة. انظر: العمري: السابق، ص ٦٩ هـ ٤؛

المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ١، ص ٣٣٦ هـ ٥؛ الخطط، ج ٢، ص ٩٨؛ Dozy, op.cit.. p.481 ;

.Mayer , op. cit. p. 28

ودبوقه^(١) في كيس من الحرير الأصفر، ويشدون في أوساطهم بنوداً بعلبكية عوضاً عن الحوايص^(٢)، وأكمام الأقبية ضيقة كملابس الفرنج، وأخفاف برغالي^(٣) وفوقها سقمان^(٤)، وفي وسطه من فوق اللباس كمران^(٥) بخلق وأبزيم، والصوالق^(٦) تسع نصف وبيه أو أكثر، ومنديل طوله ثلاثة أذرع.

وكانت خلع الأمراء المقدمين خارة ملون^(٧)، ودونهم عتاي^(٨)، ثم إنه غير لبسهم ذلك^(٩)، ثم زاده الملك الناصر محمد بن قلاوون محاسن، وصارت تلك المحاسن تتزايد إلى زماننا، ولم يكن بمملكة من [٦٩ ب] الممالك أحسن هنداماً ولا أحشم رؤية ولا أهى ملبوساً من

(١) الدبوقه هي أكياس من حرير أصفر أو أحمر توضع به شعورهم المضفرة، ومعناها الحكمة. انظر: المقريزي،

الخطط، ج ٢، ص ٩٨؛ البقلي: التعريف، ص ١٣٣؛ Dozy, op.cit. vol. I. p. 424.

(٢) الحوايص جمع حياصة، وهي الحزام الذي يشد على الوسط وتكون الحياصة من الذهب أو الفضة. انظر:

العمرى: السابق، ص ٣٠ هـ؛ القلقشندي: السابق، ج ٢، ص ١٣٤، ج ٤، ص ٤٠؛ المقريزي: الخطط،

ج ٢، ص ٩٩؛ Mayer, op. cit. p. 34 – 35.

(٣) خف برغالي: خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب. انظر: العيني: عقد الجمان، ج ٣، ص ١٧ هـ؛ ابن

تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ٣٣١ هـ.

(٤) سقمان: خف ثان يلبس فوق خف آخر. انظر: المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٩٨؛ Dozy;

op.cit.vol.I.p.664.

(٥) كمران: جمع كمر، فارسية، وتعني الحزام المفرغ من وسطه لوضع النقود. المقريزي: السابق، ج ٢،

ص ٩٨؛ العيني: السابق، ج ٣، ص ١٨ هـ؛ Dozy, op.cit. vol.I. p.488.

(٦) الصوالق: الصولك عبارة عن حقية من الجلد التي تلبس فوق القباء يعلقها المملوك على جانبه الأيمن.

انظر: العمرى: السابق، ص ٣٥ هـ؛ المقريزي: السابق، ج ٢، ص ٩٨؛ البقلي: السابق، ص ٢٢٤؛

Mayer, op.cit.p. 27.

(٧) كانت خلع الأمراء مقدمى الألو ف خارة ملون: الجواهر، ص ٣٠٨.

(٨) عتاي: صنف من القماش الخشن مخطط بحمرة وصفرة. انظر: العيني: السابق، ج ٣، ص ١٩ هـ؛

Dozy, op.cit.vol.II.p.93. ويذكر محقق الجواهر أن العتاي نوع من الثياب الحرير، ص ٣٠٨.

هـ.

(٩) يقول المقريزي عن ذلك " فغير هذا الزى بأحسن منه ولبسوا الشاشات وأبطلوا لبس الكم الضيق ".

الخطط، ج ٢، ص ٩٨ – ٩٩.

عسكر الديار المصرية نصرهم الله تعالى. وتبقى الملك المنصور من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمئة مملوك، وأسكنهم الأبراج وسماهم البرجية.

وكان حسن الشكل معتدل القامة درى اللون فصيحاً فى اللغة التركية بعيداً من الكلام العربى، شجاعاً عارفاً فتح مدينة طرابلس فى سنة ثمان وثمانين بعد أن قعد على محاصرتها أربعة وثلاثين يوماً ثم أحرقتها وعمر مدينة غيرها على القرب منها وسماها طرابلس وهى الموجودة الآن.

وفى عام تسعة وثمانين قصد التوجه لأخذ عكا فترل بالريدانية فوجد فى نفسه نوعاً فعاد وأقام ثمانية عشر يوماً^(١) ودرج بالوفاة سادس ذى القعدة ودفن بترتبه المنصورية بين القصرين، ومدة مملكته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. وخلف ثلاثة أولاد هم الأشرف خليل، والملك الناصر محمد، وولد له بعد وفاته سيدى أحمد، وفتح من يد الفرنج طرابلس المذكورة، والمرقب، وجبله، واللاذقية، وأخذ من أولاد الظاهر الكرك والشوبك، وأبطل زكاة الدولة^(٢)، وهى مال كان يؤخذ من أصحاب الأموال ولو عدم المال^(٣)، وإن مات عن فقر أخذ ذلك من ورثته، وأبطل ما كان مقرراً على اليهود والنصارى برسم نفقات الجند على كل نفر فى كل سنة دينار، وأبطل ما كان يؤخذ للمبشرين عند حضورهم بالبشارة بأخذ قلعة أو حصن أو نصرة الإسلام، وفعل غير ذلك من المعروف ما لا يحصر، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان، وحين درج بالوفاة تولى السلطنة بعده ولده الملك الثامن من ملوك الترك:

الملك الأشرف خليل:

الأشرف خليل بن المنصور قلاوون الألفى فى اليوم الثانى من وفاة أبيه، فأقام مدة ثم مسك حسام الدين لاجين نائب الشام وسجنه مع سنقر الأشقر وجُهِز إلى مصر، فلما عاد

(١) تسعة عشر يوماً: الجوهر، ص ٣٠٦.

(٢) زكاة الدولة يرى كاترمير أنها كانت تفرض على كل مستخدم للدوايب أى العجلات فى الرى أو الغزل أو صناعة السكر. المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٦٦٤ هـ؛ ويذكرها المقرئى فى الخطط باسم

زكاة الدولة. ج ١، ص ١٠٦. وعنها انظر مقالة Cahen; Contribution à l'etude des, JESHO.V, 1962
impost dans l' Egypte médiévale

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٠٦.

السلطان من الشام أمر بخنقهما فخنقا وتركما في بيت وخرجوا بهما لموالاتهم [٧٠ أ] التراب، فوجدوا الأمير لاجين فيه روح فعرفوا السلطان عنه فأمر بخنقه مرة ثانية فشُفّع فيه، ثم أمر بإطلاقه، ثم رضى عنه السلطان وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم سرح السلطان إلى البحيرة ونزل [بتروجا وتوجه منها] ^(١) ووقف [بالطريق] ^(٢) لطعم الطيور، فحضر إليه بيدرا ^(٣) ومعهما جماعة فاستفهم منهم السلطان سبب حضورهم في تلك الساعة؟ فقال بيدرا: أُمّي بين يدي مولانا السلطان كلام. ^(٤) فقرب من السلطان وجرد سيفه وضرب السلطان على وجهه فتلقاها بيده فجرحته، فصاح لاجين على بيدرا وقال: من يقصد قتل الملوك ليكون ملكاً تكون ضربته كذا. ثم دلس وضرب السلطان على كتفه الأيمن فقطعه فمال السلطان عن فرسه ووقع ثم مات ومسك من كان معه من الأمراء وكان ذلك وقت العصر خامس عشر المحرم عام ثلاث وتسعين وستمئة ومدة مملكته ثلاث سنين وشهران وأيام، وما كان عليه أضر من وزيره ابن السلعوس ^(٥) لأنه كان يحط على الأمراء عنده وهو يسمع منه.

وكان رحمه الله ملكاً كريماً شجاعاً ذا همة عالية فتح عكا وقلعة الروم وأبطل ما كان يؤخذ بدمشق على باب الجابية وهو على كل حمل خمسة دراهم.

(١) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٣١٢، وفي الأصل جملة غير مفهومة هي " بجيمته بقمحة وطيبة ".

(٢) ما بين الحاصرتين من، نفسه.

(٣) هو الأمير بدر الدين بيدرا بن عبد الله المنصوري، أحد ممالك المنصور قلاوون، أصله من المغول الذين أسرهم الظاهر بيبرس فكانت أمه ممن وهبهم بيبرس للمنصور قلاوون، وكان نائب الديار المصرية في دولة الأشرف خليل بن قلاوون. انظر: المقرئ: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٨٨ — ٧٩٣؛ المقرئ، ج ٢، ص ٥٦٢ — ٥٦٨، ت رقم ١٠٠٩؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ٣ ص ٤٩٣ — ٤٩٥، ت رقم ٧٣٤.

(٤) نص الجوهر في ذلك " فلما قربوا نظر إليهم وقال لهم: إيش بكم؟ قال له بيدرا: لى بالسلطان شغل "، ص ٣١٢.

(٥) الصواب: السلعوس، وهو شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التوخي الشهير بابن السلعوس وزير الأشرف خليل وموضع ثقته، مات مقتولاً بعد الأشرف بقليل. انظر: الصفدي: الوافي، ج ٤، ص ٨٦، ت رقم ١٥٥٥؛ المقرئ: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٦٠؛ ابن حبيب: تذكرة، ج ١، ص ١٧٣؛ العيني: عقد، ج ٣، ص ٢٢٧.

ولما قتل الأشرف ركب بيدرا تحت العصائب وحلفوا له الأمراء وتلقب بالملك الرحيم^(١) وساروا نحو مصر ليملكوا القلعة ومعهم يبسرى والأبوبكرى^(٢) مربوطين، وكان مع الطلب الأمير بيبرس الجاشنكير، وتكرعى^(٣) والحسام أستاذ الدار^(٤) وبكتوت العلاني^(٥)، وأكثر المماليك والأمراء، وكان كتبغا يتصيد فبلغه الخبر فساق ولحق بالأمراء الذين بالطلب واتفق معهم وجدوا في السير في اتباع بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة^(٦) صباح نصف الحرم، فلما رأى بيدرا القوم أطلق يبسرى والأبوبكرى ليساعدها، فلما التقى الفريقان ولم يبق مع بيدرا إلا اليسير فهجموا عليه وقتلوه وشق بطنه الأبوبكرى وأخرج كبده فأكل منها قطعة ثم قطع رأسه وحملها على رمح إلى القاهرة.

وأما الأشرف فإنه لما قتل حملوه [٧٠ ب] إلى البحر ثم أنزلوه في مركب وحضروا به إلى القاهرة فدفنوه في تربته، واتفق أركان الدولة على سلطنة أخيه السلطان التاسع من ملوك الترك:

(١) يذكر المقرئى، وابن حبيب أنه تلقب بالملك الأوحى، ويؤيد على ذلك المقرئى إنه ربما تلقب بالمعظم أو الملك القاهر. انظر: المقرئى: السابق، ج ١ ق ٣، ص ٧٩٢؛ ابن حبيب: السابق، ج ١، ص ١٦٨.
(٢) هو الأمير سيف الدين بكتمر الأبوبكرى، أحد ممالك الظاهر بيبرس وأمر في دولة المنصور قلاوون، فر في دولة الناصر محمد الثانية إلى غازان ملك التار فأقام هناك، ثم قدم إلى الديار المصرية ومات عام ٧٠٣ هـ. المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٩١؛ المقفى، ج ٢، ص ٥٦٥؛ العيى: السابق، ج ٣، ص ٢١٣؛ ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ١٩٤؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٤٠١ - ٤٠٢، ت رقم ٦٨١.
(٣) يذكره كل من المقرئى والعيى باسم سيف الدين برلى. انظر: المقرئى: السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٩١؛ العيى: السابق، نفس الصفحة.

(٤) هو حسام الدين لاجين الأستاذار، المقرئى: السابق، نفس الصفحة.

(٥) هو الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله العلاني، مملوك الأمير علاء الدين الأستاذار، ارتجعه المنصور قلاوون بعد موت صاحبه فراقه حتى صار من أكابر أمراء المماليك في دولته ودولة ابنه الأشرف خليل، توفى عام ٦٩٣ هـ. انظر: المقرئى: المقفى، ج ٢، ص ٤٧٤، ت رقم ٩٤٠؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٤١١ - ٤١٢، ت رقم ٦٨٧.

(٦) الطرانة: بلدة من أعمال البحيرة. ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ١٠٣؛ ابن الجيعان: التحفة، ص ١٢٠.

الملك الناصر محمد بن قلاوون: [المرة الأولى]

الملك الناصر محمد بن قلاوون في الحرم وعمره تسع سنين، فمسك جماعة من الأمراء فأعتقلهم بخزانة البنود^(١) وتولى عقوبتهم ببيرس الجاشنكير إلى أن أقروا بما قدموا عليه، فقطعت أيديهم وأرجلهم وعلقت في رقابهم وسمروا على جمال وأشهروا [في] مصر والقاهرة ونفذ فيهم أمر الله تعالى.

وفي عام أربع وتسعين تجمع من ممالك الأشرف ما ينيف عن ثلاثمائة نفر وفتحوا سوق السلاح^(٢) وباب السعادة^(٣)، فمُسكوا صباحاً وقطعت أيديهم وأرجلهم وكحل بعضهم وصلبوا على باب زويلة.

ثم إن الأمراء استصغروا سن السلطان، وطمع الأمير كتبغا بالمملكة فخلع الناصر محمد في حادى عشر الحرم منها، وكانت مدة ولايته أحد عشر شهراً وأياماً، ثم تولى المملكة من بعده السلطان العاشر من ملوك الترك:

الملك العادل كتبغا المنصورى:

الملك العادل كتبغا المنصورى في يوم خلع الناصر، وفي أيامه حدث غلاء عظيم لجذب الأرض، وبلغ القمح كل إردب مائة وخمسين درهماً وبلغ الإردب الشعير مائة، وأكل الناس الميتة والقطط والحمير، ووصل في الشام بما ينيف عن ألف درهم الإردب القمح وصار الناس في شدة.

(١) خزانة البنود: كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية، بناها الخليفة الظاهر الفاطمى بين قصر الشوك وباب العيد، وكان الغرض منها حفظ الرايات والبنود، ثم احترقت عام ٤٦١ هـ فتم استغلالها كسجن للأمراء والوزراء والأعيان منذ الدولة الفاطمية حتى عهد المماليك الذين أضافوا إلى نوعية الخبوسين الفرنج المأسورين من بلاد الشام. انظر: المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٤٢٣؛ السلوك: ج ١، ق ٣، ص ٧٩٥ هـ ٤.

(٢) يقع هذا السوق في خط بين القصرين قريباً من مدرسة الظاهر ببيرس. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) الصواب: باب سعادة، وباب سعادة نسبة إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله الفاطمى، عرف به لأنه دخل منه عندما قدم من المغرب إلى القاهرة. المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٨٣.

ثم سافر السلطان إلى الشام وعاد فوصل إلى وادي فحمة^(١)، فركب عليه لاجين وقتل بتخاص العادلي^(٢) وبكتوت الأزرق^(٣) وكانا حامى^(٤) العادل كتبغا. فلما سمع كتبغا بذلك ركب فرس النوبة وساق إلى دمشق في خمس نفر وأقام بها ثلاثة عشر يوماً^(٥)، وأما لاجين فاحتوى على الخزائن وساق الجيش ودخل تحت العصائب وعاد إلى القاهرة فتسلطن وأذعن له كتبغا فرسم له نيابة صرخد يامرة عشرة، وأقام بها إلى سنة تسع وتسعين ثم أنعم عليه الناصر بنيابة حماة فأقام بها إلى أن مات، ثم حمل إلى دمشق ودفن بقاسيون^(٦).

وكان العادل كتبغا أسمر اللون مغلياً قصيراً في ذقنه شعرات قليلات، قصير العنق جداً، موصوفاً بالشجاعة والدين وسلامة الباطن، ولكن يفوته^(٧) [٧١ أ] الخزم والرأى. ثم تسلطن السلطان الحادى عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور لاجين:

الملك المنصور لاجين، فبايعه الأمراء في صفر عام ست وتسعين وستمائة، وكان طوالاً أشقر أزرق العينين شجاعاً مهاباً ديناً كريماً عاقلاً منفِعلاً إلى الخير حسن الرأى. عمر جامع ابن

(١) الصواب إن ذلك تم في منزلة العوجاء. السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٢٠؛ الخطط، ج ١، ص ٢٣٩.

(٢) هو الأمير سيف الدين بتخاص العادلي أحد ممالك العادل كتبغا، أعطاه الإمرة وجعله أستاذه، قتل عام

٦٩٦ هـ يوم خلع العادل كتبغا بمنزلة العوجاء. المقرئى: المقفى، ج ٢، ص ٣٨٨، ت رقم ٩٠٤؛

السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٢٠.

(٣) هو الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق، سمي بذلك لأنه كان أخيف العينين، والأخيف هو من تكون إحدى

مقلتيه سوداء والآخرى زرقاء، وهو أحد ممالك العادل كتبغا قتل يوم خلعه عام ٦٩٦ هـ. المقرئى:

المقفى، ج ٢، ص ٤٧٥، ت رقم ٩٤٢؛ السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٠٨.

(٤) جناحى: الجوهر، ص ٣٢١.

(٥) ثلاثة وعشرين يوماً: الجوهر، نفسه.

(٦) قاسيون: جبل مطل على الشمال الغربى من دمشق. ياقوت: معجم، ج ٤، ص ١٣.

(٧) يعوزه: الجوهر، ص ٣٢٢.

طولون بعد دبره مدة طويلة، وراك البلاد المنسوب له الروك الحسامي^(١) و فرق المشالات^(٢) فقسما على أربعة وعشرون قيراطاً، منها أربعة قراريط للسلطان، وللكلف والمرتبات عشرة، ولأجناد الحلقة عشر قراريط، وأنعم على الإمام الحاكم حين حج بمبلغ سبعمائة ألف درهم فضة. فتح تل حمدون ومرعش وقلعة سفندكار^(٣).

وفي ليلة الحادى عشر من ربيع الآخرة سنة سبع وتسعين^(٤) لعب السلطان الشطرنج وعنده قاضى القضاة حسام الدين الحنفى فدخل عليه كرجى^(٥) مقدم البرجية وكان اتفق مع نوغاي الكرموى^(٦) السلحدار على قتل السلطان، وكان صاحب النوبة تلك الليلة. فاستفهم منه السلطان عما فعل فقال: بيئت البرجية^(٧) وغلقت عليهم، وكان أوقف أكثرهم في دهليز القصر فشكره السلطان وأثنى عليه الحاضرون^(٨)، فقصد^(٩) إصلاح الشمعة والتمجاة^(١٠) إلى جانبها مغطاة بفوطة^(١١)، وقال للسلطان: ما تصلى؟ قال: نعم. وقام ليصلى فضربه كرجى بالسيف على كتفه [فطلب السلطان التمجاة] فلم يجدها، فقام من هول الضربة مسك كرجى

(١) الروك الحسامى: هو عملية إعادة مسح الأراضى الزراعية وفك الزمام وتعديل الخراج، وعرف بهذا الاسم لقيام حسام الدين لاجين به. المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٨٨.

(٢) المشالات: جمع مثال، وهى الأوراق التى يكتب بها أذنوا بإقطاعات الممالك. سعيد عاشور: العصر المالىكى، ص ٤٦٨.

(٣) سفندكار: عنها انظر فيما يلى ص ٢٧٧.

(٤) الصواب: ثمان وتسعين.

(٥) هو الأمير سيف الدين كرجى بن عبد الله، مقدم الممالك البرجية عهد السلطان لاجين. انظر: المقرئى:

السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٦٨؛ العيى: عقد الجمان، ج ٣، ص ٤٢٢؛ ابن حبيب: تذكرة، ج ١، ص ٢١٢.

(٦) هو الأمير نوغاي الكرموى السلاح دار. المقرئى: السابق، ج ١ ق ٣، ص ٨٥٧؛ العيى: السابق، ج ٣، ص ٤٣٠.

(٧) أى أدخلهم إلى مساكنهم للمبيت.

(٨) الجماعة: الجوهر، ص ٣٢٥.

(٩) لراح: الجوهر، نفسه.

(١٠) التمجاة: هى خنجر مقوس يشبه السيف القصير، ويقال له نجما ونمجه. القلقشندى: صبح، ج ٤،

ص ٢٤؛ البقلى: التعريف، ص ٣٥٢.

(١١) فرمى عليها فوطة: الجوهر، نفسه.

وأرماه تحته، فخطف نوغاي الكرموني النمجه وضرب السلطان على رجليه ففُطَعَا^(١)، ثم انقلب قتيلاً، فصاح القاضي فلم يُجِبْ، وتركوه عنده في تلك الليلة وغلقوا عليهما الأبواب إلى باكر النهار.

وكان الأمير بكتاش الفخري^(٢) أمير سلاح معه بعض العساكر وهو مجرد لبعض الجهات فاتفق حضوره في ثاني يوم قتل السلطان، وكانا نوغاي وكرجي اتفقا على أنهما يعملان سباطاً بالقلعة فإذا جلس عليه مسكوه. وركب نوغاي^(٣) في دست النيابة فلاقي أمير سلاح [٧١ ب] قريباً من قبة النصر^(٤) فسلم عليه وفاقحه فقال أمير سلاح: هذا سوء تدبير تعملوا في كل يوم سلطان وتقتلوه. وأشار إلى من حوله فضربه الأمير بهادر شمس^(٥) فساق [فرسه]^(٦) فتبعوه وقتلوه، فبلغ كرجي ذلك فلبس ووقف تحت القلعة فلم يجتمع عليه أحد، فخرج من باب القرافة^(٧) فلحقوه في بركة الحبش وقتلوه وأحضروا رأسه.

(١) رجله فقطعها: الجوهر، نفسه.

(٢) هو الأمير بدر الدين بكتاش بن عبد الله الفخري أمير سلاح الملك الصالح نجم الدين أيوب، كان أحد مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، أقام أميراً ستين سنة، وتردد في الغزوات مرات عديدة، توفي عام ٧٠٦ هـ؛ انظر: المقرئ: المقفى، ج ٢، ص ٤٥٤ - ٤٥٧، ت رقم ٩٣٣؛ السلوك، ج ٢، ق ١، ص ٣٠؛ الخطط، ج ٢، ص ٣٣؛ ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ١٤ - ١٥، ت رقم ١٣٠١؛ ابن تغري بردى: المنهل، ج ٣، ص ٣٨٥ - ٣٨٦، ت رقم ٦٧٥.

(٣) طغجي: الجوهر، ص ٣٢٨.

(٤) قبة النصر هي زاوية يسكنها فقراء الصوفية من العجم وهي خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر بأخر ميدان القبق من بحريه، وقد جددتها الملك الناصر محمد على يد الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٣٣.

(٥) سمن: الجوهر، ص ٣٢٨؛ والأمير بهادر شمس نائب قلعة دمشق، وكان يصاحب الصالحين فترك الإمرة ولبس زى الفقراء ثم عاد وولى قلعة دمشق ومات عام ٧١٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ص ٣٢، ت رقم ١٣٦٦. ويذكر المقرئ أن ذلك الأمير هو الأمير قراقوش الظاهري. السلوك، ج ١، ق ٣، ص ٨٦٨.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، نفس الصفحة.

(٧) باب القرافة هو أحد أبواب القلعة. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٢٧٠.

وطلع أمير سلاح إلى القلعة واجتمع بالأمرء واتفقوا على إحضار الناصر محمد من الكرك فأحضروه بعد أن قعد تخت الملك خالياً من السلطنة أحداً وأربعين يوماً^(١) فحضر.

الملك الناصر محمد: [المرة الثانية]

الناصر محمد المرة الثانية، ومسك أمرء وأفرج عن أمرء وتصرف في المملكة بأتم رأى وأحسن تدبير، ثم وردت الأخبار عليه بمجيء التار إلى البلاد الشامية، فسافر السلطان إليهم والتقى بهم بوادي الخزندار^(٢) بالقرب من سلمية، فقويت التار وانهمز جيش المسلمين وهرب السلطان وطائفة معه إلى بعلبك. ثم حضر إلى الديار المصرية وفتح الخزان ونفق الأموال نفقة ما سمع بمثلها، وسافر إلى التار وكان الأمير سلال النائب^(٣) وبيبرس الجاشنكير طلائع، فذكروا للسلطان إنه يقيم بالصاحية إلى حين يتوجهوا وينظروا الأمر مع التار، فسمع لهم ذلك، وتوجهوا بالعساكر إلى الشام، فوجدوا قفجق^(٤) الذي هرب إلى غازان أيام لاجين وكان قد استنابه بدمشق فوجدوه قاصداً لخدمة السلطان، فحضر بين يدي السلطان وأعطى الخدمة وأقبل عليه السلطان، ثم سأل السلطان في أن يكفيه أمر التار ويعود السلطان إلى قلعة مصر، فأجابته السلطان بذلك وعاد من الصاحية وتوجه قفجق بالعسكر الشامي فوجد التار ولوا حين بلوغهم طلوع السلطان من مصر.

وبعد مدة عادوا إلى البلاد الشامية، فلما سمع بعودهم السلطان خرج إليهم فوصل إلى دمشق في مستهل رمضان عام الثنتين وسبعمئة فوجد التار على الكسوة^(٥)، فالتقى معهم وحمل

(١) المقریزی يقرها خمسة وعشرون يوماً. السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٦٩.

(٢) وادي الخزندار يقع بين حماة وحمص. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٤، ص ١٥٦ هـ ٤.

(٣) هو الأمير سيف الدين سلال بن عبد الله المنصوري، نائب السلطنة بمصر، اشتراه المنصور قلاوون واستمر بخدمته وخدمة أبنائه حتى مات في سجن الناصر عام ٧١٠ هـ. ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٦٩ — ٣٧٣، ت رقم ١٥٦؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٦، ص ٥ — ١٣، ت رقم ١٠٧٣.

(٤) هو الأمير سيف الدين قفجق — أو قبجق — بن عبد الله المنصوري، نائب دمشق في عهد لاجين هرب إلى غازان خان التار وأقام هناك وتزوج منهم امرأة من أعيانهم. العيني: عقد الجمان، ج ٣ ص ٣٨٩؛ ابن حجر: السابق، ج ٤، ص ٢٨١ — ٢٨٤، ت رقم ٦١٦.

(٥) الكسوة: بضم الكاف وسكون السين ضيعة ومزلة يمر بها نهر الأعوج جنوب دمشق. أبو الفداء: تقويم،

المسلمون عليهم فانكسروا بعد أن قد [٧٢ أ] استشهد من المسلمين من الأمراء ومماليكهم ألف نفس، وفر أحد مقدمى التتار ومعه نيفا عن عشرين ألف نفس. ثم عادوا فى اليوم الثانى وتقاتلوا مع المسلمين قتالاً شديداً فكانت الكسرة على التتار وقتل منهم جماعة كبيرة وبقيتهم ولوا هارين.

وعاد السلطان إلى الديار المصرية مؤيداً منصوراً، فأقام بتدبير المملكة إلى عام ثمان وسبعمائة أظهر الحج فجُهِز له وخرج ومعه جماعة من خواصكه إلى أن وصل إلى العقبة ثم خرج من الوطاق^(١) للصيد فتوجه إلى نحو الكرك وأمر نائب الكرك أن يأخذ الوطاق وخزائن الأموال ويتوجه بهم إلى القلعة، وأرسل يقول لجماعة الأمراء بمصر: إننى قد قنعت بالكرك فاطلبوا لكم ملكاً تختارونه. فحضر الكتاب وقرئ بدار النيابة بقلعة الجبل، وكانت مملكته الثانية عشر سنين وأشهرها، واتفق رأى الأمراء على سلطنة السلطان الثانى عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر بيبرس الجاشنكير:

الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فتولى السلطنة فى ثالث عشر شوال منها واستقر بسالار نائباً وكتب تقليداً للملك الناصر بناية الكرك، وجهاز إليه فأقام فى نيابة الكرك إلى سنة تسع فخرج جماعة من الأمراء والماليك من القاهرة توجهوا إلى الملك الناصر فتلقاهم بالرحب وأهلهم وأكرمهم فتدخلوا عليه فى التوجه إلى الشام فأجابهم وتوجه بهم إلى الشام فتلقيه العسكر الشامى ورتبت دمشق ودعى له على المنابر واجتمع عليه النواب من الممالك الشامية فحضر بهم إلى الديار المصرية فتلقيه عدة أمراء من أمراء مصر على غزة وأخبروه أنه فى تاسع رمضان منها نزل بيبرس عن الملك وأخذ خزائن الأموال وتوجه بها نحو الصعيد، وأن الحرافيش رجوه فنشر عليهم أكياس الذهب فاشتغلوا بها فهرب فوصل إلى إهميم ومعه ثمانمائة مملوك ولو قصد اليمن بهم لأخذها، ودخل السلطان:

(١) الوطاق: هو الخيمة الكبيرة Dozy, op. cit. vol. II. p. 819 .

الملك الناصر محمد: [المرة الثالثة]

الملك الناصر محمد المرة الثالثة إلى الديار المصرية في مستهل شوال عام تسع وسبعمائة، وترددت الأخبار بينه وبين المظفر بيبرس فأنعم عليه بصهيون [٧٢ ب] فتوجه إليها من البرية فحضر الناصر جماعة للقبض عليه فمסקوه وكان آخر العهد به، وكانت مدة سلطنته أحد عشر شهراً وأياماً.

وقبض الناصر على جماعة من الأمراء وولى سلال نيابة الشوبك ثم طلب إلى مصر وقبض عليه بالقلعة ودخلوا إليه بطعام فأبى أن يأكله فبلغ السلطان ذلك فمنعه الطعام فأكل جلد مسابته^(١) فلم يغنه ومات جوعاً واحتاط على موجوده قيل إنه كان يدخل إليه في كل يوم من أجرة أملاكه ألف دينار.

حكى الأمير صارم الدين بن دقماق في تاريخه الجواهر الثمين: قال حكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبي فيما رآه مكتوباً بخط العلامة البرزالي، قال دفع إلى المولى جمال الدين بن الوفيرة^(٢) ورقة فيها بعض أموال سلال حين الحوطة عليه في أيام متفرقة.

أولها يوم الأحد: ياقوت أحر هرماني رطلين، بلخش^(٣) رطلين ونصف، وزمرد ربحاني وذبابي^(٤) تسعة عشر رطلاً، صناديق عددها ستة، ضمنها فصوص مخلطة، وفصوص غيرهم،

(١) قال المقرئزي إنه أكل خفه. السلوك، ج ٢ ق ١، ص ٩٧؛ أو كما قال ابن شاكر الكتبي أنه أكل سمرزته وهو لفظ فارسي يعني الخف أيضاً. فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٧٠.

(٢) الوفيرة: الجواهر، ص ٣٤٢. والصواب: الوفيرة، كما ذكره ابن شاكر الكتبي، وابن حجر، وابن تغري بردي. وهو محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد جمال الدين بن الوفيرة ولد عام ٦٩٣ هـ، وتوفي عام ٧٣٥ هـ وكان مشغلاً بالأدب. ابن حجر: الدرر، ج ٦، ص ٣٧، ت رقم ٢١٤٧؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج ٩، ص ٢١ هـ.

(٣) البلخش: أو البدخش، نوع من الياقوت ينسب إلى جهات بدخشان في أقصى شرق أفغانستان، وهو ثلاثة أنواع، أحر مضرب، وأخضر زبرجدي، والأصفر، والأحر أجوده. القلقشندي: صبح، ج ٢، ص ١١؛ المقرئزي: السابق، ج ١ ق ١، ص ٥٠.

(٤) الزمرد الربحاني والذبابي: نوعان من الزمرد، أما الربحاني فهو فاتح اللون وينسب إلى لون ورد الریحان. أما الذبابي فهو شديد الخضرة ويسمى ذبابية لتشابه لونه مع لون الذباب الأخضر. القلقشندي: صبح، ج ٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

وماس ثلاثمائة قطعة كبار، ولؤلؤ مدور من مثقال إلى درهم ألف ومائة وخمسون حبة، ذهب عين مائتا ألف دينار وأربعة وأربعون ألف دينار، فضة أربعمائة وأربعون ألف درهم^(١).

يوم الاثنين: فصوص مختلفة، رطلين ذهب خمسة وخمسون ألف دينار، دراهم ألف ألف درهم، مصاغ وعقود ذهب مصرى أربع قناطير، طاسات وأطباق وطشوت فضة أربع قناطير^(٢).

يوم الثلاثاء: ذهب عين أربعة وخمسون ألف دينار^(٣)، دراهم ثلاثمائة وثلاثون ألف درهم قطريات^(٤) وأهلة وطلعات صناجق فضة ثلاث قناطير.

يوم الأربعاء: ذهب عين ألف ألف دينار، دراهم ثلاثمائة ألف درهم، أقيية بقاقم^(٥) ثلاثمائة قباء، وأقيية حرير عمل الدار بسنجا ب أربعمائة، سروج ذهب مائة سرج [ووجد له عند صهره أمير موسى]^(٦) ثمان صناديق كانت عنده لم يعلم ما ضمته^(٧) [حملت إلى الدور السلطانية وحمل أيضاً من عنده إلى الخزانة]^(٨) تفاصيل طرد وحش^(٩)، وعمل الدار ألف تفصيلة خيام للسفر ستة عشر نوبة.

(١) دراهم أربع مائة ألف وواحد وسبعون ألف درهم: الجواهر، ص ٣٤٣.

(٢) ستة قناطير: الجواهر، ص ٣٤٤.

(٣) خمسة وأربعون ألف دينار: الجواهر، نفسه.

(٤) يذكر محقق الجواهر أنها هكذا في جميع نسخ المخطوط ولا يعلم أصل تسميتها. ولما كانت الدراهم والدنانير المضروبة في عهود السلاطين تعرف بأسمائهم فإن هذه الدراهم القطريات هي الدراهم المضروبة في عهد المظفر قطز، وعن هذه الدراهم انظر: سامح عبد الرحمن فهمي: الوحدات النقدية المملوكية عصر

المماليك البحرية، جدة ١٩٨٣، ص ٤٦-٤٧؛ Palu Balog ; The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syrie , New york 1964 , P.83.

(٥) القاقم دويبة تشبه السنجاب وفي حجم الفأر وجلده قيم يتخذ منه الفراء. انظر: القلقشندي: صبح،

ج ٢، ص ٤٩؛ ابن دقماق: الجواهر، ص ٣٤٥ هـ-٤٠.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة من الجواهر، ص ٣٤٥.

(٧) فيها: الجواهر، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من، نفسه.

(٩) طرد وحش: كلمة مركبة تطلق على نوع من الثياب من قماش حرير منقوش على هيئة رسوم حيوانية

تطارد بعضها البعض. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٧٧؛ العيني: السابق، ج ٣، ص ١٨ هـ-٦.

وحضر^(١) معه من الشوبك خمسون ألف دينار، ودرهم أربعمائة وسبعون ألف درهم، خلع ملونة ثلاثمائة خلعة خركاه^(٢) كسوتها أحمر [٧٣ أ] أطلس معدني [مبطن أزرق معدني بباب زركش]^(٣)، خيول خاص ثلاثمائة فرس، [بغال مائة وعشرون، قطار بخاتي^(٤) كذلك]^(٥)، وذلك خارجاً عن الأغنام والأبقار والجواميس والأملاك والمراكب والهجن والجمال والخدم والجواري والعبيد وأصناف المتجر وحواصل الآلات، وبشون الغلال مائة ألف أردب. ودل مملوكه على مكان مبني في داره وجد فيه أكياس ذهب ما عرف عدتها غير السلطان ومحضرهم، وبعد ذلك مات جوعاً!، قيل إن فقيراً استطعمه فأبى أن يطعمه فقال: اللهم أذقه طعم الجوع.

قلت: وعلى نحو ذلك ما حكاها النويري في تاريخه على إن ابن بدر الجمالي الأفضل أمير الجيوش وزير المستعلي العلوي بمصر بلغ في الوزارة مبلغاً عظيماً لأن داره كانت دار الملك^(٦) بمصر — التي هي الآن عند رحبة الخروب^(٧) — وجمع من المال ما لم يجتمع لغيره، فكان ما وجد عنده من الذهب خمسمائة ألف ألف دينار، ومن الدراهم الفضة مائتي وخمسين أردب، وخمسة

(١) وصل: الجوهر، ص ٣٤٦.

(٢) خركاه: بيت من خشب مصنوع على شكل مربع ويغشى بالجوخ يحمل في السفر ليكون كاخيمة للمبيت في الشتاء للوقاية من البرد. القلقشندي: السابق، ج ٢، ص ١٣٨؛ Dozy, op.cit. vol. p. 366.

(٣) مبطن بأزرق مرزوي وستر بإها زركش: الجوهر، نفسه، وفي فوات الوفيات للكتبي " مبطنة بأزرق وبها زركش "، ج ١، ص ٣٧٢.

(٤) جمال بخاتي: مفردة بُخت بالضم وجمعه بخاتي، وهي جمال طوال الأعناق. ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٢، ص ٧٥ — ٠٣.

(٥) مائة وعشرون قطار بغال، ومائة وعشرون قطار جمال: الجوهر، نفسه.

(٦) دار الملك: هي الدار التي بدأ الأفضل شاهنشاه في بنائها عام ٥٠٠ هـ على ساحل الفسطاط، وقد حول إليها جميع دواوين الدولة. ثم أصبحت هذه الدار من جملة متزهات الخلفاء الفاطميين، ومكانها اليوم مجموعة المباني المجاورة لجامع عابدي بك المعروف بجامع الشيخ رويش في آخر شارع أثر النبي. انظر: ابن ميسر: أخبار، ص ٧٦ هـ ٢٧٧؛ ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٩ هـ ١؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٨٣ — ٤٨٤.

(٧) رحبة الخروب: هو المكان الموسوم ببيع الخروب في العصر المملوكي وكان يقع بجوار المدرسة المعزية. انظر: ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٣٥؛ المقرئ: السابق، ج ١، ص ٤٨٣.

وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين حمل أخفاف ذهب، ومائة مسمار زنة كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مساند مذهبة على كل مسمار منديل مذهب مشدود يخالف الآخر تحته شاش ملفوف. وخمسمائة صندوق لكسوته خاصة، وصندوقين كبار ملائنة أبردة للنساء، ومن الأحجار الفصوص ما لا قيمة له، ومن الرقيق والخيول والدواب والمراكب والحلى وغير ذلك ما لا يعلم قدره إلا الله، ومن الخيول والجمال ما ينيف عن ثلاثين ألف رأس، ومن البقر والجواميس ما لم يقبله العقل في عدده حتى إنه طلع ضمان ألبانها في كل سنة ثلاثين ألف دينار، وإن الخليفة المستعلي حمل ما هو صامت من ذلك إلى قصره. والسعادة هي التي يعمل منها للآخرة فإن متاع الدنيا قليل.

وكان الناصر رحمه [الله] ملكاً عظيماً مهاباً ديناً كريماً، أنعم على يلغا اليحياوى^(١) في ساعة واحدة بوجود تنكز^(٢). أطاعته العباد، ودانت له البلاد، وكان ذا عسكر عظيم وممالك كثيرة، كان مرتبه ومرتب ممالكه في كل يوم ستة وثلاثون ألف رطل لحم، وعمر عمارة [٧٣ ب] ما قاربه ملك فيها وهي: جسر أم دينار إلى سقيل^(٣)، وراك البلاد في سنة خمسة عشر وسبعمائة^(٤) وكتبت الفروع من ديوان الجيش بذلك وفرقت على الأمراء في مستهل الحرم سنة

(١) هو الأمير يلغا بن طابطا الساقى اليحياوى الناصرى، ولد قبل عام ٧٢٠ هـ، وكان أبوه يخدم الناصر محمد وترقى عنده، مات خنقاً في سجن المظفر حاجى بقاقون عام ٧٤٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٢١٢ - ٢١٣، ت رقم ٥٠٧٨.

(٢) أنفرد صاحب الثغر بذكر إنعام الناصر على يلغا بوجود تنكز، فقد ذكر المقرئى أنه أنعم عليه بعشرين ألف دينار فقط. السلوك، ج ٢ ق ٢، ص ٥٣٥؛ وتنكز هو الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز الحسامى نائب الشام في عهد الناصر محمد، وأصله من ممالك السلطان لاجين، تولى النيابة عام ٧١٢ إلى ٧٤١ هـ، ثم أمسكه وقتله بالإسكندرية. انظر: ابن شاکر: فوات الوفيات، ج ١، ص ١٧٤ - ١٨٢، ت رقم ٧٠؛ المقرئى: المقفى، ج ٢، ص ٦٠٧ - ٦٢٢، ت رقم ١٠٣٤؛ ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥٥ - ٦٢، ت رقم ١٤٢٤.

(٣) جسر أم دينار: هو جسر أقيم عند قرية من قرى مركز إمبابة تسمى أم دينار، وهذا الجسر لا زال باقياً ومعروفاً باسم صليبة أم دينار. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩، ص ١٩٠ هـ.

(٤) الروك الناصرى هو آخر عملية لإعادة مسح الأراضي الزراعية في عصر المماليك، واستغرق حوالى عام. المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٨٧ - ٩١.

سنة عشرة، وعمر القصر الأبلق^(١) بقلعة الجبل، وحين كملت عمارته عمل فيه وليمة اجتمع عليها أرباب دولته وأخلع عليهم فكانت عدة الخلع فوق الألفين وخمسمائة خلعة، وفرق فيه مائة ألف دينار، وأجرى الماء من البحر إلى قلعة الجبل، وعمر الإيوان^(٢) والحوش^(٣) والدور^(٤) وجامع القلعة^(٥) والجامع الجديد^(٦) بمصر والسواقي^(٧)، وعمر المدرسة بين

- (١) القصر الأبلق: بدأ الناصر محمد في بنائه عام ٧١٣ هـ وتم عام ٧١٤ هـ وهو يطل على الإسطبلات السلطانية، وقد أطلق عليه هذا الاسم تحاكاته القصر الأبلق بدمشق الذي بناه الظاهر بيبرس، وأطلق عليه الأبلق لبنائه بالحجرين الأسود والأصفر بالتبادل. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٩٣؛ المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٠٩ — ٢١٠؛ السلوك، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٩، ص ٣٦ هـ ٣.
- (٢) الإيوان: أنشأه المنصور قلاوون، ثم جدداه الأشرف خليل، ثم هدمه وأعاد بناءه الناصر محمد بعد الروك الناصري عام ٧١٥ هـ، ومكانه الآن جامع محمد علي بالقلعة. القلقشندي: السابق، ج ٣، ص ٣٦٩؛ المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٠٦؛ السلوك، ج ٢، ص ١٠٣، ق ٢، ص ٥٥٨ — ٥٥٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٨، ص ٢٣٤ هـ ١.
- (٣) الحوش: هو حوش بالقلعة كان عبارة عن حفرة واسعة مساحتها أربعة أفدنة، أمر الناصر محمد عام ٧٣٨ هـ بتردم هذه الحفرة واستعملت في عهده لتربية المواشى المجلوبة من الصعيد والوجه البحري. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٢٩.
- (٤) هي الدور السلطانية التي بناها الناصر لتكون ملحقة بالقصر السلطاني بالقلعة للمماليك السلطانية وخوادم الأمراء، والأماكن الخاصة بالطبشت خاناه، والفراش خاناه، والشراب خاناه. العمري: المسالك — أيمن، ص ٨٢ — ٨٣.
- (٥) جامع القلعة: أنشأه الناصر في سنة ٧١٨ هـ مكان جامع قديم مضافاً إليه المطبخ والحوارج خاناه، والفراش خاناه، ثم هدمه مرة أخرى عام ٧٣٥ هـ وأعاد بناءه على ما هو عليه، وعرف أيضاً باسم جامع الخطبة لتابع الخطباء. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٣٧٠؛ المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢١٢، وما زال قائماً تحت رقم أثرى ١٤٣.
- (٦) الجامع الجديد: بدأ الناصر بناءه عام ٧١١ هـ على شاطئ النيل وانتهى منه عام ٧١٢ هـ وذلك بإشراف القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٧٦ — ٧٧؛ المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٣٠٤.
- (٧) هي مجموعة من السواقي التي تزود القلعة بالمياه، وما زالت هناك بقايا منها إلى الآن تحت رقم أثرى ٣٦٩.

القصرين^(١)، وقناطر شين^(٢). وقناطر أم دينار^(٣)، وخانقاه سرياقوس^(٤) ومناظر سرياقوس ومناظر الميدان الكبير^(٥)، وميدان المهارة^(٦) وقصر يلغا^(٧)، وأبطل حقوق ساحل الغلة^(٨) والعربات^(٩)، والمساحة بنصف السمسرة^(١٠)، وأبطل المكوس ورسوم الولايات

- (١) المدرسة الناصرية بين القصرين: بدأ الناصر في إنشائها عام ٧٠٣ هـ في سلطنته الثانية، ولا تزال هذه المدرسة باقية إلى اليوم تحت رقم أثرى ٤٤. المقریزی: السابق، ج ٢، ص ٣٨٢.
- (٢) قام الناصر ببناء قناطر أو جسر شين عام ٧٣٧ هـ عند قرية شين القصر المعروفة الآن بشين القناطر لإصلاح ري أراضي شين. السابق، ج ٢، ص ١٧٠؛ ابن تغري بردی: السابق، ج ٩، ص ١٩١، هـ ٣.
- (٣) قام الناصر محمد ببناء قناطر أو جسر أم دينار عند القرية المعروفة بهذا الاسم، وهي قرية من قرى مركز إمبابة، وذلك بغرض تنظيم الري لنهر النيل. ابن تغري بردی: النجوم، ج ٩، ص ١٩٠، هـ ٨.
- (٤) خانقاه سرياقوس: أنشئت عام ٧٢٣ هـ بعد أن نذر الناصر ببناؤها إن عافاه الله من مرض ألم به، وأكمل بناؤها عام ٧٢٥ هـ. المقریزی: السابق، ج ٢، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.
- (٥) الميدان الكبير أو ميدان الناصر، أنشأه الناصر محمد عام ٧١٤ هـ بديلاً عن الميدان الظاهري، وقد انتهى منه عام ٧١٨ هـ. المقریزی: السابق، ج ٢، ص ٢٠٠.
- (٦) ميدان المهارة: ميدان أنشأه الناصر محمد بالقرب من قناطر السباع عام ٧٢٠ هـ لتوضع به جميع خيوله، ويتم عرض إنتاج هذه الخيول أمام الناصر المغرم بالخيول الأصيلة لذلك أطلق عليه ميدان المهارة. المقریزی: السابق، ج ٢، ص ١٩٩.
- (٧) قصر يلغا: كان يقع مكان مسجد السلطان حسن بالقلعة. المقریزی: السابق، ج ٢، ص ٧١.
- (٨) حقوق ساحل الغلة: هي نوع من الضرائب على الغلال عبارة عن تحصيل درهمن عن كل أردب للسلطان ويلحقه نصف درهم للعاملين عليه، وكان من أهم أنواع الضرائب التي تحصل للدويان، فكان يبلغ أربعة ملايين وستمائة ألف درهم، ومكان تحصيله على ساحل بولاك. المقریزی: السابق، ج ١، ص ٨٩.
- (٩) العربات: لم أجد لهذه الكلمة مدلول عند مؤرخي مصر الإسلامية، والعربات جمع عرصة وهو المكان المتسع الذي لا بناء فيه. ابن منظور: لسان، ج ٧، ص ٥٣.
- (١٠) نصف السمسرة: هي ضريبة كانت تؤخذ ممن يريد أن يبيع شيئاً لصالح الدلال القائم على عملية البيع عن كل مائة درهم درهمن، ثم تقرر أن يؤخذ من الدلال درهم من الدرهمين، فعمل الدلال على المغالاة في تقدير الثمن لكي يستوفي حقه وتقع تبعة الضرائب على البائع. المقریزی: السابق، ج ١، ص ٨٩.

والمقدمين وكتاب الولاية^(١)، وحقوق السجون وضمائمها^(٢)، ووقود الخيل، وعداد النحل، ومقر الملاهى^(٣)، والمناشير^(٤). ولا يطلب الحى عن الميت ولا الحاضر عن الغائب، ومنع أخذ الرشا من أرباب المناصب وأمر بعدم قطع كل نخلة أو شجرة مثمرة، ولا يذكى ما يرجى نتائجها من جميع الحيوان المباح ذكاته.

وفي أيامه عصت عربان برقة^(٥) فجرد لهم عسكرياً مقدمهم أيتمش الحمذى^(٦) فكسروا العرب وأخذوا منهم فوق الثمانين ألف رأس غنم وأكثر من اثني عشر ألف جمل. وحج مرة ثانية وصحبته المؤيد صاحب حماة^(٧)، فأبطل مكوس مكة والمدينة وأقطع أميريهما إقطاعات كثيرة بمصر والشام — وهى بأيديهم إلى الآن —، ورسم يابطال ضرب المقارع وكتب بذلك إلى البلاد، وفي أيامه أبيع القمح كل أردب بخمسة دراهم، والشعير بثلاثة دراهم، وحج مرة ثالثة^(٨) وفعل فيها من الخير والإيثار ما لا يحصر.

(١) رسوم الولاية: هى ضريبة تتعلق بالولاية والمقدمين يقومون بتحصيلها من عرفاء الأسواق وبيوت الفوايح، وكان يقوم بتحصيلها ضامن تحت يده معاونون، وعليها جند مستقطعون وأمراء. المقريزى: السابق. نفسه.

(٢) حقوق السجون: هو عبارة عن مال يتحصل من المساجين، بمجرد دخولهم السجن، وكان هذه الضريبة ضامن لكثرة ما يجيى منها من الأموال. المقريزى: السابق، نفسه.

(٣) مقر الملاهى: هى ضرائب مقررة على كل جارية أو عبد موجودين بالخانات والملاهى. السابق، ج ١، ص ٨٨.

(٤) الصواب: المباشرين، بمعنى إلغاء وجود المباشرين — من الكتاب وأعوامهم — فى البلاد لكثرة الظلم الواقع على الناس من جراء وجودهم بها ولم يسمح بوجودهم إلا فى البلاد التى بها أرض للسلطان. السابق، ص ٨٩.

(٥) كان ذلك عام ٧١٩ هـ. المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ١، ص ١٩١ — ١٩٢.

(٦) هو الأمير سيف الدين أيتمش الحمذى، أحد ممالك المنصور قلاوون، ثم صار لابنه الناصر محمد، توفى عام ٧٣٦ هـ. المقريزى: المفقى، ج ٢، ص ٣٣٥ — ٣٤٢، ت رقم ٨٦٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩،

ص ٣١٠؛ ويذكر ابن حجر أنه توفى عام ٧٣٣. الدرر، ج ١، ص ٥٠٦، ت رقم ١١١٤.

(٧) كانت حجة الناصر الثانية عام ٧١٩ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩، ص ٥٨.

(٨) كانت حجة الناصر الثالثة عام ٧٣٢ هـ وكان يصحبه فيها هذه المرة الأفضل بن المؤيد صاحب حماة. السابق، ج ٩، ص ١٠٢.

وكان رحمه الله مغرمًا بحب الخيل كثير الشراء منها حتى صار يشتري الفرس بمائة ألف درهم فضة، وغلا الجوهر في أيامه حتى لا يكاد يوجد، وسالته الأيام وخافته ملوك الدنيا شرقاً وغرباً، وهادنته وأذعنت له. تملك لما قتل أخوه الأشرف في [٧٤ أ] عام ثلاث وتسعين، ومات في سنة إحدى وأربعين فكانت مدة مملكته بما فيها من ولاية كتبغا ولاجين وبيبرس تسعة وأربعون سنة، وولايته خاصة خمسة وأربعون سنة وشهر ونصف. ولما مات خلف من البنين محمد وإبراهيم وأحمد وأبو بكر وكجك وإسماعيل ويوسف وشعبان وصالح ورمضان وحاجي وحسن وحسين، وأنوك مات في حياته، وعدة بنات.

ولما مات أنزل من القلعة ليلاً إلى المنصورية^(١) بين القصرين وغسل ودفن بها، وكان

متولى أمره علم الدين سنجر الجاولي^(٢)، ثم تولى المملكة ولده السلطان الثالث عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور أبو بكر:

الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صبيحة وفاة والده، وحلفوا له أركان المملكة، ثم إنه أقام مدة يسيرة، ثم وقع بينه وبين الأمير قوصون^(٣) فخلعه وأرسله إلى قوص، وكان آخر العهد به، وكانت مدة مملكته شهرين، ثم تولى المملكة بعده أخوه السلطان الرابع عشر من ملوك الترك:

(١) هي المدرسة والقبّة المنصورية التي بناها المنصور قلاوون وأصبحت مدفناً له ولابنه الناصر محمد. المقرئ:

الخطط، ج ٢، ص ٣٧٩ — ٣٨٠.

(٢) هو الأمير سنجر بن عبد الله الجاولي أبو سعيد، ولد عام ٦٥٣ هـ بآمد، ولاه الناصر نيابة الكرك عام

٧١١ هـ، وأسند إليه عملية الروك الناصري بدمشق، وهو الذي تولى غسل الناصر ودفنه، توفي عام

٧٤٥ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٢٦٦ — ٢٦٨، ت رقم ١٨٧٧؛ ابن تغري بردي: المنهل،

ج ٦، ص ٧٤ — ٧٦، ت رقم ١١٣.

(٣) الأمير قوصون المعروف بقوصون الساقى، أحد ممالك الناصر محمد اشتراه من أحضره زوجة الناصر ابنة

القان أزيك، رُوجه الناصر من ابنته، قتل في محبسه على يد الناصر أحمد عام ٧٤٢ هـ. ابن حجر:

السابق، ج ٣، ص ٣٤٢ — ٣٤٤، ت رقم ٣٢٨٢.

الملك الأشرف علاء الدين كجك:

الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد في حادى عشر صفر سنة اثنين وأربعين وسبعمائة، وكان عمره سبع سنين، فأقام مدة يسيرة ثم وصل الخبر من الشام بأن طشتمر حص أخضر^(١) نائب حلب والفخرى وأهل الشام جميعهم خامروا وطلبوا أن يكون سلطانهم الناصر أحمد بن الناصر محمد، فأخرج قوصون لهم برسبغا^(٢) وبلجك ابن أخيه لملاقاة المخامرين بالشام، فوردت عليهم الأخبار بأن قوصون مُسك بالقاهرة فهرب بلجك وبرزبغا إلى بلاد الصعيد فمسكا بالأشمنين، ومسك أيدغمش^(٣) ثلاثين أميراً وخلع الأشرف كجك، وكانت مدة مملكته خمس شهور، ثم خطبوا للناصر أحمد وهو بالكرك في سابع عشر رمضان، وأرسلوا له بذلك فحضر وحضرت العساكر الشامية للناصر أحمد وهو بالكرك في سابع عشر رمضان، وأرسلوا له بذلك فحضر وحضرت العساكر الشامية صحبته إلى الديار المصرية، وطلع إلى القلعة في موكب عظيم، وتسلمن السلطان الخامس عشر من ملوك الترك:

الملك الناصر أحمد:

الملك الناصر أحمد في عاشر شوال سنة اثنين وأربعين، فأقام في المملكة بعض أيام ومسك جماعة من الأمراء وسجنهم ثم توجه إلى الشام في [٧٤ ب] ذى الحجة، وأخذ معه طشتمر

(١) هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصرى الساقى المعروف بمحص أخضر لكونه يحب أكله فللقب به، أحد ممالك الناصر، توفي عام ٧٤٣ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٣٢٠، ت رقم ٢٠١٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٣٩٢ — ٣٩٤، ت رقم ١٢٥٤.

(٢) برسبغا: الحاجب الناصرى، أحد ممالك الناصر، كان ذا حظوة عنده، مات في سجنه بالإسكندرية عام ٧٤٢ هـ. ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٧، ت رقم ١٢٨٠.

(٣) أيدغمش الناصرى: كان من ممالك قلبان الطباخى ثم تقدم عند الناصر، وأمره بعد مجيئه من الكرك، فاستمر إلى أن مات الناصر، ثم كان من شيعة قوصون، ثم كان ممن قبض على قوصون، وترقى في الإمرة إلى أن وصل إلى أمير أخور، مات عام ٧٤٣ هـ. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٤٥٥ — ٤٥٧، ت رقم ١١٢٠.

والفخرى وأيدغمش^(١) مقيدين، وكان فهار عظيم، وتوجه إلى الكرك فأقام به وقتل طشتمر والفخرى، ثم إن الأمراء اتفقوا على سلطنة أخيه إسماعيل فأخرجوه وسلطنوه، ثم جردوا نحواً من ألفى فارس وجمعوا عليهم عسكر الشام وحاصروا الكرك فأقام بها والعساكر تتبدل عليه نحواً من ثلاث سنين، ثم مسك في صفر سنة خمس وأربعين ثم توجه إليه منجك اليوسفى^(٢) ففقطع رأسه وأحضرها، وكانت مدة سلطنته شهرين واثنا عشر يوماً، ولم يكن في إخوته مثله فإنه كان أحسن أولاده وأكرمهم وأشجعهم لكنه لم يعط سعد، وتولى السلطان السادس عشر من ملوك الترك:

الملك الصالح عماد الدين إسماعيل:

الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد، وهو الرابع من أولاده في يوم السبت ثانی عشرين شهر ذی الحجة عام ثلاث وأربعين وسبعمئة، وكان خيراً ديناً كريماً رتب دروساً للقضاة الأربعة بمدرسة جده المنصور قلاوون بين القصرين وزاد في أوقاف الجامع الناصري بالقلعة، وكان يحب العلماء ويؤثرهم ويحب الشجاعة وأهلها. مرض ومات في العشرين من ربيع الأول عام ست وأربعين، فكانت مدة مملكته ثلاث سنين وشهراً وثمانية عشر يوماً، ثم تولى المملكة بعده أخوه السلطان السابع عشر من ملوك الترك:

(١) لم يشر ابن تغرى بردى إلى أن الناصر أحمد قبض على أيدغمش وإنما ذكر أن أيدغمش هو الذى قبض على الفخرى بعد هروبه وأرسله مع ابنه إلى السلطان. النجوم، ج ١٠، ص ٦٥.

(٢) منجك اليوسفى: أحد أمراء الناصر محمد وصل إلى رتبة سلاح دار، وهو أخو الأمير ببيغاروس، وسجن بسببه بالإسكندرية عام ٧٥٢ هـ ثم أفرج عنه ومات عام ٧٧٦ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٣٠ - ١٣١، ت رقم ٤٨٤٦.

الملك الكامل شعبان:

الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد، وهو الخامس من أولاد الناصر في يوم وفاة أخيه، وانتظم له أمر المملكة إلى عام سبع وأربعين فخامر عليه الأمير الحجازي^(١) والأمير أرغون شاه^(٢) وبعض الأمراء وخرجوا إلى قبة النصر، فخرج لهم السلطان ووقع بينهم القتال فضرب^(٣) ببيغاروس^(٤) الأمير العلائي^(٥) في وجهه بطير أرماء، وحمل أرغون شاه على الطلب وكسر السنجق، فهرب السلطان وصحبته أربع ممالك إلى القلعة، فدخل الإسطبل وجاء إلى باب السر^(٦) وجده مغلقاً، فأمرهم بفتحه، فأبى الممالك الكبار، فجاء ممالك صغار فتحوا له،

(١) هو الأمير ملكتمر بن عبد الله الحجازي الناصري أحد ممالك الناصر محمد، توفي عام ٧٤٨ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٢، ص ٤٦١ هـ ١.

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه، أحد ممالك الناصر، تولى عدة وظائف منها الأستاذية، ونيابة صفد، مات مذبوحاً عام ٧٥٠ هـ. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٣٧٣، ت رقم ٨٦٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٢، ص ٣١٤ — ٣١٩، ت رقم ٣٧٤.

(٣) يذكر كل من المقرئ، وابن حجر، وابن تغرى بردى، أن الذي ضرب الأمير العلائي هو الأمير شجاع الدين أغزلوا السيفي أحد ممالك الأمير بهادر المعزى، قتل عام ٧٤٨ هـ. المقرئ: المقفى، ج ٢، ص ٢٢٤ — ٢٢٧، ت رقم ٧٩٨؛ ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٤١٧ — ٤١٨، ت رقم ٩٩٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٥، ص ٥١، ترجمته ج ٢، ص ٤٦٠ — ٤٦٢.

(٤) هو الأمير سيف الدين بيغاروس القاسمي الناصري، أحد ممالك الناصر من خاصيته، قبض عليه الناصر حسن ثم أفرج عنه وولاه نيابة حلب ثم عصى عليه وهرب فقبض عليه بقراجا بن دلغادر فأخذه وبعث به إلى حلب وقتل بها عام ٧٥٤ هـ. المقرئ: السلوك، ج ٢ ق ٣، ص ٩٠٥؛ المقفى، ج ٢، ص ٥٥٩ — ٥٦١، ت رقم ١٠٠٨؛ ابن حجر: السابق، ج ٢، ص ٤٤ — ٤٥، ت رقم ١٣٨٧.

(٥) هو الأمير سيف الدين أرغون العلائي الناصري، من ممالك الناصر محمد استقر رأس نوبة الجمداوية عنده، ثم تزوج أم الملك الصالح إسماعيل، وفي عهده صار هو أكبر الأمراء ومدير المملكة، قتل عام ٧٤٨ هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٣٥٥، ت رقم ٣٧٨٨؛ ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٣٧٦، ت رقم ٨٧٥.

(٦) باب السر هو أحد أبواب القلعة الثلاث بجوار باب المدرج وباب القرافة، وكان مخصصاً لدخول وخروج أكابر الأمراء وكاتب السر والوزير. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٣٧٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٨، ص ١٧٢ هـ ١.

فدخل إلى عند والدته، فتخبي، ثم حضر بعض ممالك إلى الدهيشة^(١) بالقلعة، وكان بها أمير حاج مسجوناً فدخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه، وحضر أعيان الأمراء [٧٥ أ] وهم مُلبّسين^(٢) فحلفوا له وسلطنوه وأركبوه بشعار المملكة، ودخل الأمراء بيت العلائي وفتشوه فوجدوا الملك الكامل بين الأزار فمسكوه وسجنوه في المكان الذي كان مسجوناً فيه السلطان أمير حاج، وكان آخر العهد به، ولما تولى السلطان الثامن عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر حاجي:

المظفر حاجي بن الناصر محمد، وهو السادس من أولاده في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة عام سبع وأربعين وسبعمائة، وكان مغرمًا بلعب الحمام، عدل عن النوم في القصر لأجل اللعب به فنهاء الأمير الجيغا العادلي^(٣) عن ذلك وخوفه من ركوب الممالك عليه بسبب ذلك، فأمر السلطان بذبح الحمام وأرسل إلى الجيغا يعرفه عن ذبحه الحمام، وقال: لأذبحن خياركم مثلها. فاغتاظ الأمير الجيغا لذلك^(٤) واتفق مع الأمراء ولبسوا وخرجوا إلى قبة النصر، ثم ركب السلطان ومماليكه وهم محامرون عليه، وأرسل إلى الأمراء يستفهم عن قصدهم، فقالوا: نريد أن تنزل عن الملك، فقال: لا وما عندي إلا السيف. فزحفوا عليه وأحاطوا به، فحمل السلطان على بيغا روس وضربه بطبر جاء في يده، فطعن السلطان فلم تؤثر فيه الطعنة، فنزل بيغا عن فرسه ومسكه واحتاطوا عليه ورموه من على فرسه وقتلوه من ساعته في ثالث عشر رمضان عام ثمان وأربعين، وكانت مدة سلطنته سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً. وفي صبيحة ذلك اليوم تسلطن السلطان التاسع عشر من ملوك الترك:

(١) الدهيشة: قاعة بالقلعة عمرها السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد سنة ٧٤٥ هـ، وتطل على الحوش السلطاني. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢١٢.

(٢) أي يلبسون السلاح.

(٣) الجيغا العادلي: أحد ممالك العادل كتبغا، عمل عند تنكز نائب الشام أيام الناصر محمد، قبض عليه بعد قتله ثم أفرج عنه، توفي عام ٧٥٤ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٣٣٣ — ٣٣٤، ت رقم ١٠٤٦.

(٤) عن هذه الرواية. انظر: ابن تغري بردي: المنهل، ج ٢، ص ٤٩٨.

الملك الناصر حسن: [المرة الأولى]

الملك الناصر حسن بن الناصر محمد، وهو السابع من أولاده، وفي أيامه في عام تسع وأربعين حصل وباء عظيم، وكان عامًا، فطبق الأرض، وأخرب بلاد الفرنجة وأحلى مصر إلى أن بلغت راوية الماء عشرة دراهم فضة، وطعنت فيه غالب الطيور والوحوش والدواب والجمال والكلاب، وبلغ الدفن في القاهرة في كل يوم ما يزيد عن عشرين ألف آدمي، وهذا لم يسمع بمثله.

فائدة: الطواعين الورادة على الناس في الإسلام خمسة وهذا سادسها. الأول: الطاعون الجاف^(١) [٧٥ ب] جاء في زمن عبد الله بن الزبير، هلك فيه بالبصرة في مدة ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفًا، وفي اليوم الرابع لم يمت أحد.

الثاني: طاعون كان قبله وكان أبو عبيدة في ستة وثلاثين ألفًا من الجند فلم يسلم منهم غير ستة آلاف.

الثالث: طاعون الفتيات لأنه مات فيه العذارى والجوارى أكثر من الذكور.

الرابع: وقوعه فيما وراء النهر إلى أن بلغ في يوم اثني عشر ألف جنازة.

الخامس: وقوعه في بلاد سمرقند فزاد في شهر واحد على مائتي ألف وثلاثين ألف جنازة.

قلت: وعلى نحو من ذلك وهو السادس ما وقع من الوباء في الديار المصرية في عام ثلاث وثلاثين وثمانمائة، فورد من جهة الغرب، وكان أول ظهوره بقرية بالبحيرة تسمى محلة صا^(٢) وانتقل منها إلى الغربية ثم إلى المنوفية ثم إلى مصر ثم إلى القاهرة، أقام بها ثمانون يوماً زاد في اليوم عن عشرة آلاف نفس في غالب الأيام، وكان أولاً في الرقيق والبنات والبنين، ثم الترك والرجال والنساء، وفي آخره في أعيان الناس غير القضاة فإنه لم يمت منهم واحد، ثم أنتقل إلى الوجه البحرى وإلى ثغر الإسكندرية ثم إلى الوجه القبلى والواحات والطور والسويس وتوجه إلى بلاد النوبة وإلى عيذاب وسواكن، ولم يفته بلدة من الديار المصرية.

(١) الصواب: الجارف، الجوهر، ص ٣٨٧؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٤٦.

(٢) صا: هي إحدى مدن الغربية القديمة التابعة حالياً لكفر الزيات. ابن ممتي: قوانين، ص ١٥٩؛ ابن الجيعان:

التحفة، ص ٨٥؛ محمد رمزي: القاموس، ق ٢، ج ٢، ص ١٢٦.

وفي سابع جمادى الآخرة لبس منكلى بغا الفخرى ^(١) وطاز ^(٢) وجماعة من الأمراء وتوجهوا إلى قبة النصر، وطلع الأمير طاز إلى القلعة راكباً ملبساً فتخوف السلطان فخلع نفسه فقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة، وكانت مدة مملكته ثلاث سنين وتسعة أشهر، ثم تولى المملكة بعده السلطان العشرون من ملوك الترك:

الملك الصالح صالح:

الملك الصالح صالح بن الناصر محمد _ وهو الثامن من أولاده _ في ثامن عشر جمادى الآخرة عام اثنين وخمسين، وأمه بنت تنكز وكانت ذات رأى تام، تعرض بينه وبين الأمراء فتن فركبوا عليه فظفر بهم ووسط غالبهم، وفي أيامه في عام أربع وخمسين كثر فساد العربان في الصعيد ورأسهم ابن الأحذب، فجرد لهم الأمير شيخو وظفر بهم ووسط غالبهم، وهرب الأحذب وأحضر من العربان زيادة عن ألف نفر [٧٦ أ] ومائة حمل رماح وثلثين حمل درق وثمانين حمل سيوف وألفا وسبعمئة فرس وألفى وخمسمئة جمل وسبعمئة حمار، ثم حضر الأحذب وأطاع وعاد إلى بلاده.

وفيها مُنعت اليهود والنصارى من أن يباشروا بالدواوين، وأن تكون عمة كل منهم دون العشرة أذرع، ولا يركبون من الحمير إلا ما كان قيمته دون المائة درهم، ويركبونها عرضاً، وإذا مروا بمسلم جالس معتبر نزلوا وأظهروا الذلة، ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بصليب في رقبته، ولا تدخلن نساءهم مع مسلمات في حمام، وأن يكون مزر النصارى زرقا واليهود صفرا، وأن

(١) هو الأمير سيف الدين منكلى بغا بن عبد الله الفخرى الناصرى، أحد ممالك الناصر، رقا بهيـث أصبح أحد الأمراء بدمشق سنة ٧٣٩ هـ، ثم تولى نيابة طرابلس، ثم صار من أكابر الأمراء بمصر، اعتقله السلطان الصالح صالح بن الناصر سنة ٧٥٢ هـ ومات بسجنه عام ٧٥٣ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ١٣٦ — ١٣٦، ت رقم ٤٨٥٨.

(٢) هو الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصرى، أحد ممالك الناصر محمد ومن خاصكته، ونائب حلب. توفي عام ٧٦٣ هـ. المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ١، ص ٧٨؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٣٦٢ — ٣٦٥، ت رقم ١٢٢٨.

يلبس الخف صنفين كل فردة من صنف. وفيها ظفر ابن أرتنا صاحب الروم^(١) بقراجا بن دلغادر^(٢) فمسكه وأرسله إلى القاهرة فسمر.

ثم إن الأمراء قصدوا إعادة الناصر حسن، فاتفقوا غالب الأمراء مع الأمير شيخو وتحالفوا ودخلوا على الصالح فخلعوه وأعادوا أخوه الناصر حسن، وكانت مدة الصالح ثلاث سنين وثلاث شهور ونصف، وسجن بالقلعة إلى أن مات في سنة إحدى وستين وتسلطن:

الملك الناصر حسن: [المرة الثانية]

الناصر حسن يوم خلع الصالح في ثاني شوال سنة خمس وخمسين^(٣)، فمشى في السلطنة على أتم الأمور، وشرع في عمارة مدرسته بالرميلة في عام ثمان وخمسين. وفيها وثب مملوك بالقلعة على الأمير شيخو فضربه بسيف ثلاث ضربات أصاب وجهه ورأسه وذراعه، ثم مُسك الضارب فسمر ثم وسط، وأقام شيخو في ألم تلك الضربات إلى أن مات في سلخ ذى القعدة منها. وفي عام تسع وخمسين ضربت الفلوس الجدد [وأخرجت بإشارة المقر السيفي صرغتمش

(١) هو محمد بن أرتنا صاحب بلاد الروم بآسيا الصغرى تولى بعد أبيه الذى دخل في طاعة الناصر محمد عام

٧٣٨ هـ إلى عام ٧٥٤ هـ. انظر ابن حجر: الدرر، ج ١، ص ٣٧١، ت رقم ٨٦٤.

(٢) هو قراجا بن دلغادر بن خليل التركمانى، نائب الأبلستين، تحالف مع بيغا روس في تمردده على الدولة،

فجردت له السلطنة جيشاً فهزمته فهرب من الأبلستين عام ٧٥٤ هـ واستجار بأرتنا صاحب الروم

فغدر به وأرسله إلى القاهرة فسجن بها، ثم هرب مرة أخرى فقبض عليه صاحب الروم وأعادته إلى القاهرة

فوسط بها عام ٧٥٤ هـ. المقرئى: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٨٩٥، ٨٩٨؛ ابن حجر: السابق، ج ٣،

ص ٣٢٩، ت رقم ٣٢٤٢.

(٣) لقد بدأ في بناء مدرسة السلطان حسن عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٣١٦.

الناصرى ^(١) [^(٢)]. وفى عام إحدى وستين جهز الأمير بيدمر الخوارزمى ^(٣) نائب حلب لفتح سيس، ففتح أذنة بالأمان، وطرسوس عنوة، وفتح المصيصة وقلعة كلال ^(٤) والحديدة وغيرها. وفى عام اثنين وستين وقع بين السلطان وبين مملوكه يلغا العمري ^(٥) بكون برى ^(٦)، فلزم يلغا بجيسته فركب السلطان عليه ومعه بعض أمراء ليلاً على يلغا، وكان وصل إليه الخبر بالكيس عليه فخرج عن خيامه وأكمن لهم، فكبس السلطان عليه بالمخيم فخرج يلغا ومن معه من خلفهم فكسروهم [٧٦ ب] وهرب السلطان ومن معه إلى القلعة وأليس مماليكه ولم يجد لهم خيولاً لأن الخيول كانت فى الربيع ^(٧)، وحجز يلغا ما بينهم وبينها فتعين للسلطان الغلبة

(١) ضربت هذه الفلوس بإشارة الأمير صرغتمش واستمرت المعاملة بها وسميت بالفلوس الجدد، كل أربعة وعشرون فلساً بدرهم فضة. المقرئى: السلوك، ج ٣ ق ١، ص ٣٩؛ والأمير صرغتمش هو الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصر، من ممالك الناصر محمد ترقى فى الإمرة إلى تقدمة ألف عام ٧٤٩ هـ، ثم رأس نوبة كبير عام ٧٥٢ هـ، وصار من كبار الأمراء فى عهد الصالح صالح، والناصر حسن خاصة بعد موت الأمير شيخو، قبض عليه الناصر حسن وسجنه بالإسكندرية ومات به عام ٧٥٩ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٦٣ - ٣٦٥، ت رقم ١٩٧٨؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٣٤٢ - ٣٤٤، ت رقم ١٢١٧.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر ن ص ٣٩٩.

(٣) هو الأمير سيف الدين بيدمر بن عبد الله الخوارزمى، ولى نيابة حلب عام ٧٦٠ هـ وتوجه إلى بلاد سيس ففتح عدة مدن وقلع، وأرسل للناصر حسن بمفاتيح طرسوس، ثم تنقل فى عدة ولايات وظل من أكابر الأمراء حتى مات عام ٧٨٩ هـ. المقرئى: السابق، ج ٣ ق ١، ص ٥٠؛ ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٤٦ - ٤٧، ت رقم ١٣٩٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٤٩٨ - ٤٩٩، ت رقم ٧٣٨.

(٤) لم أجد اسم هذه القلعة، ولعله يقصد قلعة الكلاب بأرمينية. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٧٦٧.

(٥) هو الأمير الكبير يلغا بن عبد الله الخاصكى، تأمر فى أول عهد الناصر حسن، ثم انقلب عليه واستقر أتابك فى عهد المنصور حاجى، قتله الأشرف شعبان عام ٧٦٨ هـ. ابن حجر: الدرر، ج ٥، ص ٢١٣ - ٢١٥، ت رقم ٥٠٧٩.

(٦) كوم برى أو كوم برا، بلدة من أعمال الجزيرة. ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٠٨؛ العيى: سيرة المؤيد، ص ٢١٥ هـ.

(٧) الربيع: هو إخراج خيول السلطان لكى ترعى فى الحقول فى فترة الربيع، وسميت فى العصر الإسلامى المبكر الارتباع. ابن منظور: لسان، ج ٨، ص ١٠٥.

فلبس لبس العرب هو وأيدمر الدوادار ^(١) ونزلا من القلعة في آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام فلقيهما بعض المماليك فأحضرهما إلى بيت شرف الدين بن الأركش ^(٢) فأحضرهما إلى الأمير يلغا، وكان آخر العهد بالناصر.

وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأيام، وكان ملكاً حازماً مهاباً شجاعاً ذا حرمة باسطة وكلمة نافذة، لكنه كان محباً لجمع المال شحيحاً به، وكان قصده إنشاء [أولاد الناس] ^(٣) لأنه أقام جماعة وجعل منهم تسعة مقدمين ألوف، وطلب أولاد الناس المحتشمين ليكبرهم، وكان يقول: ما سمعت أن ابن ناس خامر على أستاذه. خلف عشر بنين وهم: أحمد وعلي وقاسم وإسكندر ويحيى وموسى وإسماعيل وشعبان ومحمد وحسين، وست بنات، ولما فقد تسلطن السلطان الحادى والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور محمد :

الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنين وستين وسبعمائة، واستبد بتدبير الأمور الأمير يلغا، فأقام مدة ثم وردت الأخبار بمخامرة الأمير بيدمر الخوارزمى فخرج السلطان له بالعسكر إلى دمشق فمسكه ومن معه من الأمراء وجّهوا إلى نهر الإسكندرية، ثم تحيل الأمير يلغا من السلطان فاتفق مع الأمراء وخلعوا المنصور في نصف شعبان عام أربع وستين وسجنوه داخل الأدر بالقلعة، وكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، ثم تولى المملكة السلطان الثانى والعشرون من ملوك الترك:

(١) هو الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الأنوكى الدوادار، أصله من ممالك سیدی أنوك بن الناصر محمد، تنقل في الوظائف حتى صار مقرباً عند الناصر حسن فجعله دواداراً. المقرئى: السابق، ج ٣ ق ١، ص ٢٤٤؛ ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٤٥٨، ت رقم ١١٢٧؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ٣، ص ١٧٨ - ١٧٩، ت رقم ٦٠٥.

(٢) هو الأمير شرف الدين موسى بن الأركش، تنقل في الوظائف حتى ولى الأستاذية والمشير في عهد الأشرف شعبان، توفي باخلعة عام ٧٨٠ هـ. المقرئى: السابق، ج ٣ ق ١، ص ٣٥١.

(٣) ما بين الحاصرتين أضافه محقق الجوهر نقلاً عن النجوم لابن تغرى بردى، ولكنه موجود بالغفر كما بالنجوم. الجوهر ص ٣٥١.

الملك الأشرف شعبان:

الملك الأشرف شعبان بن الملك الأحمـد حسين بن الناصر محمد وعمره عشر سنين. وفي عام سبع وستين فتح خرت برت على يد جرجى^(١) [الإدريسى]^(٢) [٧٧ أ]، وفيها في يوم الجمعة ثالث عشر الحرم أخذ الفرنج مدينة الإسكندرية، وكانوا في سبعين قطعة، فحرقوا الباب الأخضر، وقتلوا، وقتل منهم عربان البحيرة عدة وأسروا جماعة من المسلمين فخرج لهم السلطان، فلما سمعوا به هربوا، ثم إن السلطان جدد ما تقدم منها وجعل نائبها مقدمة^(٣) من حينئذ بعد أن كانت ولاية^(٤).

وفي عام ثمان وستين عمر الأتابكي يلبغا مائة غراب وطريدة في دون الثمان شهر مع عدم الأخشاب والآلات وقصد أخذ جزيرة قبرص، وفيها خرج السلطان للصيد في البحيرة فوصل إلى الطرانة في سادس ربيع الآخر اتفق أكابر ممالك يلبغا وخامروا على يلبغا مع بعض الأمراء فكسبوا عليه ليلاً فسمع فهرب وطلع إلى القاهرة ومنع المراكب من التعدية واجتمعت عنده الأمراء بمصر، ولما علم الممالك بهروبه اجتمعوا إلى عند السلطان ومن انضاف إليهم، وحضروا إلى بولاق التكرور^(٥) فأقاموا بها ثلاثة أيام لم يجدوا مركباً يعدون فيها، وفي ثاني يوم حضور العسكر نزل المقر الأتابكي يلبغا سيدى أنوك بن الأحمـد حسين بن محمد بن قلاوون أخو الأشرف إلى الجزيرة فلسطنه بها ولقبه بالمنصور وأقام هو ويلبغا والأمراء بالجزيرة والأشرف ببولاق فحضر إليه ريس يعرف بابن بنت لبطة فجهز له ثلاثين غراباً من التي أقامها الأمير يلبغا

(١) يذكر المقرئى أن فتح خرت برت كان في شهر شعبان على يد جرجى الإدريسى الذى حاصر قلعة خرت برت لمدة أربعة أشهر إلا أنه لم يستطع فتحها، ثم إن خليل بن دلفادر طلب الأمان وسلم القلعة. السلوك، ج ٣ ق ١، ص ١٢٠.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الجوهر، ص ٤١١.

(٣) أى أصبح نائبها مقدم ألف، انظر فيما يلى ص ٤٤٩.

(٤) عن وقعة الإسكندرية انظر. النويري: الإحكام في ما جرت به الأحكام؛ المقرئى: السابق، ج ٣ ق ١، ص ١٠٤ - ١٠٨.

(٥) يرجع حى بولاق التكرور أو التكرور إلى الشيخ الصالح بن عبد الله التكرورى وهو من بلاد التكرور وكان معاصراً للخليفة الفاطمى العزيز بالله، وقد ولاه عدة مناصب في دواوين الدولة. انظر: إبراهيم على طرخان: قيام إمبراطورية مالى الإسلامية، مقال بمجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٩٧٠، ص ٤١.

للفرنج، كسر بروقها وجعلها كالقلا^(١)، ونزل فيها جماعة من الأمراء، فأرمى عليهم يلبغا بالنشاب ومكاحل النفط وتشاقوا وأقاموا يومين، ثم عدى السلطان من السوراق إلى جزيرة الفيل^(٢) فسمع الأمراء فهربوا من يلبغا إلى عند السلطان، فطلع يلبغا إلى سوق الخيل ولم يبق معه إلا طيغا حاجب الحجاب فرأى أمره في إدبار فتزل عن فرسه تجاه باب الإسطل وصلى ركعتين وحل سيفه وأعطاه لطيغا وتوجه نحو بيته بالكبش فرجه العوام برأس سوقة المنعم^(٣).

وعند توجهه إلى بيته طلع الأشرف إلى القلعة وجهاز [٧٧ ب] أمراء حضروا يلبغا وأستاداره بعد المغرب فسجنوها بالقلعة، فأقام إلى بعد عشاء الآخرة فجاء له بعض مماليكه وجماعة من الأمراء فتزلوا به، ونزلوا له بفرس يركبها عند حدة باب القلعة، فلما أراد الركوب ضربه مملوك يسمى قراقرم أرمى رأسه ووقعوا فيه بالسيف هبروه وأخذوا رأسه جعلوها في مشعل حتى قطع دمها وسحبوا جثته نحو العروستين^(٤)، فحاز طشتمر^(٥) [الدوادار]^(٦) أخذ الرأس منهم تحت الليل، وحضروا بجثته فخيطن عليها الرأس وغسل وكفن وصلى عليه ليلاً، ودفن بترته واستقر طغيتمر النظامي^(٧) أنابك العساكر.

(١) الفلوة نوع من السفن يرسم التعدية وحمل الأزواد. ابن دقماق: الجوهر، ص ٤١٧ هـ ١٢.

(٢) جزيرة الفيل: هي جزيرة خارج باب البحر من القاهرة، وتتصل بمنية الشرج من بحريها وبحر النيل من غربيها. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٨٥.

(٣) الصواب: منعم، وسوقة منعم: سوق صغيرة تقع في حى الصليبة تجاه القصر السلطان بالقلعة. العيى:

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهم محمد شلتوت، القاهرة ١٩٦٧، ص ٢٤٩ هـ ١.

(٤) بين العروستين: أطلق هذا الاسم على خط من الأخطاط الواقعة في الطريق الواصل من القاهرة إلى قلعة الجبل. المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ١، ص ٧٣ هـ ١.

(٥) هو الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائى الدوادار، كان من أجل الأمراء في مصر تنقل بين عدة وظائف جليلة، وهو أول دوادار في الدولة المملوكية صار أمير مائة مقدم ألف، وتولى نيابة دمشق ثم عزل وطلب إلى مصر واستقر أنابك عسكر، ثم نفى إلى دمياط بطلاً ثم إلى القدس ومات بها عام ٧٨٦ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٣٩٥ — ٣٩٦، ت رقم ١٢٤٧.

(٦) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٤١٩.

(٧) طغيتمر النظامي: استقر في تدبير المملكة بعد قتل يلبغا الخاصكى، ثم أراد إمساك أسندمر الناصرى فكانت الغلبة لأسندمر فأمسك طغيتمر واعتقل بالإسكندرية. ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٣٢٤، ت رقم ٢٠٣٣.

وفي عام تسع وستين ركب أجلاب يلغا على السلطان فركب عليهم ورجتهم العوام ومسكوا أنحس مسك وسمر منهم مائة نفر ووسطوا، ونفق الأشرف على ممالكه لكل نفر مائة دينار وعلى الممالك البرانية ^(١) خمسين دينار.

وفي عام سبعين توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية بشعائر الملك والأمراء مشاة بخدمته من باب رشيد إلى باب البحر، ورمى بين يديه بالمناجق. وفيها سافرت والدة السلطان إلى الحجاز وفي خدمتها مقدمين ألفى، ومائة مملوك وعصائب وطبلخاناه مما هو عادة الملوك، وتوفيت في عام أربع وسبعين.

وفي عام ست وسبعين حصل غلاء ووصل ثمن الأردب القمح مائة وعشرين [درهما] وفرت الحرافيش والمستعطين على الأمراء والدواوين والتجار بقدر مقام كل واحد، ونودي "أى سائل شحت صلب". وفيها فتحت سيس وأعمالها على يد العشقمري المارداني ^(٢) نائب حلب، وانصرفت ^(٣) منها دولة الأرمن، وأحضر التكفور إلى القاهرة وأقام بالكوم بين مصر والقاهرة.

(١) انقسم جند الممالك إلى قسمين رئيسيين، الخاصكية، أى الممالك الذين تم شراءهم من قبل السلطان، والممالك البرانية وهم الممالك الذين تم إلحاقهم بخدمة السلطان من شراء السلاطين السابقين. انظر: العمري: المسالك - أيمن -، ص ٣٧ هـ - ١؛ المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) "عشقمري المارداني"، الجوهر، ص ٤٣٠؛ يبدو أن صاحب الثغر قد نقل عن ابن دقماق مع بعض التصحيف في الاسم، وقد تم فتح سيس عام ٧٧٦ هـ على يد الأمير أشقمري الناصري، وهو الأمير سيف الدين أقشمر بن عبد الله المارداني الناصري، أصله من ممالك صاحب ماردين فأرسله إلى الملك الناصر حسن، وتنقل بين الوظائف إلى أن تولى نيابة حلب وعزل عنها عدة مرات وفي المرة الرابعة فتح بلاد سيس، ثم عزل عنها وتوفي بطالاً في القدس عام ٧٩١ هـ. انظر: المقرئى: السلوك، ج ٣ ق ١، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، ٣٥٨، ق ٢، ص ٥٤٩، ٦٨٧؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٢، ص ٤٥١ - ٤٥٤، ت رقم ٤٧٠.

(٣) انقضت: الجوهر، ٤٣٠.

وفي عام ثمان وسبعين أبطل ضمان المغاني^(١)، وفي ثالث عشر شوال خرج السلطان قاصداً للحج فأقام يوماً بسرياقوس، ثم أقام ببركة الحاج^(٢) إلى ثاني عشرين شوال فسافر، ثم في ثالث ذى القعدة أتفق ممالك السلطان وممالك أولاده المقيمين بالقلعة ولبسوا وأتوا إلى باب الستارة^(٣) فقال لهم جليان العلاني^(٤) اللالا، والزمام ورفقتهم: ما تريدون؟ فقالوا: نسلطن [٧٨ أ] سيدى على لأن أبوه مات. فلم يطاوعوهم فكسروا شباك بيت الزمام ونهبوه، ومسكوا الزمام وجليان وأخرجوا سيدى على إلى باب الستارة فأركبوه على بعض خيولهم إلى الإيوان ثم إلى الإسطنبول، وطلع جماعة من الأمراء فمسكوا وسجنوا. وفي اليوم الثاني حضر [قازان]^(٥) البرقش ممن كان في خدمة الأشرف وأخبر أن السلطان لما نزل من العقبة خامر عليه جماعة من الأمراء والممالك وركبوا عليه في مستهل ذى القعدة وانكسر ومعه بعض [الممالك]^(٦) وأنه بعجروود فأهانوه وقصدوا قتله وأنه قريب من قبة النصر. فوجدوا بها ببيغا وبشتاك^(٧) وأرغون العزى^(٨) فقطعوا رؤوسهم وأحضرهما إلى سوق الخيل، وأما الأشرف

(١) ضمان المغاني: هي ضريبة فرضت على المغنين والمغنيات بحيث يدفع المستعين بهذه الفئة ضريبة لضمان هذه الطائفة. عاشور: المجتمع المصري، ص ١٠٤. وكان ذلك عام ٧٧٥ هـ وليس ٧٧٨ هـ، وعن ذلك انظر حوادث عام ٧٧٥ هـ المقرئى: السلوك؛ العيني: عقد الجمان؛ ابن حجر: إنباء الغمر.

(٢) بركة الحاج أو بركة الحجاج تقع في الشمال من القاهرة عرفت ببركة الحجاج لزول حجاج البر بها عند ذهابهم للحج أو إياهم منه، وكانت من متزهات سلاطين الممالك. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) باب الستارة: باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمة. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ٤ هـ ٢.

(٤) هو الأمير سيف الدين جليان بن عبد الله الحاجب، ويقال له جليان العلاني سيف الدين بكتمر المؤمنى، أحد أمراء الطليخانات والحجاب في الدولة الظاهرية بقوق، توفي عام ٧٨٨ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٥، ص ٦ - ٧، ت رقم ٨٥٣، وأنظر هـ ٥ لمحقق الكتاب.

(٥) ما بين الحاصرتين من الجوهر، ص ٤٣٣.

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة لتوضيح المعنى.

(٧) هو الأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله من عبد الكريم، أحد مقدمى الألوף بالديار المصرية في دولة الأشرف شعبان، قتل عام ٧٧٨ هـ. ابن تغرى بردى: السابق، ج ٣، ص ٣٧٣ - ٣٧٤، ت رقم ٦٧٠.

(٨) هو الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله العزى الأفرم، أحد أمراء الطليخاناه في دولة الأشرف شعبان، قتل عام ٧٧٨ هـ. ابن تغرى بردى: السابق، ج ٢، ص ٣١٤، ت رقم ٣٧٣.

فهرب. وفي آخر النهار أخبرت امرأة بأن الأشرف محباً بالجوهرية^(١) فكبسوا عليه فوجدوه معلقاً^(٢) بالبادهنج^(٣) فمسكوه وأحضروه إلى الإسطنبول، وضربه أينبك^(٤) تحت رجله نحو من سبعين عصا إلى حين أعترف بالذخائر ثم خنقوه في خامس ذى القعدة وجعلوه في قفة ثم رموه في بئر ثم أخرجوه بعد أيام ودفنوه بالكيमान ثم نقلوه إلى تربة والده.

كان رحمه الله هيناً ليناً حليماً محباً لأهل الخير مقرباً للعلماء والفقراء مقتدياً بأمور الشريعة محسناً لأقاربه، ولم يكن في أيامه بالاعتقال أمير ولا جندي، وخلف ست بنين وهم، المنصور على، والصالح حاجي، وقاسم، ومحمد، وإسماعيل، وأبو بكر، وأمير أحمد ولد بعد موته، وسبع بنات، ومدة مملكته أربعة عشر سنة وشهرين ونصف، وكان عمره أربع وعشرون سنة، ثم تسلطن السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور على:

الملك المنصور على بن الأشرف شعبان وهو ابن ثمان سنين، وقبل له البيعة الأمير أقتمر الحنبلي^(٥)، ولبس حلة الملك وشعائره في ثامن ذى القعدة، فأقام إلى أن درج بالوفاة في ثالث

(١) الجودرية: حارة عرفت بالطائفة الجودرية إحدى طوائف العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي. المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٥.

(٢) الصواب: أختفى، والتصحيح من الجوهر، ص ٤٣٥.

(٣) البادهنج: مكان في البيت يوجد بجانب المطبخ. ابن دقماق: الجوهر، ص ٤٣٥ هـ ٥، Dozy, op.cit.voll.p.409.

(٤) هو الأمير سيف الدين أينبك بن عبد الله البدرى، أحد أمراء الطليخاناه في دولة الأشرف شعبان وهو القائم في خلعه من السلطنة وقتله، وأصبح أتابك في عهد ابنه الملك المنصور على، سجن عام ٧٧٨ هـ بالإسكندرية ولم يعلم تاريخ موته على وجه الدقة أكان عام ٧٧٨ أو ٧٨٠ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٣، ص ٢٢١ - ٢٢٤، ت رقم ٦٢٩.

(٥) هو الأمير سيف الدين أقتمر بن عبد الله الصاحبي الحنبلي، نائب السلطنة بالديار المصرية ثم بدمشق، كان أولاً من جملة الأمراء ثم ترقى حتى ولى نيابة دمشق ثم ولى نيابة السلطنة بمصر بعد موت الأمير منجك اليوسفى عام ٧٧٧ هـ، واستمر بها إلى أن مات عام ٧٧٩ هـ. السابق، ج ٢، ص ٤٩٢ - ٤٩٣، ت رقم ٤٩٧.

عشر من صفر عام ثلاث وثمانين وسبعمائة، وكانت مدة مملكته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرون يوماً، ووقع في أيامه^(١).

(١) إلى هنا حدث انقطاع في المخطوط وكانت الصفحة التالية هي القسم الثالث.

القسم الثالث

فى معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها برا وبحرا ومسافاتها
وما يدخل تحت ذلك من المدن والسواحل

وفيه ثلاثة أبواب:—

الباب الأول

في شكل الأرض والبحر المحيط بها والرياح والأقاليم السبعة الممتدة من

الشرق والغرب

وفيه ثلاثة فصول:—

الفصل الأول

في ذكر شكل الأرض وما ينخرط في سلك ذلك

أما ما اقتضت الحكمة الإلهية كشفه من أعلاها لوقوع العماراة فيه. وقد شبهوها ببيضة ملقاة في شكل الأرض فالمقرر في علم الهيئة أن الأرض كرية الشكل والماء محيط بها من جميع جهاتها إلا وسط طست مملوء ماء قد ظهر أعلاها والماء محيط بباقيها وهو البحر المحيط الذي هو أحد العناصر الأربعة. ولها أربع جهات:

الأولى: الشرق^(١)، وهي التي تشرق فيها الشمس ويقال لها المشرق، وتسمى الريح التي تهب منها الشرقية، وتسمى القبول لمقابلة مستقبل المشرق، وتسمى أيضا الصبا وتهب من مطلع الشمس في الاعتدال وطبعها حار يابس.

الثانية: الغرب^(٢)، وهي التي تغرب فيها الشمس، ويقال لها المغرب أيضا، وتسمى الريح التي تهب منها الغربية، وتسمى الدبور أيضا لأستدبار مستقبل المشرق بها وطبعه بارد رطب.

الثالثة: الشمال، بفتح الشين وهي التي على شمال مستقبل المشرق وتسمى الريح التي تهب منها شمال باسم الجهة، وشمال وأهل مصر يسمونها البحرية، قال أبو جعفر النحاس "وسميت بذلك لأنها يسار بها في البحر كيف كان، وطبعه بارد يابس.

الرابعة: الجنوب، بفتح الجيم، وهو يمين مستقبل المشرق، وكأفها سميت بذلك لكونها من الجانب التي لم تسم له جهة، إذ لم يبق من الجهات الأربع إلا الجانب الأيمن، وتسمى الريح التي تهب منها

(١) المشرق: ضوء، ص ٢١٨.

(٢) المغرب: السابق، نفسه.

الجنوب باسم [٧٩ أ] الجهة، أهل مصر يسمون هذه الرياح الرئيسية لهبوبها من جهة بلاد المريس وهي بلاد النوبة، وطبعه حار رطب.

فائدة، قالت الحكماء، أكثر ما يكون كسرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعا، أعلى جبل في الأرض لا يبلغ ذلك وهو بداخل في الأرض إلى عمق مائة ذراع ثم تقف. والرياح تحدث من تموج الهواء.

ثم كرة الأرض يقسمها خط متوهم في وسطها بنصفين نصف جنوبي ونصف شمالي، وهذا الخط يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده في فصول السنة، ويسمى البعيد من هذا الخط جنوبا وشمالا عرضا يعتبر بالدرج، ويقاطع خط آخر متوهم يقسمها نصفين، نصف شرقي ونصف غربي، ويسمى هذا الخط خط نصف النهار لمسامته الشمس في نصف النهار. ونصف الأرض حيثئذ مقسومة بأربعة أرباع وكل من هذين الخطين مقوم^(١) بمائة وثمانين درجة، والدرجة ستون دقيقة، والذي حققته القدماء بطليموس وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلا وثلاثي ميل، وقدره ابن الشاطر في تاريخه بمسير يومين وبخمس برد وبعشرين فرسخا وبستين ميلا وبمائتين ألف ذراع، كل ذراع على سبيل التقدير.

واعلم أن النصف الجنوبي من الأرض لاعماره فيه ولا فيما^(٢) قارب خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة وما إلى ذلك بل أكثره مغمور بالماء، وأكثر المعمور إنما هو في النصف الشمالي. وأقصى الشمال أيضا لا عمارة فيه لاستيلاء البرد عليها، ثم غالب العمارة واقع في أوساط النصف الشمالي.

(١) مقسوم: ضوء، ص ٢١٨.

(٢) الصواب: إلا فيما، ضوء، نفسه.

الفصل الثاني

في البحار

والمشهور منها بحران. الأول البحر الرومي الخارج من البحر المحيط الغربي ويعرف ببحر الروم لسكنى أمم الروم عليه، وربما قيل فيه البحر الشامي لوقوع بلاد الشام عليه من شرقيه، ومخرجه من البحر المحيط الغربي المعروف ببحر أوقيانوس^(١) بين جزيرة الأندلس وبر العدو من بلاد المغرب الأقصى ويسمى هناك بحر الزقاق، وربما قيل زقاق سبتة لجاورته لها وهو هناك في غاية [٧٩ ب] الضيق. قال ابن سعيد: وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا. ولكنه اتسع بعد ذلك، قال في الروض المعطار: وكان عليه قنطرة مبنية غطاها الماء. ويمتد من الزقاق هذا إلى سواحل الغرب وأولها من هذه الجهة مملكة فاس وحدها من الغرب من جهة البحر المحيط آسفى^(٢) مدينة مسامطة لمدينة مراكش على ثلاثة أيام منها ثم يمتد إلى نيط^(٣) ثم يمتد إلى أزموور^(٤) ثم منها إلى أنفا^(٥) مدينة يقال إن فيها الحبة القمح بقدر الحمصة، ثم يمر على ساحل يسمى أبو طويل به مدينة سلا^(٦) تجمع ثلاث مدن، ربط، الفتح، سالة. وبها كانت تدفن ملوك المغرب، ثم يمتد إلى مدينة العرائش^(٧) ثم إلى مدينة أزيلة^(٨) ثم يمر على مدينة طنجة وبها يطبخ معدن الفولاذ، ثم

(١) هو ما كان يطلق قديماً على البحر المحيط الذي يتخيله الجغرافيون محيطاً بالمعمور من الأرض، وله بدايتان، الأولى من الشرق يعنون بها المحيط الهندي، والأخرى من الغرب ويعنون بها المحيط الأطلسي.

(٢) إحدى المدن المتخذة كميناء على المحيط الأطلسي وهي إحدى مدن المغرب حالياً. البكري: المغرب، ص ٨٦؛ الإدريسي: نزهة، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) إحدى المدن الواقعة على المحيط، وتسمى أيضاً القنيط وهي إحدى مدن المغرب حالياً. أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة. ب. ت، ص ١١٥.

(٤) الزهري: السابق، نفسه.

(٥) إحدى المدن القريبة من سلا التالية، وتمثل ميناء تجارياً لهذه المنطقة وهي إحدى مدن المغرب حالياً. الزهري: نفسه؛ الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٤٠.

(٦) مدينة سلا على بعد ميلين من البحر، وأغلب تجارة أهل إشبيلية بالأندلس معها ومع المدن الثلاثة التالية تعرف بسلا الحديثة وهي إحدى مدن المغرب حالياً. البكري: السابق، ص ٨٧؛ الزهري: السابق، نفسه؛ الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٣٩.

(٧) إحدى المدن المغربية المطلة على المحيط الأطلسي.

(٨) أزيلة ويقال لها أصيلا إحدى مدن المغرب الأقصى. الإدريسي: السابق، ج ٢، ص ٥٣٠.

يمتد إلى مدينة قصر الجواز ثم يمتد شرقاً وشمالاً إلى سبتة مدينة عظيمة يشتمل سورها على ثلاثين باباً إلى البحر واثنين إلى البر ^(١) ثم يمتد إلى بر غانم إلى بادس ^(٢) وبها غابة خشب يعم أهل المغرب وبها جبل الحديد، ثم يمتد إلى خصاصة ^(٣) فرضة فاس ثم إلى مليلة وهي آخر مملكة فاس. ويمتد إلى أول مملكة تلمسان فيمتد إلى مليلة إلى هنين ^(٤) فرضة تلمسان، ثم إلى وهران مدينة خراب ^(٥)، ثم إلى برشد وشرشال ^(٦) مدينتين خربتين، ثم منها إلى تنس ^(٧) بلدة مسورة، ثم إلى الجزائر ^(٨) بلدة كثيرة الفواكه والمياه، ثم إلى تدلس ^(٩) آخر مملكة تلمسان.

ثم يمتد إلى أول مملكة تونس وهي مدينة إفريقية، فيمتد من تدلس إلى بجاية ^(١٠) مدينة نزهة يسمونها أهل الغرب "متزه الدنيا"، [ثم] يصل إلى القل ^(١١) أرض مبسوطة، ثم إلى بونة ^(١٢) مدينة مسورة كثيرة العناب تساوى فيها الويبة العناب ثلاثة دراهم فلوس، ثم يمتد إلى أن يسامت تونس وهي إفريقية وهي قاعدة بلاد الغرب الأخير ومحل إقامة ملوك أولاد أبو

(١) تم تأسيس مدينة سبتة في عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ، وتم بناء سورها في عهد الوزير المنصور بن أبي عامر. البكري: السابق، ص ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) البكري: السابق، ص ١٠٢.

(٣) ويقال لها أخصاض. البكري: السابق، ص ٨٨.

(٤) البكري: السابق، ص ٨٧.

(٥) وهران إحدى المدن التي قام البحريون الأندلسيون باتخاذها مركزاً لهم على شاطئ بلاد المغرب الأوسط. البكري: السابق، ص ٧٠.

(٦) مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط على الغرب من وهران، وهي إحدى مدن الجزائر الحالية. البكري: السابق، ص ٨١؛ الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٥٨.

(٧) مدينة تنس قام بتأسيسها البحريون الأندلسيون عام ٢٦٢ هـ، واتخذوها مركزاً لهم على ساحل بلاد المغرب. البكري: السابق، ص ٦١؛ أشرف محمد أنس: جماعات البحر الأندلسيون، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنصورة ١٩٩٦، ص ٤٣ - ٤٤.

(٨) وكانت تعرف بجزائر بني مزغني. البكري: السابق، ص ٨٢.

(٩) الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٥٩.

(١٠) البكري: السابق، ص ٨٢.

(١١) القل: إحدى المراسي الصغيرة على البحر المتوسط، وإحدى مدن تونس الحالية. البكري: السابق، ص ٨٣؛ الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٦٩.

(١٢) البكري: السابق، ص ٥٥.

فارس، وهى على البحر بمسيرة قدر بريد، وحفروا لها جونا تمشى فيه المراكب الصغار للوسق، ثم يمتد إلى الحمامات بلدة لطيفة مرساة، ثم إلى سوسة^(١) أكثرها خرابا، ثم يمتد إلى المنستير^(٢) بلدة لطيفة مسورة، ثم إلى المهديّة مدينة مسورة بها باب [٨٠ أ] يسمى باب زبيطة دفتاه زنة ما ألقى فيهما من الحديد ألف وثلاثة مائة قنطار لم يقفلا إلا باللوالب، ثم يمتد شرقا بجنوب حتى يجاور صفاقس ويقال إسفاقس^(٣) مدينة يهرب الماء عنها في كل يوم بقدر ثلاثة أميال ثم يعود مكانه، ثم يمتد إلى قابس^(٤) مدينة لها واد يسمى العروضين كثير الفواكه به من كل فاكهة، ثم يمتد إلى طرابلس مدينة كثيرة الناس وهى آخر مملكة تونس.

ثم يمر بسواحل ديار مصر وأولها طلمينا^(٥) مرساة من غير بلد، ثم يعطف شمالا ويكون للبر في البحر دخلة إلى رأس أوتان^(٦) جبل داخل في البحر، ثم يشرق إلى رأس برنيق^(٧) جبل في البحر قبالة رأس أوتان من الشرق، ثم يعطف من الجنوب، ويمتد حتى يسامت عقبة برقة حد الديار المصرية من إفريقية، ثم يمتد إلى مدينة الإسكندرية، لم يكن بالديار المصرية أمدن منها، ثم يمتد مشرقا إلى رشيد قرية صغيرة عند مصب فرقة النيل الغربية، ثم يمر على وادى البرلس، ثم

(١) البكرى: السابق، ص ٣٥.

(٢) توجد مدينتان باسم المنستير، إحداها في الأندلس بين لقنت وقرطاجنة، والآخرى هذه المدينة الواقعة بالقرب من سوسة ببلاد تونس الحالية. البكرى: السابق، ص ٣٦؛ ياقوت: معجم، ج ١، ص ٥٠٩؛

الإدريسي: السابق، ج ١، ص ٢٨٢.

(٣) البكرى: السابق، ص ١٩ — ٢٠.

(٤) البكرى: السابق، ص ١٧ — ١٨.

(٥) طلمينا، أو طلميثة إحدى ولايات برقة، وذكرها ياقوت باسم ظلمويه وهى من البلاد المندرسة. ياقوت:

معجم، ج ٤، ص ٣٩؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافى، ق ١، ص ٣١٢.

(٦) إحدى المدن القريبة من برقة. البكرى: السابق، ص ٨٥.

(٧) تبني: ضوء، ص ٢٢٠. وبرنيق إحدى المدن الواقعة بين الإسكندرية وبرقة، وكانت من أعمال مصر.

ياقوت: السابق، ج ١، ص ٤٠٤. الإدريسي: نزهة، ج ١، ص ٣١١؛ ويقال لها تبني عند البكرى: السابق،

ص ٨٥.

يتمدد إلى مدينة دمياط عند مصب فرقة النيل الشرقية ويأخذ مشرقاً إلى الطينة^(١) ثم يمتد إلى العريش ثم يمتد إلى رفح حد الديار المصرية من الشام.

ومن هنا ينقطع تشريقه وينعطف ويأخذ شمالاً على سواحل الشام، فيمتد إلى غزة ثم إلى عسقلان ثم إلى يافا وهي منية الرملة، ثم إلى قيسارية الشام من جبل^(٢) فلسطين، ثم إلى عثليث من معاملة صفد، ثم إلى عكا ثم يمتد إلى صور من معاملة صفد^(٣)، ثم إلى بيروت من عمل دمشق، ثم إلى جبيل^(٤) مدينة خراب، ثم إلى مدينة طرابلس ثم إلى اسطرسوس^(٥) من عملها، ثم إلى بلياس^(٦) من عملها، ثم إلى جبلة من عملها ثم إلى اللاذقية من عملها ثم إلى السويدية فرضة أنطاكية من معاملة حلب.

ثم يأخذ البحر غرباً بشمال على سواحل بلاد الأرمن، فيمر على رصص ثم إلى باب سكندرونة^(٧) حيث دريند بلاد الروم^(٨)، ثم إلى باياس^(٩)، ثم يأخذ غرباً بشمال إلى أياس، ثم يمتد إلى المصيصة ثم يمتد إلى أذنة ثم إلى طرسوس ثم شمالاً بغرب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن، ويمتد على سواحل الروم التي هي الآن بيد التركمان، فيمر إلى الكرمك^(١٠) وهي بساحل بلاد المسلمين بيد صاحب [٨٠ ب] قبرس، ثم يمتد شمالاً إلى العلايا ويقابلها من البر الآخر مدينة

(١) الطينة: هي إحدى المدن القريبة من القرما "بور سعيد الحالية"، وهي من البلاد المندسة. محمد رمزي:

السابق، ق ١، ص ٨٠.

(٢) حد: ضوء، ص ٢٢١.

(٣) من عملها: ضوء، يقصد عمل تابع لعكا.

(٤) وتقع اليوم بليان. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٧٠٥.

(٥) الصواب: انطرسوس. انظر فيما يلي، ص ٤٦٥.

(٦) وتسمى أيضاً بانياس، ويرجع ياقوت سبب تسميتها إلى بانياس الحكيم صاحب الطلسمات عهد

الإسكندر الأكبر. معجم، ج ١، ص ٤٨٩؛ وتقع اليوم بسوريا. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٦٩٧.

(٧) باب سكندرية: ضوء، ص ٢٢١. وهي بلدة على ساحل البحر بالقرب من أنطاكية، تم بنائها في عهد

الوائق "٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م". أبو الفداء: السابق، ص ٢٥٥.

(٨) انظر عنها فيما يلي، ص ٨٤٣.

(٩) انظر عنها فيما يلي، ص ٣٦٨.

(١٠) الكرك: ضوء، نفسه.

دمياط تقريبا ثم إلى أنصاليا^(١)، ثم يمتد إلى بلاط ثم يمتد إلى طنغزلوا^(٢)، ثم إلى آياس آيالوق^(٣) ثم إلى مغنيسا ثم إلى أبزو بلدة على ممر الخليج القسطنطيني من الشرق، وربما نسب فم الخليج إليها فيقال فم أبزو، ويقابلها من البر الآخر غربي مدينة الإسكندرية فيما بينها وبين برقة، ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتد غربا بجنوب على سواحل الروم والفرنجية فيمر على بلاد المرا^(٤)، وهي مملكة أولها من الشرق الخليج المذكور وكانت في أيام الناصر بن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية والكتيلان.

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد الملفجوط^(٥) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به، ويقابلها من البر الآخر شرقي برقة ثم يمتد في الغرب إلى بلاد الباسليسة وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمئة فعرفت بها ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة، وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب جون البنادقة، وهو خليج يخرج من بحر الروم المذكور سبعمئة ميل ويمتد غربا بشمال حتى يصير طرفه بحري رومية وعلى طرفه حد البندقية. ثم يمر من البندقية ويجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بوليه^(٦) ويقابلها من البر الآخر أطراف برقة، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد قلفرية^(٧) من مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر إطرابلس من إفريقية، ثم يمتد إلى ساحل رومية ويقابلها من البر الآخر شرقي تونس، ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جنوبا إلى التسقان وهم جنس من الفرنج ينبت ببلدهم الزعفران^(٨) ويقابلها من البر الآخر مدينة تونس، ثم يمتد في الجنوب إلى بلاد بيزة بلدة من الركن الشمالى من جزيرة الأندلس بلد الحديد البتراني ويقابلها

(١) أنطاكية: ضوء، نفسه.

(٢) انظر عنها فيما يلي، ص ٧٨٦.

(٣) الصواب: لوق، وأنظر فيما بعد، ص ٧٨٦.

(٤) هي إحدى الممالك الصغيرة الواقعة في غرب الخليج القسطنطيني، وكما يذكر صاحب تقويم البلدان كانت مناصفة بين صاحب القسطنطينية والكتيلان. أبو الفداء: تقويم، ص ١٩٨.

(٥) هم جنس من الروم، وهم لسان ينفردون به، وبلدهم من أعمال القسطنطينية. عن هذه المملكة انظر: أبو الفداء، السابق، ص ١٩٨؛ القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٦) ويقال لها أنبوليه وهي على الغرب من خليج البندقية. القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٤١٠.

(٧) قلفرية: ويقال لها قلوبرية، وهي شبه جزيرة كلايريا الواقعة في شرق جزيرة صقلية. ياقوت: معجم، ج ٤،

ص ٣٩٢؛ رحلة بنيامين التيطلي، ترجمة عزرا حداد، بغداد ١٩٤٥، ص ٧٠ هـ ٢.

(٨) القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٤١١.

من البر الآخر مرسى الخرز^(١) من عمل بجاية، ثم يمتد إلى بلاد مملكة جنوة ثم يأخذ غرباً إلى جبل ألبرت الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة^(٢).

ثم ينقطع تغريبه وينعطف شرقاً ويدخل [٨١ أ] إلى الركن الشرقي من الأندلس ويمتد في الشرق ويستدير على الركن المذكور، ثم ينعطف غرباً ثم يمتد على ساحل الأندلس فيمر على برشلونة ثم إلى طرطوشة ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية، ثم يمتد بين الغرب والجنوب إلى بلنسية ثم يعطف غرباً إلى دانية ثم يمتد جنوباً^(٣) بجنوب إلى مالقة، ثم يمتد إلى الجزيرة الخضراء ويقابلها من البر الآخر ساحل سبتة وطنجة.

ويقال إن طول هذا البحر من البحر المحيط إلى سواحل الشام ألف ومائة وسبعون فرسخاً، وغاية عرضه في بعض الأماكن ستمائة ميل، ثم من الجزيرة الخضراء إلى مغيب الشمس في البحر المحيط جزائر يأتي الكلام عليها عند مكاتبة ملوكها إن شاء الله تعالى.

ويتصل بالبحر الرومي^(٤) المتقدم ذكره بحر نيطش، وهو المعروف في زماننا ببحر القرم لوقوع بلاد القرم على ساحله الشمالي، وربما عرف بالبحر الأرمني لوقوع بلاد أرمينية على ساحله الجنوبي، ويتركب عليه من آخره بحر مانيطش وهو المعروف في زماننا ببحر الأزق لوقوع بلاد الأزق على ساحله الشرقي، وأول بحر نيطش مما يلي بحر الروم من شمالها الخليج القسطنطيني بعرض النيل، ويمتد شمالاً على سواحل الروم من البر الشرقي منه إلى قلعة الجرون قلعة خراب تقابل القسطنطينية، ويمتد شمالاً إلى مدينة كربي ثم يمتد مشرقاً بشمال إلى مدينة كتروا وإلى مدينة كينولى، ثم يأخذ بين الشمال والغرب إلى فرضة سنوب، ثم يأخذ في الاتساع إلى مدينة سامسون، ثم يمتد مشرقاً إلى مدينة طرابيزون^(٥) وهي فرضة بلاد الروم بهذا الساحل، ثم يمتد شمالاً بغرب إلى مدينة سخوم وبينها و بين بلاد الكرج يوم واحد، ثم يمتد شرقاً بشمال إلى

(١) مرسى الخرز: ميناء ومرافئ للسفن تقع في المغرب الأوسط. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق

سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية ١٩٥٨، ص ١٢٦؛ البكري: المغرب، ص ٥٥؛ ياقوت: السابق،

ج ٥، ص ١٠٦.

(٢) يقصد بها فرنسا الحالية.

(٣) الصواب: غرباً، الضوء، ص ٢٢٢.

(٤) عن هذه البلاد الآتي ذكرها ضمن مملكة أرمينية انظر: القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٣٥٤ — ٣٥٥.

(٥) هي إحدى المدن الواقعة على البحر الأسود، وتقع اليوم بتركيا. لي سترانج: بلدان، ص ١٦٨.

مدينة أنخاس^(١) ثم يتقارب البرين حتى يصير كالحليج وعلى ساحله مدينة الطامات من سواحل الروم وهي حد بلاد الروم من بلاد مملكة بردا التي قاعدتها مدينة السرى.

ثم يأخذ البحر في الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة ويمتد على سواحل بلاد الأزق إلى مدينة القراق، ثم يعطف إلى الشمال [٨١ ب] فيأخذ إلى مدينة الأزق ثم يستدير من الأزق وينتهى إلى الحليج الذى بين بحر نيطش ومابنطش، وهناك مدينة الكرش^(٢) من بلاد الأزق مقابل بلاد الطامان^(٣) ثم يمر جنوبا ويستمر على سواحل القرم فيمر إلى مدينة الكفا فريضة القرم ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابيزون المذكورة، ثم يمتد إلى مدينة وذاق^(٤) وهي فريضة بلاد القرم أيضا ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المقدمة الذكر، ثم يعطف شرقا ويمتد على سواحل البلغار إلى مدينة صادوا^(٥) وكرمان من البلغار ويقابلها من البر الآخر سنوب ويأخذ في الاتساع غربا بجنوب ويمتد إلى مدينة أق قجا^(٦) كرممان من بلاد البلغار ثم يأخذ جنوبا ويمتد على سواحل القسطنطينية إلى طقجي^(٧) عند مصب نهر طنا وهو نهر بقدر نهر الفرات ودجلة ويمتد إلى مقابل مدينة كرى المذكورة ثم إلى مدينة القسطنطينية قاعدة ملك الروم ويقابلها من البر الآخر قلعة الجارون^(٨) ثم يمتد حتى يقع في بحر الروم حيث وقع الابتداء.

(١) أنخاس أو أنجاز، إحدى المدن الواقعة ببلاد الكرج " جورجيا ". ياقوت: معجم، ج ١، ص ٦٤.

(٢) انظر: القلقشندي: السابق، ج ٤، ص ٤٦١.

(٣) هي آخر حد بلاد الروم تجاه بلاد دشت القفجاق. القلقشندي: السابق، نفسه.

(٤) صوداق: صبح، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٥) صارى: صبح، ج ٣، ص ٢٣٧؛ ج ٤، ص ٤٦٤.

(٦) أفجا: صبح، ج ٣، ص ٢٣٧؛ ج ٤، ص ٤٦٣.

(٧) صقجي: صبح، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٨) الجرون: صبح، ج ٣، ص ٢٣٦.

البحر الثاني

الخارج من البحر المحيط الشرقي إلى جهة الغرب

وهو يخرج عند أقصى بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الاستواء، ويمتد غربا بشمال على سواحل بلاد الصين الجنوبية، ثم يمر على المفاوز التي بين جبال الصين وإلى جبال قامرون^(١) الفاصلة بين الصين والهند، ويمتد على سواحل الهند من الجنوب ويمر على سفالة الهند وهي سوفارة، ويمتد حتى ينتهي إلى آخر الهند ثم ينتهي إلى مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر، ويمر على^(٢) ينتهي إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشمال.

ويجاوزها إلى بلاد اليمن فيمر على ساحل مهرة أول بلاد اليمن ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه إلى عدن فرضة اليمن. ثم يمر شمالا بغرب حتى ينتهي إلى باب المنذب وهي فرضة بين جبلين على أول بحر القلزم ويخرج منه ويمتد غربا بشمال إلى اثنا عشر ميلا ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى علافة [٨٢ أ] فرضة مدينة زبيد، ثم يمتد كذلك إلى مدينة حلي المعروفة بحلي بن يعقوب من أطراف اليمن من جهة الحجاز، ثم يمتد شمالا على ساحل الحجاز فيمتد إلى جدة فرضة مكة المشرفة ثم يمتد شمالا إلى الحجة ميقات الإحرام لأهل مصر، ثم يمتد شمالا بغرب إلى ساحل ينبع، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز مدين ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب أيلة^(٣) تحت العقبة، ثم يعطف جنوبا حتى يجاوزها إلى مكان يعرف برأس أبي محمد، ويكون للبر دخلة في البحر من جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا إلى فرضة السويس، وهي أيضا محط مكان وإقلاع المراكب بالديار المصرية وعندها ينتهي بر العرب ببحر القلزم ويبتدئ بر العجم ثم يعطف على سواحل الديار المصرية ويمتد موازيا إلى صعيدها حتى

(١) وتوجد بلدة في الهند تعرف بهذا الاسم ينسب إليها نوع جيد من البخور. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٣٩٦.

(٢) الصواب: حتى، صبح، ج ٣، ص ٢٣٨.

(٣) أيلة كانت بلدة من أول حدود الحجاز، وقد خربت في زلزال عام ٤٥٩ هـ، ومكانها اليوم مدينة العقبة بالملكة الأردنية. محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ١٣٦.

ينتهي إلى مدينة القلزم^(١)، مدينة خراب ويقابلها أيلة من بر الحجاز، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بشرق حتى يسامت فرضة الطور وينتهي إلى القصير فرضة قوص ثم يتسع البحر حتى يكون تسعين ميلا وتسمى بركة الغرندل وهي التي أغرق الله تعالى فيها فرعون.

ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب حتى يصل إلى عيذاب^(٢) فرضة قوص أيضا ويقابلها من بر الحجاز جدة فرضة مكة ثم يمتد في سمت الجنوب سواحل بلاد السودان حتى يصير عند سواكن من بلاد البجاة، ثم يمتد حتى يحيط بجزيرة دهلك وأهلها حبشة مسلمون ويقابلها من بر اليمن حيلي، ثم يمتد إلى رأس باب المنذب المقدم ذكره ويضيق هناك البحر حتى يكون مسافة رميتي سهم، وهتاك ترى جبال عدن في قلب البحر ثم يتسع قليلا قليلا حتى يمر بمدينة زيلع من بلاد الحبشة المسلمين، ويقابلها ثم يمر إلى مدينة مقدشوا ثم يمتد حتى ينتهي إلى خليج بربرا الخارج من بحر الهند في جانبه الجنوبي ويتجاوز ويمتد [٨٢ ب] على سواحل بلاد الزنج وجزاير الواق، ثم يمر على أماكن مجهولة حتى ينتهي إلى مبدأه من البحر المحيط الشرقي.

قلت أن هذه البحار تسمى باسم ما يسامتها من الأقاليم التي عليها، فيقال فيما يقابل إقليم الصين بحر الصين، وفيما يسامت إقليم الهند بحر الهند، وفيما يسامت إقليم الشام بحر الشام، وفيما يسامت إقليم العرب بحر العرب، ونحو ذلك.

قال في تقويم البلدان: وطول هذا البحر من أطراف بلاد الصين الشرقي إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا تقريبا.

(١) القلزم: هي الميناء الرئيسي لمصر على البحر الأحمر في العصور الوسطى، ولكنها خربت منذ عصر مبكر قبل عصر ياقوت الحموي الذي ذكر أنها تهدمت وحل محلها كميناء مدينة السويس. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٣٨٨؛ محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٩٩.

(٢) عيذاب: هي إحدى الثغور المندرجة على البحر الأحمر، وكانت أحد الموانئ الهامة لمصر في العصور الوسطى. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ١٧١؛ محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٣٣٨.

الفصل الثالث

في الأقاليم السبعة الحقيقية

اعلم أنه قد قسمت الحكماء المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، تمتد من الشرق إلى الغرب، وقد اختلفوا في ترتيبها بحسب العرض، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاستواء وأخره السابع منتهى العمارة في شماله وهو ست وستون درجة من خط الاستواء، قال في تقويم البلدان: والذي عليه المحققون أن ابتداء الإقليم الأول حيث العرض اثنا عشر درجة وثلاثا درجة وما وراء ذلك إلى نهاية العمران في الشمال خارج عن الإقليم السابع حيث العرض خمسون وثلاث درجة وما وراء ذلك إلى نهاية العمران في الشمال خارج عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران ما لم يدخل في الأقاليم السابقة. وعليه وقع الترتيب في هذا الكتاب.

فالإقليم الأول منها سبعة ست درجات وثلاثا درجة وثمان درجة، والثاني سبعة سبع درجات وثلاث دقائق، والثالث ست درجات وثلاث درجة، والرابع خمس درجات وسبعة عشر دقيقة، والخامس أربع درجات وربع وثمان وعشر درجة، والسادس ثلاث درجات ونصف وثمان وخمس درجة، والسابع ثلاث درجات وثمان دقائق.

الباب الثاني

في مملكة الديار المصرية ومضافاتها من الممالك الشامية

وما ينخرط في سلك ذلك من بلاد الثغور والعواصم ^(١) المعروفة الآن ببلاد [٨٣ أ] الأرمن وأطراف الجزيرة القراتية فيما يصاقب الأعمال الحلبية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها. وفيه فصلان:

الفصل الأول

في مملكة الديار المصرية

وهي مصر كما نطق بها القرآن الكريم في غير موضع، وهي اسم غير مصروف سواء كان عربيا أو أعجميا لاجتماع العلمية والتأنيث. واختلف في تسميتها بمصر، فقال قوم أن نقراوس بن مصر بن راحيل بن درايل بن عهربلت بن آدم عليه السلام هو أول من عمرها قبل الطوفان وسماها باسم أبيه تبركا، وقيل إنما سميت بمصر بن بيسر بن حام بن نوح وهو أول من عمرها بعد الطوفان، وقال الجاحظ: إنما سميت مصر لمصير الناس إليها.

وموقع الديار المصرية في الإقليم الثاني والإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، وقد اختلف المصنفون في المسالك والممالك في تحديدها، والجمهور على أن حدها الشمالي هو المعبر عنه عند أهل الديار المصرية الشرق، يبدأ ما بين الزعقة ^(٢) ورفع مكان شجرة الخرق حيث يقول العوام " هذه مفاتيح الرمل " ^(٣)، ثم يمد هذا الحد على البحر الرومي مغربا إلى رفح ثم إلى العريش آخذا على الجفار ^(٤) إلى الطينة ثم إلى ثغور دمياط ورشيد والإسكندرية وهي آخر العمارة بهذا الحد، ثم إلى العيضية وإلى العميدين ثم إلى برقة وإلى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية.

(١) الثغور من بلاد الشام هي المجاورة لبلاد الروم، والعواصم هي البلاد التي تقع خلف الثغور كأنها تعصمها.

الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ١٤٣.

(٢) الزعقة: إحدى المدن المدرسة تقع بين العريش ورفع. محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٦٦.

(٣) العمري: التعريف، ص ٢١٨.

(٤) الجفار: جمع جفرة، والجفرة هي السعة في الأرض على شكل مستدير وهي من البلاد المدرسة. ياقوت:

السابق، ج ١، ص ١٤٤، ج ٤، ص ١١٤؛ محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٤١.

والغربي يبتدئ من ساحل البحر الرومي حيث العقبة المذكورة ويمتد جنوباً بأرض إفريقية جنوبيه على ظاهر الفيوم والواحات حتى يقع على ظاهر النوبة على ثمان مراحل من أسوان — ووقع في التعريف، بدل حدود النوبة صحراء الحبشة — وحدها الجنوبي هو الذي يعبر عنه أهل الديار المصرية القبلي، ويبتدئ من اخذ هذا الحد من حدود النوبة، ويمتد شرقاً إلى الدوم من بلاد النوبة جنوبيه حتى [٨٣ ب] يأتي إلى بحر القلزم، وحدها الشرقي يبتدئ من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً وبحر القلزم شرقيه إلى عيذاب وإلى القصير وإلى القلزم والسويس، ثم يأخذ شرقاً من بركة الغرندل إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام حتى ينحط ما بين الزعقة ورفع حيث وقع الابتداء.

وفي هذا الإقليم نهر النيل الذي لا نظير له، فقد ذكر بطليموس أنه ينحدر من جبال القمر من مسيلات منه، ويسير إلى جهة الشمال حتى يصير في غيره بدوره عند خط الاستواء تسمى بحيرة كادوى ويخرج منها فيمر شمالاً على زغاو من بلاد السودان، ويمتد حتى يأتي بلاد النوبة ويجاوز مدينتها دنقلة، ثم ينحدر من الجنادل ويجاوز أسوان، وينحدر من صعيد مصر الأعلى والأدنى إلى أن يمر على الفسطاط من غريبه ويتجاوز إلى قرية شطانوف^(١) فيفترق شطرين، غربي إلى قرية رشيد فيصب في البحر المالح، وشرقي إلى نهر دمياط فيصب في البحر المالح، وفي آخر الشطر الغربي خليج يرمى في بحيرة نسترواه^(٢) والبرلس، وفي الشطر الشرقي خليج عند المنصورة يرمى في بحيرة تنيس^(٣) ودمياط.

واعلم أن للديار المصرية قواعد وهي على ثلاثة ضروب:

(١) شطانوف: إحدى مدن مركز أشمون، وذكرت في العديد من المصادر برسم "شطنوف". ياقوت: السابق،

ج ٣، ص ٣٤٤؛ محمد رمزي: السابق، ق ١ ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) لقد كانت بحيرة البرلس تعرف قديماً ببحيرة نسترو، وذكرها ابن سعيد نسترو، أما ابن دقماق وابن

الجيعةان فذكرها نسترواه، أما نسترواه فهي من المدن المندرسة. ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٨؛ ياقوت:

السابق، ج ٥، ص ٢٨٤؛ ابن ممتي: قوانين، ص ٩٥؛ ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ١١٣؛ ابن الجيعان:

التحفة، ص ١٣٧؛ محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٤٥٩ — ٤٦٠.

(٣) بحيرة تنيس هي ما يعرف حالياً ببحيرة المولة، وكان عليها مدينة شهيرة باسم البحيرة كانت تختص بتصنيع

نوع من الأقمشة يعرف باسمها، وقد اندرست هذه المدينة الآن. ياقوت: السابق، ج ٢، ص ٥٢؛ محمد

رمزي: السابق، ق ١، ص ١٩٧ — ١٩٨.

الضرب الأول: الفسطاط ^(١)، مدينة على الحافة الشرقية من النيل حول قصر الشمع ^(٢)، بناها عمرو بن العاص حين الفتح، وكان اسمها القديم اليون وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، وكانت في غاية العمارة وكثرة الناس، قال ابن المفرج: إنه عد الأسطال الحديد والنحاس المؤبدة في القاعات والرباع المطلة على النيل في وقته فكانت ستة عشر ألف سطل.

الضرب الثاني: القاهرة، فاعلة من القهر، ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز الذي بنيت له قديماً من سنة تسع وثلاثمائة ^(٣) بناها له جوهر القائد المعزى على ما تقدم في القسم السابق، وكان قصر الملك بها على ما اختطه جوهر المذكور بوسطها ومكانه الآن دار الضرب وخزان السلاح، ولم يزل هذا القصر منزل الخلفاء الفاطميين إلى [٨٤ أ] حين انقراض دولتهم، وكانت منزلة الوزير بدار الوزارة التي بناها بدر الجمدار ^(٤) بمكان الخانقاه الركنية ببيرس ^(٥) الآن، ولما تسلطن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، بنى لها السور الحجر الذي هو على عاليها الآن، قال في التعريف: وهي اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد ودار الخلافة وكرسى المملكة.

قلت وقد تجدد فيها بعد صاحب التعريف جوامع ومدارس وعمائر مزينة مرخمة مزخرفة تدهش البصر، وفواكه جلبت إليها أصولها ولم تعهد فيها قبل حتى صارت في زماننا جنة الدنيا بمحاسنها.

(١) في هامش الصفحة حاشية تقول [الفسطاط في اللغة الخيمة، سميت مصر بذلك بخيمة عمرو بن العاص المضروبة حين عمارته لمصر].

(٢) في هامش الصفحة حاشية تقول [قصر الشمع إنما سمي بذلك لإنفاذ الشمع فيه عن الخطب تعظيماً لشأن النار على رأى الجوس فسمى بذلك].

(٣) الصواب: ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م.

(٤) الصواب: الجمالى، وعن دار الوزارة التي بناها بدر الجمالى انظر القسم الثانى الباب الخاص بتاريخ الفاطميين.

(٥) كانت هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى في العصر الفاطمى، بدأ في بنائها عام ٧٠٦ هـ/ ١٣٠٦ م، وانتهى عام ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م ومازالت قائمة تحت رقم ٣٢. انظر: المقربرى: الخطط، ج ٢، ص ٤١٦ - ٤١٧.

الضرب الثالث: قلعة الجبل وهي مقرة السلطان ودار الملك، بناها بهاء الدين قراقوش^(١) للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهي على نشز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم يرتفع في موضع وينخفض في آخر، وكانت قبل ذلك مساجد من بناء الفاطميين، منها مسجد الرديني^(٢)، على أن صلاح الدين لم يسكنها، ويقال إن ابنه العزيز سكنها في حياة أبيه، قال في مسالك الأبصار: أن العادل أبو بكر سكنها لما ملك. وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر إن أول من سكنها العادل محمد بن العادل أبو بكر حين استنابه أبوه على الديار المصرية^(٣). ولما سكنها اهتم بعمارها فعمر بها أبراجاً ثم صارت سكن الملوك إلى الآن.

وعمر بها الناصر محمد بن قلاوون جامع الخطبة والإيوان والقصر وجعله محل الخدمة، ثم تزايدت بها العمارة وعمر بها الأشرف بن حسين في جنب القصر مقعداً بارزاً، وعمر المؤيد تجاهه مقعداً آخر. وهي صحيحة الهواء، ومن محاسنها وإن كانت على نشر جبل، يحمل إليها الماء من بحر النيل بالنقلات حتى يعم غالبيتها.

واعلم أن للديار المصرية وجهين:

الأول الوجه القبلي: وهو المعبر عنه بالصعيد، قال في التعريف: وهو أجل الوجهين قدراً وأطولها مدى. ثم قال: وهو صعيدان أعلى وأدنى، فالأعلى كلما علا على الأشمونين^(٤) إلى أسوان، والأدنى كلما سفل من الأشمونين إلى القاهرة، وغالب زرعه وحلب زرعه غربي النيل، ويشتمل على عشرة أعمال:

(١) هو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين، وقراقوش بالتركية بمعنى العقاب الطائر، كان عبداً خصباً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، جعله زمناً لداره بعد أن تولى السلطنة، ناب عنه في حكم مصر في بعض الفترات، وقع في أيدي الصليبيين وتم فك أسره عام ٥٨٨ هـ/١١٩٢ م، هجاء الأسعد بن مماتي حينما ألف عنه كتاباً يسمى الفاشوش في أحكام قراقوش، توفي عام ٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م. ابن خلكان: وفيات، ج ٤، ص ٩١ - ٩٢، ت رقم ٥٤٣.

(٢) مسجد رديني من بناء الفاطميين وكان يقع بين آدر الحريم السلطانية بالقلعة. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٣٦٨.

(٣) لقد سكن القلعة الملك الكامل في عهد أبيه العادل عام ٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م. السابق، ج ٣، ص ٤٩٦.

(٤) الأشمونين: إحدى البلاد القديمة تقع بالقرب من مركز ملوى بمحافظة المنيا حالياً. ياقوت: السابق، ج ١، ص ٢٠٠؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢ ج ٤، ص ٥٩.

الأول: الجيزية، وهو اقربها ومقر ولايته مدينة الجيزة وهي مدينة اختطها عمرو بن العاص كما قاله القضاعى، وبعض هذا العمل أخذوا في الجنوب [٨٤ ب] عن الجيزة معدود في الوجه القبلى، وبعضه أخذوا في الشمال غربيا معدود في الوجه البحرى إلا إنه غلب عليه حدها في الوجه القبلى.

الثانى: الإطفيحية، شرقى النيل، ومقر ولايته مدينة إطفيح^(١)، وولايته في زماننا تهمل غالبا.

الثالث: البهنساوية، مما يلي إقليم الجيزة ومقر ولايتها مدينة البهنسا^(٢)، وقد أهملت ولايته غالبا.

الرابع: الأشمونين، وهو مصايق^(٣) بعمل البهنساوية من جنوبيه، وبه تسمى مدينته وخرب غالبا، وهي مقر ولايته وقد أهملت في زماننا.

الخامس: المنفلوطية، وهي إقليم لطيف وبلاده كلها من خاص السلطان، وماها ومغلها يحمل إلى الخزان والشون الشريفة وتعوض الدولة عنها، ومقر ولايته منفلوط^(٤) ولم يكن ولاية الوجه القبلى في زماننا غيره.

السادس: الأسيوطية، مصايق لعمل منفلوط من جنوبيه وفيه مدينة سيوط^(٥)، وهي مقرة نائب الوجه القبلى، ويقال فيها أيضا سيوط، وعليه جرى ابن الساعاتى^(٦) في شعره حيث قال:

(١) أطفيح: إحدى البلاد القديمة تقع بالقرب من مركز الصف بمحافظة الجيزة حالياً. محمد رمزى: السابق، ق ٢ ج ٣، ص ٢٥.

(٢) البهنسا: إحدى المدن القديمة، تقع بالقرب من مركز بنى مزار محافظة المنيا، وكانت كورة عظيمة في العصر الإسلامى. ياقوت: السابق، ج ١، ص ٥١٦؛ محمد رمزى: السابق، ق ٢ ج ٣، ص ٢١١.

(٣) بمعنى المجاور.

(٤) منفلوط إحدى المدن القديمة بمحافظة أسيوط. محمد رمزى: السابق، ق ٢، ج ٤، ص ٧٨.

(٥) الصواب: أسيوط لأنه عاد وذكر الاسم الآخر بدون ألف، وقد ضبطت أسيوط في المصادر مثل كتاب الأنساب للسمعاني، والروض المعطار للحميرى بالألف، ولكن في الدواوين الرسمية تحذف الألف.

القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٣٩٥ — ٣٩٦؛ محمد رمزى: السابق، ق ٢، ج ٤، ص ٢٥.

(٦) هو أبو الحسن على بن رستم بن هردزور المعروف بابن الساعاتى، ولد بدمشق، وكان من الشعراء البارزين في عصره، وهذا البيت من شعره في ديوان مقطعات النيل، توفي في القاهرة ٦٠٤ هـ. ابن

خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٣٩٥ — ٣٩٦، ت رقم ٤٧٨.

لله يوم في سيوط وليلة عمر^(١) الزمان بمثلها لا يغلط

السابع: الإخميمة. مصاقب لعمل سيوط، وهو عمل صغير وبلاده بالبر الشرقي، وفيه مدينة إخميم^(٢)، كانت سكن الحكماء في زمن الكفر، وولايتها من نائب الوجه القبلي.

الثامن: القوصية، مصاقب لعمل إخميم وهو على متسع في البرين، قاعدته مدينة قوص^(٣) وهي مقر ولايته، وهي مدينة عظيمة وكانت مقرة تجار الكارم، قال في التعريف: ووالى قوص أعظم ولاية الديار المصرية وأجلهم قدراً، وكان إذا ركب نصبت بين يديه شابة سلطانية، ويحملها معدن الزمرد الذبابي الذي لم يكن بالدنيا مثله، وعلى القرب منها مقطع الرخام الملون والحجر البرام، ويدخل في هذا الإقليم مدينة أسوان وهي بالبر الشرقي على خمس مراحل من قوص، وهي أعدل البلاد المصرية هواء، أخبرني بعض سكانها أنه أقام بها فوق عشرين سنة لم يجد فيها من مات من مرض، وكانت ولايتها من الأبواب الشريفة ثم أضيفت إلى نيابة الوجه القبلي، ويقابل أسوان في الشرق عنها عيذاب وكانت بندر التجار، ولها وال من قبل [٨٥ أ] وإلى قوص من زمن الفاطميين كما قاله في التعريف، وهي آخر صعيد مصر الأعلى.

التاسع: الفيوم، وهو مصاقب لجنوبي الجيزة وشمالى البهنساوية وبينهما مقطع رمل، قال في العزيزي " وبين مدينة القسوط والفيوم ثمانية وأربعين ميلاً ويتصل به نهر المنهى^(٤) يسقى مزارعه بالقسمة^(٥) كأرض دمشق بقراريط معلومة بشهود معتبرين استخرجه يوسف الصديق

(١) صرف: ابن خلكان، نفسه.

(٢) إحدى المدن القديمة، وهي الآن بمحافظة سوهاج. محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ٤، ص ٨٩.

(٣) قوص: إحدى المدن القديمة بالصعيد وكانت عاصمة للإقليم في العصور الإسلامية، وعنها انظر: العمري:

مسالك — أيمن —، ص ٨٦؛ القلقشندي: السابق، ج ٣، ص ٣٩٦؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ٤، ص ١٨٧.

(٤) هو الخليج الذي حفره يوسف الصديق عليه السلام، وبدايته من ديروط ويتجه شمالاً إلى البهنسا ثم إلى اللاهون ويمر عبر الجبال إلى أن يصل إلى الفيوم، وهو المعروف ببحر يوسف. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٢٩٧؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٧١؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ٣، ص ٢١١؛ محمد حمدى المناوى: نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٢٠ — ١٢٣.

(٥) القسمة: هي زراعة قسم من الأرض وترك الآخر لإراحته من إرهاق مداومة الزراعة على مجمل الأرض، وهو ما يعرف بالقسمة وهو ما كان معمولاً به في بلاد الشام. إبراهيم طراخان: النظم الإقطاعية، ص ٢٤٢.

عليه السلام وجعل فيه ثلاثمائة وستين قرية لتمير كل قرية منها مصر عند اغل يوم من السنة، أما الآن فقد تحاملت المياه على غالب بلاده وصارت بركة ماء.

العاشر: الواح^(١)، قال فى المشترك: واح بغير همز ولا لام وتجمع على واحات. وهى مصاقب لجنوبى البهنساوية والمنفلوطية والسيوطية، قال فى مسالك الأبصار: وهى بين مصر والصعيد والنوبة والحبشة. قال فى تقويم البلدان: والبرارى تحيط بها من جهاتها الأربع. قال فى المشترك: وهى ثلاث كور واح. الأولى وتقابل البهنساوية، ويعبر عنها بالواح الخاص، وواح الوسطى يقابلها شمال السيوطية وتعرف بالواح الداخلة، وواح القصوى، وهى مصاقبة للواح الوسطى وبها مدن مسورة.

الثانى الوجه البحرى: أخذنا من تسميتهم الريح البحرية وهو ما سفل من القاهرة إلى البحر الرومى، وهو رطب كثير الفاكهة سهل الأرض كثير الأنهار. ويشتمل على عشرة أقاليم: الأول: الضواحي^(٢)، جمع ضاحية وهى ما يجاور القاهرة من جهة الشمال، والأمر فيها مضاف إلى ولاية القاهرة.

الثانى: القليوبية، وهى عمل جليل حسن القرى كثير الفواكه ومقر ولايته مدينة قليوب، وصارت ولايته مضافة لكاشف إقليم الشرقية أو المنوفية.

الثالث: الشرقية، مصاقب الضواحي من شمالها مما يلى الجبل المقطم، ومقر ولايته مدينة بليس، وله كاشف تارة يضاف إليه بليس وتارة يفرد عنه، وفى آخر هذا الإقليم قطيا^(٣)، قال فى تقويم البلدان: قاطية بالهاء وتعرف بالجفار. قال فى [٨٥ ب] التعريف: وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات. لا يمر بها أحد من الجند أو من القضاة ذهاباً وإياباً إلا بمرسوم شريف أو كريم، وولايتها من الحضرة برأى الوزير.

(١) هى ما يعرف الآن بالواحات البحرية. محمد رمزى: السابق، ق ٢ ج ٣، ص ٢٦.

(٢) يذكر القلقشندي أنه ربما سميت بذلك لبروز قراها للشمس. صبح، ج ٣، ص ٣٩٨.

(٣) قطيا أو قطة بلدة فى الطريق بين مصر والشام، وتقع فى الطريق بين القنطرة والعريش، وهى من البلاد

المندرسة. ياقوت: معجم، ج ٤، ص ٣٧٨؛ محمد رمزى: السابق، ق ١، ص ٣٥٠.

الرابع: الدقهلية والمرتاحية^(١)، وهو مصاقب لعمل الشرقية من شماله، وآخره السباخ^(٢) وإلى بحيرة تنيس، ومقر ولايته المنصورة ومتوليها من قبل الأستادار، وآخر هذا الإقليم مدينة دمياط، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل^(٣) فلما ملكها الفرنج المرة بعد المرة^(٤) خربها المسلمون في سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفاً من استيلاء الفرنج عليها.

الخامس: عمل المنوفية، وأوله من الجنوب الفرقة الغربية من النيل من قرية شطنوف مقابل شمالي الجيزة، وآخره قرية تسمى تلا^(٥) على بحر أبيار^(٦)، ومقر ولايته مدينة منوف، ووهم المقر الشهابي ابن فضل الله فيها فجعلها مقرة فرعون موسى وهو وهى^(٧). وكان مقرة فرعون مدينة منف وهى أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان غربي النيل بناها مصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام. قال في الروض المعطار: وأصلها بالسريانية مافة وأصلها ثلاثون رجلاً. يعنى انه حين بناها كان في ثلاثين رجلاً من قومه فسموها بعددهم، قال ابن الأنباري: وهى على ثلاثة عشر ميلاً من القسطنطية من جنوبيه، وبعض جدرها باق قريبا من البدرشين، ثم لما فتح عمرو بن العاص مصر عمر بها القسطنطية بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما هى

(١) المراتحية اسم كورة مندرسة كانت قاعدتها قرية نوسا الغيط مركز أجا بمحافظة الدقهلية حالياً، وكانت هذه الكورة تشمل مركز المنصورة والقسم الشمالى من مركز أجا وبعض بلاد مركز السنبلاوين، وقد استمر ترابط اسم الدقهلية والمراتحية منذ الروك الناصرى عام ٧١٥ هـ، ثم حذف اسم المراتحية مع بداية العصر العثمانى بعد عمل الروك العثمانى عام ٩٣٣ هـ. محمد رمزى: السابق، ق ١، ص ١٠٩.

(٢) ويطلق عليها السبخا أو السبخة، وهى إحدى قرى المراتحية. محمد رمزى: السابق، ق ٢ ج ١، ص ١٦٩.

(٣) تم بناء ذلك السور نتيجة هجوم الروم على دمياط عام ٢٣٨ هـ. انظر الطبرى: تاريخ المم، ج ٩، ص ١٩٣ - ١٩٥.

(٤) المرة بعد المرة التى يقصدها هى الهجمات الصليبية على مصر، وهى الحملة الصليبية الخامسة والسابعة.

(٥) تلا: إحدى البلاد القديمة بالمنوفية، وهناك بلدة أخرى تتبع الأشونين. ابن ممتى: قوانين، ص ١٢٢ - ١٢٣؛ محمد رمزى: السابق، ق ٢ ج ٢، ص ١٧٣، ق ٢ ج ٣، ص ١٩٩.

(٦) بحر أبيار: هو الفرقة الشرقية من فرع رشيد، ويلتقى مع الفرقة الغربية من ذات الفرع عند بلدة قديمة تسمى أبيار فعرف هذا الفرع بها. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٢٨٨؛ محمد رمزى: السابق، ق ٢، ج ٢، ص ١١٩.

(٧) يقصد وهم أو خطأ.

عليه الآن، ومن مضافات عمل منوف جزيرة بنى نصر^(١) تجمع قرى كثيرة، ومدينتها أيار بفتح الهمزة كما قاله في الروض المعطار، وآخر هذا الإقليم ناحية مليج من الجهة البحرية، ثم مسجد الخضر^(٢) من الجهة الشرقية.

السادس: الغربية، وهو مصاقب لعمل المنوفية من جهة الشمال مما تقدم من حدود المنوفية، ويمتد إلى البحر المالح حيث مصب النيل في الفرقة الشرقية إلى ما هو من عمل المزارحتين^(٣) على فرقة النيل الغربية من الشرق، ومقر ولايته مدينة المحلة، قال في المشترك: بمحلة الدقلا. والآن بالمحلة الكبرى، وهم المقر الشهابي ابن فضل الله في التعريف فسموها بمحلة المرحوم وهو وهى. وهو [٨٦ أ] عمل جليل لم يكن في الأعمال أوسع منه ولا أكبر بلاداً ومدناً، يشتمل على قريب من سبعمائة بلد وتنقسم جهاته إلى أربعة أعمال تدخل وهى، اللنجاية والصاوية والسخاوية والسنهورية، وآخره مما يلي بحر الروم من ناحيتى سورى وبلطيم، ومن الجهة البحرية فوة.

السابع: المزارحتين، وهو ما جاور الخليج الناصرى^(٤) من جهة الشمال من البحر الرومى، ومن مدينة فوة إلى البحر المذكور، وهو أرطب الأقاليم وعش الأولياء وغالب أهلـه حتى بعض نسائهم يتلون كتاب الله، وكسبهم من جهات جل إما زرع أو ضرع أو صيد أو تجارة، ومدينة هذا الإقليم فوة من خاص السلطان لم يكن بها مقرة ولاية.

الثامن: البحيرة، مصاقب لعمل الجزيرة من شماله من قرية تسمى إيزيس إلى الخارج وهو جبل الفيوم وإلى ثغر الإسكندرية، ثم من فرقة النيل الغربية وإلى ظهر عقبة بركة، ومقر ولايته

(١) جزيرة بنى نصر: من البلاد المدرسة، وهى منسوبة إلى بنى نصر معاوية بن بكر بن هوازن، وكانت تشتمل على بلاد الشاطئ الشرقى لفرع رشيد بالغربية والمنوفية. ياقوت: السابق، ج ٢، ص ١٣٩؛ ابن ممتى:

السابق، ص ٩٥؛ المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٢٦؛ محمد رمزى: السابق، ق ١، ص ٢١٣.

(٢) قرية مسجد الخضر: وردت في معجم البلدان أيضاً باسم " أنتوهة أو تنوهة "، وعند ابن ممتى باسم " أنتوهة "، وسميت بمسجد الخضر في الروك الصلاحى، وهى من قرى مركز قويسنا بالمنوفية. ياقوت:

السابق، ج ١، ص ٨٨؛ ابن ممتى: السابق، ص ٩٤؛ محمد رمزى: السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٢٠٥.

(٣) المزارحتين: هو الإقليم المجاور لخليج الإسكندرية من جهة الشمال، ويشتمل على عدة أعمال، وعاصمته مدينة فوة. القلقشندي: السابق، ج ٣، ص ٤٠٣.

(٤) هو الخليج الذى أمر بإنشائه الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٥٢ هـ لتوصيل المياه إلى خانقاه سرياقوس.

المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٤٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩، ص ٨٠.

مدينة دمنهور الوحش، وكانت نيابة ثم أضيفت إلى إستاندار الإستادارية، وبه حوف رمسيس والخليجين الظاهري والناصري وبه العربان الجملة ذات الشعوب والقبائل ببروجة، وبه بركة النطرون، وهو معدن لم يكن في الدنيا نظيره، قال في التعريف: ومتحصلها في كل سنة نحو من مائة ألف دينار، وربما أضيف إلى عمل المزارعتين.

التاسع: عمل برقة، قال في تقويم البلدان " إن حدها أرض العقبة الفاصلة بينها وبين إفريقية، وأرضها متسعة الأرجاء مديدة الفضاء، وهي من أزكى الأراضي دواباً ". قال في مسالك الأبصار: إنها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها، وبها المدن المبنية والقصور العلية، وكانت كثيرة الفواكه والأشجار ولكنها ذهبت باستيلاء العربان عليها. قال ابن سعيد: وكان سريها في القديم مدينة طبرق. قال في الروض المعطار: وقاعدتها مدينة إنطاليس. وكان بها قاض ووال من الأبواب الشريفة فبطلاً لإقامة العربان بها.

العاشر: ساحل بحر القلزم، على ما كان الحال عليه في الزمن القديم، وبه كورتان: الأولى ما هو من الديار المصرية وهي كورة القلزم والطور، فأما القلزم فكانت مدينة عظيمة [٨٦ ب] على ساحل البحر وبها عرف وقد خربت، وأما الطور فهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه، قال الأزهرى " سمي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهذه فرضة مصر ببحر القلزم.

الثانية ما هو من بر الحجاز وهو كورة أيلة وهي مدينة صغيرة من جزيرة العرب بالبر الغربي من بحر القلزم وهي مدينة اليهود الذي جعل له منهم القردة والخنزير، وكان بها وال فأبطل وخربت مدينه القلزم وصارت برجا.

الفصل الثاني

في الممالك الشامية

وهو الشام ومضافاته، والشام قال في تهذيب الأسماء واللغات: يجوز فتح الشين والمد على ضعف وإن كان مشهوراً. قال الجوهري: ويجوز فيه التذكير والتأنيث: قال النووى: والمشهور التذكير. وقد اختلف في تسميته شاما فليل لتشاوم بنى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام عليه حين قسم الأرض بين بنيه ومن ثم قيل الشام أرض كنعان، وقيل بل بسام بن نوح إذ يقال إنه أول من نزله واسمه بالسريانية شام بالشين المعجمة فقلبها العرب بالسين المهملة، وقيل لأن

أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسمى شاماً لذلك كما يسمى الخال شامة، وقيل إنه عن شمال الكعبة، والشام لغة في الشمال.

واختلف في تحديده، قال في التعريف: إن حده من القبلة تيه بنى إسرائيل وبر الحجاز والسماوة إلى مرمى الفرات بالعراق وهذه أعمال^(١) كلها من جزيرة العرب، وحده من الشمال البحر الرومى، وحده من الشرق أطراف السماوة^(٢) والفرات، وحده من الغرب حد مصر المتقدم ذكره. وقال في تقويم البلدان إن حده من الشمال من نابلس^(٣) مع الفرات إلى قلعة نجمة^(٤) إلى البيرة إلى سميساط^(٥) إلى حصن منصور^(٦) إلى بهسى إلى مرعش إلى بلاد سيسى إلى طرسوس إلى بحر الروم. وحده من بحر الغرب من طرسوس آخذاً على ساحل البحر الرومى إلى ما بين الزعقة ورفح، وحده من الجنوب من أول الجفار بين مصر والشام إلى حدود تيه بنى [٨٧ أ] إسرائيل إلى ما بين الشوبك وأيلة إلى البلقاء، وحده من الشرق من البلقاء إلى مشاريق صرخد إلى نابلس^(٧).

(١) المخادات،: صبح، ج ٤ ص ٧٥.

(٢) السماوة: هي البادية الواقعة بين الكوفة والشام، والسماوة تعنى الأرض المنبسطة التى لاحجر بها. ياقوت: السابق، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٣) الصواب: بالس، صبح، ج ٤ ص ٧٦، وبالس بلدة بالشام بين حلب والرقعة. ياقوت: السابق، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤) نجم: صبح، ج ٤ ص ٧٦.

(٥) مدينة على الشاطئ الغربى للفرات على حدود بلاد الروم، ولها قلعة حصينة. ياقوت: السابق، ج ٣، ص ٢٥٨. وتقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٧٣٥؛ لى سترانج: بلدان، ص ١٤٠.

(٦) حصن منصور: من أعمال ديار مضر على غربي الفرات قرب سميساط، منسوب إلى منصور بن جمونة بن الحارث العامرى القيسى، وكان مقيماً به أيام مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين يجاهد الروم، قتل على يد الخليفة العباسى المنصور عام ١٤١ هـ، وقد بنى الحصن على يد هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدي.

ياقوت: السابق، ج ٢، ص ٢٦٥ — ٢٦٦.

(٧) الصواب: بالس، صبح، ج ٤، ص ٧٥ — ٧٦.

فخالف في التعريف ^(١) في بعض الحد الشمالي أدخل بلاد الأرمن المتصلة بآخر بلاد حلب من الشمال في حدود الشام ^(٢).

قال في التعريف: للناس في الشام أقوال، منهم من يجعله شاماً واحداً ومنهم من جعله شامات فيجعل بلاد فلسطين والأرض ^(٣) المقدسة إلى حد الأرمن شاماً، ويقولون الشام الأعلى ويجعلون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطوال شاماً، ويجعل حماة وشيزر من مضافاتها، وثم من يجعلها من حماة دون شيزر ويجعل قنسرين ^(٤) وبلادها وحلب مما يدخل في هذا إلى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور وهي بلاد سيس شاماً.

أما طوله من ملطية إلى رفح خمسة وعشرون مرحلة كما قاله ابن حوقل، وقال التيفاشي: طوله أكثر من شهر.

أما ما عليه الحال الآن بالشام فست قواعد، كل قاعدة منها تعد مملكة مستقلة بنفسها، لأن بكل مملكة منها دار سعادة به كرسى وسماط للنائب، وكان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قسمها بين أولاده وجعل كل قسم مملكة.

القاعدة الأولى دمشق

وتسمى جلق وجيرون، وقد اختلف بنائها ^(٥)، قيل بناها نوح عليه السلام لما نزل من السفينة بعد أن بنى حران ^(٦)، وقيل بناها جيرون وأخوه بريد ^(٧) ابنا سعد بن لقمان بن عاد وبها يعرف باب جيرون وباب البريد من أبوابها، وقيل بناها إلغاز غلام سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي وهبه له ثروذ بن كنعان حين خرج سيدنا إبراهيم من النار وكان اسمه دمشق

(١) يقول القلقشندي [واختلف بينهما في شيئين]، يقصد بذلك بين العمري وياقوت الحموي، السابق، ص ٧٦.

(٢) انظر العمري: التعريف، ص ٢٢٥.

(٣) الأردن: التعريف، نفسه.

(٤) قنسرين: إحدى البلاد القديمة في بلاد الشام، فتحت عام ١٧ هـ، ظلت عامرة إلى أن قام بتخريبها

سيف الدولة الحمداني عام ٣٥٥ هـ خوفاً من وقوعها في أيدي الروم. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٤٠٣

— ٤٠٤.

(٥) الصواب: بانها، الصبح، ج ٤، ص ٩١.

(٦) حراف: صبح، ج ٤، ص ٩٢.

(٧) بريدا: صبح، نفسه.

فسميت به، وقيل بناها ذو القرنين عندما فرغ من سد يأجوج ومأجوج ووكل بها غلامه دمشق، وقيل غير ذلك.

وهي مدينة عظيمة حسنة الترتيب، متقنة الأبنية وغطتها أعظم مستترهات الدنيا، وفي جنبها الغربي قلعتها يحيط بها وبالمدينة أسوار، ويدور بالقلعة خندق يطوف الماء به، وفي [٨٧ ب] الميدان القصر الأبلق بناه الظاهر بيبرس البندقداري، وعلى مثله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة الجبل، وبجانبها الصاحية بلدة مستقلة تشرف على دمشق وغطتها، وتسقى دمشق من نهر يسمى برادا^(١) مقسم إلى سبعة أنهار، أربعة منها غربية وهي نهر داريا ونهر المرة ونهر القنوات ونهر باناس، واثان شرقية وهما نهر يزيد ونهر ثورا. ونهر بردى ممتد بينهما، ونهر بردى^(٢) والقنوات متسلطان على ديار المدينة.

وبها جامع بنى أمية بن الوليد بن عبد الملك لا نظير له في الدنيا — وقد تقدم الكلام عليه — قيل إنه أنفق عليه خراج الشام سنة، وإنه أجمع في ترخيمه اثني عشر ألف مخرج، ولم تزل زاهية زاهرة إلى أن طرقها اللنك في عام ثلاث وثمانمائة فحرق غالبها.

وتشتمل على بر وأربع صفقات، فأما برها فالمراد به ضواحيها، قال في التعريف: وحدها من القبلية قرية الخيارة المجاورة للكسوة^(٣) وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال من^(٤) النبك^(٥) إلى القرى آخداً على عسال^(٦) وما حولها من القرى إلى الزبداني^(٧)، ومن الغرب من الزبداني إلى قرى القران المتسامية للخيارة المتقدمة الذكر ويدخل في ذلك غوطة دمشق ومرجها.

(١) بردى: صبح، وعن مصادر مياه دمشق انظر القلقشندي: صبح، ج ٤ ص ٩٥

(٢) الصواب: باناس، صبح، نفسه.

(٣) الكسوة: هي أول منزل تزله القوافل فيما بين دمشق ومصر. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٤٦١.

(٤) إلى: التعريف، ص ٢٢٦.

(٥) النبك: قرية بين حمص ودمشق. ياقوت: السابق، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٦) كتبها كل من القلقشندي والسحماوي كما هي [العسال]، ولكن صححها محققو صبح الأعشى عن

ياقوت الحموي فكتبوها [عسان]. انظر صبح، ج ٤، ص ٩٧؛ ياقوت: السابق، ج ٤، ص ١٢٠.

(٧) الزبداني كورة بين دمشق وبعليك. ياقوت: معجم، ج ٣، ص ١٣٠.

وأما صفقاتها فأربعة:

الصفقة الأولى الساحلية والجبليّة:

وهذه الصفقة هي الغربية عن دمشق، قال في مسالك الأبصار: وهي عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلاً ووعراً. قال في التعريف: وهذه الصفقة هي الشام الأعلى ينقص منها ما هو من نهر الأردن إلى أول حدود قاقون. ثم هذه الصفقة لها ناحيتان، الناحية الأولى الساحلية وهي التي بساحل بحر الروم وتشتمل على أربعة أعمال.

الأول: عمل غزة، مدينة معروفة على نشز عال نحو ميل من البحر الرومي، صحيحة الهواء وبرها ممتد إلى تيه بنى إسرائيل من قبلها وهو موضع زرع وماشية ومرعى.

الثاني: عمل الرملة، مدينة من جهة الأردن بناها سليمان بن عبد الملك بن مروان في خلافة أبيه، قال في الروض المعطار: وسميت بالرملة لغلب الرمل عليها. [٨٨ أ]

قلت وفي ذلك نظر لأن الرمل ما تغلب عليها حتى صارت بلداً يتميز باسم، وبه يافوا مدينة صغيرة بالساحل في الغرب عن الرملة بينهما ستة أميال.

الثالث: عمل لد، شرقاً بشمال عن الرملة، مدينة قديمة فلما بنيت الرملة تحولت الناس إليها وتركوا اللد، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببها.

الرابع: عمل قاقون، مدينة وقلعة لطيفتان على مرحلة من لد، وليس بهذه الأعمال أنهار وشرب أهلها من المطر المخزون بالصهاريج ومن آباره.

الناحية الثانية من هذه الصفقة الجبلية وبها ثلاثة أعمال.

الأول: عمل القدس، وهو لفظ غلب على مدينة بيت المقدس وهو المسجد الأقصى، أحد المساجد الثلاثة التي يشد إليها الرحال، وأصل التقديس التطهير والمراد المطهر من الأدناس، وهي مدينة مبنية على نشز جبل مستدير، عسرة المسالك، وشرب أهلها من صهاريج من ماء المطر مجتمع بها وعين تجري إليها من بعد، وعين تعرف بعين ملوان^(١)، وبها مع وجود الحرم

(١) الصواب: سلوان، صبح، ج ٤، ص ١٠١. عين سلوان عين يتبرك بها في بيت المقدس. ياقوت: السابق،

المدارس والربط، وكان بها قلعة خربت ثم جددتها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ستة عشر وسبعمائة^(١).

الثاني: عمل بلد الخليل عليه السلام، واسمها عمل حبرون^(٢) بالخاء لكن ذكرها في الروض المعطار في حرف الجيم، وهي بلدة لطيفة مباركة، روضة الأنبياء بها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ونساؤهم.

الثالث: عمل نابلس، قال في مسالك الأبصار: وهي مدينة يحتاج إليها. وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام وبظاهره الجبل الذي يحج الناس إليه^(٣)، وهو طور نابلس. الصفقة الثانية القبلية:

سميت بذلك لأنها قبلى دمشق، قال في مسالك الأبصار: وتشتمل على بلاد حوران^(٤) والغور. قال في التعريف: وحدها من القبلية جبال الغور القبلية المجاورة لمرج بنى عامر، ومن الشرق البرية، ومن الشمال حدود ولاية دمشق، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشقيف. قال: والأغوار كلها داخلية في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك. وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال:

الأول: عمل بيسان، مدينة صغيرة على الجانب الغربي من الغور^(٥) [٨٨ ب] ذات بساتين وأشجار، وبها عين تشق المدينة وقلعة لطيفة.

الثاني: عمل بانياس، مدينة لطيفة على مرحلة ونصف من دمشق في لحف جبل الثلج وبها قلعة الصبية، قال في التعريف: وهي من أجل القلاع وأمنها. وكان بها نائب مفرد يولى من جهة نائب دمشق.

(١) انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩، ص ٥٥.

(٢) هي بلدة الخليل الحالية بفلسطين. وعنها انظر: أبو الفداء: تقويم، ص ٢٤١.

(٣) يقصد يهود السامرة. انظر: صبح، ج ٤، ص ١٠٣.

(٤) هي كورة واسعة في جنوب دمشق. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٧١٦.

(٥) الغور: هو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أراضيها. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٢١٧.

الثالث: عمل الشعرا، وهى عن نابلس شرقا بجنوب وطوله ما بين بانياس إلى جبل الشلج، قال فى التعريف: ومقر الولاية بها تارة تكون بقرية بيت خان، وتارة تكون بقرية القيطرة.

الرابع: عمل نوى، بلدة صغيرة فى جهة الغرب إلى الجنوب عن دمشق على نحو مرحلة منها وهى عن يمين عمل الشعرا شرق بجنوب، وإليها ينسب الشيخ محيى الدين رضى الله عنه^(١).
الخامس: عمل أذرعات^(٢)، قال فى الروض المعطار: ويجوز فيها الصرف وعدمه، والتاء فى الحالين مكسورة، ويقال لها يذرعات، وهى مدينة من عمل دمشق وبينها وبين الصنمين ثمانية عشر ميلاً. قال فى التعريف: إن متوليها يحكم على جميع الصفقة.

السادس: عمل عجلون، وهى قلعة على جبل عوف يشرف على الغور محدثة البناء فى زمن العادل أبو بكر بن أيوب فى سنة ثمان وخمسمائة^(٣)، قال فى مسالك الألبصار: وكان بها راهب فسميت به. قال فى التعريف: وهى حصن صغير حسن على صغره وله حصانة ومنعة منيعة، ومدينة هذه القلعة الباعونة وهى على شوط فرسين^(٤) من عجلون. قال فى مسالك الأبصار: وكان بها دير به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به وهما شرقى بيسان.

السابع: عمل البلقاء، قال فى الروض المعطار: سميت باسم البلقا بن سورية من بنى عبيد^(٥) بن لوط وهو الذى عمرها، ومدينة هذه البلدة حسان، بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وزروع. ومن هذا العمل الصلت بلدة لطيفة من جند الأردن فى جبل الغور الشرقى فى جنوب عجلون على مرحلة منها، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبو بكر^(٦). ومقتضى كلامه

(١) الشيخ محيى الدين النووى الشافعى رحمه الله: صبح، ج ٤، ص ١٠٥.

(٢) يقال لها اليوم درعا. البلاذرى: فتوح، ص ٦٨٢.

(٣) يقول فى صبح [وهى محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن منقذ أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ثمانين وخمسمائة]، نفسه، وقد بنى أسامة بن منقذ هذه القلعة لحماية نوابه من

هجمات بنى عوف المجاورين له. العمري: مسالك — أيمن —، ص ١١٩.

(٤) يذكر القلقشندي أنها على شوط فرس من عجلون. صبح، ج ٤، ص ١٠٦، ضوء، ص ٢٨٦.

(٥) يذكر محققو صبح الأعشى أنها من [بنى عمان]، والتصحيح من ياقوت، ج ٤، ص ١٠٦؛ ياقوت:

معجم، ج ١، ص ٤٨٩.

(٦) ينسب القلقشندي هذا الكلام إلى العمري فى مسالك الأبصار، ضوء، ص ٢٨٧.

في التعريف أن تكون الصلت عملاً مستقلاً بذاته، وعليه يدل [٨٩ أ] كلام الثقيف فإنه قال: ومن كتب له من الولاية بالممالك الشامية والى الصلت والبلقاء^(١).

الثامن: عمل صرخد، بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم طيبة الهواء، وشرب أهلها من ماء المطر في صهاريج وفسقية بها، وجميع ما بها من البنيان وسقوف وأبواب من حجر عدس صوان. قال ابن سعيد: وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية. ومنها طريق يعرف بالرصيف يصل المسافرون منها إلى بغداد في نحو العشرة أيام، وبها قلعة منيعة جددتها الظاهر بيبرس البندقداري، وقد تقدم أن العادل كتبها وليها بعد خلعه من السلطنة قبل ولاية حماة نيابة^(٢).

التاسع: عمل بصرى، وقد فتح الباء في تقويم البلدان، وهو على ستة عشر ميلاً على أربعة مراحل من دمشق، قال في مسالك الأبصار: هي مدينة الصفقة جميعها. وبها قلعة، قال في التعريف: وكانت دار ملك لبعض بني أيوب، وقد تقدم أن بحيرة الراهب وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها وأخبر بنبوته له حين المشاهدة له بعلامات النبوة، وفيها أثر مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجر صوان. قال في التعريف: وقد يتصل عمل بصرى بأذرعات.

العاشر: عمل ذرع، بلدة من حوران، لها عمل مستقل.

الصفقة الثالثة الشمالية:

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق. قال في مسالك الأبصار: وهي ساحلية وجبلية. قال في التعريف: حدها من الشرق قرية جوسية^(٣) التي بين قرية القصيب من حمص وبين قرية

(١) ابن ناظر الجيش: الثقيف، ص ٩٩، ويذكر القلقشندي " ما رأيته في التذكرة الأممية نقلاً عن ابن الفارقي أحد كتاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون، بل أخيراً بعض كتاب الإنشاء بها أن المستقر الآن الصلت فقط والبلقاء مضافة إليها وعليه يدل كلام الثقيف " ص ٤ ج، ص ١٠٦ - ١٠٧، ضوء، ص ٢٨٧.

(٢) انظر القسم الثاني، ص ٢٣٤.

(٣) هي قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها باتجاه دمشق. ياقوت: السابق، ج ١، ص ١٨٥.

اللفكية^(١) من عمل بعلبك، وحدها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمد نهر الأربط وهو العاصي والبلاد المفردة بطرابلس من كل ما تسامت^(٢) من جبل لبنان إلى البحر، ومن الغرب ما هو على سمت البحر منحدر عن صفد إلى حد ولاية بر دمشق القبلية والغربي. وتشتمل هذه الصفة على خمسة أعمال:

الأول: عمل بعلبك، والجاري على ألسنة الناس بعلبك^(٣)، وهي مدينة جليلة البناء على شمال دمشق، يقال إنها من بناء سليمان بن داود عليه السلام [٨٩ ب]. قال في مسالك الأبصار: وهي منحصرة^(٤) في دمشق في كمال محاسنها ورطوبتها وجريان الماء في ديارها وأسواقها، ودهانها فائقا على كل دهان، وكانت دار ملك، ومن عشها درج نجم الدين أيوب والد الملوك الأيوبية^(٥)، وبها قلعة حصينة مرجلة على وجه الأرض [قلعة] دمشق. قال في التعريف: إنما بنيت قلعة دمشق على كقلة^(٦). ويستدير بالقلعة وبالمدينة سور عظيم ويحيط بذلك غوطة أنيقة بها الأشجار المختلفة الفواكه، ويدخلها نهر من عين من خارجها مقسم في جهاتها، وبخارجها جبل لبنان المعروف بعش الأولياء.

الثاني: عمل البقاع البعلبكي نسبة إلى بعلبك.

(١) يذكر محقق التعريف تصحيحا لاسم القرية [الفيحة] عن الصبح، ولكن في ضوء الصبح يذكرها كما يذكرها صاحب النفر [اللفكية]. التعريف، ص ٢٢٩، ضوء، ص ٢٨٨، صبح، ج ٤، ص ١٠٨، مما يؤكد أن صاحب النفر اعتمد على ضوء الصبح، والفيحة قرية بين دمشق والزبداني. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٢٨٢.

(٢) يذكرها القلقشندي في الصبح والضوء [تشامل]، وحذا حذوه محقق التعريف أيضا، ولكنها هنا تتفق مع العبارة حيث تعني تسامت أي تجاوز. صبح، ج ٤، ص ١٠٨، ضوء، ص ٢٨٨، التعريف، ص ٢٢٩.

(٣) نقل صاحب النفر عن القلقشندي العبارة منقوصة فجاءت مبهمة حيث قال القلقشندي [قال في تقويم البلدان بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف والجاري على ألسنة فتح العين وإسكان اللام]، ضوء، ص ٢٨٨.

(٤) الصواب: مختصرة، صبح، ج ٤، ص ١٠٩، ضوء، ص ٢٢٨.

(٥) هو أبو الشكر أيوب بن شاذي، الملقب بنجم الدين، والد السلطان صلاح الدين، تولى هو وأخوه أسد الدين شيركوه حكم تكريت، ثم اتصلا بخدمة نور الدين محمود، بنى في بعلبك الخانقاه النجمية، توفي عام ٥٦٨ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٢٦٠ - ٢٦١، ت رقم ١٠٧.

(٦) الصواب: كمثالها، صبح، ج ٤، ص ١٠٩.

الثالث: عمل البقاع العزيزي^(١)، قال في التعريف: ومقر الولاية به كرك نوح عليه السلام. قال: وهاتان الولايتان منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال جليل القدر مفرد بذاته.

الرابع: عمل بيروت، مدينة بساحل دمشق على حقة^(٢) البحر الرومي، عليها سوران وبها جبل معدن الحديد، ولها غوطة من شجر الصنوبر سعتها في التكسير اثنا عشر ميلاً متصل بلبنان المتقدم ذكره.

الخامس: عمل صيدا، مدينة بساحل البحر الرومي كانت حصناً حصيناً، قال ابن القطامي: وسميت بصيدون بن صدفا بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو أول من عمرها وسكنها. وقال في الروض المعطار: وسميت بامرأة تسمى صيدا^(٣). وبينها وبين دمشق ستون ميلاً، ويشرب أهلها من قناة، وهي تشتمل على ستمائة ضيعة وشيء.

الصفحة الرابعة الشرقية:

وسميت بذلك لأنها شرقي دمشق، قال في التعريف: وحدها من القبلة قرية القصيب^(٤) آخذاً عن النبك إلى القريتين^(٥)، وحدها من الشرق السماوة إلى الفرات وينتهي إلى سلمية^(٦)

(١) ينسب البقاع العزيزي إلى العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١١٠.

(٢) الصواب: ضفة، صبح، ج ٤، ص ١١٠، ضوء، ص ٢٨٩.

(٣) وسميت بامرأة: صبح، ج ٤، ص ١١١.

(٤) قرية القصب: التعريف، ص ٢٣٠؛ ضوء، ص ٢٨٩. وهي قرية من عمل حص. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٠٨.

(٥) هي قرية كبيرة قبل تدمر، وتسمى القريتين أو حوارين، وهي من أعمال حص. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ٣٣٦؛ البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٧٦١.

(٦) زاد في التعريف [ولها قلعة تقاربها تعرف بشميش، ومن الشمال ما بين سلمية إلى الرستن]، ص ٢٣١. والرستن بلدة صغيرة على نهر العاصي بين حماة وحص. ياقوت: السابق، ج ٣، ص ٤٣.

إلى الرستن، وحدها من الغرب نهر الأرنت وهو العاصى^(١) كما تقدم. وتشتمل على ستة أعمال^(٢):

الأول: عمل حمص. قال في الروض المعطار: ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لأن هذا رجل أعجمي. قال: وسميت برجل من العماليق اسمه حمص وهو الذى بناها، واسمها القديم سوريا وبه كانت تسميها الروم. وهى [٩٠ أ] مدينة جليلة مبنية فى وطأة من الأرض على نهر العاصى ولها منه ماء يجرى إلى دار النيابة، وبعض مواضع بها، قال فى العزيرى: وليس فى بلاد الشام أصح من هوائها^(٣) وبوسطها بحيرة صافية يجتمع فيها طير اليم وغيره، [وليس بها عقارب ولا حيات]^(٤). قال فى التعريف: وكانت دار ملك للبيت الأسمى. قال فى المسالك: وبها القلعة المصفحة^(٥). ولم تكن بالمنفعة ويحيط بها وبالمدينة سور حصين أمنع من القلعة. وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه.

الثانى: عمل مصيات^(٦)، وهى بلدة عظيمة وبها قلعة حصينة فى لحف جبل اللكام الشرقى عن حماة وطرابلس من جهة الشمال عن بارين^(٧) على مسافة فرسخ، وفى جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم، وبها أنهر صغار من أعين وبها الأشجار والفواكه^(٨) وهى قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها فى أعمال طرابلس، وكانت أولاً مضافة إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت إلى دمشق، وكانت نيابتها إمرة طبلخانة.

الثالث: عمل قارا، وكتبت فى تقويم البلدان قاره بالهاء وهى قرية كبيرة على مرحلة ونصف من حمص وبينها وبين دمشق مرحلتان، وغالب أهلها نصارى وبها محط المسافرين.

(١) العبارة بلفظها وترتيبها كما هى فى ضوء الصبح، ص ٢٨٩.

(٢) خمسة أعمال: صبح، ج ٤، ص ١١٢.

(٣) وهى من أصح بلاد الشام هواء: صبح، ج ٤، ص ١١٣.

(٤) هذه العبارة ينسبها القلقشندي إلى ابن حوقل، صبح، نفسه.

(٥) لم يرد لها ذكر فى المسالك. انظر: ص ١٢٤.

(٦) الصواب: مصيا، صبح، ج ٤، ص ١١٣. وفى موضع آخر يذكر أن كلا الاسمين يطلق على تلك البلدة. انظر، ص ٧٧٤.

(٧) بارين أو بعين، بلدة بين حماة وحلب. ياقوت: السابق، ج ١، ص ٣٢٠.

(٨) وبها البساتين والأشجار: صبح، نفسه.

الرابع: عمل سلمية، وهى بلدة من عمل حمص، قال أحمد الكاتب بناها عبد الله بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، اسكن بها ولده، وهى بلدة على طرف البادية نزهة حصينة كثيرة المياه والشجر على مرحلة من حمص.

الخامس: عمل تدمر، بفتح التاء كما قاله السمعاني. قال في التعريف: وهى بين القريتين والرحبة. ثم هى معدودة من جزيرة العرب. قال المؤيد صاحب حماة: وهى من أعمال حمص من شرقيها. قال في الروض المعطار: أنها مدينة قديمة بنتها الجان لسليمان عليه السلام. قال: وسميت بتدمر بنت حسان بن أذينة وفيها قبرها وإنما سكنها سليمان بعدها^(١). وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلاً، وبينها وبين الرحبة مائة ميل وميلان وهى على ثلاثة مراحل [٩٠ ب] من حماة^(٢).

السادس: عمل الرحبة، مدينة على الفرات بين الرقة وعانة، عدها في القديم من ديار بكر من الجزيرة الفراتية وتعرف برحبة مالك بن طوق قائد [من]^(٣) قواد الرشيد^(٤) عمرها فنسبت له ثم خربت واستجدها شيركوه صاحب حمص من جنوبيها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات، وهى في زماننا محط الرواحل وأحد الثغور الإسلامية. قال في التعريف: وبها قلعة نيابة^(٥) وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين.

(١) ينسب القلقشندي هذا الكلام إلى العزيزي، صبح، ج ٤، ص ١١٣.

(٢) الصواب: حمص، صبح، السابق.

(٣) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ١١٥.

(٤) مالك بن طوق التغلبي، توفي عام ٢٦١ هـ. ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٤٩؛ ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٢١٩.

(٥) وبها قلعة ونيابة: التعريف، ص ٢٣١.

القاعدة الثانية حلب

وهي مدينة عظيمة أم أقاليم وبلاد وأغوار وبها معظم قلاع الشام وحصون وثغور، وموقعها وموقع جميع أعمالها في الأقاليم السبعة في الإقليم الرابع. وفي سبب تسميتها بحلب قولان حكاهما في الروض المعطار أحدهما أنه كان مكان قلعتها ربوة وكان سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه يحلب غنمه فيها ويتصدق باللبن فسميت بذلك.

الثاني، أنها سميت برجل من العمالقة اسمه حلب بن المهر من ولد خان^(١) بن ملكيف^(٢). قال في مسالك الأبصار^(٣): وهي من قواعد الشام القديمة في وطأة حمراء على مدرج طريق العراق وتعرف بحلب الشهباء، ولها نهران، أحدهما نهر قويق وهو نهرها القديم، الثاني نهر الساحور يجري إلى داخلها ويتشعب في مساكنها لكنه لا يبيل صدها، وأطيب شرب أهلها من صهاريج تملأ في الشتاء من نهرها، وهي كثيرة الفواكه وبظاهرها البر الممتد وحاضرة وبادية، وبها عسكر قائم من طوائف التركمان والأكراد والعربان غير عسكرها. ونائبها من أكابر النواب بمثلة أمير سلاح من الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وإلى الآن، وبوسطها قلعة بعيدة المنال على تل مرتفع بها مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبها ماء نابع لا يخاف فيها الظمأ وعليها سوران دونهما خندق في غاية العمق.

وبحلب أعمال متسعة وهي أوسع الشام بلاداً وبعض بلادها متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق، قال في التعريف: إن حدها من القبلية ما وقع على سمتها إلى الدمنية الخراب والسلسلة [٩١ أ] الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار^(٤) والقرية

(١) يذكر محققو صبح الأعشى [في الأصل خان، وفي الضوء حاف، والتصحيح من ياقوت] ج ٤، ص ١١٦ هـ.

(٢) مكنف: صبح، ج ٤، ص ١١٦.

(٣) اتفق نص القلقشندي مع نص العمري في صبح الأعشى، لكن مذكوره السحماوي اختلف وإن اتفق مع ضوء الصبح. صبح، ج ٤، ص ١١٦ - ١١٧، ضوء، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٤) الحيار جمع حير، صقع بالقرب من قنسرين. ياقوت: السابق، ج ٢، ص ٣٢٧.

المعروفة بقبة ملاعب، وحدها من الشرق البر حيث يجرى برد الثلج على أطراف بالس^(١) إلى الفرات دائرة بجدها. قال: وبهذا التقسيم تكون بلاد جعفر داخلية في حدودها، وحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء هسننا وبلاد الأرمن مما وراء نهر جاهان، وحدها من الغرب ما أخذ من بلاد الأرمن^(٢) على البحر الشامي. ثم أعماها تنقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول

ما هو داخل في البلاد الشامية

وهو على سبعة وعشرون عملاً^(٣).

الأول: عمل برها، وهو وضواحيها كما تقدم في مصر ودمشق.

الثاني: عمل بهسني، وهي قلعة شمالي حلب على أربعة مراحل منها في الغرب الشمالي عن عين تاب، وبينها وبين سيواس^(٤) مسيرة ستة أيام، وبها عسكر من التركمان والأكراد، ولها بساتين ونهر صغير وبلدة واسعة كثيرة الخير والخصب، ولنايبها مكانة جليلة.

الثالث: عمل قلعة المسلمين، المسماة في القديم بقلعة الروم، وهي قلعة من جند قنسرين بالبر الغربي الجنوبي من الفرات في جهة الشمال بذيال الفرات على نحو خمس مراحل من حلب وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام، وبها نهر مرزبان يصب في الفرات، قال في التعريف: وكان بها خليفة الأرمن ففتحها الأشرف خليل وسماها قلعة المسلمين.

(١) يقول العمري [ويحدها من الشرق البر حيث يحد بردى أخذاً على جبل الثلج ونهر الجلاب على أطراف بالس]، ص ٢٣٢.

(٢) في الأصل: ما آخر من بلاد، والتصحيح من، العمري: التعريف، ص ٢٣٢، القلقشندي: ضوء، ص ٢٩٣.

(٣) في الصحيح ستة عشر عملاً ولكنه ذكر ستة وعشرين، ولكنه في ضوء الصحيح ذكرها كما في الثغر. انظر صبح، ج ٤، ص ١١٩ — ١٣٠، ضوء، نفسه.

(٤) كان إنشاء هذه المدينة على يد السلطان علاء الدين السلجوقي، وكانت من المدن التجارية الهامة، وهي من مدن تركيا الآن. ابن عرب شاه: عجائب، ص ١٥٢ هـ؛ لي سترانج: بلدان، ص ١٧٩ — ١٨٠.

الرابع: عمل عين تاب، مدينة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو مرحلتين منها في الجنوب، وعلى نحو ثلاث مراحل من قلعة الروم ومثلها عن بسنى، وهى مدينة واسعة الأرجاء، كثيرة المياه والبساتين [و] الفواكه، بها قلعة حصينة منقوبة فى الصخر.

الخامس: عمل مرعش^(١) بلدة لطية فى وطأة من الأرض على مرحلتين من حلب، وهى كثيرة المرعى ذات أشجار، وهى مصيف وربيع لعسكر حلب.

السادس: عمل اللاوندان^(٢) قلعة من جند قنسرين فى الغرب والشمال على نحو مرحلتين من حلب، وهى على جبل مرتفع ذات بساتين وأعين.

السابع: عمل كختا، وتعرف بالألف واللام فيقال الكختا، قال فى تقويم البلدان^(٣): وهى قلعة فى أقاصى الشام من جهة الشمال بشق عن حلب على نحو خمس مراحل منها عالية البناء لا ترام حصانة [٩١ ب]، ولها نهر وبساتين، وكركر منها فى جهة الشرق، وملطية فى جهة الغرب على نحو مرحلتين^(٤) منها [ذات عمل متسع]^(٥).

الثامن: كركر، قلعة من أقاصى الشام فى الشمال عن حلب على نحو خمس مراحل منها وعلى يوم من كختا، وهى قلعة حصينة شاهقة ترى الفرات منها كالجداول الصغير وهو منها فى جهة الشرق.

التاسع: عمل الدبرسك^(٦). شمالي حلب على نحو أربع مراحل منها، وهى قلعة حصينة ذات أعين وبساتين حسنة المنظر وبها من شرقها مروج متشعبة كثيرة العشب يمر بها نهر الأسود.

(١) لم يذكر العمري فى التعريف والمسالك، والقلقشندي فى صبح الأعشى، وضوء الصبح أى ذكر لمرعش من كونها من أعمال حلب. وتقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٧٧٨؛ لى سترانج: بلدان، ص ١٦١.

(٢) والصواب: الراوندان، التصحيح من، العمري: التعريف، ص ٢٣٣، المسالك، ص ١٣٠، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٢١، ضوء، ص ٢٩٤.

(٣) لم ينسب القلقشندي هذه المعلومة إلى مصدر، صبح، ج ٤، ص ١٢٠؛ أبو الفداء: تقويم، ص ٢٦٢.

(٤) على مسيرة يومين: القلقشندي صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من التعريف، ص ٢٣٣.

(٦) الصواب: الدبرسك، العمري: السابق، نفسه؛ المسالك، ص ١٣٠؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٢٢؛ ضوء، ص ٢٩٤.

العاشر: عمل بغراس، قلعة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو أربع مراحل منها في جهة الجنوب، قال في التعريف: وكانت هي الثغر في نحر ^(١) الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية، وبها الرصاص على ساحل البحر الرومي.

الحادي عشر: عمل القصير، قلعة على نحو أربع مراحل من حلب، قال في التعريف: وهي لأنطاكية.

الثاني عشر: عمل الشجر وبكاس، وهما قلعتان من جند قنسرين مبيتان على جبل مستطيل [وتحتهما] ^(٢) نهر، وبها بساتين وأشجار في الجنوب من أنطاكية.

الثالث عشر: عمل حجر شغلان، وهي قلعة شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل منها، وهي بالقرب من بغراس في جهة الشمال على مسافة قريبة جداً.

الرابع عشر: عمل أبي قبيس، قلعة حصينة غربي حلب مما يلي الساحل على نحو ثلاث مراحل منها.

الخامس عشر: عمل حارم، قلعة حصينة في جهة الغرب على نحو مرحلتين من حلب، ذات أشجار، وبها نهر صغير، وريفها ^(٣) بلدة صغيرة كثيرة المياه وبجوارها بحيرتها وعمقها.

السادس عشر: عمل كفر طاب، بلدة صغيرة من جند حمص على نحو ثلاث مراحل منها على الطريق بين المعرة وشيزر على نحو اثني عشر ميلاً.

السابع عشر: عمل فامية، قال في المشترك: ويقال لها أفامية. من عمل شيزر غربي حلب على نحو أربع مراحل منها، ولها بحيرة حلوة يسقيها ^(٤) النهر المقلوب.

الثامن عشر: عمل سرمين، مدينة غربي حلب على نحو يوم منها، وعملها متسع وتسمى هذه الجهة الغريبات.

(١) في بحر: صبح، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٢٩٤.

(٣) وريفها: صبح، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) يشقها: صبح، ج ٤، ص ١٢٥.

التاسع عشر: عمل [٩٢ أ] الجبول، بلدة شرقي حلب على نحو مرحلة منها بالقرب من الفرات، ومنها ينقل الثلج^(١) إلى البلاد الحلبية.

العشرون: عمل جبل سمعان، وبه وبوطاة قرى كثيرة.

الحادى والعشرون: عمل عزاز، والجارى على ألسنة الناس أعزاز، وهى بلدة شمالي حلب بميلة إلى الغرب على نحو مرحلة منها.

الثاني والعشرون: عمل تل باشر، حصن شمالي حلب بمرحلة قريبة من عين تاب، ذات بساتين يانعة ومياه جارية.

الثالث والعشرون: عمل منبج، بلدة من جند قنسرين شرقي حلب على نحو مرحلة منها، قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام. وسماها منبه فعربت منبج، وكان بها بيت نار للفرس، وأكثر شجرها التوت وحريرها أحسن الحرير.

الرابع والعشرون: عمل تيزين، بلدة صغيرة في جهة الغرب عن حلب على نحو مرحلة منها.

الخامس والعشرون: الباب وبزاعا، وهما بلدتان متقاربتان من جند قنسرين على مرحلة من حلب في الجهة الشمالية الشرقية، أما الباب فبلدة صغيرة ولها البساتين الكثيرة الأنيقة وبظاهرها قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه، وأما بزاعة فهي ضيعة من مضافاتها، وإلى الباب ينسب خاص ألما ورد.

السادس والعشرون: عمل دركوش، بلدة على نهر العاصى غربى حلب على ثلاث مراحل منها، بها قلعة منيعة عاصية لم يقدر عليها هولاكو.

السابع والعشرون: عمل أنطاكية^(٢)، قال ابن الجوالقي: ويأؤها مشددة. وقال في الروض المعطار: إنها مخففة. وهى مدينة قديمة بناها بطليموس من ملوك اليونان، وقيل بناها أنطاكين، وسورها من صخر لم له نظير دوره اثنا عشر ميلاً وعدد شرفاته اثنان وعشرون^(٣) ألفاً، وأبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً على منتصف الطريق بين المعرة وحلب، وبظاهرها نهر

(١) الملح: صبح، ج ٤، ص ١٢٦.

(٢) وتقع اليوم في تركيا. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٦٩٠.

(٣) أربع وعشرون: صبح، ج ٤، ص ١٢٩.

العاصي والأسود ومجتمعاتها، وتجري مياهها إلى دورها، وقيل إنها المذكورة بالمدينة في قوله "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى"، وذلك الرجل هو حبيب النجار وقبره يزار بها، يقال إنه قطعت رأسه وعلقت ثلاثة أيام ولسانه يوحد الله تعالى وكراماته مشهورة. وميناؤها السويدية، وقد [٩٢ ب] تقدم الكلام عليها في سواحل بحر الروم.

القسم الثاني

من الأعمال الحلبية مع ما أضيف إليها من البلاد المعروفة الآن ببلاد الأرمن مما اقتلع منهم ببلاد المسلمين بعد أن غلبوا عليه ببلاد سيس وما والاها مما كان قديماً يسمى بالنغر لمشاغرة العدو، وقد حدد في التعريف هذه البلاد بمجملتها فقال "وحدها من القبلة وانحراف الجنوب بلاد بغراس"^(١) وما يليها وحدها من الشرق جبال الدربندات، وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العاليا وأنطاكية^(٢)، وتشتمل على أحد عشر عملاً^(٣):

الأول: عمل أياس، مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر على مرحلتين من بغراس، قال في التعريف "وكان أمرها إلى نائب الشام، وجعل إلى نائب حلب"، ثم هي الآن من الأبواب الشريفة وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية، وكانت استعادتها من الأرمن في أيام الناصر محمد بن قلاوون عام ثمان وثلاثين وسبعمائة^(٤).

(١) يذكرها في التعريف بالصاد [بغراس]، ص ٨١، ولكن القلقشندي يذكرها بالسين، صبح، ج ٤ ص ١٣١.

(٢) يتفق النغر والضوء في كونها أنطاكية، ويتفق التعريف وصبغ في كونها أنطاليا. التعريف، ص ٨١ — ٨٢، صبح، ج ٤، ص ١٣١، ضوء، ص ٢٩٧.

(٣) ذكر القلقشندي أنها ثمانية أعمال [ملطية، درندة، ديركي، أياس، طرسوس، سرفندكار، سيس، أذنة]، زاد في النغر [المصيصة، البستين، قيسارية].

(٤) لم تذكر المصادر التاريخية هذه السنة بعينها التي ذكرها كل من السحماوي والقلقشندي، أما ابن تغري بردي فقد ذكرها بدون أن يحدد السنة. انظر: القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٣٣؛ ابن تغري بردي: النجوم: ج ٩، ص ١٧٢.

الثاني: عمل طرسوس^(١)، قال في اللباب: مدينة سورها^(٢) من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم بناها الرشيد في عام سبعين ومائة^(٣) وأكملها في سنة اثنتين وسبعين، وبها دفن المأمون^(٤) واستعيدت من الأرمن في أيام الناصر حسن^(٥) وهي سجنٌ لمن يتغير عليه الملك.

الثالث: عمل أذنة^(٦)، مدينة من بلاد الأرمن بناها الرشيد، وهي مدينة حصينة على ثمانية عشر ميلاً من طرسوس.

الرابع: عمل سرفندكار، الموجود الآن بالدساتير إسفندكار، وهي قلعة من بلاد الأرمن على صخر وبعض جوانبها بغير سور للاستغناء عنه بالصخر وهي على الغرب^(٧) من نهر جيحان من البر الجنوبي في الشرق عن تل حمدون على أربعة أميال، وربما يقال فيها سرور دكار^(٨).

الخامس: عمل سيس، قال صاحب كمال الدين بن العديم: أن اسمها سيسه. ووافقه في العزيزي، بناها بعض خدام الرشيد، وكانت قاعدة بلاد الأرمن ولها قلعة حصينة على جبل مستطيل عليها ثلاثة أسوار، وبينها وبين المصيصة أربعة عشر ميلاً، وكان فتحها في أيام الأشرف شعبان على يد قشتمر المنصوري نائب حلب على ما تقدم^(٩).

(١) تقع هذه المدينة اليوم في تركيا بين أنطاكية وحلب. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٧٤٦؛ لي سترانج: بلدان، ص ١٦٤.

(٢) مدينة مسورة من بلاد الأرمن: ضوء، نفسه؛ وقد نسب القلقشندي العبارة إلى صاحب الروض المعطار لا اللباب، صبح، ج ٤، ص ١٣٣.

(٣) انظر: الطبري: تاريخ الأمم، ج ٨، ص ٢٣٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٧٩.

(٤) انظر القسم الثاني، ص ١٦٥.

(٥) انظر القسم الثاني، ص ٢٥٤.

(٦) وتقع اليوم بتركيا معروفة باسم " أضنه ". البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٦٨٢؛ لي سترانج: بلدان، ص ١٦٣.

(٧) القرب: صبح، ج ٤، ص ١٣٤.

(٨) قال القلقشندي نقلاً عن صاحب حماة [سرونديكار]، صبح، ج ٤، ص ١٣٤.

(٩) انظر القسم الثاني.

السادس: المصيصة^(١)، والجارى على ألسنة الناس المصيص، وهى على [٩٣ أ] نصف مرحلة من أذنة، وهى على نهر جاهان ولها عليه جسر من خشب للتعدية.

السابع: عمل ملطية^(٢)، مدينة من بلاد الروم شمالى حلب بميلة^(٣) إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها بناها أبو جعفر المنصور عام تسع وثمانين ومائة^(٤) وجعل عليها سوراً محكماً، وهى قاعدة بلاد الثغور، وعدها ابن حوقل من بلاد الشام، وهى بلدة مسورة فى بسيط من الأرض، والجبال محتفة بها من بعد، ذات أشجار وفواكه ويدخلها نهر صغير يجرى فى دورها، وهى على ثلاث مراحل من سيس وسيواس ومرحلتين عن كحتا من الغرب فتحت عام خمسة عشرة وسبعمائة^(٥).

الثامن: عمل درندة، مدينة فى جهة الغرب عن ملطية على مرحلة منها ذات بساتين وأتار وعيون وهى على نحو عشرة أيام من حلب.

التاسع: عمل ديركى، ويقال فيها دوركى، وهى مدينة فى جهة الشمال عن حلب على نحو عشرة مراحل منها.

العاشر: عمل البلستين، ويقال الأبلستين، وهى مدينة عظيمة على نحو مرحلتين من ملطية فى الجهة الغربية، وبينها وبين حلب ثمانية أيام.

الحادى عشر: عمل قيسارية، وربما كتبت قيصرية نسبة لقيصر كأنه أول من عمرها، وهى مدينة عظيمة ولم يكن بها قلعة، وبوسطها نهر جار وهى على مرحلتين من الأبلستين، ومثلها من مرعش وثلاث مراحل من ملطية.

(١) تقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: فوح، ق ٣، ص ٧٨٠؛ لى سترانج: بلدان، ص ١٦٢.

(٢) تقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: السابق، ق ٣، ص ٧٨٢؛ لى سترانج: السابق، ص ١٥٢.

(٣) قبلة: ضوء، ص ٢٩٨.

(٤) هكذا فى الصبح أيضاً مما يؤكد النقل الخرفى من القلقشندي، والعبارة خاطئة لأن المنصور تولى الخلافة من عام ١٣٦: ١٥٨ هـ، وأن بناءها على ما ذكره ياقوت الحموى عام ١٤٠ هـ. انظر، القلقشندي:

صبح، ج ٤، ص ١٣٢ هـ ١، ياقوت: معجم، ج ٥، ص ١٩٢.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩، ص ١٧٢ هـ ٤.

أما القلاع:

فاعلم أن بالقرب من هذه الأعمال ثمان قلاع صغار ^(١)، وقد ذكر في التعريف ^(٢) بعضها، أحدها قلعة باعروك على رأس جبل بالقرب من طرسوس على نحو نصف مرحلة، قال في التثقيف: استجدت عام ستين وسبعمئة ^(٣).

الثانية: قلعة كاورا، في الشمال عن أبياس، وهي على جبل مطل [على] البحر الرومي على نحو ساعة، قال في التثقيف: استجدت عام تسع وستين وسبعمئة.
الثالثة: قلعة كولاك، مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على مرحلة منها يسكنها طائفة من التركمان.

الرابعة: قلعة كرزال، قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كولاك.
الخامسة: قلعة تل حبرون ^(٤)، على تل عال على الغرب من جيحان إلى جهة الجنوب على نصف مرحلة، كانت قديماً حصينة بالبناء، لها سور مانع، وبها نهر يجري وبين أبياس نحو مرحلة، وعلى مرحلتين من سيس.

السادسة [٩٣ ب]: قلعة الهارونية، وربما قيل الهارونيتان، قال في التعريف: وهما حصنان بناهما هارون الرشيد. وقال في المشترك: الهارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالشغور في طرف جبل الكارم ^(٥).

(١) عدها القلقشندي في صبحه ثلاثة عشر قلعة هي: [بارى كروك، كاورا، كولاك، كرزال، كومي، تل حمدون، الهارونتين، نجمة، حميص، لؤلؤة، تامرون، سياط كلا، بلسلوص]، ج ٤، ص ١٣٥ - ١٣٧.
(٢) ذكر العمري عدة قلاع منها [كاورا، والبقية، ونجمة، وتل حمدون، وحميص، والهارونيتان]، التعريف، ص ٢٨٣، وقد أرجع القلقشندي ذكر هذه القلاع إلى صاحب التثقيف، ضوء، ٢٩٩.
(٣) يذكر القلقشندي استناداً إلى ابن ناظر الجيش أن هذه القلعة استجدت عام ستين وسبعمئة، ووافقه صاحب النغر، أما محقق كتاب التثقيف فقد اعتمد على إحدى نسخ الكتاب التي ذكرت أنها استجدت عام ست وستين.

(٤) تل حمدون: التعريف، ص ٢٣٨، صبح، ج ٤، ص ١٣٦، ضوء، ص ٢٩٩.

(٥) اللكام: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

السابعة: قلعة نجمة، وكان يقال لها أولاً حصن منبج، وهي شاهقة على القرب من الفرات بناها السلطان محمود بن زنكي^(١)، وفي التعريف ما يقتضى أنها من بناء المأمون^(٢).
الثامنة: قلعة لؤلؤة، وهي قلعة حصينة شمالى هولاء^(٣).

القسم الثالث

من الأعمال الحلبية ما أضيف إليها من بلاد الجزيرة الفراتية، وهي على ثلاثة أعمال.
الأول: عمل البيرة، وهي قلعة في الصف الشرقي في الشمال عن^(٤) الفرات مشرقاً عن قلعة الروم على مرحلة، والفرات بينهما، وقد عدها في تقويم البلدان من جند قنسرين من أعمال الشام على صخرة وكانت سجنًا حرزاً، قال في التعريف: ولها منعة وعسكر وعمل^(٥).
الثاني: عمل قلعة جعبر، وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالى عن الفرات، وكانت تعرف قديماً بالدوسرية نسبة إلى دوسر عبد النعمان بن المنذر بناها لما جعله النعمان على أفواه الشام^(٦) ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري^(٧) في أيام الملوك السلجوقية فعرف به، قال في التعريف في الكلام على تقاسيم الشام إنها مضافة إلى دمشق، ثم قال وحقها أن تكون مع حلب ثم أضيفت إلى حلب.

الثالث: عمل الرها، مدينة من ديار بكر^(٨) في البر الشرقي في الشمال عن الفرات، قال في العزيزى: مدينة عظيمة رومية فيها آثار عجيبة لم يكن بالجزيرة أحسن منها ولا أكثر فواكه

(١) أبو الفداء: تقويم، ص ٢٣٣؛ ياقوت: معجم، ج ٤، ص ٢٤١.

(٢) ذكر العمري أن ما أضيف إليها كان من عمل المأمون لا كونه منشئها. ص ٢٣٨.

(٣) الصواب: كولاء، صبح، ج ٤، ص ١٣٧؛ ضوء، ص ٢٩٩.

(٤) على: صبح، نفسه.

(٥) ولها عسكر ومنعة: التعريف، ص ٢٣٢.

(٦) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٣٦٤.

(٧) يذكر ابن خلكان اسم جعبر القشيري، إلا أنه لم يقف على شيء من أحواله، واختلف في تاريخ وفاته هل

كانت سنة ٤٦٤ هـ أو ٤٦٩ هـ. السابق، ج ١، ص ٣٦٣ — ٣٦٤، ت رقم ١٤٠.

(٨) ديار مضر: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

وبها عيون كثيرة تجرى منها الأنهار، وبينها وبين الفرات يوم^(١)، وكان عثمان قرايلوك^(٢) استولى عليها وجعلها من جملة بلاده، ولما توجه الركاب الشريف إلى محاصرة آمد بهذه الجزيرة استعادها من قرايلوك وأقام بها نائباً، وهي على هذا إلى الآن.

(١) يومين: صبح، ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) قرايلوك: هو الأمير فخر الدين عثمان بن قطلوبك بن طور على التركمان، الشهير بقرايلوك، استولى على غالب ديار بكر، تحالف مع تيمور لnk عند غزوه للشام عام ٨٠٣ هـ، ثم ولاه الناصر فرج نيابة الرها، وفي عهد برسباى دخل في صراع معه تمخض عن الصلح بينهما، ومات عام ٨٣٩ هـ بعد حصار إسكندر بن قرا يوسف له وإصابته في المعركة. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٦، ص ٤٢٤ - ٤٢٨، ت رقم ١٥٢٩؛ السخاوى: الضوء، ج ٥، ص ١٣٥، ت رقم ٤٧٤.

القاعدة الثالثة

حماة

ذكرها صاحب مسالك الأبصار بعد دمشق لقربها منها، ولكنه ذكرها في التعريف بعد حلب لكونها دونها في رتبة النيابة ^(١)، وهي مدينة قديمة لها ذكر في التوراة، وهي على ضفة [٩٤ أ] النهر العاصي، وهي وأعمالها بين حمص وقنسرين، وبينها وبين حمص أربعون ميلاً، ولها سور جليل وبها القصور الملوكية والدور الأنيقة، ودور ملوكها وشرفاتها مطلة على العاصي، وقلعتها مبنية بالحجارة الملونة، وآثار الخير والبر فيها باقية من فواضل نعم الملوك الأيوبية، وبها النواير ^(٢) على نهر العاصي تدور بجريان الماء إلى الدور السلطانية ودور الأمراء والأكابر والبساتين، ولم تنزل على القدر رفيعة الحل إلى أن كانت الدولة الأتابكية زكنى فزادت فخامتها وعظم شأنها، فلما آلت إلى ملوك بني أيوب نصرها ^(٣) بالأبنية المعظمة والقصور الشاهقة والمساكن الفاخرة وتأمير الأمراء وتجنيد الجنود بها، وعظموا أسواقها وزادوا في غراسها وجلبوا لها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه إلى أن كملت محاسنها وصارت معدودة في أحاسن الممالك، وحولها مروج ممتدة فيها مصايد الطير والوحش.

قال في مسالك الأبصار: وليس في الممالك الشامية بعد دمشق من يدانيها في لطيف ذاتها من يجاورها قريب ولا بعيد. ولها أعمال وقد حدها في التعريف فقال " حدها من القبلية الروستين وما سامته آخذاً بين قبة ملاعب وسلمية إلى حيث مجرى النهر والآثار القديمة، وحدها من الشرق البر آخذاً على سلمية إلى ما استقلت على قبة ملاعب، وحدها من الشمال آخر حد المعرة من انقربا ^(٤)، وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة. وتشتمل على ثلاثة أعمال:

(١) ذكر ذلك القلقشندي ولكنه قال [فتبعته على ذلك] عكس السحماوي الذي برر ذلك لكونها دونها في رتبة النيابة. صبح، نفسه.

(٢) النواير: ومفردها ناعور، وهو الدلو الذي يستقى به الماء من النهر. ابن منظور: لسان، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٣) مصروها: المسالك، ص ١٢٧.

(٤) لا يوجد معنى للكلمة في التعريف، وقد ذكر محققو صبح الأعشى [أنها هكذا في الأصل بدون نقاط (العربا)]، صبح، ج ٤، ص ١٤١ هـ ١.

الأول: عمل برها، وفي ظاهرها وما حولها كما تقدم في دمشق وحلب.

الثاني: عمل بارين، وهي بلدة في الغرب عن حماة بميلة يسيرة إلى الجنوب على مرحلة منها.

الثالث: عمل المعرة، وتعرف بمعرة النعمان إضافة إلى النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي^(١)، وهي مدينة كثيرة الفواكه والخصب، ويقال إن بها قبر شيث صلوات الله وسلامه عليه، وقبر يوشع بن نون^(٢)، وعلى القرب منها قبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. قال السمعاني بالنسبة إليها معروني^(٣) وهذا [٩٤ ب] مذهب من يرى أن النسبة إلى المركب من مضاف ومضاف إليه، وينسب إليهما جميعاً كما ينسب إلى عبد شمس عبشمى وإلى عبد قيس عبقسى، أما المعروف في النسبة إليها معرى نسبة إلى المضاف فقط.

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد بن مالك الخزرجي، ت ٦٥ هـ. ابن قانع:

معجم الصحابة، ج ٣، ص ١٤٤، ت رقم ١١١٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٤، ص ١٤٩٦ —

١٤٩٩، ت رقم ٢٦١٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٦، ص ٤٤٠، ت رقم ٨٧٣٤.

(٢) هو فتي موسى عليه السلام.

(٣) معرغنى: صبح، ج ٤، ص ١٤٢.

القاعدة الرابعة

طرابلس

قال في اللباب: وقد يسقط الألف منها فرقاً بينها وبين إطرابلس الغرب. وأنكر ياقوت في المشترك سقوطها ^(١)، والمنتبى يحذفها منها في بعض شعره، قال في الروض المعطار: ومعنى إطرابلس فيما قيل ثلاث مدن. وقيل مدينة الناس وهي مدينة من سواحل حمص واقعة هي وجميع أعمالها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وكانت في الأصل من بناء الروم، وكانت الفرنج استولوا عليها وأقامت بأيديهم مائة وأربعة وثمانين سنة، ولما افتتحها المسلمون في عام ثمان وثمانين وستمائة في أيام قلاوون ^(٢) خربوها وبنوا مكانها مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها وهي الموجودة الآن. وهي ممصرة كثيرة الزحام وجميع بنائها بالحجر الكلس مبيضاً ظاهراً وباطناً، وغطتها محيطة بها، ولها نهر يحكم على ديارها وطبقاتها ^(٣) فيجرى الماء من أعاليها التي لا يرقى منها إلا بالدرج العلية، ودمنتها تنسب إلى الوخامة، وحوها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج تجمع بين فواكه البلاد الحارة والبلاد الرطبة، وميتها قسوى إليها وفود البحر الرومي وترسى بها مراكبهم وتباع بها بضائعهم، ولها أعمال متسعة، وقد حدها في التعريف فقال: حدها من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الأسل ^(٤) حيث يمتد نهر العاصي، وحدها من الشرق نهر العاصي، وحدها من الشمال قلاع الدعوة، وحدها من الغرب البحر الرومي. وتشتمل على ثمانية عشر عملاً ^(٥):

(١) وعاب على المنتبى حذفها منها في بعض شعره: صبح، ج ٤، ص ١٤٢.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٧، ص ٣٢٠.

(٣) طباقها: صبح، ص ٣٠٣.

(٤) مذكورة هكذا في الأصل، وعدلها كل من محققى صبح الأعشى، ضوء الصبح، والتعريف فقالوا [الأسد]،

أما في التعريف المنشور في القاهرة عام ١٣١٢ هـ فقد ذكرها كما عند السحماوي. انظر: التعريف _

شمس الدين _، ص ٢٣٥، صبح، ج ٤، ص ١٤٤، ضوء، ص ٣٠٣.

(٥) في صبح الأعشى جعلها ضربين، الأول مضافاتها نفسها وهي على ست نيايات، الثاني قلاع الدعوة ست

قلاع بدون مصياف التي نقلت إلى دمشق. ج ٤، ص ١٤٢ - ١٤٧.

الأول: عمل حصن الأكراد، قلعة حصينة من جند حمص، مقابلة لحمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان على نحو مرحلة من حمص. قال في التعريف: وهو حصن جليل وقلعتها شمالاً^(١). قال: وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس.

الثاني: عمل حصن عكا^(٢)، قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة [٩٥ أ] الشرق وسط جبل لبنان في واد، والجبل محيط بها، وشرب أهلها من عين تجرى إليها من دير^(٣) لبنان.

الثالث: عمل بلاطنس، قلعة في جهة الشمال عن طرابلس على نحو مرحلتين، وفي الغرب من مصياف على نحو مرحلة.

الرابع: عمل صهيون، قلعة من جند قنسرين ذات حصانة ومنعة في الشرق من اللاذقية بميلة إلى الجنوب على نحو مرحلة مبنية على صخر أصم في ذيل جبل يظهر من اللاذقية.

الخامس: عمل اللاذقية^(٤)، مدينة من سواحل الشام، وعدها في العزيزي من أعمال حمص، قال: وهي مدينة جليلة بل هي أصل مدينة بالساحل متسعة، وهي منية الشام.

السادس: عمل المرقب، قلعة من ساحل البحر حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وهي سجن. ولم يتعرض لذكرها في التعريف ولا في مسالك الأبصار^(٥).

السابع: عمل الرصافة، قلعة بالقرب من مصياف^(٦) إحدى قلاع الدعوة التي كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المعروفين الآن بالفداوية وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة كما سيأتي، وهي غير رصافة هشام التي على حد الجانب الغربي من الفرات.

الثامن: عمل الخواي، من قلاع الدعوة على نحو مرحلتين من طرابلس في جهة الشمال.

(١) والصواب: شماء: التعريف، ص ٢٣٦؛ صبح، ج ٤، ص ١٤٤؛ ضوء، ص ٣٠٣.

(٢) حصن عكار: صبح، نفسه.

(٣) والصواب: ذيل: صبح، نفسه؛ ضوء، ص ٣٠٤.

(٤) يقول القلقشندي [وقد عدها في التعريف في جملة ولايات طرابلس على ما كانت عليه إذ ذاك، ثم استقرت بعد ذلك نيابة، وهي الآن أعظم نيايات طرابلس]، صبح، ج ٤، ص ١٤٥.

(٥) ذكر صاحب الثغر ذلك استناداً على القلقشندي، ولكن العمري ذكرها ضمن قلاع طرابلس، انظر:

التعريف، ص ٢٣٦؛ صبح، ج ٤، ص ١٤٦؛ ضوء، ص ٣٠٤.

(٦) انظر ص ٨٦٨ هـ ٤.

التاسع: عمل القدموس، ثالث قلاع الدعوة على القرب من الخواي المقدمة الذكر، قال في مسالك الأبصار: وبها حمام به حيات على سائر الأنواع تخالط من يدخلها ولا تضر أحدا.

العاشر: عمل الكهف، رابع قلاع الدعوة على ساعة من القدموس على نشز من جبل مرتفع^(١).

الحادي عشر: عمل المنيقة، خامس قلاع الدعوة على جبل مرتفع بالقرب من الكهف. الثاني عشر: عمل العليقة، سادس قلاع الدعوة على الجبل المقدم ذكره على نحو ساعة من المنيقة.

الثالث عشر: عمل أنطرووس^(٢)، بلدة بالساحل قال في تقويم البلدان: وهي ثغر لأهل حمص فتحها المسلمون وخربوا أسوارها، وهي الآن آهلة.

الرابع عشر: عمل جبة المنيطرة، وهي بلدة صغيرة [٩٥ ب]. الخامس عشر: عمل الظنين، وهي كورة بسفح جبل على يوم من طرابلس كثيرة القرى وطواحين الزيتون.

السادس عشر: عمل بشرية، ويقال بشرای، على جبل، عن طرابلس نصف يوم كثير القرى.

السابع عشر: عمل جبلة، بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي، قال في العريزي: ولها أعمال واسعة وبينها وبين اللاذقية اثنا عشر ميلاً، وبها مقام إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه. الثامن عشر: أنفة، بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلّة.

(١) في الأصل أردف صاحب الثغر العبارة بقوله [قرية من الكهف على نحو ساعة]، فلعل المؤلف أو الناسخ اختلطت عليه الأسطر فأخذ جزءاً من عبارة المنيقة التي تليها وأدخلها مع ما قبلها ولم يفتن إلى ذلك.

(٢) عدها القلقشندي من أعمال طرابلس، الأعمال الصغار وجعلها ستة أعمال، صبح، ج ٤، ص ١٤٧ — ١٤٩. ويقال لها اليوم طرطوس. البلاذري: فتوح، ص ٦٩٠.

القاعدة الخامسة

صفد

قال في تقويم البلدان " ويقال صفد، والمشهور الدال "، قال العثماني ^(١) في تاريخ صفد: سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الديدية ^(٢). ثم قال: ويجوز أن تكون سميت بذلك أخذاً من الصفد، وهو القيد لأن ساكنها يمتنع من الحركة السريعة من الطلوع والزلزل لارتفاع مكانها كما يمتنع المصعد بالقيد من الحركة السريعة.

وهي مدينة من جند الأردن واقعة هي وجميع أعمالها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، قال العثماني: إنه كان مكانها أولاً قرية فلما ملكها الفرنج بنيت مكانها هذا الحصن في عام خمس وتسعين وأربعمائة. وقلعتها من الحصون المنيعة وربما كانت سجنًا ^(٣). وهي تشرف على بحيرة طبرية وتحف بها جبال وأودية.

قال ابن الواسطي: بنتها الفرنج عام خمس وتسعين وأربعمائة وأكثر ما يدخل أهلها حمام الوادي لقلّة الماء بها، ويساتينها في الوادي إلى جهة بحيرة طبرية، وتشتمل على نواح وأعمال تحصنها.

قال في التعريف: وحدها من القبلّة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية، وحدها من الشمال نهر ليطا، وحدها من الغرب البحر الرومي. وقال في مسالك الأبصار: إن لها أحد عشر عملاً ^(٤).

الأول: عمل برها، وهو ظاهرها كما تقدم في غيرها.

(١) السمعاني: ضوء، ص ٣٠٥.

(٢) يذكر العمري في مسالك الأبصار نقلاً عن ابن الواسطي أن الذين بنوها هم طائفة الداوية، مسالك — أيمن — ص ١٣٤، والقلقشندي يذكرهم بـ [الدموية]: صبح، ج ٤، ص ١٤٩. وطائفة الداوية أو الديوية تأسست عام ١١١٩م بهدف حماية طريق الحججاج بين يافا والقدس، ثم تحولت إلى هيئة دينية حربية وقفت جهودها على حرب المسلمين. انظر: أبو شامة: الروضتين، ج ١ ق ٢، ص ٤٢١ هـ — ٢.

(٣) ويذكر أبو الفداء أنها كانت مركزاً للجيش منذ استعادها الظاهر بيبرس من الفرنج. تقويم، ص ٢٤٣.

(٤) العمري — أيمن — ص ١٣٦، وذكر القلقشندي في ضوء الصبح أن العمري ذكر أن لها ستة أعمال في التعريف، واثنًا عشر عملاً في مسالك الأبصار، ولكنه في صبح الأعشى يذكر أنها أحد عشر عملاً. انظر، الصبح، ج ٤، ص ١٥٠، ضوء، ص ٣٠٥.

الثاني: عمل الناصرة، بلدة صغيرة من جند الأردن، قال في الروض المعطار: إنها على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية. قال: ويقال إن المسيح ولد بها، وأهل القدس ينكرون ذلك. والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر وعمره يومئذ [٩٦ أ] اثنا عشر سنة نزلت به هذه القرية وهي اليوم منبع الطائفة النصرانية.

الثالث: عمل طبرية، مدينة من جند الأردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان فعرفت به، والنسبة إليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان حيث ينسب إليها طبرى. وهي في الغور في سفح جبل على ضفة بحيرتها، قال في مسالك الأبصار: ومن عمالها قدس وكان منها قديماً السواد. ويسان.

الرابع: عمل تينين وهونين، قال في مسالك الأبصار: وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة بين صور وبانياس بجبل عاملة، وجعل العثماني في تاريخ صفد: هونين من عمل الشقيف وأهل هذا العمل شيعة رافضة.

الخامسة: عمل عثليث، وهو كورة بين قاقون وعكا فيها قرى متسعة، قال العثماني: وفي آخر هذا العمل بلاد قاقون وهو آخر الأعمال الصفدية.

السادس: عمل عكا، وهي مدينة قديمة من سواحل الشام بناها عبد الملك بن مروان، وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام، وكانت الفرنج تغلبوا عليها ثم استعادها منهم السلطان صلاح الدين ثم بعد وفاته أخذها الفرنج ثم استعادها منهم قلاوون في سنة تسعين وستمائة^(١). وكانت هي مدينة الساحل قبل صفد فلما خربت أقيمت صفد مقامها.

السابع: عمل صور، مدينة قديمة بساحل دمشق وكانت من أحسن الحصون، فلما استعادها المسلمون في عام تسعين وستمائة مع عكا خربوها كي لا تصير حصناً للعدو وتمت خربة إلى الآن. ويقال إنها أقدم بلد في الساحل وأن عامة حكماء اليونان منها، وبينها وبين عكا اثنا عشر ميلاً. قال في التعريف: وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تمليكهم ليطمئنون بها وإن لا فما يصح لهم تمليك. قال: وشرطهم أن يدخلوها عنوة فلهذا لا تزال عليها الرقبة

(١) في عهد الأشرف خليل بن قلاوون، صبح، ج ٤، ص ١٥٢. وقد شارك أبو الفداء في فتحها مع الأشرف خليل. تقويم، ص ٢٤٣.

وهم على هذا يأتونها مباغته فيقضون أربهم منها بما أرادوا ثم ينصرفون، وأهل هذا العمل كلهم رافضة.

الثامن: عمل الشاغور، وهي كورة بين عكا وصفد والناصر، وبه قرى متسعة، وجعله العثماني شاغورين أحدهما شاغور النعبة^(١) وهو جبل به قرى عامرة، والثاني شاغور قرابة^(٢) وفيه عشر قرى [٩٦ ب] وبه كان مقام أولاد يعقوب عليه السلام.

التاسع: عمل الإقليم، وهو كورة بين دمشق والشغرى^(٣) والخربة^(٤) به قرى متسعة، قال العثماني: وغالب أهل هذه البلاد حاكمية دهرية دروز ينكرون الشرائع ويعتقدون التناسخ ولا يرون صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا بعثاً ولا نشوراً، ويستبيحون الميتة ولحم الخنزير ونكاح المحارم ولا يتزهدون عن النجاسة^(٥).

العاشر: عمل الشقيف، ويعرف بشقيف أرنون، وهو اسم رجل أضيف الشقيف إليه، ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير، وهو حصن بين دمشق والساحل وبعضه مغارة منحوتة وبعضه له دموز^(٦) وهو غاية الحصانة وهو أكبر أعمال صفد وأهله رافضة.

الحادي عشر: عمل جنين، بلدة قديمة متسعة مركبة على كنف واد كثيف^(٧)، به نهر ماء يجري في الشمال عن باعون^(٨) على نحو مرحلة في رأس مرج بن عامر وبه مقام دحية الكلبي الصحابي رضي الله عنه.

(١) في صبح الأعشى بدون تنقيط، ولكنها هكذا في ضوء الصبح. انظر: صبح، ج ٤، ص ١٥٣ هـ ٢؛ ضوء، ص ٣٠٦.

(٢) غرابة: صبح، ج ٤، ص ١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٦.

(٣) الشغرى: صبح، ج ٤، ص ١٥٤.

(٤) ياقوت: معجم، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٥) لم يذكر القلقشندي هذا الرأي في صبح، ج ٤، ص ١٥٤.

(٦) الصواب: سور: صبح، ج ٤، ص ١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٧.

(٧) لطيف: ضوء، ص ٣٠٧.

(٨) قاقون: صبح، ج ٤، ص ١٥٤؛ ضوء، ص ٣٠٧.

الثاني عشر: عمل اللجون، قرية في جهة الغرب عن بيسان على بشر جبل وبها عين جالوت ^(١) بارزة من الجبل وبه مقام الخليل عليه السلام.

الثالث عشر: عمل قدس، المتقدم ذكرها، قال في مسالك الأبصار: وكان معها السواد وبيسان وخرجا عنها وهي خراب على الساحل وبه قلعة كوكب التي قال فيها العماد الأصفهاني راسية راسخة شماء شامخة، وقلعة الطور وهي قلعة على جبل الطور التي هناك بناها العادل بن أيوب ثم تغلب عليها الفرنج فهدمتها.

(١) وسميت بعين جالوت للاعتقاد بأن نبي الله داود قتل بها جالوت زعيم الجبارين. ياقوت: معجم، ج٣،

القاعدة السادسة

الكرك

وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها منه، قال في تقويم البلدان من البلقاء ظناً^(١)، وهى وأعمالها من الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في مسالك الأبصار: وهى مدينة محدثة البناء كانت دير يديره رهبان ثم كثروا فكثرت بناؤهم به^(٢) وأوى إليهم نصارى جاورهم فقامت به الأسواق ودارت لهم فيه المعاش وأوت إليهم الفرنج فأداروا أسواره وصارت مدينة عظيمة ثم بنوا به قلعة حصينة عظيمة وبقي الفرنج مستولين [٩٧ أ] عليها حتى فتحها العادل أبى بكر^(٣) كما تقدم، قال في التعريف: وكانت الفرنج عملت^(٤) فيه مراكب ونقلها إلى بحر القلزم لقصد الحجاز الشريف لأمر سولتها لهم أنفسهم من قصد الحجاز فأوقع الله بهم العزائم الصلاحية بن أيوب فقبض عليهم وحملوا إلى منى فتحروا بها على جمرات العقبة حيث تنحدر الإبل^(٥) واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ واتخذها الملوك حزراً وكثراً ولم تزل الملوك في الزمن المتقدم يستخلفون بها أولادهم وهى بلد خصيب وتحتها [بواديه حمام]^(٦) بساتين وفواكه كثيرة، ولها نواح وأعمال، قال في التعريف: أن حدها من القبلية عقبة الصوان وحدها من الشرق بلاد البلقاء، وحدها من الشمال بحيرة سدوم، وحدها من الغرب تيه بنى إسرائيل.

وتشتمل على أربعة أعمال:

الأول: عمل برها كما فى غيرها من القواعد.

الثانى: عمل الشوبك، قال فى تقويم البلدان: وهى من جبل السراة، وهى بلدة صغيرة داخلية فى البر أكثر من الكرك ذات عيون وجداول وفواكه مختلفة. قال فى العزيرى " وبها قلعة

(١) وهما: صبح، ج ٤، ص ١٥٥؛ ضوء، ص ٣٠٧.

(٢) ثم كثروا فكبروا بناءه وكثروا أبناءه: المسالك، ص ١٣٩؛ وقد ذكر هذا أيضاً القلقشندي بدون إسناده إلى مصدره، صبح، ج ٤، ص ١٥٥.

(٣) العمري — أئمن — ص ١٣٩، وفى الصبح [حتى فتحه صلاح الدين على يد أخيه العادل] ج ٤، ص ١٥٦.

(٤) عملوا: التعريف، ص ٢٣٧.

(٥) البدن: صبح، ج ٤، ص ١٥٦. أبو شامة: الروضتين، ج ٣، ص ١٣٨.

(٦) فى الأصل: واديه، والعبارة من، صبح، ج ٤، ص ١٥٦.

مبنية بالحجر الأبيض على تل أبيض مرتفع مطل على الغور من شرقيه ^(١) وينبع من تحتها عينان تجريان إلى الآبار، ومنهما يشرب أهلها وبساتينها.

الثالث: عمل زغر، مدينة قديمة متصلة بالبادية بنتها زغر بنت لوط عليه السلام فسميت

بها.

الرابع: عمل معان، قال في تقويم البلدان: على مرحلة من الشوبك.

(١) القلقشندي يرجعه إلى ياقوت وأغفله صاحب الثغر، صبح، ج ٤، ص ١٥٧.

الباب الثالث

مما أضيف إلى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من الأقطار الحجازية
وما صاقبها وهي على أربع جهات ^(١):

الجهة الأولى

مكة

كما نطق به القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ ^(٢) سميت بذلك لقلة مائها أخذاً من قولهم " أمتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه " ويقال فيها أيضا " بكة " بالباء كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ ^(٣) أخذاً من البك وهو الدق لأنها تبك أعناق الجابرة إذا بغوا فيها [٩٧ ب].
وقيل بالميم الحرم كله، وبالباء المسجد، وقيل بالباء موضع الطواف، ولها ستة عشر اسماً ^(٤).

وهي من جملة الحجاز، وقيل من تمامه ورجحه في تقويم البلدان وموقعها وأعمالها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة، وهي مدينة في بطن واد والجال محفة بها وجبل أبو قبيس يشرف عليها من شرقها، وأجباد ^(٥) يشرف عليها من غربيها، والكعبة الحرام بوسطها، قال في الروض المعطار: وسعتها من الشمال إلى الجنوب نحو ميلين، ومن أجباد إلى ظهر جبل قُعيْقَعَان ^(٦) مثل ذلك. والحرم مطيف بها من جميع جوانبها ومقاديره متفاوت في القرب والبعد عن مكة

(١) عدد القلقشندي جهاتها بثلاث، وأطلق عليها قواعد. صبح، ج ٤، ص ٢٤٨، ضوء، ص ٣٠٨.

(٢) الفتح، الآية ٢٤.

(٣) آل عمران، الآية ٩٦.

(٤) لم يذكر صاحب الثغر هذه الأسماء الستة عشر، وقد عدها القلقشندي وهي [مكة، بكة، أم القرى، البلد

الأمين، أم رحم، صلاح، الباسة، الناسة، النساسة، الحطامة، الرأس، كوثي، القدس، القادس، المقدسة].

صبح، ج ٤، ص ٢٤٩.

(٥) يقصد به أحد الجبال بمكة، وسمى بذلك لموضع خيل الملك اليمنى تبع منه، أو لأنها جادت بالخيول، أو

لكونه المكان الذي أطاع الله فيه الجياد لسيدنا إسماعيل. انظر: ياقوت: معجم، ج ١، ص ١٠٤ — ١٠٥؛

الفاكهى: أخبار مكة، ج ٥، ص ١٤٤ — ١٤٥؛ القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٥٠.

(٦) وسمى قعيْقَعَان لأن قبيلة جرهم كانت تضع أسلحتها به فكانت تقعقع، أو لأن قبيلتي قاطوراء وجرهم

تقاتلتا فيه. ياقوت: معجم، ج ٤، ص ٣٧٩.

وعلى حدوده أعلام منصوبة. قال الزبير بن بكار: إن أول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان بن أد خوفاً من الاندراش والتغير.

ومن حدوده المشهورة التنعيم^(١)، والحديبية، والجعرانة^(٢). قال ابن حوقل: وليس بمكة والحرم شجر يثمر إلا شجر البادية. وإن البيت بنى سبع مرات أولها بناء الملائكة، والثاني بناء إبراهيم عليه السلام، وآخره بناء الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر عبد الملك بن مروان. وقال الصلاح الصفدي في تذكروته: بنيت الكعبة خمس مرات، الأولى لما بناها شيث عليه السلام، والثانية لما بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام على القواعد الأولى، الثالثة لما بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، الرابعة حين أحرقت في عهد الزبير من شرارة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت فشاوّر ابن الزبير من حضره في هدمها وإعادة فقالتوا نرى أن تصلح ما وهى منها ولا تقدم. فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح ولا يكمل إصلاحها إلا هدمها فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم عليه السلام فأمرهم أن يزيدوا في الحفر فحركوا حجراً فرأوا تحته ناراً وهولاً أفرعهم فأمرهم أن يقووا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر، وقيل إنه سترها حين وصل إلى القواعد وطاف الناس بتلك الأستار فلم تخلُ قط من طائف.

ولما استتم بناؤها ألصق بابها بالأرض وعمل لها باباً آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها وذلك لحديث حدثته به خالته [٩٨ أ] عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " ألم تر قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة " ثم قال عليه السلام: لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها [خلفاً]^(٣) وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر "، قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة.

(١) ذكره القلقشندي في صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٥٦، ولكنه لم يذكره في ضوء الصبح، ص ٣٠٩. وقد ذكر أن سبب التسمية راجع إلى أن على يمين هذا الموضع جبلين أحدهما عن يمينه يسمى نعيم، والآخر عن يساره يسمى ناعم والوادي بينهما يسمى نعمان. وعن ذلك انظر: ياقوت: السابق، ج ٢، ص ٤٩؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج ٥، ص ٥٨.

(٢) هو موضع بين مكة والطائف، ولكنه إلى مكة أقرب. القلقشندي: صبح، نفسه.

(٣) بياض في الأصل، وما بين الحاصرتين من، مسالك — أحد زكى — ص ٩٥.

فلما قام عبد الملك قال: لسنا من يخلط أى حديث بشيء. فهدمها وبنها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث القباع^(١) وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة رضى الله عنها بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت في الأرض بمخصره في يده ويقول وددت أنى [كنت حملت ابن الزبير من بناء الكعبة ما تحمل]^(٢). فهذه المرة الخامسة.

ولما قام أبو جعفر المنصور^(٣) أراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير، فقال له مالك بن أنس: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة الملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيته من قلوب الناس. فصرفه عن رأيه فيه.

وقيل إن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لما بناه بناه من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهى طور سيناء، وطور زنبأ الدين بالشام، والجودى وهو بالجزيرة، ولبنان، وحران. وقد شاكل هذا المعنى، إذ كانت الكعبة قبله للمسلمين، أن تكون الصلوات خمسا، وبني الإسلام على خمس.

وارتفاع البيت خمسة وعشرون ذراعاً، وبين الحجر الأسود والركن الشامى أربعة وعشرون ذراعاً، وبين الركن الشامى والركن الغربى وهو جانب الحجر أحد وعشرون ذراعاً، وبين الركن اليمانى وبين الحجر الأسود عشرون ذراعاً أنقص من مقابله بذراع.

ثم مكة قرى ومخاليف، وأكثر جبالها وأوديتها معمورة مسكونة ذات عيون جارية وحدائق محدقة، والمشهور منها عشرة أماكن:

الأول: جدة، فرضة مكة على بحر القلزم بالغرب من مكة بميله إلى الشمال على مرحلتين منها، وبينهما [٩٨ ب] أربعون ميلاً وهى الآن^(٤) لم تكن فى الفرض أعمر منها ولا أكثر منها تجاراً ولا بهاراً، أعمارها مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى نصره الله تعالى فى

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى القباع كان عاملاً لابن الزبير على الكوفة. الطبرى: تاريخ الرسل، ج ٦، ص ١٣٥.

(٢) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٢٥١. وددت أنى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك. مسالك، ص ٩٧.

(٣) يذكر العمري أن ذلك كان هارون الرشيد. السابق، ص ٩٩.

(٤) غير واضحة فى الأصل.

عام ثمان وعشرين وثمانمائة^(١)، ونشر فيها لواء العدل وبسط يد الإحسان فتسامعت تجار الأقاليم بذلك، وصارت التجار يأتونها بالمراكب في وقت معلوم من السنة عند ظهور الريح^(٢) فيبيعون ويتاعون ويقايضون من كل صنف، وهم في كل سنة يزيدون.

الثاني: بطن نخل، ويقال فيه وادي نخلة، والجاري على السنة الناس نخلة، قال الجوهري: وبه كانت العزى^(٣) التي [هي]^(٤) أحد طواغيت قريش.

الثالث: بطن مرو^(٥)، وهو واد في الشمال عن مكة على نحو مرحلة، فيه عيون تجري ونخيل وأشجار، والمر ذرع متصل من وادي نخل إليها.

الرابع: الهدة، وهو واد على القرب من بطن مر، وعلى مرحلة ونصف منها.

الخامس: عسفان، على ثلاثة مراحل من مكة، به عيون وحدائق، والماء منصب إليها من الهدة.

السادس: البرزة، على مرحلتين من مكة.

السابع: خليص، واد على طريق حجاج مصر، على أربع مراحل من مكة.

الثامن: واد كلية، بالقرب من خليص، وقد خرب بعد الثمانين وسبعمائة.

التاسع: الطائف، قيل سميت بذلك لأنها في طوفان نوح عليه السلام انقطعت من الشام وحملها الماء وطاف بالأرض وأرست بهذا المكان^(٦) واسمها القديم " وج " اسم رجل من العمالقة، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطاً مطيفاً بها فسميت الطائف، وهي بلدة كثيرة الفواكه طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد.

(١) عن ذلك انظر فيما بعد ص ٤٧٥، هـ ١.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) القرى: ضوء، ص ٣٠٩.

(٤) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٥) الصواب: مرّ: صبح، نفسه، ضوء، نفسه.

(٦) أرست في هذا الموضع: صبح، ج ٤، ص ٢٥٨.

العاشر: مر الظهران، وبينه وبين مكة ستة عشر ميلاً، وهو الذي نزل به النبي صلى الله عليه وسلم حين فتحه ^(١) مع قريش، وكان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب، قال في السروض المعطار: وبه حصن كبير كان يسكنه شكر بن الحسن. يعنى أمير مكة.

الجهة الثانية

المدينة الشريفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والمدينة اسم غلب عليها وبه نطق القرآن الكريم في قوله [١٩٩] عز وجل ﴿وَمِنَ حَوْلِكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ^(٢) وقوله ﴿لَن نَّ رَجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ ^(٣). واسمها القديم يثرب كما قال عز وجل ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ ^(٤)، قال ابن كثير في تفسيره: إن حديث النهي عن تسميتها بذلك ضعيف. قال الزجاجي: وسميت بذلك لأن أول من سكنها يثرب بن قانية بن أرم بن عثيل بن عوف بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ^(٥).

وسماها الله الدار بقوله ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ^(٦)، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم " طابة " و " طيبة " ولها أسماء غير ذلك، قال في تقويم البلدان: وهي من الحجاز وقيل من نجد وموقعها قريب من وسط الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة. قال صاحب الهناء الدائم: إن أول من بناها تبع الأول حمير حين اعلمه من معه من الكهنة أنه يظهر نبي في آخر الزمان اسمه محمد فبناها وأسكن بها جماعة من العلماء، وكتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه إيمانه به قبل ظهوره وأودعه عند كبير تلك العلماء فتناقله عقبه واحداً بعد واحد حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلاقى [بعض أولاد ذلك العالم] ^(٧)

(١) الصواب: صلحه، صح، ج ٤، ص ٢٦٠، ضوء، ص ٣١٠.

(٢) التوبة، الآية ١٠١.

(٣) المنافقون، الآية ٨.

(٤) الأحزاب، الآية ١٣.

(٥) قال الزجاجي: وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عييل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح، صح، نفسه.

(٦) الحشر، الآية ٩.

(٧) ما بين الحاصرتين من صح، ج ٤، ص ٢٨٧.

النبي صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ودفع الكتاب ^(١) إليه صلى الله عليه وسلم ". وقيل في بنائها غير ذلك.

وهي مدينة مبسوطة ^(٢) في مستو من الأرض، وكان عليها سور في القديم، وبخارجها خندق حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب. وفي عام ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجعدي سوراً منيعاً باقياً عليها إلى الآن ^(٣)، وفيها أربعة أبواب ^(٤)، باب في الشرق، وباب في الغرب، وباب بين الشمال والغرب، وباب يخرج منه إلى أحد.

وبظاهرها عيون جارية وحدائق رائقة ^(٥)، وبوسطها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبه الحجرة الشريفة وبوسطها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، دائر عليهم مقصورة مرتفعة إلى نحو السقف عليها سترين من حرير، وخارج المقصورة بين القبر والروضة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه أن ما بينها [٩٩ ب] ومنبره روضة من رياض الجنة.

ثم بالمدينة حمى ومخالف، أما حماها فهو الذي حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه، قال في الروض المعطار: وهي اثنا عشر ميلاً. وخارج بابها الشرقي البقيع وفيه قبر السيد إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر الحسن بن علي، والعباس بن عبد المطلب، وعثمان بن عفان، والإمام مالك بن أنس رضي الله عنهم. وأما مخالفها، فالمشهور منها سبعة ^(٦):

الأول: قباء، قال في الروض المعطار: وسميت بذلك لبئر كانت هناك اسمها قباء. وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها وبها مسجد التقوى الذي أنزل الله فيه " لمسجد أسس على التقوى "

(١) انظر نص الكتاب في صبح، ج ٤، ص ٢٨٦ — ٢٨٧.

(٢) متوسطة، صبح، ج ٤، ص ٢٨٧، ضوء، ص ٣١١.

(٣) وقد جدد ذلك الباب عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧٢ هـ. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٨٧.

(٤) لم يذكر القلقشندي في صبحه غير باين، ج ٤، ص ٢٨٧، ولكنه في ضوئه ذكر ما ذكره صاحب الشعر، ص ٣١١.

(٥) زاهية، ضوء، نفسه.

(٦) ثمانية مخالف: صبح، ج ٤، ص ٢٩٠؛ ضوء، ص ٣١١ — ٣١٢.

الثاني: خير، بلدة قريبة من المدينة في جهة الشمال والشرق على نحو ست مراحل وقيل أربعة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري.

الثالث: فذك، بلدة على يمين من المدينة، قال الزجاجي: سميت بذك بن حام وهو أول من نزلها.

الرابع: الصفراء، واد على ست مراحل من المدينة كثيرة المياه والحدائق والمزارع.

الخامس: ودان، واد به قرى كثيرة وخرب غالبها.

السادس: الفرع، وهو واد في جنوبي المدينة على أربعة أيام^(١) منها وهو يشتمل على عدة قرى أهلة وماؤها يصب في رابع^(٢).

السابع^(٣): وادي القرى، قال في الروض المعطار: وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون.

الجهة الثالثة

ينبع

قال في تقويم البلدان: قد غلب إدخال الألف واللام عليها فيقال ينبع. قال في الروض المعطار: وهي تسعة برد من المدينة، ولها فرضة على بحر القلزم على نحو مرحلة منها. وبها العيون والحدائق وأنواع الخضراوات وبناتها مستحدثة، وفرضتها من أحسن الفرض وأعمرها.

مهمة: ما دخل في حدود ديار مصر فيقال بالديار المصرية، وحدود الشام فيقال بالبلاد الشامية، وعمل الفرات فيقال بالأعمال الفراتية، وأقطار الحجاز فيقال بالأقطار الحجازية، والفرضة بمقام المنية من مرسى المراكب بها وهي مجمع التجار وأخذ الموجبات، والثغور هي سواحل التجار [١٠٠ أ] وأطراف بلاد الإسلام.

(١) أميال، ضوء، ص ٣١٢.

(٢) هو أحد المواقع التي يقطعها الحجاج بين مكة والمدينة. ياقوت: معجم، ج ٣، ص ١١.

(٣) ذكر القلقشندي أن المخلاف السابع [الجار: قال في اللباب بفتح الجيم وألف وراء مهملة، وهي فرضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها، قال ابن حوقل: وبينها وبين ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل منه عن أيلة على نحو عشرين مرحلة.]، صبح، ج ٤، ص ٢٩١.

الجهة الرابعة

مراحل الحجاز

الموصلة من القاهرة إلى مكة والمدينة

اعلم أنهم لما جعلوا مسافة البريد مقسومة بمنازل مقررة محورة جعلوا مراحل الحج بأماكن معلومة محورة لا يمكن التقاصر عنها ولا تعديها على مناهل معروفة بأوقات مخصوصة في الذهاب والإياب وهي:

أولها الريدانية ثم إلى بركة الحجاج ثم إلى البويب^(١) وإلى الطليحات وإلى المنفرج ثم إلى مراكع موسى^(٢) ويسموا بالساجد ويسموا بالمصانع^(٣)، ثم إلى عجرود^(٤) وبها بئر ومصنع ماء عمارة الأمير شيخون، ثم إلى المنصرف وإلى وادي القباب وهو كثير الرمل عسير السلوك من رأس الثغرة ثم إلى تيه بني إسرائيل وهو واد فسيح معطش، ثم إلى روض الكباش ويسمى مفرش النعائم وإلى نخل^(٥) وبها ماء طيب، ثم إلى أبيار العلاء ويسقيها بئر بيدرا ثم إلى تمد الحصا^(٦) ويسمى العرقوب، ويقال عرقوب البغلة، ثم إلى سطح العقبة مرحلة متعبة للصعود والهبوط وهي على جانب بحر القلزم، فيها ماء طيب من الحفائر وبئر تعرف ببئر العقبة وهي ربع الطريق، ثم إلى جبل على جانب البحر أيضاً فيه ماء طيب من الحفائر ويسمى بدوار حفن وإلى عش الغراب، ثم إلى رأس الشرفة وإلى المطلة وتعرف بوادي الشربة ويسمى وادي عفان، وإلى مغارة شعيب وبها ماء ومصنع، ثم إلى ذات الرخيم وتعرف بقبر الطواشي وإلى العيون وبها مياه

(١) البويب من البلاد المدرسة، كانت مدخل أهل الحجاز لمصر، وتقع بسياء. محمد رمزي: القاموس، ق ١،

ص ٣٤

(٢) مراكع موسى: من البلاد المدرسة، كانت تقع في موضع قريب من السويس. محمد رمزي: القاموس،

ق ١، ص ٤٠٩.

(٣) المصانع هي ما يصنعها الناس من الآبار والأنية، ومصنع الماء هو الخوض الذي يتجمع فيه الماء وهو يشبه

الصهرج. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢١١.

(٤) عجرود: من البلاد المدرسة، من محطات الحج المصرية على بعد ٢٠ كم من الشمال الغربي للسويس.

ياقوت: معجم، ج ١، ص ٢٩٢؛ محمد رمزي: السابق، ق ١، ص ٣٢١.

(٥) نخل: إحدى مدن سياء. محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٦) تمد الحصا: إحدى مدن سياء. محمد رمزي: السابق، نفسه.

نابغة وأقصاب نابغة، ثم إلى الشرمة ثم إلى المويلحة وبها آبار ثم إلى المدرج المجاور لبحر القلزم، وبه حفائر ثم إلى مقام سيدى مرزوق وإلى حدرة دامة ويسمى الأثيلات ثم إلى الأزم به آبار بها ماء ردىء مهمل وهى نصف الطريق، ثم إلى سماوة ثم إلى رأس وادى عنتر ويسمونها الإسطبل ثم إلى وادى الأراك ثم إلى الوجه وبه آبار قليلة الماء يقال إنه إذا طلعت الشمس عليه هرب وقيل فيه:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه بغير حياء

ثم إلى المخاطب ويسمى بالنهدين وإلى أكرى وإلى رأس القاع الصغير ويسمى الحبك [١٠٠ ب] ثم إلى قبر القروى من غير ماء، ثم إلى كلخا ثم إلى القاع الصغير وإلى الحوراء وبها ماء عذب وبها جزيرة تلى على جانب البحر، ثم إلى العقيق^(١) وهو مضيق، ثم إلى مغارة نبط وبه آبار حلوة ثم إلى وادى النور ويسمونه الطراطير وإلى قبر أحمد الأعرج الدليل وإلى آخر وادى النور، ثم إلى رأس السبع وعرات، ثم إلى دار ابن البقر، ثم إلى ينبع وهى نصف وربع الطريق، ثم إلى الذهبية وإلى واسط وإلى المخاطب فى الوعر، ثم إلى رأس وادى بدر ثم إلى رأس قاع البزوة ويسمى عاج، ثم إلى رملة البستان، ثم إلى الحريبات ثم إلى رابع وهى تقابل الجحفة وبها يحرم الحاج، ثم إلى قديد^(٢) ثم إلى عقبة السوق، ثم إلى خليص^(٣) وبها ماء نازل من جبل يتحصل بجرة هناك بوسطها قبة إنشاء الملك المؤيد شيخ وهو أطيب مورد الحاج، ثم إلى مدرج على وإلى عسفان^(٤) وهو كثير الوعر وبها البشر التى تفل فيها النبی صلى الله عليه وسلم ثم إلى المنخا وإلى الأجرعى ثم إلى بطن مر وبه عيون وحدائق، ثم إلى المساجد ثم إلى مكة المشرفة ثم إلى منى ثم إلى عرفة وإليها يصعدون، وبعرفة حفرت آبار من مال مولانا السلطان المالك الأشرف برسبای أعز الله أنصاره بمباشرة الأمير أرنيغا^(٥) ثم العود على المزدلفة وبها المشعر الحرام ثم إلى منى ثم إلى سبيل [الخروجي] ونعود على المنازل المتقدم ذكرها إلى أن نصل وادى الصفراء وبه عيون

(١) هو أحد الأودية القريبة من المدينة. ياقوت: السابق، ج ٤، ص ١٣٨.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. ياقوت: معجم، ج ٤، ص ٣١٣.

(٣) الخليص: حصن بين مكة والمدينة. السابق، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٤) عسفان: أو الأبواء، وسميت عسفان لتعسف السيل بها. السابق، ج ٤، ص ١٢١.

(٥) هو الأمير سيف الدين أرنيغا اليونسي الناصري، أحد ممالك الناصر فرج بن برقوق، تأمر فى دولة

الأشرف برسبای حج وجاور أكثر من مرة، ت ٨٥٧ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٦، ص ١٦٣.

وحداثق، ثم إلى وادى بنى سالم ثم إلى الحديدية وإلى قبور الشهداء ثم إلى وادى الغزالة ثم إلى القرين ثم إلى أبيار على وبها ماء طيب ثم إلى المدينة الشريفة ومن شاء ذهب إليها من ينبع إلى رأس نقب على عند طرف الجبل ثم إلى وادى الصفراء.

أما المناهل فهي عشرة:

وإقامة الحاج بها متفاوتة فالأول العقبة والإقامة بها ثلاثة أيام، والعيون يوم واحد، والأزلم نصف يوم، والخوراء نصف يوم، والينبع ثلاثة أيام، ورابغ بقدر أهبة الإحرام بعد بطن مر نصف يوم، مكة من أسبوع إلى عشرة، منى نصف يوم، عرفة يوم، وفي العود منى أيام التشريق، وبدر يوم، والمدينة ثلاثة أيام، والبقيع ثلاثة أيام.

القسم الرابع

فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبره وما يصرف من قلمه وبيان
ترتيب ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن

[١٠١ أ] وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فيما يتصرف فيه بنظره وحسن تدبيره

وهو يشتمل على عشرة أنظار:

النظر الأول

النظر في الرسل المتوجهين من سلطانه إلى ملوك الأرض شرقاً وغرباً

فيجب أن يوقظ سلطانه على أن يكون الرسول المجهز من باب سلطانه تام العقل، فصيح اللسان، حسن الشكل، قوى الحججة، عارفاً، ذكياً، ديناً _ ليؤمن من تعاطى ما يوجب إفشاء سر كتمه أو أمر يحمله _، وأن يكون خبيراً بمواقع الأمور وكثرة التجارب. فقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار الرسل من خواص أصحابه لتأدية كتبه إلى الملوك، فبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، ودحية الكلبي _ وكان أجمل أهل زمانه إلى هرقل، وحاطب بن أبي لهيعة ^(١) إلى المقوقس، وعمر بن أمية الضمري إلى النجاشي، وغيرهم على ما ذكر في السيرة النبوية، ووقع لهم ما هو المشهور من التدبير وعلو الهمة والأجوبة المفحمة.

حكى ابن عبد الحكم: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جهز ابن أبي لهيعة ^(١) إلى المقوقس فدخل عليه وأوصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه وقال لحاطب: ما يمنع نبيكم أن يدعوا علي فيسلط علي؟ فقال له حاطب: فما منع عيسى أن يدعوا علي من أبي عليه! فوجم لها ساعة ثم استعادها فأعادها عليه فسكت.

ولما سأله عن حرب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فذكر أن الحرب تكون بينهم سجالات، تارة له وتارة عليه. فقال له المقوقس يقصد الاستفهام: النبي يُغلب؟ فقال له حاطب: والإله يصلب! مشيراً إلى اعتقادهم من أن عيسى إله، وهم من زعم إنه صلب وقتل فأفحمه الجواب. وأن الملوك تصغي إلى رسلهم فيما يبدونه لهم من خير [١٠١ ب] أو شر.

(١) الصواب: بلتعة.

النظر الثاني

النظر في أمر البريد

قال المطرزي: البريد في الأصل الدابة، ثم سمي به الرسول المحمول عليها، ثم سميت به المسافة المشهورة. وقيل البريد لغة هو مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلا، وقدره الفقهاء بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهر إحداهما لبطن الأخرى، والشعيرة سبع شعرات بشعر البرذون أو البغل.

وقال الجوهري: "حمل فلان على البريد"، أي البريد المرتب، ويطلق على الرسول، وهو مشتق من "بردت الحديد" إذا أرسلت ما يخرج منه، أو من أبردته إذا أرسله، وقيل من برد إذا ثبت لأنه يأتي بما استقر عليه الحال. وذهب بعضهم إلى إنه فارسي معرب، وهو من مهمات المملكة وجناح الإسلام الذي لا يقص، وطرف قادمته التي لا تخص.

والبريدى في زماننا علم على واحد من المستعربين من الجند قائم في الخدمة بمصر أو الشام لتلقى ما يؤمر به من التوجه في مهمات الأمور أو خلاص الحقوق فينبغي لكاتم السر أن يتابع النظر في أمره إذا كان مرتباً في طول المسافة وقربها. ولا يصرف في البريد إلا من تثبت عنده كفاءته، ويكون عارفاً لاحقاً بصفة الرسل المتقدمة فإنه ربما اطلع على شيء من أسرار المملكة وخفايا أمورها، وإنه ربما أسند إليه أمراً ما ظنيا فحسن فيه التصرف، فإذا كان منافياً لهذه الصفات يوشك أن يخطئ أو يزل فيحصل من خطئه وزله مفساد.

وكان بمراكز البريد رجال وخيول كاملة العدة لها أمراء أخورية وشادين^(١) قائمين في استخراج المعاليم والخيول والعلوفات والآلات. وكانت للبرد ألواح من نحاس، وربما كانت من فضة بقدر راحة الكف منقوش على أحد وجهيه "لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"، وعلى الوجه [١٠٢ أ] الثاني ألقاب ذلك الملك، وإن كان بالمملكة الشامية كان على اللوح اسم نائب تلك المملكة المتوجه منها. ويجعل عليه شراية من الحرير الأصفر يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل الشراية بين كتفيه،

(١) الشاد: معناها يرادف كلمة التفتيش، وتضاف إلى الوظيفة أو الجهة المراد تفتيشها مثل شاد الجوالى، وشاد الدواوين وغيرها. حسن الباشا: الفنون، ج ٢، ص ٦١١ - ٦١٣؛ البقلى: التعريف، ص ١٩٣.

وتلك الألواح عند كاتب السر فإذا استقر أحد على البريد دفع إليه لوح منها وكتب له ورقة بخطه إلى أمير أخور البريد بالإسطبلات الشريفة بما تبرز به المراسيم من الخيل ويكتب اسمه سطرين بذيل المثال الذي على يده ويكتب له ما يحتاج إليه من الخيول والمضافات وإذا عاد يعيد اللوح، وكانت الصدقات الشريفة جارية عليهم بكفائتهم من كل صنف.

قال في التعريف: إن البريد كان في زمن الأكاسرة والقيصرية. قال العسكري: وأول من وضعه في الإسلام معاوية بن أبي سفيان حين استقرت له الخلافة، وقيل عبد الملك بن مروان. وقال في التعريف: إن الوليد بن عبد الملك كان يحمل عليه الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق حين صفح به حيطان الجامع ومساجد مكة والمدينة والقدس، ثم انقطع إلى آخر أيام المهدي حين أغزى ابنه هارون الروم وأحب أن يطلع على أخبار ابنه كل وقت فرتب فيما بينه وبين ابنه البريد فكان يأتي بأخباره كل يوم، ولما عاد هارون قطع أبوه ذلك وبطل إلى أن تولى هارون الرشيد الخلافة رتب البريد على ما كان عليه في أيام بني أمية، وكان لا يجهز عليه إلا الخليفة أو صاحب الخبر. ولما دخل المأمون بلاد الروم ونزل بنهر الأردن^(١) وكان الزمان صيفاً فقعد على النهر ودلى رجله فيه وشرب منه فاستعذب ماءه فقال لمن حوله مستفهماً: ما أطيب ما شرب عليه هذا؟ فتكلم كل أحد بما عنده فقال: أطيب ما شرب عليه هذا رطب إزاد^(٢). فقالوا يعيش أمير المؤمنين حتى يأتي العراق فما استتم الكلام إلا والبريد أتت به إليه، فسر بذلك، فأكل منه وأمعن، وشرب من ذلك الماء، فتعجب الحاضرون لبلوغ أمنيته في مجلسه، فلم يقم المأمون إلى أن حم حمى كانت [١٠٢ ب] فيها منيته.

وتم البريد إلى حين علو بني بويه على الخلافة أبطلوه واستعملوا الساعة، فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت النجاة ودام ذلك بينهم إلى أيام الظاهر بيبرس البندقداري فاجتمع له أمر مصر والشام وحلب والفرات، وجهز عسكراً إلى الشام بسبب التتار وقصد أن تأتي الأخبار إليه في كل يوم وليلة فقرر البريد لذلك على ما كان عليه. واعتنى الملوك به إلى أن غشى

(١) الصواب: البزندون، من المتعارف عليه أن المأمون كان جالساً على نهر البزندون، ولكن في التعريف ذكرها البرذون وهي تصحيف وعن وفاة المأمون انظر: الطبري: تاريخ الرسل، ج ٨، ص ٦٤٦ — ٦٤٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٢٨؛ العمري: التعريف، ص ٢٤٠؛ لي سترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٦.

(٢) إزاد: التعريف، ص ٢٤١.

الملك^(١) بلاد الشام في أيام الناصر فرج في عام أربع وثمانمائة فبطل البريد من مصر والشام، وله مراكز مؤبدة إلى الآن لم يكن بها خيل ولا رجال، وإنما صارت لمعرفة المسافة". قال في التعريف: ومراكز البريد ليست على التحرير بل متفاوتة، تارة لبعدها، وتارة للأنسة. وقد تكلم في التعريف على مراكزها بجميع الممالك في ستة أوجه^(٢).

النظر الثالث

النظر في أمر السعاة والنجاة وحاملي الملطقات والجواسيس

ولا يستعملون إلا عند اختيار عدم توجه البريد، وأول من أتخذ السعاة عضد الدولة بن بويه^(٣) على ما تقدم لأنه كان يخفى أخباره عن الخلافة، وكان لبني بويه كل الاعتناء بالسعاة. ثم هم في زماننا على ذلك، وهم متحضرون في عدة معلومة بمصر وبكل مملكة من الممالك الشامية، ولكل مملكة نقيب قائم عليهم فيما يطلبون منه ويحمل دركهم، ولهم قوة على السير حتى إن منهم من يصل من دمشق إلى مصر في أسبوع واحد مع راحة، ولهم معلوم على تسفيرهم إلى كل مملكة يستأديه لهم نقيبهم من ديوان الخاص حتى لا يتأخر أحدهم بعد تناوله الكتب لحظة واحدة.

أما النجاة، فإنه أول من أتخذهم للسير في مهمات الأمور ملوك الدولة الزنكية حين أهمل أمر البريد ولم يكتفوا بالسعاة على ما تقدم، ثم هم أيضاً في زماننا على ذلك، وهم جماعة من عربان الشرقية هجانة بالمناخات الشريفة، ولهم مقدم من جنسهم حاملاً لدركهم وهم أجد من

(١) قام تيمورلنك بغزو الشام عام ٨٠٣ هـ عهد الناصر فرج خرب فيه جيش تيمور الشام وهزم الجيش المملوكي وارتكبت خلال ذلك الاجتياح من القذائع ما حفلت به مصادر التاريخ المعاصر، ثم تم الصلح بين الناصر فرج وتيمورلنك عام ٨٠٥ هـ. انظر: المقرئ: السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٠٤٦ - ١٠٥١ ؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ١٩٤ وما بعدها؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٢، ص ٢٢١، وما بعدها.

(٢) عن مراكز البريد التي ذكرها العمري. انظر: التعريف، ص ٢٤٢ - ٢٥٣.

(٣) هو عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه، أشهر ملوك بني بويه واتسع ملكه حتى شمل الموصل والجزيرة، حكم من عام ٣٦٧ إلى عام ٣٧٢ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٤، ص ٥٠، ت رقم ٥٣٢.

السعاة لأن الهجن [١٠٣ أ] أسرع في السير من غيرها وربما جهز اثنين في الشغل المهم لقوة العزم ولهم تسافير معلومة على ديوان الخاص كالسعاة.

وأما حاملي الملطفات والجواسيس فيكونوا من اختيار رأى الملك أو صاحب دواوين الإنشاء، وله أخبارهم والإطلاع على تدبيرهم لأن العين أو الجاسوس إنما يجهز إلى العدو بخلاف غيرهما وإن كاتم السر لا يصرف منهم إلا من يثق به وعلم منه الصدق واليقظة والذكاء والفراسة التامة والحدس الصائب وكثرة الدهاء والمكر والحيل والخديعة والبهتان وله دربة بالأمور ومعرفة بالأسفار وخبرة بالبلاد وبطرقها، ولا يكون غريباً ويكون عارفاً بلغة أهل البلاد المتجسسها شبيهاً بأشكالهم حتى يندرج فيهم ويهم أمره عليهم ويعلم منه الصبر إلى ما قد يقدر عليه إن ظفر به، ويُختبر رأياً بالعين فيما يقصد الدخول فيه من تطور شكل أو فعل جديد أو أمر أو مكر أو دهاء. فإن وجده كاتم السر متطبعاً قابلاً عرض فعله على سلطانه فإن لاق صرفه وإن لا يستعوضه.

قيل دهات العرب في الإسلام سبعة، معاوية بن أبي سفيان، وزيد بن أبيه^(١)، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد بن عبادة^(٢)، وحاجب بن زرارة^(٣)، والأحنف بن قيس^(٤).

(١) زيد بن أبيه: هو زيد بن أبي سفيان بن حرب، أخقه معاوية بن أبي سفيان بنسب أبيه، فغلب اسم زيد بن أبيه على اسمه، وقيل زيد بن سمية، ولد عام الفتح، وتوفي عام ٥٣ هـ. ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ٩٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٢، ص ٦٣٩، ت رقم ٢٩٨٩.

(٢) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، أحد الصحابة المجاهدين، فقد كان حامل لواء الأنصار في جيش النبي، وكان له بمثابة صاحب الشرطة، دخل مصر مع جيش الفتح، وتولى حكمها للإمام على بن أبي طالب، توفي في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان على أرجح الأقوال. الطبقات: السابق، ج ١، ص ٣٢٦؛ ابن حجر: السابق، ج ٥، ص ٤٧٣، ت رقم ٧١٨٢.

(٣) هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله التميمي، أسلم وبعثه الرسول على صدقات بني تميم، وكان زعيم القبيلة وكان يفتخر بأنه رهن قوسه لقاء مال عند كسرى الفرس. ابن حجر: السابق، ج ١، ص ٥٦١، ت رقم ١٣٦٠.

(٤) هو أبو بكر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، كان من التابعين أدرك النبي ولكن لم يصحبه، كان ممن شابعوا علياً رضي الله عنه، توفي عام ٦٧ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ٤٩٩ — ٥٠٦، ت رقم ٣٠٥.

النظر الرابع

النظر في الفداوية

وكانوا في زمن الخلفاء^(١) يعبر عنهم بالباطنية، وهم جماعة من الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق القائلين بإمامته، وهذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها ومنهم القرامطة الذين خرجوا بالبحرين ثم ظهوروا بأصبهان أيام ملكشاه السلجوقي واشتهروا بالباطنية وبالملاحدة ونزلوا مما حول طرابلس وأظهروا دعوتهم وإليهم تنسب قلاع الدعوة المتقدمة الذكر، وافترقوا إلى مستعلوية ونزارية. فالذين منهم ببلاد الشرق أخذوا بمذهب النزارية، والذين منهم ببلاد الشام أخذوا مذهب المستعلوية وصاروا سبعة من بعد [١٠٣ ب] المستعلى من الفاطميين بمصر.

واشتهروا بالفداوية ووثبوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مرات ليقتلوه بالشام فصالحهم على قلاعهم وإقامتهم بها في عام اثنين وسبعين وخمسمائة، ثم انتموا إلى ملوك مصر أيام الظاهر بيبرس البندقدارى، ودخلوا تحت أمره ومن إذ ذاك وهم بالخدم الشريفة. قال في مسالك الأبصار: إنهم يعتقدون أن من ملك مصر كان مظهرًا لهم ولذلك يتولونه ويرون إتلاف نفوسهم في طاعته لما سيكون لهم من النعيم الأكبر بزعمهم. قال: ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافه بها أعداؤه في تقاطير الأرض لأنه يرسل منهم من يقتل عدوه ولا يبالي أن يقتل بعده، ومن بُعث إلى عدو فجبن عن قتله قتلوه أهله إذا عاد إليهم، فلو هرب تبعوه وقتلوه " ويسمون أنفسهم بالمجاهدين، ويقال لكبيرهم " أتابك المجاهدين " ^(٢)، وإذا كتب في أمرهم من ديوان الإنشاء يعبر عنهم بالصقورة، وكانوا يمنعون من مخالطة الناس ومن دخول الغرباء إلى بلادهم من بيع أو شراء حتى لا يطلعون على أشكائهم، وإذا حضروا بهم يكونوا بمعزل عن الناس في قاعة قريبة من كاتم السر لا يدخل عليهم غير واحد قائم بمصالحهم موثوق به، ويختبرهم كاتم السر فيما يتطورون فيه بالمشاهدة فإن لاق أعرضهم على سلطانه، ويكون في

(١) يقصد بهم الخلفاء الفاطميين.

(٢) لقب ارتبط بمعنى الجهاد بدءاً من العصر الأيوبي، وهو يعنى كبير المجاهدين، حسن الباشا: الألقاب،

ص ١٢٤؛ البقلى: التعريف، ص ١٤.

خواص خدامه [من] يتيقظون لأمرهم، وعلى كاتب السر تفقدهم في مضيفهم وإقامتهم ويوجههم والأمر بالقيام بكفائتهم فيما يحتاجون إليه.

النظر الخامس

النظر في المهمندارية والتراجمة

وهو على ضربين:

الأول المهمندارية: جمع مهمندار بفتح الميم، وهو فارسي معرب وأصله " مهمن " ومعناه الضيف، و" دار " ممسك أى ممسك الضيف. والشرط فيه أن يكون عاقلاً عارفاً ذكياً يقطاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً في اللغتين، وغالباً يقوم نائبه مقامه في تلقى قصاص غير الملوك، وإنه إذا وردت البطاقة بورود قصاص من عند أكابر الملوك أمره كاتب السر بالملاقاة له في جماعة من المكان الجارى به العادة لأمثاله _ وغالباً يكون ذلك بأمر الملك _، ويستفهم [١٠٤ أ] المهمندار من القصاص عن موجب حضورهم، ويحضر ما على يدهم من المطالعة لكاتب السر _ إن كان _ ليكون على بصيرة فيما حضروا لأجله ثم يحضرهم بين يدي سلطانه.

وكان في الأيام الفاطمية صاحب ديوان الإنشاء هو الذى يتسلم المكاتبه مختومة فيفضها بيده ويقرؤها على الخليفة ويأمر بتزيلها والإجابة عنها، وإذا وجدها خالفت العادة في قطع الورق والألقاب أو الفواتح أو الترجمة فحص عن موجب ما خالفوا به العادة حتى يكون على بصيرة من ذلك فإنه ربما يقصد بالتغيير مقاصد أو تكون معربة عن أمر حادث. ولكاتب السر الأمر إلى المهمندار بتزيلهم بالأماكن اللائقة بهم بحسب مقام مرسلهم وكذلك مضيفهم والزام المهمندار بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد.

الثاني التراجمة: جمع ترجمان، وتفتح تاؤها وتضم، وهم بالممالك العظام قبل الإسلام^(١)، وهم على اختلاف اللغات، والملازم منهم للخدمة الشريفة في زماننا ثلاث نفر بقصد تعريب اللغة الفرنجية، وكانوا قبل الناصر فرج نفرين، أحدهما معرب عما يتلقاه من الكلام، والثاني أمين عليه حين إعادته.

والشرط فيهم أن يكونوا مسلمين واطنين بأقوى جانب من الأمانة والمناصحة والصدق ومنع الغرض وملازمة الخدمة، ويقدم فيهم السابق بالإقامة في بلادنا بحسن السيرة وإخلاص

(١) بياض في الأصل.

المناصحة، وإذا وردت كتب من طوائف الفرنج إلى الديوان أحضروا إلى الديوان وصحبهم كاتب لاحق بصفتهم فيعربون الكتب ثم يلقوا ما يضمه لأحد كتاب الديوان فيكتبه وتعرض على كاتب السر، ثم يقرؤها على الملك. ولا يكون أقل من نفرين على تعريب كتب أهل الكفر، ويكفي الترجمان الواحد في كتب أهل الإسلام، ولكاتم السر النظر فيهم والفحص عنهم والإطلاع على مقاصدهم، ومن وجده خارجاً عن الشروط منعه واستعوضه بغيره ممن تجتمع فيه الشروط المتقدمة الذكر فيه.

النظر السادس

النظر في ما تتفاوت به المراتب في المكاتبات والولايات من قطع الورق وقطة القلم

والافتتاح والألقاب والدعاء

[١٠٤ ب] وكان هذا الباب في زمن الخلفاء في غاية التبسط وتبعثهم الملوك على ذلك حتى إن الناصر محمد بن قلاوون كان يكتب بخطه على ظاهر القصة بقلم دقيق تحت " يكتب " في الولايات يكتب له من الألقاب الأصول " المقر " أو " الجنب " أو " المجلس " أو " مجلس " مجردة، وأن يرتب له من المعلوم كذا.

قال صاحب مواد البيان: " إن الملوك تسمح ببدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة"^(١)، وهذه الأوضاع هي قانون المملكة في القديم والحديث فإنه ما من ذو مقدار إلا وله من ديوان الإنشاء رتبة يتميز بها عن غيره وهي على خمس مراتب:

الأولى: قطع الورق، وهو أول ما يبنى عليه، وقد بينت في باب قطع الورق ما يشتمل عليه وعدد أوصال الطرة^(٢) والهامش ووسع ما بين السطور.

الثانية: قطة القلم، وهي بحسب قطع الورق فإنها تابعة للورق لا متبوعة، فلكل قطع قطة تناسبه لا تدخل على غيره، وبينته في باب قطع الورق أيضاً.

(١) أى أن الملوك والسلطين يسمحون عن رحابة نفس ببذل الأموال لعامة الناس، ولكن لا يسمحون في المكاتبات الصادرة عنهم بأن يدعى لغيرهم بدعوة ماثلة لما ارتضوه لأنفسهم في المكاتبات الصادرة والواردة عليهم.

(٢) الطرة: هي الهامش الذى يترك في أعلى المكاتبات. القلقشندي: صبح، ج ٦، ص ٣١٤؛ البقلى: التعريف، ص ٢٣٠.

الثالثة: الافتتاح، وأعلاه ما يتعدد فيه التحميد وانتهاؤه إلى سبعة ثم خمسة ثم ثلاثة ثم واحدة ثم "أما بعد"، ويكتب للملوك العرب "عبد الله ووليه" أو "من عبد الله ووليه" والدعاء والإصدار والإشارة، وربما كتب لمشايخ الصوفية بالسلام.

الرابعة: الألقاب الأصول، وهي "الديوان العزيز" و"المقام الأشرف والشريف والعالى" و"الحضرة الشريفة والعالية والسامية" و"المقر الكريم والعالى" و"الجناب الكريم والعالى" و"المجلس العالى والسامى" و"مجلس" مجردة.

الخامسة: الدعاء، في الافتتاح "بعر الأنصار والنصرة"، و"بتضاعف النعمة ودوامها"، ولأكابر الملوك "بمزيد العظمة" في أثناء الكلام، والملوك العرب "جعل الله كلمته العليا"، والملوك الكفر "بدوام البهجة". وربما دعى للخلفاء في أثناء الكلام "أعز الله به الدين".

ولكل من هذه الخمس مراتب الأصول توابع تصحبها لا تخرج عنها بحالة، وصاحب ديوان الإنشاء يتصرف فيها بما يختاره من التميز أو الانحطاط مع نفى الغرض فإنه إذا [٥٠ أ] بالغ في التميز قد يكون إطرأ للمكتوب بسببه ويكون وهياً في المملكة، وإذا أخذ في انحطاط أحد عن ما يستحقه يكون نقصاً وبخساً لمن كتب بسببه، وربما يوقع التنافس بين الملوك، وورد "أنزلوا الناس منازلهم"، وكل مملكة من ممالك الإسلام والكفر لها قانون يمشی ديوانها عليه.

النظر السابع

النظر في رد الأجوبة

وإشعار سلطانه بما يراه من الآراء الصائبة وتنفيذ أمر ملكه لساعته على وجه الكمال والسداد من غير ترو ولا تراخ، ومن أعظمها أن يكتب جواب كتاب ورد عليه في يومه، وأن يكتب في تاريخه و"كتب هذا الجواب يوم وصول كتابك وهو في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا" فإن ذلك مما يقيم ناموس الملك ويدل على تطلعه للأمر وانتصابه لتدبير مملكته، وهذا من أهم أمور المملكة وأعظمها وقوعاً. فينبغى لكاتب السر إلزام مقدمى البريد ونقباء الجيوش والسعاة ومقدمى النجاة بالملازمة لديوانه لسرعة إحضار من يطلب من جماعتهم لسرعة التوجه في المهمات الشريفة، وأن يكون بأعلى همة وأعظم يقظة بورود القصاد وبمعرفة مرسلهم وبما أتوا فيه وبما يقصدونه راغباً في قضا أشغالهم وسرعة عودهم كي لا يحدث من تأخيرهم المفاسد، وإنه لا يهمل بغير إطلاع من الكتب الواردة على ديوانه أو الصادرة منه السطر الواحد بل ولا

الكلمة الواحدة بل ولا الحرف الواحد بل ولا حركة من حركات الضبط كما حُكى أن أبي الطيب المتنبي كان كثير المدح لبعض الملوك، ثم إنه مدح ملك عدو ذلك الملك، فحنق الملك لذلك وقال لأقتل المتنبي فسمع المتنبي فهرب عن بلد الملك إلى غيرها، فقصد الملك مخادعته ليحضر حتى يقتله، فأمر الملك كاتبه أن يكتب له كتاباً يطيب خاطره ويحضر، وعلم الكاتب غدر الملك بالمتنبي فلما انتهى الكاتب وكتب المشيئة وضع على النون شدة لطيفة، ثم عرض الكتاب على الملك فلم ينكر فيه شيء، فلما وصل الكتاب إلى المتنبي وقف على ما تضمنته من تطيب خاطر ثم تأمل المشيئة فوجد على النون شدة في غير محلها فتوقف لذلك وتذكر [١٠٥ ب] قوله تعالى ﴿ إِنِ أَمَلَأْتُكُمْ يَأْتِمِرُونَ بِكُمْ لَيَقْتُلَنَّكُمْ فَاخْرُجْ مِنْ لَدُنْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(١)، فخرج من ساعته لبلدة غير معاملة ذلك الملك وذكر ذلك لأصحابه.

قيل إنه أعاد الجواب على الملك إنه سيحضر قريب، وكتب المشيئة وجعل في آخر نوها ألف صغيرة، فلما اطلع الملك على جوابه فطمع بحضوره والظفر به، فوقف عليه الكاتب فوجد بآخر المشيئة ألف صغيرة فتوقف لها واستحضر قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنُدْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾^(٢).

فإذا تأمل كاتم السر جميع ما يرد على ديوانه من الكتب حتى لا يفوته منها النقطة الواحدة أمن إدخال الدسائس عليه فيها ثم إن كررها المرة بعد المرة لكنت أصور في عقله وأثبت في ذهنه، وإذا انتهى شغل المطالعات الواردة أو المحاضر أو ما في معناها وردّها أو أمر بتوريدها وأن يضاف إلى الضاربة كما سيأتي ذلك في باب التوريد.

النظر الثامن

النظر في أمر الحمام الرسائل المعد لحمل البطاقة

وأصله قصة سليمان عليه السلام حين أمر المهدد بحمل كتابه إلى بلقيس وذلك على وجه المعجزة لسليمان لا على وجه تعلم الطير حمل البطاقة وتسريحه لأن الله تعالى أطاع لسليمان الطير واستخرجوا من ذلك الأوائل حمل البطاقة على جناح الحمام لأن الذكر منه

(١) القصص، الآية ٢٠.

(٢) المائدة، الآية ٢٤.

أكثر ألفاً إلى الأنثى من غيره من أجناس الطير وأحد طيراناً فينبغي لصاحب دواوين الإنشاء تنابع النظر في مطاراته وعدته ورحاله ودوابه ولقطه وأبراجه المقررة له ومسافات التسريح.

وكان خلفاء بني العباس بذلك كل الاعتناء وتنافس فيه رؤساء العراق. قال في الروض المعطار "إنهم تنافسوا في اقتنائه حتى بلغ الطائر الفاره سبعمائة دينار"، وقال "بلغ ثمن طائر جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار". وكان للحمام الرسائل كُتاب ودفاتر تثبت أنساب الحمام وتشهد بأثامها، واعتنى القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر بتأليف كتاب في ذلك وسماه "تائم الحمام".

وقد جرت العادة أن يحمل حمام كل برج إلى ما يليه، فإذا سرح طلب طيرته بالبرج الذي يعهدها فيه [١٠٦ أ]، وكان الحمام الرسائل مرتباً للتسريح بالبطاقة على مدرج البريد بجميع الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية ثم أهمل أمره وصار إلى ما هو عليه الآن من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط وقطيا. وأصل هذه التداريج برج قلعة الجبل، وقد ذكر في التعريف مطارات الحمام من أماكنها المقررة لها، أما البلاد الشامية فإن بها الحمام الرسائل في أبراجها ومطاراتها إلى غزة، وبالمملكة الحلبية وأمرها راجع إلى نواها.

حكى النويري في تاريخه أن العزيز بن المعز أحد ملوك الفاطميين طلبت نفسه القراصية البعلبكية في طراوتها، فعزم على السفر إلى الشام لأجل ذلك فعرض ذلك على وزيره يعقوب بن كلس^(١) فلم يستصوبه للمشقة وإبدال المال في هذا الغرض اليسير، ثم استدعى بحمامين وبطرق على التدريب إلى عامل الشام "ساعة وقوفك عليها بطلب كاتب الحمام ويستفهم عن حاصله فإذا علمت فاتخذ لكل طائر ملفتين من حرير، [و] يجعل في كل ملف حبة قرصية في طراوتها بورقة خضراء، وتعلق كل ملف برجل طائر، ثم تسرح على التدريب." ففعل عامل الشام ذلك فمن ثالث يوم حضرت ستمائة طائر بألف ومائتي حبة قرصية لاصق مع كل حبة ورقة خضراء في طراوتها، فجمعت وجعلت في طبق من ذهب وقدمت إلى الوزير فلما رآها قدمها للعزيز فاستسر لها وقضى أربه بأكلها. فقال الوزير: إن اختار مولانا أمير المؤمنين ذلك جعلته له في كل

(١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان يهودياً عمل في خدمة كافور الإخشيدي ثم أسلم ورحل إلى المغرب فعمل في خدمة المعز لدين الله، ثم كان أول وزير للفاطميين في مصر. انظر: ابن ظافر: أخبار الدول، ص ٣٨؛ ابن ميسر: أخبار، ص ١٦٣ - ١٦٤؛ ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٤٧ - ٥٢؛ المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ٢٦٨؛ المناوي: الوزارة، ص ٢٤١.

يوم. فاستعظم همته لذلك وتضاعفت محبته عنده حتى إنه لما مرض الوزير عاده العزيز وقال له: وددت أن أفديك بملكي. ولما مات أمر أن يكفن فيما قيمته عشرة آلاف دينار والعادة أن لا يسرح طير في ليل ولا مطر ولا وهو خاص ليؤمن من أن يصل ومن الببل والوقوع على اللقط والماء حتى لا يصاد.

تنبيه ذكر القاضي علاء الدين بن فضل الله عن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، إنه يجب على صاحب دواوين الإنشاء أن يأمر بحمل الحمام الرسائل معه إذا توجه السلطان إلى سرحة أو رماية أو غير ذلك للحاجة إليه من أجل تسحب أمير أو مملوك، أو سرعة استدعاء [١٠٦ ب] شئ يختاره سلطانه.

النظر التاسع

النظر في تدبر قراءته بين يدي ملكه

وهي ثلاث قراءات. الأولى: قراءة المطالعات، وقد جرت العادة أن الرسول أو البريدي الواصل إلى باب السلطان أن يقدمه الدوادار إلى بين يدي الحضرة ثم يتناول المطالعة منه ويمسحها بوجه محضرها ثم يناولها إلى الملك فيفض ختامها ويستعيدها الدوادار ويناولها إلى كاتب السر فيقرؤها على السلطان ويكون في قراءتها فصيح اللسان في النطق رقيق حاشية البيان في حسن الإيراد قوى الملكة في استخراج الخطوط سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية، ويقرب إلى سلطانه فهم المقاصد بأوضح عبارة وأحسن تأت ليحسن وقوعها في نفس ملكه، ولا يخفى صوته حتى لا يتكلف الملك لسماعه ولا يجهره حتى لا يعد خارجاً عن أدب المخاطبة، ويعرب بديوانه غير العربية من اللغات ثم يطالع بها سلطانه من أول اجتماع عليه، فإن خواطر الملوك ملتفة إلى الإطلاع على ما يرد عليهم.

الثانية: قراءة ما يتعلق بالأمر الشرعية كالكتب الوقفية والمحاضر والسجلات وغير ذلك فينبغي له حسن تأملها والإحاطة بمضمونها والنظر في مشكلاتها واختلاف المذاهب فيها، والأخذ بمقصدها والعمل بما شرع فيها. كل ذلك قبل عرضها على ملكه ليوضح إلى سلطانه ما اطلع عليه من أحكامها بمعنى لطيف وإدراك قريب، فإنه متى قرأها على سلطانه على الرسم المكتب بعد عنه فهم ذلك ومجه وتقل عليه سماعه.

الثالثة: قراءة القوائم والقصص، وهي على ضربين:

الأول: القوائم جمع قائمة، سميت بذلك لأنها لم تطو ولم تدرج وتكسر طولاً مخالفة للتربيع، وهى من نصف طومار الشامى^(١)، وغالباً ترفع من الدولة، وربما رفعت من ديوان الجيش، ومن ربع طومار البلدى وهى ترفع من بقية الدواوين والإسطبلات والخزائن والزردخاناه الشريفة أولاً فإن صاغت عينها، وإن وجدها صائغة [١٠٧ أ] ذكر مقاصدها للملك بأوضح عبارة وأقرب فهم، ويكون فيها بأعلى يقظة وأقوى عزم فربما يدس فيها ما لا يرضاه الملك أو تكون فيه حيف على الرعايا ليخرج من تبعتها.

الثانى: قراءة القصص، جمع قصة، ويجوز فيها فتح القاف وكسرها، سميت بذلك لأنها حاكية حال رافعها، فإن كان رافعها سفير تسمى " مطالعة " وهى أصل لما يكتب غالباً من ديوان الإنشاء، والأحسن أن يكون كاتبها جيد الخط حسن العبارة مطلع على المقاصد، موجزة الألفاظ، وإنما تقرأ بين يدى الملك من قيام فى الخدمة المهمة وغيرها، فيكون جهورى الصوت فى قراءتها، آتياً مقاصدها مقرباً ذلك إلى الملك بأقرب طريق، وينبغى قبل القراءة أن يجمع قصص كل مملكة إلى بعضها، ويقدم فى القراءة قصص أكابر الممالك ويبدأ فى قراءتها " رافعها فلان الفلانى، ينهى كيت وكيت، ويسأل كذا وكذا "، ولا يأتى بلفظ التقييل فإن قيل لم يترك كاتم السر لفظ تقييل الأرض مع إن رافع القصة سائلاً فى محل الخضوع؟. فالجواب أن كاتم السر سفير بين السائل والمسئول، والسفير لا ينبغى له أن يوهى السائل ولا ينقصه.

قلت ولعل ذلك أن يكون مأخوذاً من حديث: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه جبريل بغار حراء وانطلقت به خديجة رضى الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة رضى الله عنها: يا بن عم اسمع من ابن أخيك. حيث جعلت النبى صلى الله عليه وسلم منه بمقام ولد الأخ الذى هو سند وعضد.

فإن أجيب السؤال فيها جمعت على أخواتها، وإن لم تجب سؤلها شرطت من نصف هامشها شرطاً خفيفاً وجمعت على أخواتها وأعيدوا جميعاً إلى المزرة. وإذا جلس كاتم السر بديوان الإنشاء جاوب عليها بما رسم بجوابه، وليكن كاتم السر حين قراءتها حاضر الحس واسع الحضيرة قوى الفكرة وقاد الذهن حتى لا يبههم عليه أمر من الجواب المرسوم بجوابه، ولا يشغله عن ذلك شغل شاغل. وهذه القراءات هى أكثر شغل كاتم السر بديوان الإنشاء فى زماننا.

(١) عن أشكال وأنواع الورق ومقدار الورق. انظر القسم التاسع من هذا الكتاب.

[١٠٧ ب]

النظر العاشر

النظر في مرءوسيه الجارى عليهم لقب التوقيع

قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: " يجب على كل ذى أمر أن يتعهد أمور رعيته حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم لا يترك الواحد منهما بغير جزاء، فإن ترك ذلك قهوان المحسن وأجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل ".

فإذا تأملت ذلك نجد أمير المؤمنين رضى الله عنه قسم النظر في الرعية إلى قسمين، الأول جزاء المحسن بالإحسان وجعله مقدماً، وورد الترتيل بذلك. وفي العرف أن المحسن من الكتاب بين طائفته من يؤدى الخدمة بديوانه على ما يرضى الله، وأن يكون من قوة الدين بالمكان الأعلى، ومن كمال الفضيلة وتمام العقل وكتمان السر بالدرجة الرفيعة، وأن يكون طلق الوجه حسن الشكل فصيح اللسان على جودة من الخط، عطر الرائحة بهى الملبس سرج المركوب تابع لرئيسه فى ركوبه وجلوسه وفتح دواته وغلقها، متحبباً لرئيسه وقرنائه ولن دونه، مستفيداً مفيداً غير مكلف ولا متكلف، ولا متعد طوره ماشياً على الدين والحشمة والوقار واليقظة والمروءة التامة، فجزاؤه من الإحسان ما يستحقه من رئيسه من المعاضدة وقيام الوجهة وبلوغ المقاصد والسعى له فى تضاعف الرزق ونموه والحرص على طمع أحد من الناس فى شيء من رزقهم، وأن يعود مرضاهم ويمشى فى جنازة موتاهم، وجريان نظره على المخلفين من بعدهم. ومن عجز منهم عن القيام بخدمة لهرم أو امتناع حركة أو ضعف بصر أو ضرورة شرعية رفع عنه كلفة الخدمة مع إقراره على ما يبدو من رزق، وأن يكون طلق الوجه لكبيرهم وصغيرهم متحبباً لغيرهم وفقيرهم، راغباً فى نفعهم مزيلاً لضررهم، فإن صنع الإحسان مطلوب من الكبير لمن دونه.

الثانى: جزاء الإساءة، وهو إذا أفشى المرءوس سراً كان لازماً عليه كتمانها، أو أهمل خدمة بغير ضرورة، أو جحد نعمة، أو قدم على ما لم يؤمر به، فجزاؤه ما يراه رئيسه بعد التحذير أولاً، والتهديد ثانياً فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

الباب الثاني

فيما يصرف فيه كاتم السر قلمه

[١٠٨ أ] وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول

التوقيع على القصص

قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: " التوقيع معناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف، يقال " ناقة موقعة الجنب " إذا أثر فيها حبال الأحمال. ويحتمل أن يكون مأخوذاً من قولهم " وقع الأمر " إذا حق ولزم كما في قوله تعالى ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ^(١) أى حق ووجب، أو من قولهم " وقع الصقيل السيف " إذا أقبل عليه بمنفعة تجلوه، لأن التوقيع على القصص تجلو اللبس بالإرشاد إلى ما يعتمد في الواقعة "، أو من وقع الطائر وهو المكان الذى يألفه من حيث أن الموقع على القصة يألف هامشها ليوقع فيه، أو من الموقعة وهو المكان المرتفع بالجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلو قدره.

وكان التوقيع مخصوصاً لا يشاركون فيه غيرهم، وإذا وقع الخليفة أبدى توقيعه من إظهار العدل وحسم المظالم ونصرة الدين وصلة الرزق وتوالى النعم ما لم يسبق إليه مع الإتيان بعظيم البلاغة واستدراك خفايا الأمور وغرائب الحكم والاستشهاد والاقبتاس بما يبهز العقول. فلمّا توزر جعفر ^(٢) للرشيد وبلغ منه المكانة العظمى صرفه في التوقيع على القصص، وهو أول من وقع من الوزراء وتضاعف له بذلك الفخار على من تقدمه من الوزراء، ثم استمر التوقيع في الوزراء تبعاً له ولم يكن لصاحب ديوان الإنشاء إذ ذاك كتابة في التوقيعات إلى أن تولى صاحب جعفر بن المغربي ديوان الإنشاء فوض له أمر التوقيعات ومنع الوزير من كتابتها واستمر ذلك في كُتّام السر إلى زماننا وهو أعظم تصرفات ديوان الإنشاء وأعمها نفعاً.

(١) النمل، الآية ٨٥.

(٢) يقصد جعفر بن يحيى البرمكى. ينسب البرامكة إلى خالد البرمكى، كان مجوسياً ثم أسلم في عهد سليمان بن عبد الملك، ثم أصبح ولده يحيى مريباً لهارون الرشيد وعظمت مكانته هو وأبناؤه في عهده، وقد كان جعفر البرمكى من ندماء الرشيد وأخصائه إلى أن تغير عليه وقتله عام ١٨٧ هـ، وقد اختلف المؤرخون حول أسباب قتل الرشيد لجعفر، وعن ذلك انظر. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص ٢٨٧ - ٣٠٢.

والواجب على صاحب دواوين الإنشاء أن [١٠٨ ب] يقدم خوف الله تعالى فيما يوقعه ويقصد براءة ذمة سلطانه وذمته ويتغنى اتباع الحق القويم والطريق المستقيم، ويوصل السائل إلى طريق الإرشاد ويكون في جميعها تابعاً للشرعية المطهرة على مذهب سلطانه كما حكى القاضي شمس الدين بن خلكان في وفيات الأعيان: أن جعفر البرمكي حين صرفه الرشيد في كتابة التواقيع على القصص كتب في يوم واحد ألف توقيع فاستوعبها عليه بعض الحسدة فلم يجدوه خرج في واحد منها عن موجب الفقه فاستعظمت همته لذلك ورغمت حساده.

وإذا وقع كاتم السر وأتى في توقيعه بالألفاظ المشتملة على البلاغة التامة ويستدرك الأمور الخفية ويحاط بجميع المقاصد ويوضح الجواب من غير إشكال ولا تنافر في الحروف، وأن يكون الجواب مطابق للسؤال، وأن ذلك لا يتعدى مهيعين:

المهيع الأول: أن يكتب "يوقع بذلك" إن كان السؤال صائغاً يقتصر عليها، أو إن كان يحتاج إلى تفنيد فيكتب "يوقع بكذا وكذا"، أو لا يكون ذلك إلا بما يأتي في المراسيم الصغار أو القصص الملصق عليها في رفع المظالم أو الحوادث أو بتولية صغار الوظائف أو يحمل أمر على أمر ونحو ذلك.

المهيع الثاني: ما عدا الأمر بالتوقيع فيكتب "يكتب بذلك" إن كان السؤال صائغاً أو إن قيد أو عدل عن أمر فيكتب "يكتب بكذا وكذا"، وهذان يكتبان فيما لا يدركه حصر.

أما الإسناد الذي يسند إليها كاتم السر فيما يجب فيه التقييد فهي لا تتعدى أربعة أسانيد:—

الأول: أن يسند بالتقييد فيما يتعلق بالأوقاف إلى ما شرطه الواقف وفي جبل الولايات الأهلية على ما بيده من الولايات الشرعية، وربما كتب المستمرة الحكم أو في غير الأهلية على ما بيده من المراسيم الشريفة أو المسندات المستمرة الحكم، وربما كتب إلى آخر وقت فإن كان لذلك تعلق بديوان الجيش كتب "على ما يشهد له به ديوان الجيوش المنصورة" أو "على ما يشهد له به المنشور الشريف أو المرسوم الشريف المستمر الحكم إلى آخر وقت".

الثاني: أن يسند في خلاص الحقوق الشرعية من القرض، والقراض^(١) والاصدقة، [١٠٩ أ] والفرائض، والوصايا، والفىء والغنيمة، وقسم الصدقات، والأنكحة، والجزية،

(١) القرض والقراض: هو المضاربة في لغة أهل الحجاز. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٢١٧.

والقسمة، وإحياء الموات، والدعوى، والديات، والتدبير، والعق، والكتابة، وعمارة معابد أهل الكتاب، ونحو ذلك مما لا يحصر إلى الوجه الشرعى.

الثالث: أن يسند فيما يتعلق بالخراج، والجراح، وكيفية القصاص، وموجبات الدية، والمعاملة، ودعوى الدم والقسامة، والحدود، وقاطع الطريق، والصيل، وضمان الولاة، ونحو ذلك إلى الحق والعدل.

الرابع: أن يسند في الجرايف ^(١) السلطانية والبلدية، والخفائر ^(٢)، والمغارم، وفلاحة القرار ^(٣)، وحفر الترع والمساقى وسدها، وعمارة القناطر وضيافات الكشاف والولاة وأمراء العربان ومشايخهم وأرباب الأدراك بالثغور والسواحل والبلاد والطرق، وحدود البلاد والطرق والأراضى والطرق، ومصارف المياه ومناهلها، والمعادى ومراسيها، والمصايف، والمسابك، والمطالق، والمسامط، والمدايغ، والمدابح، ومعامل القروج، والدخاخن والشرابات، ونحو ذلك إلى ما جرت به العادة إلا إن رسم بتغير العادة وربما قيد في بعضها إلى آخر السنة الخالية أو إلى آخر وقت، وهذه الإسنادات إنما هي على وجه التقريب لا على وجه التحديد. وأهل مكة أخبر بشعابها.

تنبيه " قيد بأمر " ثم اختار الإطلاق " فيضرب على ما قيد به " ثم يكتب " خلا ما ضرب عليه وهو كذا " حتى لا يلتبس الضرب من غيره، وكذا إن شطب على شيء في متن القصة، ثم اختار كتابته فيقال " وكذا على ما شطب عليه وهو كذا وكذا " إن شرط من هامش القصة، ثم كتب عليها " فيكتب " بعد انتهاء كتابته بعد القطع. فإن قدت نصفين فلا كتابة عليها.

(١) الجرايف: هي الآلات التي يحرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان، ولما كانت الجسور تنقسم إلى جسور سلطانية، أى يقيمها السلطان لعموم نفعها، وبلدية يقيمها المقطعون والفلاحون، فإنه تبعاً لذلك تنسب الجرايف تبعاً لنوعية الجسور سلطانية أو بلدية. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) الخفائر، ومفردها حفير، هو التراب الذى يوضع فى الأماكن التى يجرفها الفيضان. السابق، ص ٢٤٤.

(٣) فلاحة القرار، أو الفلاح القرارى هو المزارع المرتبط بزراعة الأرض، وهو لا يباع ولا يشتري، إلا أنه لا يستطيع ترك أرضه بدون رضاء سيد الأرض. المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٣٨.

أما الجواب على القصص وهو ما عدا التوقيع، فتارة تقرأ القصة على الملك ثم يبرز المرسوم الشريف فيها بما ينافي قصد السائل أو يقف عليها كاتم السر ويرى جوابها غير صائغ، فيكتب محل كتابة التوقيع " رسم بكذا " أو " يحتاج الأمر إلى كذا " أو " يتوجه إلى جهة كذا " ونحوه، فإن كان السؤال بما لا يقتضى التوقيع على القصة مثل أن يكون تعلقها بأحد من أرباب الأمور [١٠٩ ب] بالقاهرة وكان السؤال صائغاً أو رسم بكتابتها فيقتصر في الكتابة في وسط هامش القصة على " رسم بذلك " ليس إلا.

تنبيه إذا برز المرسوم الشريف بأمر على لسان نظام الملك أو النائب الكافل إن كانا أو الأمير الدوادار إن علق الرسالة أو ناظر الجيش في زماننا ووقع به على هامش القصة فيقتصر فيها على التعيين خاصة.

النوع الثاني

التعيين على كتاب الديوان

وهم ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: التعيين على كتاب الدست، جعل ذلك علماً عليهم إضافة إلى دست المملكة وهي مرتبة جلوسهم بين يدي السلطان بدار العدل في المواعيد الحفلة لقراءة القصص بعد قراءة كاتم السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون عليها بما رسم لهم به سلطانهم، كما يوقع عليها كاتم السر ثم ترفع إلى كاتم السر فيعينها على غيرهم، وكانوا قبل زماننا يوقعون في كل الأوقات على القصص، وهؤلاء أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص، وكانوا في أثناء الدولة التركية ثلاث نفر رأسهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وكان لهم كفايتهم على الدواوين الشريفة من كل صنف في اليوم والشهر والسنة حتى برنس وفرجية لأجل ركوهم الرمايات والسرحات، وهم أعلى مقاماً من الذين كانوا يكتبون في البريد الأشغال السلطانية، ويقوم أحدهم عن كاتم السر بسداد الوظيفة عند الملك عند تعذر حضور كاتم السر أو نائبه، وهم الذين يكتبون أوراق الرقاع ويوردون المطالعات وغيرها، ولهم وجهة وقدم هجرة ومعرفة تامة، فرسم وضع التعيين على أحدهم " المولى القاضي فلان الدين الفلاني " بلقبه وعلميته، ويدعى له دعوة واحدة مثل " أعزه الله تعالى " وربما وقع الدعاء لمشايخ العلم منهم بـ " أجله الله تعالى ".

المرتبة الثانية: رسم وضع التعيين على من نطلق عليه اسم توقيع الدست، ولم يبلغ المرتبة السابقة فيقتصر في التعيين عليه بـ " المولى القاضى فلان الدين الفلانى " من غير دعاء، وربما ترك اللقب وأكتفى بالعلمية طلباً للخفة [١١٠ أ] في الكتابة فيكتب مثلاً لشريف إذا لم يكن فيهم شريف غيره " المولى القاضى الشريف " .

المرتبة الثالثة: كتاب الدرج، جعل ذلك علماً عليهم لغالب كتابتهم في درج الورق الخزانى، والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: " هو في الأصل اسم للفعل أخذاً من درجت الكتاب أدرجه درجاً إذا أسرعت فيه وأدرجه إدراجاً إذا اتخذته على مطاويه " . وهؤلاء دون المرتبتين لم يكتبوا إلا ما يعينه عليهم رئيسهم، ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات فيقتصر في التعيين عليهم على اللقب والعلمية مع الإتيان بالمولى فيكون رسم التعيين " المولى فلان الدين الفلانى " ، وربما كان صغيراً فيكتب " الولد فلان الدين " من غير المولى، وربما كتب " فلان الدين " من غير المولى ولا الولد. وهى أقل الرتب وهى قليل في زماننا، فإن كان أخ أو ولد لصاحب دواوين الإنشاء كتب " الأخ أو الولد " ، ثم يكتب " فلان الدين " من غير المولى.

قلت ولو كتب في التعيين على الأخ أو الولد " المولى " لكان أجمل اقتداء بما ورد في التزليل حكاية عن زكريا عليه السلام حيث قال ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى ﴾ ^(١) وكانوا أقاربه، وهذه المرتبة أحق من يكون فيها أولاد الموقعين دون غيرهم.

النوع الثالث

محل وضع كتابة التوقيع والتعيين

وهو على ضربين:

الضرب الأول: محل وضع كتابة التوقيع، وهو في هامش القصة من ثنيتها أخذاً في أعلى الهامش إلى آخرها، فإن طال أخذ في سطر ثان وثالث، فإن ضاق الهامش من جوانبها أخذ في الكتابة على ظهر القصة ولا عيب. وإن تحامى عن العلو فوق البسملة لكان أحسن إلى حين انتهاء العرض وكتابة التواقيع بكل حال سابقة على كتابة التعيين، ولا يتناول كاتب الإنشاء

(١) مريم، الآية ٥.

القصة إلا إذا اشتملت على التوقيع والتعيين، فإن أُملى صاحب الديوان جوابها من غير توقيع ولا تعيين صاغت كتابتها وكذا إن استدرك [١١٠ ب] وأُملى.

الضرب الثاني: محل وضع كتابة التعيين وهو على خمسة أوضاع:

الأول: محل وضع التعيين بعد الخط الشريف " يُكتب " فيكون تحته تقريباً منه في الوسط من غير بياض فاضح، ولا تقييد إلا إن رسم به.

الثاني: محل وضع كتابة التعيين على القوائم، ولا يحضر إلا من الدواوين الشريفة، وصورة كتابتها " رسم بالأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه "، ثم يخلى بياضاً بعدد أربعة أصابع مطبوعة ثم يقول " أن يكتب مثال شريف أو نحوه إلى فلان الفلاني " ويكمل القائمة ويشملها خط من له الأمر في كتابتها بقلم علامته " يُكتب ويحضر لديوان الإنشاء " فيستوعبها كاتم السر ويعينها في ذلك البياض من أوله ليكون انتهاء التعيين عند " يُكتب "، وغالباً تعيين على موقع الإنشاء بالديوان المجهزة منه من غير تقييد إلا أن يبرز المرسوم به.

الثالث: محل وضع التعيين على المربعات الجيشية ^(١) المرسومة أولاً برسم أن ينقل منها المنشور وعادتها في نصف طومار البلدى إذا كسر فيكون مقابل تاريخ المربعة من الجهة اليمنى، ولا تعين إلا أن يكون عليها خط ناظر الجيش بالثبوت في ظاهرها ويقتصر فيها على التعيين فقط.

تنبيه إذا كتبت جاء معه من ديوان الجيش بها عدة مناشير لا يقوم بكتابتها الكاتب الواحد ولا الاثنين فيكتب في تعيينها " الموالى الغرار " أو " الأولاد الغرار " وهذا غالباً يكون عند تغير الدول.

الرابع: محل وضع التعيين على القصص، ولا يكون إلا في هامش القصة آخذاً من طرف نصف هامشها بصعود إلى جهة الكتابة، فإن كان ثم نظام أو كافل ورفع لأحدهما قصة وشملها خطه بقلم العلامة " يُكتب " وكتب موقعه تحت خطه بما يصوغ فيكون التعيين تحت خط النظام أو الكافل وفوق خط الموقع ولا كتابة لغيرهما على القصص بقلم العلامة بما تستخرج به المراسيم الشريفة.

(١) المربعات هي الأوراق المربعة الشكل، والمربعات الجيشية هي التي تخرج عن ديوان الجيش مكتوباً بها ما يراد أن يذكر في المنشور الخارج عن ديوان الإنشاء. القلقشندي: صبح، ج ١٣، ص ١٥٤ - ١٥٥.

أما التعيين فوق تعليق الرسالة على لسان الدوادار الكبير فمحل وضعه أن يكون فوق الرسالة، وصورة كتابة الرسالة أن يكتب الموقع على هامش القصة بقلم دقيق آخذ إلى نحو كتابة القصة ممياً بعض ميل [١١١ أ] إلى أعلاها ما مثاله " رسم برسالة الجناح الكريم العالى الفلاي " بلقبه الخاص " أمير دوادار الفلاي ضاعف الله تعالى نعمته أن يكتب توقيع أو مال أو مرسوم شريف بكذا " ثم يرفع إلى كاتم السر فيستوعبها ويعينها. وقد أهمل تعليق الرسالة لتلقى كاتم السر الأمور بنفسه من الملك في زماننا.

الخامس: محل وضع التعيين على أوراق الرقاع، وهى أوراق لطاف بقدر ثلث وصل من العادة يكتبها كاتب السر بيده أو نائبه غالباً، وربما كتبها رأس موقعين الدست بإذن بولايات وظائف أرباب التقاليد والمراسيم الكبار والتفويض والتوقيع الكبار بجميع الممالك كما سيأتى محل وضع التعيين على هامشها مسامتاً للحمدلة وسيأتى صفة رسم كتابة أوراق الرقاع في الباب الذى يلي هذا.

النوع الرابع

ما يكتبه كاتم السر في جواب الملخصات

ما يكتبه كاتم السر في جواب الملخصات حين عرضها وأخذ الجواب الشريف عنها في البياض المخلى أسطر متقاربة مائلة إلى الصعود قليلاً حتى يخرج عن مهيع الكتابة أولاً ولا يعين لأنه من مهمات البريد، فإن كان المقصد متعلقاً بالدواوين السلطانية وجه إليها وأخذ الجواب عنها.

الباب الثالث

في بيان ترتيب ما كان عليه ديوان الإنشاء قديماً وما هو عليه الآن

وهو على حالين:

الحال الأول

ما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية

قال أبو الفضل الصوري في مقدمة تذكّره: إن أرباب الوظائف فيه كانت على ضربين،
الضرب الأول: الكتاب وكانوا سبعة:

الأول: كاتب كان ينشئ ما يكتب من الولايات ومكاتبات الملوك، واسع الباع في الكلام لأنه يتولى الإنشاء من نفسه وتلقى عليه الكلمة الواحدة من كاتم السر فينبئ عليها جملة كلام إذا اقتضت الإطناب، أو يلقي عليه جملة كلام فيوجزه في الألفاظ اليسيرة إذا اقتضت الإيجاز، وكان لاحقاً بصفات كاتم السر في تمام المعرفة واتساع الفضيلة. [١١١ ب]

الثاني: كاتب ينشئ المكاتبات للخلفاء والقانات والملوك العظام، وكان الشرط فيه كشرط المتصدى للإنشاء، وأن يكون على مذهب ملكه لما يحتاج إليه على صحة عقيدته ونصرة مذهبه بخلاف إذا كان مخالفاً لمذهبه، فإن المخالف ربما يظهر عليه مواضع الطعن فيطعن فيه، وأن يكون مع ذلك من علو الهمة وقوة العزم وشرف النفس بالحل الأعلى وشرف النفس لأن كل كاتب يجذبه طبعه وجبلته إلى ما هو عليه من الصفات.

الثالث: كاتب كان يكتب مكاتبات أهل الدولة من كبرائها وولاةها ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال، ويكتب الأيمان والأمانات والقسمات والطراخانيات، وشرطه أن يكون مأموناً على الأسرار، كاف اليد، نزه النفس عن الغرض الدنيوى، حسن الكتابة بجميع الأقلام.

الرابع: كاتب كان يكتب المناشير والمطلقات ونحوها مما لا يختم، والكتب اللطاف والنسخ والجواد، وشرطه أن يكون مأموناً على الأسرار جيد الخط صحيح الأدب، وربما احتاج إلى معين لكثرة الكتابة عليه من هذه الأصناف.

الخامس: كاتب كان يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج إلى جودة الخط فيه، فيكتب اليهود والبيعات والتقاليد والسجلات ومكاتبات الملوك ونحوه فإنه قل ما تجتمع فضيلة الإنشاء وحسن الخط في واحد.

السادس: كاتب كان يتصفح ما يكتب بالديوان، فإن الكاتب غير معصوم من السهو والخطأ واللحن وكل واحد يتغطى عليه عيب نفسه ويظهر عنده عيب غيره، وزمن متولى الديوان أضيّق من أن يقف على كل ما يكتب بديوانه، والمطلوب أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعراباً حتى لا يجد الطاعن فيه مطعن، والشرط فيه أن يكون مستحضرًا لكتاب الله تعالى وبعض الأحاديث والآثار على الرتبة في العلوم المتقدمة كاللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع ونحو ذلك، وأن يكون وقوراً عاقلاً [١١٢ أ] ذكياً بعيداً عن الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يخس أحد حقه فيما أنشأه أو كتبه، ويلزم الكتاب بعرض ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان، فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه ليلزم بدرك ما فيه ويرأ منشئه وكاتبه من تبعته.

السابع: كاتب كان يكتب التذاكر^(١) والدفاتر المتضمنة تعلقات الديوان، وكان يجعل لكل صفقة أوراقاً على حدة ويكتب " فصل من كتاب فلان ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا أجيب عنه بكذا أو لم يجاب عنه " إلى آخر السنة فيجدد للسنة الأخرى تذكرة أخرى. وكان يكتب تذكرة أخرى لمهمات ما تخرج به الأوامر في الكتب الصادرة تحكى ما تقدم من ذكر النواحي لأرباب الخدم، وإذا ورد جواب شئ منها نَزَلَه عنده.

وكان يوضع في الديوان دفتر بالألقاب الملوك وأرباب السيوف والوظائف الدينية والديوانية ومشايخ الصوفية وأمراء التركمان والعربان والأكراد وغيرهم وأسمائهم وترتيب مخاطباتهم بكاف الخطاب أو هاء الكتابة ومقدار ما يدعى له به من الدعاء وما يستحقه من قطع الورق والأقلام والمفتحات، وإذا تغير شئ من ذلك عن مرتبته كتبه تحته وكتب موجب التغيير، وإن صرف أحد من أرباب الوظائف كتب تحت اسمه " صرف لموجب كذا واستخدم عوضه فلاناً بتاريخ كذا " وأجرى في الورق والرتبة والدعاء والألقاب على منهاجه أو زيد أو

(١) التذاكر جمع تذكرة، وهى كل ما يكتب ويصدر عن السلطان إلى نوابه في أرجاء السلطنة. القلقشندي:

صبح، ج ١٣، ص ٧٩؛ البقلى: التعريف، ص ٧٤ - ٧٥.

نقص، ويكون ذلك الدفتر موضوعاً في الديوان ليأخذ الكاتب منه بقدر حاجته إذا تعذر عليه الحفظ.

وكان يوضع بالديوان دفتر بالحوادث العظام وما يتلوها حتى ما يجري في المملكة وتاريخ كل واقعة منها حتى لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع.

وكان بالديوان فهرست للكتب الصادرة، وفهرستاً للكتب الواردة، وفهرستاً لما يكتب من الإنشاء للتقاليد والتواقيع والأمانات، وفهرستاً لما يترجم من الكتب الواردة بغير اللسان العربي. ويكون لكل شهر من شهور السنة فهرستاً يجعل في إضبارة فإذا انقضت تلك السنة أخذ [١١٢ ب] في فهرستات آخر للسنة القابلة مفصلاً بأشهرها.

الضرب الثاني: غير الكتاب ممن كانت تدعو الضرورة إليه وهما نفران. أحدهما: خازن يحفظ ما في الديوان من الإضبارات والدفاتير والفهرستات، قال الصوري: " والشرط فيه أن يكون ذكياً عاقلاً عارفاً فطناً بالغ الأمانة والثقة وشرف النفس ".

الثاني: حاجب للديوان لا يمكن أحد من الدخول إليه إلا أهله خوفاً من إفشاء سر الملوك فإن الغريب منه متوقع على أن يطلع على أسرار الملوك ولا يؤمن من أن يفشى ما يسمعه وأهل هذه الصناعة لا يرون إفشاءها.

الحال الثاني

ما استقر عليه الأمر في زماننا من الدولة التركية

وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

نيابة كتابة السر وكتاب الديوان

وهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: نيابة كتابة السر

وربما عملت أحياناً وبطلت أحياناً، وغالباً يتولاها ولد كاتب السر أو أخوه أو قريبه، والشرط فيه كالشرط اللازم لصاحب دواوين الإنشاء، وهو يتصرف في كل ما يتصرف فيه كاتب السر بنظره وقلمه عند تعذر حضوره، ومحل وضع تعيينه متنازلاً عن محل وضع كاتب السر، ولا بد أن يكون تحت التعيين يكتب " نيابة ". فإذا كان كاتب السر حاضراً، اقتصر نائبه على إملاء الكتب الصادرة في المهمات السلطانية، والوقوف على الكتب الواردة، واستخراج أجوبتها ما لم يكن جواباً، وإصلاح ما يرى إصلاحه، وإلحاق ما يرى إلحاقه منها، وتغيير ما يرى تغييره، فإذا حررت وصاغت، أوقف كاتب السر عليها ليراها ويعمل فيها بما يختاره، ويستقل بكتابة مقصدين:

الأول: أوراق الرقاع:

وربما كتبها صاحب الديوان أو موقع الدست كما تقدم وهي على أربعة أصول.

الأصل الأول

التقاليد

وهي على ضربين:

الضرب الأول: تقاليد أرباب الوظائف بالحضرة الشريفة، وهم خمسة:

الأول: بنيابة السلطنة المعظمة، فيكتب " رسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم، العالي، الأمرى، الأمرى، الكفيلى، الفلاقى فلان الفلاقى، أعز الله أنصاره، كفالة الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة ". [١١٣ أ] واختار صاحب التعريف أن يجمع له بين

"نيابة السلطنة الشريفة، وكفالة الممالك الشريفة الإسلامية الخروسة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، تقليداً عاماً، وتفويضاً تاماً" والتاريخ والمشيئة.

الثاني: الوزارة، فيكتب لصاحب سيف "رُسم بأن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجنب الكريم، أو الجنب العالي، الأميرى، المقدمى، المدبرى، الوزبرى، الفلاى الفلاى، ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية، وتدبرها بما لذلك من المعلوم الشاهد به الدواوين الشريفة المعمورة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

فإن كان الوزير متعمماً أبطل "الأميرى" وجعل عوض "المقدمى" "الصاحى"، ويدعى له "ضاعف الله تعالى تنفيذه أو نعمته تقليداً عاماً وتفويضاً تاماً"، ولا يكتب ذلك إلا للنائب الكافل والوزير ليس إلا لعموم تصرفهما.

الثالث: بالإشارة "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب الكريم أو العالي، الأميرى، الفلاى، أعز الله نصرته، أو ضاعف الله نعمته، إشارة الدولة الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الرابع: بكتابة السر "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب الكريم العالي، اليمى، السفبرى، الفلاى الفلاى لنسبه أو لبلده، أعز الله تعالى جانبه، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الشريفة الإسلامية الخروسة، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الخامس: بالأستادارية "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالي، الأميرى، الفلاى فلان الفلاى، ضاعف الله تعالى نعمته، وظيفة الأستادارية الكبرى بالأبواب الشريفة، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الضرب الثانى: أرباب التقاليد بالوظائف الخارجة عن الحضرة الشريفة، وهم أربعة

عشر: [١١٣ ب]

الأول: بناية الشام "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم، العالي، الأميرى، الكفلى، الفلاى فلان الفلاى، أعز الله أنصاره، كفالة السلطنة الشريفة بالشام الخروس، على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الثاني: بناية حلب "رُسم أن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجناب الكريم، العالى، الأميرى، الكافلى، الفلاى فلان الفلاى، أعز الله نصرته، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الثالث: بناية حماة "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى، الأميرى، الكافلى، الفلاى فلان الفلاى، ضاعف الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بحماة المحروسة، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الرابع: بناية طرابلس، كذلك.

الخامس: بناية صفد، كذلك.

السادس: بناية ثغر الإسكندرية "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى الفلاى فلان الفلاى، نيابة السلطنة الشريفة بثغر الإسكندرية المحروس، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها".

السابع: نيابة الوجه القبلى، كذلك.

الثامن: نيابة الوجه البحرى، إذا خرجت عن الاستادارية.

التاسع: بناية غزة، كذلك، إذا لم يكن مقدم عسكر، فإن كان مقدم عسكر قيل "مقدم العسكر بغزة المحروسة".

العاشر: بناية سيس، كذلك.

الحادى عشر: بناية الكرك، كذلك.

الثاني عشر: بإمرة مكة المشرفة "رُسم أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الشريفى، الحسى، النسى، الفلاى الفلاى، كالحسى ونحوه إمرة مكة المشرفة، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والتاريخ والمشيئة.

الثالث عشر: بإمرة المدينة المشرفة، كذلك.

الرابع عشر: بإمرة آل فضل، ويقال فيه "أمير الملاء" كذلك.

وإن كانت ولايات لجماعة من أرباب التقاليد والمراسيم كتب "رُسم أن تكتب تقاليد شريفة أو مراسيم شريفة أو تقاليد ومراسيم شريفة" باسم من يعين فيه أو باسم من يذكر فيه ويكتب [١١٤ أ] واحد واحد بلقبه ونسبته ويدعى له بمرتبته وتكتب وظيفته ويكمل.

مهمة كتب أحياناً لنائبى الوجهين القبلى والبحرى وسيس وغزة والكرك وأمراء مكة والمدينة وآل فضل مراسيم شريفة فى قطع النصف، أما نواب الرها وملطية والأبلستين فلا يكتب لهم إلا مراسيم ولو كانوا مقدمة.

الأصل الثانى

المراسيم المكبرة

وكتابتها محصورة فى قطع النصف والثلث، وتكتب أوراق الرقاع [ها فى قطع النصف]^(١) بنظر الحرمين الشريفين القدس والخليل عليه السلام^(٢)، "رُسم أن يكتب مرسوم شريف، بأن يستقر المجلس العالى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة نظر الحرمين الشريفين القدس والخليل عليه السلام، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته بالمستمر حكمها إلى آخر وقت"، والتاريخ والمشية.

وعلى مثل ذلك يكتب لنائب القدس وللمقدمين المستقرين فى نيابات الأعمال الشامية ولنواب القلاع المقدمين بها ونحوهم، ودونها فى قطع الثلث بإمرة آل على "رُسم أن يكتب مرسوم شريف، بأن يستقر المجلس السامى، الأميرى، الفلانى فلان الفلانى، أدام الله تعالى سعده، فى إمرة آل على، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته المستمر حكمها إلى آخر وقت"، والتاريخ والمشية.

وعلى مثل ذلك يكتب لأمرآء آل مرآء، وبني مهدى، وبني عقبة، ولأمرآء الطلخاناه من نواب الأعمال والقلاع الشامية، وشادين الدواوين، ومراكز البريد قديماً، وغير ذلك مما لا يحصر.

تنبيه المقر الشهابى لم يتعرض فى التعريف لذكر المراسيم المكبرة لأنها ما وجدت إلا بعده، لكن ذكر منها شىء فى التثقيف، والعمل عليه الآن.

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من هامش الصفحة بالمخطوط.

(٢) هناك تعليق بالهامش يقول [الذى عليه العمل أن ناظر الحرمين يكتب له توقيع شريف لا مرسوم].

الأصل الثالث

التفاويض

قال في التعريف: وبه يكتب لعامة القضاة، وهي من غلط التقاليد، غير أنه يقال في تعريفها تفويض شريف. ولا تتعدى ثمان وظائف:

الأولى: بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، فيكتب "رُسم أن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض للجناب الكريم أو العالي، القاضى، الكبيرى، الحاكمى، الفلاانى فلان الفلاانى — لنسبه [١١٤ ب] كقرشى أو أنصارى ونحو ذلك — الفلاانى — لمذهبه — أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشية.

الثانية: بقضاء قضاة الحنفية "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض للجناب العالي، القاضى، الكبيرى، الحاكمى، الفلاانى فلان الفلاانى الفلاانى، أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشية.

الثالثة: بقضاء قضاة المالكية، كذلك.

الرابعة: بقضاء قضاة الحنابلة، كذلك.

الخامسة: بنظر الجيش "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض إلى الجناب العالي، القضائى، الكبيرى، الفلاانى فلان الفلاانى، ضاعف الله تعالى نعمته، نظر الجيوش المنصورة بالممالك الإسلامية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشية.

قلت هو الآن أحق من يكتب له تقليد من المتعممين لأنه انتهى من هذه المملكة إلى الدرجة العليا وبلغ الغاية القصوى.

السادسة: بنظر الخاص "رُسم أن يكتب تقليد شريف، بأن يفوض إلى الجناب العالي، القضائى، الكبيرى، الفلاانى فلان، ضاعف الله تعالى نعمته، نظر الخواص الشريفة بالممالك الإسلامية، بالمعلوم الشاهد به الدواوين المعمورة، على أجمال العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشية.

السابعة: بقضاء قضاة الشافعية بالشام الخروس، "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض للجناب أو المجلس العالى^(١)، القاضى، الحاكمى، الفلاى فلان الفلاى الفلاى — نسبه ومذهبه —، أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالشام الخروس، بما لذلك من المعلوم، على أجهل العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشئة.

الثامنة: بقضاء قضاة الشافعية بجلب الخروسة، "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض إلى المجلس العالى، القاضى، الحاكمى، الفلاى فلان الفلاى الفلاى، أعز الله أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بجلب الخروسة، [١١٥ أ] بما لذلك من المعلوم، على أجهل العوائد، وأكمل القواعد"، والتاريخ والمشئة.

الأصل الرابع

التواقيع الكبار

قال فى التعريف: هى على أنموذج التفاويض، وإنها تكون لعامة أرباب الوظائف، جليلها وحقيرها، وكبيرها وصغيرها، حتى النواب اللاحقين بشأو الكبار فمن دوفهم. لكن قال صاحب الثقيف: إنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل، مثل نظر المارستان والجامع الجديد ونحو ذلك، وهى الآن على ضرين:

الضرب الأول: تواقيع أرباب السيوف. وهى على درجتين:

الدرجة الأولى: تواقيع الأمراء المقدمين، ويكتب فى الثلاثين بالأنظار وهى ست تواقيع:

الأول: بنظر اليمارستان، إنشاء المنصور قلاوون، وهو مختص بالأمير الكبير، فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف للمقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، الأتابكى، الفلاى فلان الفلاى، أعز الله أنصاره، بنظر اليمارستان المنصورى، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجهل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها" والمشئة والتاريخ.

(١) كتب فى الهامش [كانت رتبة قاضى القضاة الشافعى بالشام المجلس العالى إلى حين تولى القاضى نجم الدين

بن حجى كتابة السر بمصر ثم تولى قضاء الشام كتب له الجناب العالى].

الثاني: بنظر الظاهرية برقوق بين القصرين^(١)، وهو مختص في زماننا بأمير أخور، وصار يضاف إليه القاباهية^(٢) وخانقاه قوصون^(٣)، فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالي، الأمير، الفلاني فلان أمير أخور الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته، بنظر المدرسة الظاهرية برقوق بين القصرين، وينظر ما لوظيفته من الأنظار، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها".

الثالث: بنظر المؤيدية^(٤) وما يضاف لها من المؤيدية برأس الصورة^(٥) والمؤيدية بالجيزة، وهو مختص بالأمير الدوادار والقاضي كاتم السر معاً فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالي، الأمير، الفلاني فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته، بنظر الجوامع المؤيدية بالديار المصرية، وهي كذا وكذا، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها"، والمشيئة والتاريخ.

(١) هي مدرسة بناها الظاهر برقوق ورتب لها صوفية وجعل بها دروساً لأهل العلم على المذاهب الأربعة. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤١٨؛ ابن تغري بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١١٣. وهي موجودة إلى الآن تحت الرقم الأثرى ١٨٧.

(٢) يقصد بها مدرسة ومسجد قائي باي برأس سوقية منعم التي أنشأها الأمير قائي باي الغمدى وهو أحد مماليك الظاهر برقوق توفي عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م. المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٢٤٥. ابن حجر: إنباء، ج ٣، ص ٨٢؛ السخاوي: الضوء، ج ٦، ص ١٩٦. وهي موجودة تحت الرقم الأثرى ١٥١.

(٣) قبة قوصون: هي خانقاه أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٥ م، وهي تقع شمالي القرافة تجاه الجامع المعروف باسمه أيضاً. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٢٥. وهي موجودة تحت الرقم الأثرى ٢٩١.

(٤) هي المدرسة التي بناها السلطان الملك المؤيد شيخ عام ٨١٨ هـ/١٤١٥ م الموجودة داخل باب زويلة وكان موضعها بعض الدور وسجن يعرف بخزانة شمائل المقرئ: السابق، ج ٢، ص ١٨٨؛ ابن تغري بردى: السابق، ج ١٢، ص ١٤ هـ-١٤، ج ١٤، ص ٣١، ٤٦. وهي موجودة تحت الرقم الأثرى ١٩٠.

(٥) رأس الصورة: يقع بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بباب المدرج، أنشأه المؤيد شيخ قبل توليه السلطنة عندما كان أميراً كبيراً بغرض أن يكون داراً له، إلا إنه بعد توليه السلطنة عام ٨١٥ هـ/١٤١٢ م استغنى عن هذه الدار التي لم يكتمل بناؤها بعد فحوّلها إلى مسجد. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٢٧.

الرابع: بنظر جامعي عمرو والأزهر، وهو مختص بحاجب الحجاب [١١٥ ب] فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف للجناب العالي، الأميرى، الفلاي فلان الفلاي أمير حاجب الحجاب الفلاي، ضاعف الله تعالى نعمته، في نظر جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه بمصر المحروسة، وجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، على أجهل العوائد في ذلك وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها".

الخامس: نظر الشيخونية^(١) والصرغتمشية^(٢)، وهو مخصوص برأس نوبة النوب، وأضيف إليه نظر الحجازية^(٣) بالركن المخلوق وجامع الأخضر بطريق بولاق^(٤) فيكتب له كما تقدم.

السادس: بنظر سعيد السعداء، وكان مخصوصاً بأستادار الأستادارية، والآن مفوضاً إلى الأمير الكبير والحكم في كتابتها على ما تقدم.

أما من يكتب له تواقع من أرباب السيوف ممن هو خارج عن الحضرة الشريفة، ناظر الحرمين، وقد تقدم الكلام عليه مع أرباب المراسيم الكبار.

الدرجة الثانية: تواقع الأنظار المنحصرة في الأمراء الطبلخانة فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يستقر المجلس العالي أو السامي، الأميرى، الفلاي فلان الفلاي — ويذكر وظيفته ويدعى له بمرتبه في وظيفة كذا —، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور على العادة المستمر حكمها إلى آخر وقت"، [والمشيئة] والتاريخ.

(١) الشيخونية: بنى هذه الخانقاه الأمير شيخو الأمير الكبير عام ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م، كان مكانها جملة من قطائع أحمد بن طولون، رتب فيها دروساً لفقهاء المذاهب الأربعة، وهى مازالت قائمة إلى الآن تحت رقم أثر ١٥٢. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٤٢١.

(٢) الصرغتمشية: المدرسة الصرغتمشية تنسب إلى الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب، انتهى بناؤها عام ٧٥٦ هـ/١٣٥٥م، وتقع فى حى الصليبة بالقاهرة، خصصت لتدريس المذهب الحنفى، وهى مازالت قائمة إلى الآن تحت رقم أثر ٢١٨. انظر: المقرئى: السابق، ج ٢، ص ٤٠٣ — ٤٠٥.

(٣) الحجازية: اسم مدرسة بنتها السيدة خوند تتر الحجازية ابنة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٦١ هـ/١٣٥٩م. والمسجد باقى إلى الآن تحت رقم ٣٦. المقرئى: السابق، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٤) الجامع الأخضر: يقع هذا الجامع خارج القاهرة، وعرف بذلك لوجود نقوش وكتابات خضر على بابه وبقته، أنشأه خازندار الأمير شيخو. المقرئى: السابق، ج ٢، ص ٣٢٤.

الضرب الثاني: تواقع المتعممين. وهى على درجتين:

الدرجة الأولى: من يكتب له في النصف كناظرى المفرد والدولة وغيرهما، فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يفوض للمجلس العالى، القاضى، الكبيرى، الفلاى — وإن كان حاكماً كتب الحاكمى الفلاى فلان الفلاى —، ويدعى له بمرتبه في وظيفة كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به كذا وكذا على العادة المستمر حكمها إلى آخر وقت"، والمشية والتاريخ.

الدرجة الثانية: من يكتب تواقع بوظائف في قطع الثلث، فيكتب "رُسم أن يكتب توقيع شريف، بأن يستقر المجلس السامى، القضائى، الفلاى، وربما كتب المجلس السامى، القاضى الأجل وهو نادر، ويدعى له بمرتبه في وظيفة كذا بما لذلك من المعلوم على عادة من تقدمه في^(١) [١١٦ أ] وقاعدته"، والتاريخ والمشية.

وغالباً ترفع قصص بالوظائف المستحق كتابة تواقعها في قطع الثلث، أما ما دون ذلك من الولايات فلا يكتب لها أوراق رقاع جملة، ويقتصر الموقع في كتابتها من ما يوقع في هامش القصة

المقصد الثانى

كتابة التوريد والمضيف والتسفير وأوراق البريد

وهى على أربعة صور:

الأولى

كتابة التوريد

وهى توريد ما يرد على ديوان الإنشاء من مطالعات أو محاضر أو قوائم أو غير ذلك حتى يُعلم حال وروده لمن حضر على يده، ومحل وضعه أن يكون من المطالعة في ظاهر الوصل الذى فيه البسملة من جهة اليمنى خلف الكتابة، فإن كانت المطالعة من ملوك العرب أو الفرنجة كانت كتابة التوريد في الصفحة الأولى من المطالعة وهى أول صفحة يقع عليها نظر الكاتب وصورها أن يكتب "وردت في تاريخ كذا وكذا على يد فلان الفلاى ويزاد في كتابة التوريد في رأس

(١) كذا في الأصل، ويبدو إنه نقص ناتج عن الكتابة من صفحة لأخرى.

الخضر أو القائمة قرين مثال فلان الفلاني الوارد على يد فلان ". وربما كتب ذلك كاتم السر بيده، والعادة إنه يكتبها نائب كاتم السر وأحق من يكتبه من كتب جواب تلك المطالعة من كتاب البريد.

الثانية: كتابة المضيف، ولا يكتبه إلا كاتم السر بيده أو نائبه بإذن، ولا يكتب المضيف إلا الأمير أو خاصكي أو أحد من البرد الخاص ليوجهه في مهم شريف، وهو على ورق دمشق وقد صار على النصف، ومحل وضع كتابة المضيف بين الأسطر في ورقة الطريق تحت اسم " المضاف " وصورة كتابته " ويصرف له ".

الثالثة: كتابة التساير، ولا يكون إلا للنجابة والسعاة حين يوجههم بالأسئلة الصادرة من الديوان في المهمات الشريفة، ولهم ضرائب معلومة يأخذونها من ديوان الخاص الكل مملكة، ويكتبها نائب كاتم السر وموقع الدست، ويكتب مررح [كذا] وصل، وصورة كتابته "رُسم أن يسفر فلان النجাব أو الهجان أو الساعي إلى المملكة الفلانية [١١٦ ب] أو الجهة الفلانية في مهم شريف بما على يده من الأسئلة على جاري العادة "، والتاريخ والمشية.

الرابعة: كتابة أوراق البريد، على ما كان الأمر عليه حين كان البريد مرتباً قبل اللنك، وكان لا يكتبها إلا كاتم السر بيده أو نائبه عندما تبرز المراسيم يتوجه أحد في مهم شريف على البريد، وصورة كتابتها "رُسم لفلان الفلاني أمير أخور الفلاني بمرتبة أن يحمل فلان الفلاني _ بحسب مقامه _ على كذا وكذا من خيل البريد بسبب توجهه في المهم الشريف إلى المملكة الفلانية "، والتاريخ والمشية.

المرتبة الثانية: كتاب الدست

وهم من أيام الناصر فرج على نوبتين من كل أسبوع:

النوبة الأولى: من الأسفار في يوم السبت يركبون في خدمة رئيسهم يكتبون ما رسم لهم بكتابته بالخدمة الشريفة، فإذا فُض الموكب غادروا في خدمته إلى الديوان يتقاضون أشغال المملكة إلى قريباً من نصف النهار بحسب شغلهم، وكذا في كل يوم إلى يوم الثلاثاء من ذلك الأسبوع، وبهذه النوبة رئيس من أعيان الكتاب بقرب من مقام كاتم السر في الشروط لازمة له المتقدم ذكرها، وهو الذي يسد عن كاتم السر إذا انقطع عند ملكه ويتلقى الأمور المهمة عند غيبة نائب كاتم السر ويقتدى بكلامه في الديوان في الأمر والنهي والزيادة والنقص والرفعة

والانحطاط والإطناب والإيجاز والبلاغة والفصاحة وقواعد المملكة ومعرفة مصطلح الكتاب في كتابتهم بالديوان، وإليه الإمارة وعليه المعول، والقائم في رأس هذه النوبة في زماننا " القاضي ناصر الدين البرلسي العمري " ^(١)، عريق في السؤدد ^(٢) ^(٣) العراقة والمختد ^(٤)، متواضع قدره جليل، ونفس زاكية إلى الخيرات تميل، كامع ^(٥) العقل، ذو شهامة، مطبوع على الإحسان فلا تعتريه فيه شامة، ستر جميل على من يلوذ بجنابه، كعبة لمن يسعى بحرم وجوده، وملجأ القاصد رحابه، رقت ^(٦) ببلاغته حلة ديوان الإنشاء الشريف، وسجع مزاد ^(٧) سجعه فجاء بكل غريب وطريف، مع هبة عند الأمراء والملوك، وطريقته مثلى سلك فيها أحسن سلوك، أنشر من بحر أيامه الكرام ما كان عابراً [١١٧ أ]، وحسبك للدست الشريف منه قوة وناصرأ، جعله الله من الذين كتب في صحائفهم جزيل الثواب وأناله عند الله زلفى وحسن مآب.

النوبة الثانية: من الأسفار يوم الثلاثاء إلى آخر الأسبوع حيث الابتداء يفعلون ما تقدم ذكره في النوبة الأولى، ولهذه النوبة رئيس من أعيان الكتاب ويكون بالصفة والشروط اللازمة في رأس النوبة المتقدمة، والقائم في رأس هذه النوبة في زماننا " القاضي ناصر الدين محمد

(١) هو محمد ناصر الدين البرلسي، أحد موقعي الدست، وكان يوقع أيضاً عن الخليفة وناظر الخاص، توفي عام

٨٤٥ هـ. السخاوي: الضوء، ج ١٠، ص ١١٥.

(٢) السؤدد أى السيادة. ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) المختد بمعنى الأصل والطبع. السابق، ج ٣، ص ١٣٩.

(٥) المكامع: هو القريب منك الذى لا يخفى عليه شىء من أمرك. السابق، ج ٨، ص ٣١٤.

(٦) الرقم: هو الزخرفة. السابق، ج ١٢، ص ٢٤٩.

(٧) المزاد: جمع مزادة وهى التى يحمل فيها الماء، وتأتى بمعنى الارتواء. السابق، ج ٣، ص ١٩٩، ج ١٤،

ص ٢٤٠.

القرشي الفاقوسي^(١)، رئيس محلي بجلي الدين الشريف، وامتطى صهوات الفخر المنيف، وحال لسانه في ميدان الدست الشريف ويمينه، لعلم الملوك أنه أعزه الله كفوه الفرد وأمينه على المرتبة والسيادة، ميمون الطلعة، حليف السعادة، فضله مبين، ودينه متين، سمع الأحاديث النبوية من مشايخ عصره فسعد بذلك وفاز، والمسعود من وصله بسلسلة الذهب من إسناده العالي، وأجاز تواضعه مع رئاسته وعلو قدره طالما نال الفقراء من خيره، وأمن الناس من شره، مقبلاً على الصيام وتلاوة الكتاب العزيز ذى الآيات، مواظباً ليله وفهاره على الصلاة والصلات، يجود بنفسه وماله في حبة الفقراء، أو يدلج في السرى إلى مجالسهم يحمّد القوم السرى، أثابه الله على ذلك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً^(٢).

مراتب كُتّاب الدست: ^(٣)

الأول: منشئ ينشئ ما يؤمر به في الأمور المهمة كالبيعات والعهود والتقاليد وما في معناها، ومكاتبات القانات وعظام الملوك شرقاً وغرباً. وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة كبار الفضلاء وعظماء البلغاء، واسع الفكرة والحضيرة، مستنبطاً للمعاني البليغة والألفاظ الفصيحة، مديد الباع في الكلام لأنه يتولى الإنشاء من نفسه، وتلقى إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فيبنى عليه ذلك الكلام الطويل ويأتى بالعبرة الواسعة، ويكون قوى النفس في كلامه شديد البأس في خطابه، مربعاً للأعداء، مهولاً أمر ملكه ومملكته، قوى الحجة مطنباً في موضع الإطناب

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد الفاقوسي، المعروف بالرئيس ناصر الدين كبير الموقعين بديوان الإنشاء، بدأ الكتابة في عهد الظاهر برفوق، ولكنه عزل عن وظيفة رئيس الموقعين في عهد كاتب السر البدر محمود الكلستانى بسبب رفض الفاقوسي للإصلاحات التي كان ينوئ البدر الكلستانى إجراؤها على أسلوب الكتابة في الديوان، ولكنه رجع إليها بعد موته، وعلت منزلته إلى أن انحطت في عهد المؤيد شيخ عن ذي قبل وتناقصت كثيراً في دولة الأشرف برسباي، مات عام ٨٤١ هـ. انظر: ابن حجر: إنباء، ج ٩، ص ٢٦ — ٢٧؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٣، ص ٤٣٠؛ السخاوي: الضوء، ج ٧، ص ٢٢١ — ٢٢٢.

(٢) كتب في الهامش عن القاضي ناصر الدين الفاقوسي [رأيت في منامى في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة رجلاً عليه سمت الخير قال لي هذا الرجل ويشير بيده إلى القاضي ناصر الدين المشار إليه يُسطر في كل يوم في صحيفته عشر حسنات.

(٣) بياض في الأصل، ولم يذكر المؤلف شيئاً عن ترتيب الوظائف في فهرس المخطوط.

وموجزاً في موضع [١١٧ ب] الإيجاز، ميالاً للخواطر جاذباً للقلوب، فإنه ناطق عن سلطانه متطبع في العظمة بطباعه.

قليل ولما ولي المهلب^(١) ولده حسان^(٢) أوصاه بأن يستعقل حاجبه ويستطرف نديمه ويستفصح كاتبه، وقال له " إنما يهابك من بعد عنك بكتابك، ومن قرب منك بحاجبك، ومن جالسك بنديمك. والقائم في ذلك في زماننا^(٣) .

الثاني: كاتب يكتب المكاتبات الصادرة للملوك شرقاً وغرباً، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدم من علو الهمة وعظم الشهامة، ويكون مطلعاً على وقائع الأمور للخلفاء أصحاب الدول والملوك السالفة، واسع الباع في العلوم مستحضراً لكتاب الله عز وجل والأحاديث النبوية والآثار المروية والأمثال السائرة وكلام فحول الشعراء مع جودة الخط وبلاغة القول ومعرفة مخاطبات الملوك ليقوى حجة سلطانه على مقاصده ويخرجه من اللوم ويبدى محاسن ملكه ويظهر ما منحه الله به من قوة سلطانه وعظيم ملكه، والقائم في ذلك في زماننا " القاضي معين الدين عبد اللطيف [١١٨ أ] ابن القاضي شرف الدين أبو بكر بن العجمي^(٤) "^(٥) .

(١) هو المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد، وعرف بأبي صفرة بابنته صفرة فكان بها يكنى، من قبيلة الأزد، كان أبوه مما نزل بالبصرة، وقد كان المهلب من شيعة عبد الله بن الزبير، وقاتل الخوارج عن البصرة، ثم قام الحجاج بن يوسف بالزواج من ابنته وولاه خراسان، وبقي بها إلى أن توفي عام ٨٣ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج ٥، ص ٣٥٠، ت رقم ٧٥٤.

(٢) الذي أوصاه المهلب هو ولده يزيد. انظر: ابن خلكان: السابق، ج ٥، ص ٣٥٣.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) القاضي معين الدين عبد اللطيف بن القاضي أبو بكر بن العجمي المشهور بابن الأشقر، تدرّب على يد أبيه القاضي أبي بكر بن العجمي في صناعة الإنشاء وتولى بدلاً منه كتابة سر حلب عام ٨٣٩ هـ ثم عاد إلى القاهرة على وظيفته الأولى في مباشرة التوقيع، فلما مات أبوه عام ٨٤٤ هـ استقر مكانه في نيابة كتابة السر وغيرها من الوظائف، واستمر على ذلك حتى توفي عام ٨٦٣ هـ. انظر: ابن حجر: إنباء، ج ٩ ص ١٤١؛ ابن الصوفي: نزهة النفوس، ج ٣، ص ٣٣٢، ٣٨٣؛ السخاوي: الضوء، ج ٤، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٥) بياض بمساحة نصف صفحة.

الثالث: كاتب يكتب مهمات الديوان من التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع ونحو ذلك. وشرطه أن يكون لاحقاً بالصفات المتقدمة للكتاب المذكورين، خبيراً بما يستحقه كل ذى ولاية من قطع الورق وقطة القلم والافتتاحات والألقاب والنعوت والدعاء وما يوصى به، ويكون بعيداً من الغرض والشحناء حتى لا يهوى بأحد إلى فوق ما يستحقه ولا يبخس أحداً حقه، والقائم في زماننا بذلك^(١).

[١١٨ ب] الرابع: كاتب جيد الخط بجميع الأقلام، يكتب ما ينشأ بالديوان من الأمور المهمة لأنه قل أن يجتمع الإنشاء وحسن الخط في واحد فرد، والقائم في ذلك في زماننا^(٢).

الخامس: كاتب يكتب المناشير الإقطاعية المرسوم بإخراجها من ديوان الجيوش المنصورة. وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة الأعيان من الموقعين المتقدمين الذكر، وأن يكون حسن الخط في الأقلام^(٣) المفتوحة^(٤) والخفيفة^(٥) عارفاً بمقدار كل أحد من الأمراء وأولاد الملوك والجند وغيرهم لأن رتب المناشير بمقام الإقطاع لا بمقام الوظائف، وأن يكون عارفاً بالأقاليم والجهات والبلاد ليؤمن من تصحيفها عليه، وربما كتب في المناشير من ديوان الإنشاء الكاتبان والثلاثة.

السادس: كاتب يكتب المكاتبات إلى ملوك الكفر، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة فضلاء الكتاب، مدركاً لغوامض الأمور، قوى الحجة شديد الذكاء، حسن الخط، والقائم به في زماننا بذلك^(٦).

(١) بياض بمساحة خمسة أسطر.

(٢) بياض بمساحة ثلاثة أسطر.

(٣) عن أنواع الأقلام انظر القسم التاسع من هذا الكتاب، القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٤٧، ٥٥، ٥٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٨.

(٤) يعنى بها قلم الطومار الكبير الذى توجد به فتحات ثلاثة أو أكثر بقدر ما يحتاج فيه من تشرب للحبر للكتابة. السابق، ص ٥٠.

(٥) هو القلم الخاص بكتابة الخط الثلث، وتكون كتابته دقيقة رفيعة ولذلك أطلق عليه قلم الثلث الخفيف. السابق، ص ١٠٠.

(٦) بياض بمساحة سطرين.

السابع: كاتب يكتب ما يلخص بالديوان من الكتب الواردة المبسوطه، وما يعرب من الكتب الأعجمية، وربما كان كاتب الدفتر والمطقات وغير ذلك، وشرطه جودة الخط، وأن يكون لاحقاً فى الفضيلة من تقدمه من فضلاء كتاب الديوان، ثم فى زماننا صار كاتب السر يؤهل كل من هؤلاء السبعة كتاب إلى ما هو مغدوق بالسبعة وغير ذلك.

المرتبة الثالثة: كتاب الدرج:

وهم دون كتاب الدست فى الرتبة، وغالباً يكونوا من أولاد كتاب الدست حين انتدابهم، وهم قاصرون على كتابة ما يعينه عليهم كاتب السر من خلاص الحقوق وصغار التواقيع والمراسيم وأوراق الطريق والجواز والمساطر والمسودات ونحو ذلك، وهؤلاء يجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يكتبون [١١٩ أ] ما ينشأ من المكاتبات بالديوان.

النوع الثانى

أرباب الخدم بديوان الإنشاء

وهم ثلاثة^(١):

الأول: الدوادار، بخدمة صاحب الديوان، وهو فارسى معرب مركب من كلمتين يعنى " ممسك الدواة " فحذفت الهاء من آخر الدواة للخفة. أما فى اللغة فإنه يقال لحامل الدواة " داو " على وزن ماض، أما فى زماننا فإن حامل الدواة لم يكن له تصرف فى أمر ولا فى نهى ولا تناول ولا دفع، والعهدة والأمر لمن يقع عليه ذلك اللقب.

وكان قديماً لا يتولى هذه الوظيفة إلا من يكون فى محل الكمال ولا يوليه إلا الملك نفسه، وكان لا يستقر باستقرار صاحب الديوان ولا يتفصل بانفصاله، وربما تعدد إلى ثان ليقوم بما يلزمه عند غيبته، ويلزم الدوادار سبعة أمور:

الأول: الملازمة للديوان ولمخدومه فى حال الركوب والتزول والجلوس فإن احتجب مخدومه فىكون الدوادار على الملازمة أثبت ليتلقى ما يرد للديوان من الأمور فإنه ربما يرد

(١) بياض فى الأصل.

للدويان عند تحجب مخدومه أحد بسبب أمر مهم فلا يجد من يلجأ إليه فتأخر الأمور ويقع الخلل.

الثاني: اليقظة وعدم الغفلة وإحاطة العلم بكل ما يصدر من الدويان وما يرد عليه من قليل وكثير وجليل وحقير وإدخال ذلك في فكره وتصوره في ذهنه، وأن يبدى الجواب عن كل أمر يتعلق بالدويان بحسن تأت ومعرفة وتمكن وعقل تام، فإن اطلع على وقوع ما لا يسوغ رده إلى حين المشورة عليه وخروجه على السداد.

الثالث: تناوله الأمثلة وختمها وذلك محصور فيه فلا يختم شيء منها إلا بعد وقوف مخدومه عليه وإذنه له بختمها، والختم تابع الألقاب فكلما علت ألقاب المكتوب إليه لزم تعظيم حجم المثال تعظيماً للمرسل إليه، وإذا أمره مخدومه بختم مثال فلا يخرج من يده إلا محتوماً ولا يزداد فيه الحرف الواحد ولا النقطة الواحدة إلا بإذن مخدومه وإطلاعه على ذلك ثانياً، وإذا ختمت الأمثلة جمع كل منها لبعضها بعضاً ولف أوراق الطريق عليها إن كان وإعطائها لحاملها.

والختم [١١٩ ب] مصدر " ختم "، يقال " ختم الكتاب بختمه ختماً " ومنه قوله تعالى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^(١) والمراد به سد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم لعدم الاطلاع على ما فيه. قيل إن أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام وبه فسر قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين قالت لقومها ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾^(٢) أى مختم على أحد الأقوال، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى بعض العجم فقبل له إهم لا يقرءون كتاباً غير مختم فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه " محمد رسول الله " ثلاثة أسطر، الله سطر أول، محمد سطر ثان، رسول سطر ثالث، وكانت كتابته من الجهة اليسرى إلى الجهة اليمنى هكذا. وكان يختم به الكتب ثم كان بعد وفاته في يد أبي بكر، ثم بعد أبو بكر في يد عمر ثم بعد عمر في يد عثمان إلى أن سقط منه في بئر أريس من أبيار المدينة فطلبه أياماً فلم يقدر عليه ثم اتخذ خاتماً غيره ونقش عليه محمد رسول الله ثم صار كل خليفة بعده يتخذ خاتماً وينقش عليه ما يقتضيه رأيه^(٣).

(١) البقرة، الآية ٧.

(٢) النمل، الآية ٢٩.

(٣) عن خاتم رسول الله انظر القسم الثاني من هذا الكتاب.

وكان للختم في أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم وبه الخاتم الذى يطبع به، وقيل إن أول من اتخذ معاوية بن أبي سفيان، وكان يغمس الخاتم في طين أحمر يجلبه الخلفاء من سيرا^(١) من بلاد فارس، وكانت الكتب في مبدأ الإسلام تحزم من وسطها بتنفيذ حتى يبلغ في طبقات الكتاب ثم يخرجها ويجعل مكانه ورقة كالسير الصغير ثم يقط طرفا الورقة ويختم عليه، وعلى ذلك بلاد الغرب والفرنجة إلا إنهم يجعلون عوض الطين شمعاً. وكانت الملوك يتخذونه ذهباً ثم تغيرت أنفسهم فاتخذوه فضة ثم خست أنفسهم فاتخذوه قردير^(٢) أو شمعاً، وبلاد الشرق والديار المصرية يعاننون لصاق رأس الكتاب كما هو عليه الآن.

الرابع: تناوله من الناس ما يرد للديوان من المطالعات وقراءتها والقوائم والقصص وغيرها، فيجب أن يكون يقطاً في ذلك حاضر الحس، عارفاً لأصحابها، خبيراً بوقت ورودهم، محذقاً عما أتوا فيه، بشوشاً، أدوباً، طلق الوجه، حسن السفارة، ملتفتاً إلى رضا خواطر أركان المملكة [١٢٠ أ] وكبار المملكة وذوى العلم والصلاح، فإن لم يقض شيء من ذلك أعاده نخضره وبسط له العدد في التوقف في ذلك ويرشده إلى طريق الصواب ليذهب عنه عن رضى من غير سخط ولا كسر خاطر.

الخامس: حفظه على متعلق الديوان فيلزمه اتخاذ مكان جيد حرز قريب ممنوع من الرطوبات وكثرة الريح والمطر والأتربة وأوكار ما يؤذى الورق كالفأر وغيره، ثم ينظفه ويفرشه ويجعل فيه كل صنف من الأوراق المحتاج إليها بالديوان وأقلام العلامة ومباردها والحبر والرمل والمداد والإضبارات والمسودات والدفاتر والمسطرات والعلامات المرتجعة^(٣) والمقروطة^(٤)، والكتب الواردة من عظماء الملوك، ولا يمكن أحد من الدخول إليه ولا الاطلاع على ما فيه من سر المملكة، ويجعل فيه المزرة بعد انفضاض جماعة الديوان.

السادس: التيقظ في كتابة الدفتر بما يصدر من الأمور المهمة بالديوان في كل يوم، والاحتراز على المسودات ونقلها للدفتر، ولا يهمل من نقلها السطر الواحد إذا كان به تعلق، وجمع ما يرد إلى الديوان من المطالعات في ذلك اليوم وضم ما يورد منها إلى بعضه وجعلها في

(١) هو ميناء مشهور بإيران. البلاذرى: فتوح، ق ٣، ص ٧٣٨؛ لى سترانج: بلدان، ص ٢٩٤.

(٢) كذا في الأصل، ولم أستطع الاهتداء إلى معناها، وأظنه يعنى معدن القصدير.

(٣) أى الأوراق التى علم عليها السلطان ورجعت إلى ديوان الإنشاء.

(٤) أى التى قطع طرفها وبث فيها سواء بالرفض أو الإيجاب.

إضبارة ويكتب عليها اسم ذلك اليوم من الشهر، فإذا انقضى الشهر جعل تلك الإضبارات في وقاية وكتب عليها اسم ذلك الشهر من السنة، فإذا انقضت تلك السنة جعل الوقايات في ملف وكتب عليها اسم تلك السنة ولا تفتح إلا للكتب منها.

السابع: استدعاء ما يحتاج إليه بالديوان كالأوراق البيضاء من كل قطع وأوراق البطائق وأقلام العلامة ومبارد براقها وفوط المزرة وقماشتها والخبر والرمل والمداد وغير ذلك وخصوصاً عند السفر.

الثاني: حامل المزرة^(١) وكان يطلق عليه خازن المزرة، وربما قيل خادم المزرة وهو بمنزلة نائب الدوا دار فيما يتعلق بالمزرة، وشرطه أن يكون عاقلاً أميناً ذكياً يقطاً فطناً قارئاً ملازماً، وله لوازم منها معرفته بترتيب الأوراق بقصد أخذ الخط الشريف عليها، وطريقة ذلك أن يفرش فوطة من الحرير السكندري أحد طرفيها معقود ويكون ذلك بحضور الدوا دار، وأول ما يوضع فيها أكبر [١٢٠ ب] ما يكون من قطع الورق، ثم يجعل فوقه ما دونه في القطع إلى أن يكون قطع الثلث ثم يرتب المناشير كما تقدم في قطع الورق وتوضع في الفوطة ولا تختلط المكاتبات كي لا تشبه على الملك في العلامة، ثم توضع المراسيم المربعة والتذاكر ثم توضع بعدها أوراق الطريق والمراسيم والتواقيع الصغار ثم توضع الأمثلة وأولها ما عليه الاسم الشريف ثم والده مع صدرت، والعالي ثم والده مع أدام وضاعف، ثم أخوه ثم يلف ويوضع في المزرة ويحمل إلى القصر فيعرض ترتيبها مرة ثانية ثم يقدم لأخذ العلامة، فيعلم أولاً أخوه وهو ما كان آخر الترتيب ثم والده إلى أن يكون آخر علامته ما وضع أولاً في الفوطة من القطع الكامل ثم يقدم القصص المستوجبة لأخذ "يكتب" فيشملها الخط الشريف وتعاد إلى الفوطة ثم ترفع وتعاد إلى الدوا دار فيأخذها ويعيدها لحامل المزرة.

تنبيه لا يوضع في الفوطة لأخذ الخط الشريف ورق ملون ولا دنس ولا مشق ولا خشن كي لا يعثر قلم العلامة فيه ولا خفيف كي لا ينفذ منه المداد ولا موصول ولا مثقوب في بيت العلامة ولا ما يكون ضيقاً على العلامة ولا ما يقصر في العرض والطول عن وسع الخط. ومنها معرفته بالمراتب والألقاب والعلامات وقطع الورق ليشرع في الجواب بما يستدعي به منه، ومنها

(١) المزرة هي ما يعرف حالياً بمحفظة الأوراق. أحمد دراج: الكتابة، ص ١٥٢.

أن ينبه الدوا دار على استدعاء ما تقدم من الأصناف فإن غالب حنق الملوك من تأخير مقاصدهم وأوامرهم.

الثالث: المدراء، وأحدهم مدير، أطلق ذلك علماً عليهم لدورهم على بيوت الكتاب لإحضار ما عندهم من الكتابة المتعلقة بالديوان، والشرط فيهم الأمانة واليقظة والاحتراز، وهم في زماننا دون العشرة على نوبتين ولكل منهم إشارة برأس ما يكتبه على يده من الأمثلة.

النوع الثالث

ما هو خارج عن الكتاب وخدام الديوان

وهي صنفان:

الأول: دفتر متخذ من طومار الشامي مكسور في النصف على التربع بدفتي جلد وقاية، مخروم في وسطه محيط، يكتب فيه ملخص ما كتب في المسودات عما صدر من الديوان من مهمات أمور [١٢١ أ] المملكة يبدأ بالكتابة فيه من رأسه بتاريخ اليوم من الشهر إلى أن ينتهي الشهر ترك ورقة بيضاء حازجة بينه وبين الشهر الذي يليه إلى آخر السنة فيجعل الإضرابات ويتخذ دفترًا غيره، والعمل به مثل ما تقدم، وغالبًا إنما يكتب فيه من كتب ذلك المهم، والأحسن أن يكون له كاتب مفرد حسن الخط يتكفل به، وكان الدفتر ضابطاً للديوان من أوائل الدولة التركية إلى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فضل الله في أيام الظاهر برقوق تركه واقتصر على المسودات إلى أيام المؤيد شيخ فاعتنى القاضي ناصر الدين البارزي به وأعادته على ما كان عليه كما هو الآن، ويكون بالمرزة حين الخدمة لسؤال يقع من الملك.

الثاني: مزرة متخذة من القماش المخرز الصافي ببطانة في صفة الكيس طولها ذراعين وثمان مشية، وعرضها ذراع وثلاث بفلاحة من الخيط المحفر تجمع به فوهتها، وأول من اتخذها قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز قبل أن يلي القضاء والوزارة في أيام الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد، وكانوا قبل يعملون المكاتبات في طول النهار فرادى ومثنى وثلاث ورباع وهي جامعة لتعلق الديوان يضم فيها كل صنف إلى صنفه في ملف حاجز إما بمنديل أو فوطه من الغزل، وكان في الزمن القديم كل صنف مما حوته في كيس من الحرير الأصفر الأطلس ولا يسلم لغير حارسها البتة، والأحسن أن يكون من الحرير الأصفر الأطلس.

القسم الخامس

فى ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها
وموضوع الوظائف بها وقدر ما يستحقه كل أحد من أرباب الوظائف
من قطع الورق حين ولايته

وهو يشتمل على [ستة أبواب] ^(١):

[١٢١ ب]

الباب الأول

فيما يختص بالسلطان من شعار الملك الذي لا يشاركه فيه غيره

اعلم أن أصل ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد وعن ترتيب الفاطميين بمصر وعن الملوك الأيوبيين. ذكر بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ ﴾ ^(٢) إلى آخر الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم وصف له ترتيب مملكة الأكاسرة فقال اللهم اجعلها لأمتي فحقق الله لنا ذلك وانتقل ترتيب مملكة الأكاسرة إلى الخلفاء ببغداد ثم إلى الديار المصرية وفيها الآن بقايا ألفاظهم المفخمة كطشت خاناه، وفراش خاناه، ودوادار، وسلحدار ونحو ذلك. ولما حضر الفاطميين إلى الديار المصرية كان من ترتيبهم ما هو مستحسن، ثم جاءت الدولة الأيوبية بمحاسن في الترتيب، ثم انتقى ملوك الترك من مذهب أولئك أحسنه فهي الآن أحسن الممالك ترتيباً وأبهجها منظرًا وأكثرها إسلاماً وأشجعها فرساناً وأوحدها ظفراً ونصرة.

ويشتمل إظهار ذلك على أبواب ^(٣).

ويشتمل على عشرين نوعاً:

الأول: حلة الملك، التي يلبسها حين يعهد إليه بالسلطنة، وهي حلة خلفية سوداء يشتمل على عمامة مدورة لطيفة حرير بعدية قدر ذراع ترسل من بين كتفيه. وأول من لبس العمامة السوداء النبي صلى الله عليه وسلم، وحين لبسه لها أرخى طرفها بين كتفيه، ثم لبسها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن عباس، وقثم بن العباس، وكل منهم أرسل طرفها بين كتفيه ثم تبعهم على ذلك الخلفاء العباسيون وجبة حرير سوداء واسعة الكمين يسيراً وأول من لبسها من الصحابة عبد الله بن العباس، وقثم بن العباس في وقعة الجمل وتواترت [١٢٢ أ] الخلفاء العباسيون لبسها.

(١) بياض في الأصل.

(٢) آل عمران، الآية ٢٦.

(٣) بياض في الأصل.

وأول سلطان لبس حلة السواد بالديار المصرية من بغداد الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله في عام تسع وخمسين وستمائة حين قلد السلطنة للظاهر على ما تقدم في القسم الثاني كانت فرجية من الحرير الأسود بتركيبة من الزركش^(١) وعمامة سوداء وطوق من ذهب ومن إذ ذاك استقرت حلة الملك من غير زركش ولها طوق وسيف بداوى _ ينسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه _ يحمله بتقلده من أعلى كتفه الأيمن إلى جانبه الأيسر كما العرب، وأول من تقلده الظاهر بيبرس مع الحلة السوداء.

الثاني^(٢): سرير الملك، وهو من رسوم الملوك القديمة، وأول من اتخذ ذلك في الإسلام معاوية بن أبي سفيان في خلافته [حين بدن]^(٣)، ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه حتى كانت أسرة خلفاء بني العباس تبلغ سبعة أذرع، ثم جعل الآن في القلعة في الإيوان من رخام نحواً من سبعة أذرع. أما جلوس الملك بالقصر فإنه يكون على كرسى من خشب لطيف دون الذراعين، وفي غير القصر على كرسى لطيف من حديد ينقل مع خادم، وربما كان عوضه مدورة^(٤).

الثالث: المقصورة، وهى مقصورة بجامع الخطبة بالقلعة لا يفتح لغيره، وأول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان، وقيل عثمان بن عفان.

الرابع: الدعاء على المنابر بعد الخليفة في الخطبة، وأول من دعى له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة بن بويه في خلافة الطائع لله.

الخامس: وضع اسمه سكه على النقود، ورقم اسمه على قماش كسوة البيت الحرام وعلى الأطرزة. والسكة قديمة باسم الملوك قبل الإسلام، والرقم منقول عن خلفاء الدولتين^(٥) والفاطميين.

(١) الزركش أى تلوين وصبغ الأثواب الحريرية. القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٨٣؛ البقلى: التعريف، ص ١٦٩.

(٢) بدأ القلقشندي بسرير الملك ولم يذكر الحلة، صبح، ج ٤، ص ٦.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من القلقشندي: السابق، نفسه.

(٤) أبدل القلقشندي تلك العبارة بأن قال [وفى سائر الأيام يجلس على كرسى من خشب مغشى بالحرير، إذا

أرخى رجله كادت أن تلحق بالأرض، وفى داخل قصوره يجلس على كرسى صغير من حديد يحمل معه إلى

حيث يجلس]. صبح، ج ٤، ص ٧.

(٥) يقصد الخلافة الأموية والعباسية.

السادس: الغاشية، وهي غاشية سرج متخذة من أديم مزركشة بالذهب يخاطها الناظر مصنوعة [من الذهب] ^(١) يحملها بعض المهتارية ^(٢) بين يديه في المواكب الحفلة في طرفة الجفتاه ^(٣) يمينا وشمالاً.

السابع: المظلة، ويعبر عنها بالستر ^(٤)، وبعض الناس يسموها القبة ^(٥)، وهي من حرير أصفر خفيف مزركشة بالذهب، على أعلاها طائر مموه على قبة مموهة يحمل على رأسه في المواكب الحفلة ولا يؤهل [١٢٢ ب] يحملها إلا ولد السلطان أو أخوه أو أتابك العساكر، وفي الشام وحلب نائبهما.

الثامن: الرقبة، وهي متخذة من قطعة حرير أصفر مزركشة بقدر رقبة الفرس يكسى بها حين ركوب السلطان عليها في المواكب الحفلة، وكانت الفرس تفعل ذلك.

التاسع: الجفتاه، وهما أوجاقيان ^(٦) أشقران عليهما قباوان أصفران من حرير، وعلى كل منهما طرزي زركش وكوفية مزركشة وتحتهما فرسان قرطسيان ^(٧) يركبان بين يديه في المواكب الحفلة يارقاتاشات من زركش حتى يكون الملك في طرفهما جداراً من حفرة يعبر فيها فرس الملك.

(١) ما بين الحاصرتين من صبح، ج ٤، ص ٧، ضوء، ص ٢٤٢.

(٢) الركاب دارية: صبح، نفسه، والمهتار لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كمهتار الشراب خاناه، ومهتار الطشت خاناه، ومهتار الركاب خاناه، و"مه" بكسر الميم بالفارسية الكبير، و"تار" بمعنى أفعّل التفضيل، فيكون معنى المهتار "الأكبر". القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٧٠. واللفظان هنا بمعنى واحد سواء كان المهتارية أو الركبادارية.

(٣) يلفتها: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه. الصواب ما قاله السحماوي لأن الجفتاه هي الفرسان اللذان يكونان عن يمين وشمال السلطان في المواكب يركبهما فرسان من الممالك يقال لهما أوجاقيان أو أوشاقيان يحملان الغاشية من الركبادارية. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٧ — ٨.

(٤) أطلق عليها القلقشندي [الجتر، والجتر] في موضعين مختلفين من صبحه، ج ٢، ص ١٣٣، ج ٤، ص ٧، ولكنه في ضوئه ذكره بـ [الجتر]، ص ٢٤٢.

(٥) انظر، محمد الهيلة: النظم الإدارية، ج ٣، ص ١٠٩٤.

(٦) أوشاقية: صبح، ج ٤، ص ٨. وأوحدها أوشاقي أو أوجاقي، وهو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. صبح، ج ٥، ص ٤٥٤.

(٧) أشهبان: صبح، ج ٢، ص ١٣٣ — ١٣٤؛ ضوء، ص ٢٤٢.

العاشر: القصايب، وهى رايات من حرير مزركشة، وراية فى رأسها خصلة من شعر، ورايات صفر من حرير يسمون السناجق، وكان لواء النبى صلى الله عليه وسلم أبيض.

الحادى عشر: الشبابة، متخذة من يراع يزيد عن شبر يصيت بها بين يديه فى المواكب الحفلة، وربما كان عوضها بوق من فضة أو نحاس يصيت بها لو كان الملك خارج القلعة.

الثانى عشر: الأوزان، والزأى فيه مشوبة بالصاد، وهو آله أعجمية للطرب يضرب عليه فى المواكب الحفلة، والضارب به يتكلم بالتركية فى شىء من توارىخ الملوك السالفة وأصحاب الوقائع والشجعان وعلى نحو ذلك الشعراء بالدفع والموصول والكمنجاه وهم على نوبتين فى المواكب الحفلة.

الثانى عشر^(١): الجاويشية^(٢)، وهم أربعة نفر من الجند فرسان يصيتون بين يدى الملك فى المواكب الحفلة بالنوبة وركوبه وتصيتهم على نوبتين، الأولى تقول " بسم الله يرى بك لار " [أبعصا صلغار]، والثانية تقول " یرن بك لار ".

الرابع عشر: الطبردارية^(٣)، وهم جماعة من أولاد الجند وعليهم أمير بمقام رأس النوبة عليهم، يحيطون بالملك يميناً وشمالاً حين ركوبه معدون لضرب عدو يقرب منه ومن غير إذن وهم عشر نفر.

الخامس عشر: نعمة الملك، وفى أيام المواكب الحفلة تكون نمتان متلاصقتان فى حفير واحد يحملها الجوكندار أحد الخواص من الأمراء يقف بها إلى جانب الملك عن يساره، ونعمة [١٢٣ أ] أخرى قائمة إلى جانبه وربما توکأ عليها الملك وقد يقارها ترس صغير من فولاذ يحمله أحد الخاصكية.

السادس عشر: الزردية^(٤)، وهى زردية داوودية يلبسها تحت قماشة إذا كان فى تسيير أو موكب حفل احترازا من عدو غادر.

(١) الصواب: الثالث عشر.

(٢) انظر القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٤٧ — ٤٨، ٢٣٩.

(٣) الطبردارية، معناه الممسكون بالقفوس وهى كلمة فارسية مركبة من لفظين طبر ومعناه فأس، ودار بمعنى ممسك. انظر، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٥٨.

(٤) الزردية هى نوع من الدروع الحديدية تلبس فى الحروب والمعارك. صبح، ج ٢، ص ١٥١.

السابع عشر: الكزاة، وهي خرقة من شاش ملفوفة بقدر ثلث ذراع تجعل بين الكلفتة والشاش^(١) من جهة اليسار وربما اتخذها بعض الملوك من زركش، وما اتخذها إلا ملوك الدولة التركية بمصر

الثامن عشر: شقق الحرير^(٢) وهي شقق متخذة من الحرير الأصفر والأحمر المسمط تفرش تحت قوائم فرس الملك خاصة حين قدومه من سفر بعيد يمر عليها من باب النصر أو من بين العروستين إلى باب الستارة بقلعة الجبل فإذا مر عليها الملك بفرسه قطعت وأخذتها الجمدارية^(٣).

التاسع عشر: الجمقدار، اسم مركب من لغتين، تركية وهي جمق وهو الدبوس، وفارسية دار وهي ممسك، وشرطه أن يكون حسن الشكل عظيم الهيئة مهاب يقف في أيام المواكب الحفلة إلى جانب الملك من الجهة اليمنى رافع يده ببعض تمايل بدبوس كبير الرأس مموه بالذهب شاخص ببصره إلى بصر الملك لا يشخص لغيره إلى حين قيام الملك من مجلسه.

العشرين: نوبة خاتون، وهي من المفرحات يجمع فيها بالقلعة في كل ليلة أصحاب آلات للطرب يقوم فيها أحد ممالك نائب القلعة بقماش كامل وبيده عصا مذهبة وبين يديه فانوس صغير يحمله أحد البايية وينقله بخفة ورشاقة ليطلق نقله ضرب وقوع الآلات، وفي السفر يكون قائماً فيها أمير جندار فيدور بالدورة والشقة.

(١) الشاش قماش من نسيج رقيق قد يكون من الحرير، ومنه ما يكون مرقوماً بالذهب. ابن حجر: إنباء، ج ٤، ص ٤١، هـ ١.

(٢) يذكر القلقشندي أنها كانت شقق من كتان أو شعر الماعز توضع على خيمة السلطان وعياله. صبح، ج ٥، ص ٢٠٩، البقلي: التعريف، ص ٢٠٣.

(٣) الجمدار، معناه المسك بالثياب، وهي كلمة فارسية مركبة من لفظين جاما ومعناه الثوب، ودار المسك. القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٥٩.

الباب الثانى

فى ذكر أرباب الوظائف بالمملكة من أرباب السيوف والمهاترة المتولين من الحضرة
وفيه ثمان مقاصد:

المقصد الأول

فى ذكر أرباب السيوف

وهم على ست طباق:

الأولى: الأمراء المقدمين ^(١)، وكل منهم مقدم على ألف ومضافاته [١٢٣ ب] مائة فارس، قال فى مسالك الأبصار: وربما زاد المضاف العشرة والعشرين. وكانوا إلى أثناء دولة المؤيد شيخ أربعة وعشرون ^(٢) مقدماً بنائب ثغر الإسكندرية ونائبى الوجهين القبلى والبحرى. قال فى مسالك الأبصار: إن أكابر الأمراء المقدمين يقطع إقطاع الواحد منهم مائتى ألف دينار جيشية ^(٣) وربما زاد على ذلك. وفى زماننا غاية ما يبلغ إقطاع المقدم خالصاً ^(٤) ألف دينار خارجاً عن المغل، وربما اجتمع للأتابكى تقدمتين ولغيره مقدمة وطلبخاناه ^(٥) أو عشرة ويتولون أسنى الوظائف.

(١) قسم القلقشندي فى ضوء الصبح أرباب السيوف على ست طباق أيضاً ولكنه اختلف فى ترتيبهم فذكرهم كالآتى [أمراء المثين، أمراء الطبلخاناه، أمراء العشرات، أمراء الخمسات، الماليك السلطانية، أجناد الحلقة]. ص ٢٤٤ — ٢٤٥. لكنه فى صبح الأعشى فرق بين الأمراء والأجناد فجعل الأمراء أربعة والأجناد طبقتين. انظر صبح، ج ٤، ص ١٤ — ١٥.

(٢) يذكر القلقشندي أنهم فى الدولة الظاهرية بقوق [صارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدماً بما فى ذلك من نائب الإسكندرية ونائبى الوجهين القبلى والبحرى]: صبح، ج ٤، ص ١٤.

(٣) الدينار الجيشى لم يكن عملة متداولة بين الناس بل مقياس لإيراد الإقطاعات، وقد قدرت قيمة الدينار الجيشى ما بين سبع، وثلاثة عشر درهماً. إبراهيم على طراخان: النظم الإقطاعية، القاهرة ١٩٦٨،

ص ٥٢٥؛ بيومى إسماعيل: النظم المالية، ص ٢٤١. Poliak: Feudalism in Egypt, Syria, Palestien and Lebanon, London 1939, p21.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) هى كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل الذى يشتمل على الطبول والأبواق التى

تدق بالقلعة أو على بيوت الأمراء. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٨ — ٩.

الثانية: أمراء السبعينات^(١)، وفوقهم أمراء الثمانين وهم الذين يضاف إليهم السبعين أو الثمانين ويكون قريباً من المقدمة وقد يكونوا من أقارب الملك وهو بقدر أميرى طبلخاناه ومنها يرتقى إلى المقدمة. قال في مسالك الأبصار: إنه من أمراء الطبلخاناه ولكنه يزداد إلى سبعين وإلى ثمانين.

الثالثة: أمراء الطبلخاناه، والمضاف إلى كل منهم أربعون وهو الذى كانت تدق الطبلخاناه على بابه، لكن قال في التعريف: في أواخر المكاتبات أنه تكون للواحد منهم ثمانون فارساً. وهذه الطبقة لا ضابط لعدة أمرائها، وإقطاع كل منهم يبلغ إلى ثلاثين ألف دينار جيشية. قال: وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار، وهم في زماننا لا يدق لهم طبلخاناه إلا إذا توجهوا في مهم شريف لكشف جسر أو قبض غلال ونحو ذلك.

الرابعة: أمراء العشرات، والمضاف إلى كل منهم عشرة فرسان، قال في مسالك الأبصار: وربما كان منهم من له عشرون فارساً ولا يعد إلا في أمراء العشرات ولا ضابط إلى عدد أمرائها بل يزدون وينقصون. ويبلغ [إقطاع] الواحد منهم تسعة^(٢) آلاف دينار إلى ما دون ذلك. الخامسة: أمراء الخمسات، والمضاف إلى كل منهم خمسة فوارس وهم قليلون وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء رعاية لآبائهم، ويبلغ إقطاع الواحد منهم ثلاثة آلاف دينار جيشية^(٣).

السادسة: الجند، وهم على ضربين: الأول جند الحلقة، ولم يكن عليهم خدمة إلا في المهمات السلطانية [١٢٤ أ] وكانت عدتهم تبلغ إلى اثني عشر ألف نفر ثم تناقصت ولا ضابط لهم ولا تماثل فإن الواحد منهم يكون له مع جنبه بقدر سبعة أو ثمانية من درق الشجعان وبالعكس، ومنهم من باسمه عشرة دنانير جيشية ولا لها متحصل وبالعكس. والمقدمين من جند الحلقة في زماننا تبلغ عدتهم أربعين مقدماً شيوخاً لهم قدم هجرة ورأى مسدد ووجهة في

(١) انفرد صاحب الثغر بذكر هذه الطبقة من الأمراء، فالذى درج عليه القلقشندي وغيره أن أمراء الألوف وراءهم أمراء الطبلخاناه ولم يذكروا توصيف أمراء السبعينات هذا. انظر القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١٥.

(٢) سبعة: مسالك — أين —، ص ٨٥.

(٣) انفرد صاحب الثغر بذكر إقطاع أمراء الخمسات دون العمري والقلقشندي.

العسكر، يحضرون بالموكب الحفلة بالإيوان ويكونون باشات ^(١) على مقطعى الحلقة ^(٢) في السفر في المهمات الشريفة.

الضرب الثانى الممالك السلطانية، وينسبوا جميعاً إلى اللقب الملوكى القائم بالملك وإن لم يكونوا مشتراة على وجه الإطلاق ويتميزون فى التفصيل بتجارهم أو معتقيهم، وهم على ست مراتب: الأولى الخاصكية، جعل ذلك علماً عليهم لأنهم يحضرون على الملك فى أوقات خلواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين، ويحضرون طرفى كل نهار فى خدمة القصر والإسطبل، ويركبون لركوب الملك ليلاً ونهاراً ولا يتخلفون فى قرب ولا بعد، ويتميزون من غيرهم فى الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم الطرز الزركش، ويدخلون على الملك فى خلوته بغير إذن، ويتوجهوا فى المهمات الشريفة ويتأنقون فى مركوبهم وملبوسهم، وكانوا فى القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعدد الأمراء المقدمين، والآن فهم يزيدون عن الأربعمئة ^(٣) وهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك ومن هذه الإمرة.

الثانية الجمدارية، وأحدهم جام وهو بالفارسية الثوب، ودار ممسك وهم دون الخاصكية فى الرتبة والخدمة ولم يزالوا مؤبدين على الوقوف فى الخدمة لامتنال ما يأترون به. الثالثة السلحدرية، وأحدهم سلاح دار وهو الذى يحمل سلاح الملك أو سنجقه أو ما يؤهل لحمله من آلات الحمل، وهم على نوب مختلفة.

(١) باشات: ومفرداها باش، وهى كلمة تركية تعنى رئيس. حسن الباشا: الفنون، ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) كان لأجناد الحلقة إقطاعات دون الإقطاعات الموزعة من السلطان طبقاً لمراسيمه على أمراء الممالك، ولكنها إقطاعات خاصة بجند الحلقة دون غيرها من فئات الممالك، وكان يشترك فى الإقطاع الواحد عشرة من جند الحلقة. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ١٤٩؛ محمود نديم: الفن الحربى، ص ١٠٧. وهو هنا يشير إلى جند الحلقة الذين لهم إقطاع.

(٣) أعتد الكثيرون على مقولة خليل بن شاهين فى زبدة كشف الممالك أن عدد الخاصكية فى عهد الأشرف برسبای يزيدون على ألف خاصكى، زبدة، ص ١١٥ — ١١٦. إلا أن اعتمادهم ذلك لم يبن على حقيقة واقعة ذكرها ابن شاهين نفسه إذ أن ناشر الزبدة بول رافس تغاضى عن ما ذكره ابن شاهين فى مخطوط الزبدة المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية تحت رقم ٢٢٥٨ ARABE إذ قال [ولم أحرر ذلك]، ورقة ٥٠ ب. إبراهيم طرخان: النظم، ص ١٨٠ هـ— ٩٦؛ انظر محمود نديم: الفن الحربى، ص ٩٦، Poliak ,

الرابعة السقاة، وأحدهم ساق وهو المعد للخدمة حين حضور الطعام والشراب وفراش ما يحتاج إلى فرشته وتقطيع اللحوم.

الخامسة ممالك الخدمة، وهم الذين لا وظيفة لهم ولا خدمة عليهم إلا من تلقاء أنفسهم أو السفر إلى مهم. [١٢٤ ب]

السادسة الكتابية، وهم الذين بالطباق^(١) في محل التعليم ما أهلوا للدخول في الخدمة بالقماش الكامل، منهم من هو فوق البلوغ ولهم أعوان ومعلمين وخدام عليهم بالطباق ولا يكونوا إلا بالقلعة.

المقصد الثاني

أرباب الوظائف بالحضرة من الأمراء المقدمين

وهم اثنا عشر^(٢) مقدماً:

الأول: النائب الكافل، وهو لقب واقع على كل من ينوب عن الملك في عامة أموره ولا يعبر عن الكافل بمصر إلا إذا ناب بحضرة السلطان فإذا ناب في الغيبة فلا يعبر عنه بالكافل، قال في التعريف: وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد [والمراسيم]^(٣) والتواقيع والمناشير وغير ذلك. قال: وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التميز. قال في مسالك الأبصار: يعين أرباب الوظائف الجليلة ككتامة السر والوزارة [وقل أن]^(٤) لا يجيب فيما يعينه، ويخرج الإقطاع الذي عبرته خمسمائة دينار من غير زيادة، ويكاد أن يكون السلطان الثاني. وقد أهملت هذه الوظيفة من أيام الناصر فرج في عام^(٥) وثمناثة، وتقليده في الثلاثين، واختار صاحب التعريف أن يجمع له في تقليده ذكر النيابة والكفالة.

(١) الطباق: ومفردها طبق، وهي الأماكن التي يسكنها الممالك الذين يشتريهم السلطان وذلك في فترة

تعليمهم وإعدادهم للحياة العسكرية. عبد المنعم ماجد: نظم دولة الممالك، ج ١، ص ١٥.

(٢) الصواب: ثلاثة عشر، طبقاً لتقسيمه للوظائف.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص ٩٤.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من، صبح، ج ٤، ص ١٧.

(٥) بياض في الأصل.

الثاني: الأتابكي، وأصله بالتركية " أطابك " أى " أب أمير " وهو غالباً لا يكون إلا مع عدم النائب الكافل، قال المؤيد صاحب حماة: وأول من لقب بذلك وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي في حين فوض إليه تدبير المملكة عام خمس وخمسين وأربعمائة^(١).

الثالث: الأمير الكبير^(٢)، وهو لقب على أكبر الأمراء في زماننا وأعظمهم وأقربهم إلى الملك مخاطبة وجلساً وركوباً ويستشير السلطان في مهمات المملكة ويعول على رأيه، وأول من لقب بذلك الأمير شيخو^(٣) حين بلغ نهاية ما صار إليه، وقد صار لقب الأتابكي علماً عليه غالباً عند فقد الأتابكي، ولم يكن لوظيفته تقليد ويكتب له توقيع بنظر المارستان في قطع النصف، وربما أضيف إليه النظر على خانقاة سعيد السعداء.

الرابع: رأس نوبة الأمراء، وهو لقب قائم على أمير قائم على الأمراء في الأمر والنهي والحكم عليهم [١٢٥ أ] فيما بينهم ويجلس من مجلس السلطان برأس الميسرة، وتبطل هذه الوظيفة أحياناً وتعمل أحياناً ولا يكتب لها تقليد^(٤).

الخامس: أمير سلاح، من أكابر الأمراء وله التحدث على السلاح دارية والسلاح خاناه، يجلس عند الملك بمنزلة رأس نوبة الأمراء عند فقده، ولا تبطل هذه الوظيفة ولا يكتب لها تقليد.

السادس: أمير مجلس، والأفصح التعريف، فيقال أمير المجلس وتكون الألف واللام فيه للعهد [الذهني]^(٥)، وهو ثالث منزلة من الأمير الكبير ويضاف مع الأتابكية، ويتحدث على

(١) الصواب: ٤٦٥ هـ: صبح، ج ٤، ص ١٨، ضوء، ص ٢٤٦؛ حسن الباشا: الفنون، ج ١، ص ٣. والمقصود بالوزير هو الوزير نظام الملك أبو على حسن الطوسي، وهو وزير السلطان ألب أرسلان ومن بعده السلطان ملكشاه وقد قتل على يد الباطنية عام ٤٨٥ هـ. انظر: حربي أمين سليمان: غياث الدين خواندمير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء، القاهرة ١٩٨٠، ص ٢٤٥ - ٢٦٧.

(٢) انظر القلقشندي: صبح، ج ١، ص ١١٧، ٢٠٨، خليل بن شاهين: زبدة، ص ١١٢.

(٣) كان ذلك عام ٧٥٥ هـ. ابن شاهين: السابق، نفسه؛ ابن إياس: بدائع، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) يذكر القلقشندي أنهم أربعة أمراء، واحد مقدم ألف وثلاثة أمراء طبلخاناه. انظر، صبح، ج ٤، ص ١٨، ضوء، ص ٢٤٦.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح ج ٥، ص ٤٥٥، ضوء، ص ٣٤٣.

الأطباء والكحالين والجراحية والمجبرين، وقد كان قديماً أمير مشور كما كان الأمير قطلقتمر فى أيام الظاهر برقوق، وكان فى مقام أمير مجلس وبطل فى زماننا.

السابع: أمير أخور، فارسى معرب، فأمر معروف وأخور بالفارسية المذود ويلتحق بذلك السلاخورى بمعنى المتحدث على علف الخيل، وهو مركب من لفظتين فارسيتين أحدهما سرا وهو الكبير وقد غلب الناس النطق بها باللام، وأخور المذود كما تقدم وليست الياء للمبالغة. وأمر أخور متحدث على ما بالإسطبالات والمناخات ^(١) من جنس الحيوانات وعلى ما يصدر إليها وما يرد عليها وله رفيق من المتعممين لضبط ذلك وأتباع منهم أمير أخور ثانى وغالبًا يكون من أمراء الطبليخانات وأمراء العشرات كل منهم متحدث على جنس فيقال " أمير أخور المهارة ^(٢) "، " وأمر أخور الدسار " ^(٣)، وربما قيل للمتحدث على الأبقار " أمير أخور السواقى "، وهم يندرجون تحت أمر أمير أخور الكبير. وله التكلم على الأمراء من العربان المسلمين حواصل المال، وعلى السلاخورية ^(٤)، والنجاة، والركابة ^(٥)، والأوجاقية، والمهاترة، والركبدارية، والنجاة ومقدميها، والسيروانية، والبقر، والغلمان، والسياس، والعليق،

(١) أماكن وجود الإبل.

(٢) المهارة: هى الخيول الحديثة الولادة.

(٣) ربما يقصد به الجشرات، ومفردها جشار، والجشرات تطلق على أماكن الرعى، والإسطبالات، وفى بعض الأحيان على الخيل والبقر المصاحب للجيش. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٤٧٧. وأعتقد أن المقصود هنا فعلاً هو الإسطبل الخاص بالتوالد لكون المؤرخين أمثال ابن تغرى بردى قد فرقوا بين الجشار والإسطبل، انظر ج ٩، ص ١٧٠، ولكون معناه اللغوى يؤدى إلى ذلك. انظر لسان العرب، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٤) هو المتولى علف الدواب. السابق، ج ٥، ص ٤٦٠.

(٥) النجاة والركابة هم العربان راكبو الجمال والخيول. عبد النعم ماجد: نظم دولة المماليك، ج ١، ص ١٥١.

والعلوفات، والأتبان، وقماش الخيول، والبغال، والمهجن، والجمال، والبياطرة، والسقاعين، ومقرته باب السلسلة^(١)، ويسند إليه نظر البرقوقية والقاباهية وخانقاه قوصون.

الثامن: الدوادار^(٢)، قال في مسالك الأبصار: وهو الذى يبلغ الرسالة وعامة الأمور عن السلطان ويقدم القصص ويتناول [١٢٥ ب] العلامة ويشاور على من حضر إلى سلطانه وعلى الأمور المهمة، وكان يكتب على القصص إشارته بالإقطاعات قبل كتابة ناظر الجيش عليها بالكشف، وكان يخرج التواقيع والمراسيم بالوظائف الجليلة ويعلق الرسالة لاستخراج الأمثلة بما يراه، ويتحدث على الإقطاعات^(٣) والرزق والجند ويتحدث على الأحباس بتشريف يلبسه من ثاني موكب استقراره، وله التحدث مع كاتم السر على المؤيدة وما يضاف لها.

وكانت هذه الوظيفة في القديم أميرها لا يتعدى إمرة الطبلخاناه إلى أيام الناصر حسن فاستقر في الدوادارية الأمير طغيتمر النجمي بتقدمة ألف، ومن تلك الأيام وهو مقدم. وقد أورد له في التعريف بوصية^(٤) تدل على أنه كان يكتب له تقليد، وله أتباع دونه ويطلق على كل منهم دوادار أمثلهم الدوادار الثاني يتصرف في الحكومة قريباً وبعداً ويكتب بخلاص الحقوق ويشاور على الأمور المهمة ولا يكتب في استخراج أمثلة ولا يعلق رسالة، ثم بقية الدوادارية ثالث ورابع إلى عشرة.

(١) باب السلسلة: هو أحد الأبواب التي تؤدي إلى المنشآت الملحقة بالقلعة، وعرف باسم باب الإسطل في العصر المملوكي، وقد ظل الباب موجوداً حتى العصر العثماني تجاه جامع السلطان حسن معروفاً باسم باب الإنكشارية إلى أن جدد رضوان كتحدا الجلفي المتوفى عام ١١٦٨ هـ عمارة الباب المعروف بباب العزب بالرميلة والبدنبن على جانبيه والزلاقة في موقع باب السلسلة، وما زال باب العزب قائماً تجاه جامع السلطان حسن، ورقم تسجيله الأثرى ٥٥٥. المقرئ: مسودة الخطط، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص ٣٤ هـ؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ٣ هـ.

(٢) الدوادار: كلمة من لفظين، الأولى عربية وهي الدواة، والثاني فارسي وهو دار بمعنى ممسك فيكون المعنى ممسك الدواة. انظر القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٦٢.

(٣) في الأصل: الإقطاعات.

(٤) انظر هذه الوصية في العمري: التعريف، ص ١٣٧ — ١٣٩.

التاسع: المشير^(١)، والإشارة وظيفة حادثة لم تعهد قديماً، ومتوليها يتكلم على الدواوين السلطانية وما يرد عليها وما يصدر منها ولا يتصرف مباشرها في أمر مهم فيما يتعلق بالمال إلا برأيه ومشورة، وهي تعمل أحياناً وتبطل غالباً.

العاشر: الوزير، وأول وزير لقب في الإسلام أبو سلمة الخلال حين وزر لأبي العباس عبد الله السفاح على ما تقدم. وقد اختلف في اشتقاق اسمه^(٢)، فقيل من " الوزر " وهو الملجأ لأن الناس يلجئون إليه في حوائجهم، وقيل من الوزر وهو الثقل لأنه يتكفل بأثقال الملك وقيل من " الأوزار " وهي الأمتعة لأنه يتكفل بأمثلة الملك وما في خزائنه، وقيل من " الأزر " وهو الظهر لأن الملك تقوى به تقوى البدن بالظهر. والوزارة هي أعلى الوظائف وأسانها بعد السلطنة، قال في مسالك الأبصار: صاحبها هو باب الملك المقصود ولسانه الناطق ويده الباطشة. فلما جدت عليها النيابة تأخر بعض أمرها وتقدمه أمر النائب حتى صار متوليها لا يتسع له في التصرف بحال، ولا تنفذ [١٢٦ أ] له يد في ولاية ولا عزل.

والوزارة على ضربين، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ — وسيأتي الكلام عليهما في قسم الولايات إن شاء الله تعالى — والوزارة على جنسين:

الأول: إذا كان رب سيف فيقتصر في العلمية عليه بالوزير لا بالصاحب، ويكون قائم في مجلس السلطان مع الأمراء المقدمين وتدق له طبلخاناه ويتصرف في أمور الدولة إلا أن تعلق الحسابات والتواريخ^(٣) وضبط أصول المال والخصم والاستحقاقات مختص بناظر الدولة.

(١) ذكر القلقشندي هذه الوظيفة ضمن الألقاب فقط دون أن يفرد لها وظيفة كصاحب المقصد، وقال عنها

[من ألقاب الوزراء ومن في معانهم، والمشير الذي يشير على غيره بالرأى] . صبح، ج ٦، ص ٧٠.

وهناك رأى آخر في وظيفة المشير ذكره خليل بن شاهين في الزبدة بمجمله أن متوليها ليست له وظيفة دائمة ولكن يشغلها عدة أشخاص من المعدودين برجاجة رأيهم في المملكة يسر السلطان إليه بأمر مهم ويحضر أكابر الدولة ويتكلمون بشأنه في حضرته ويكون خلالها المشير مثلاً للسلطان في رأيه ويتحاور مع الحاضرين حتى ينتهوا إلى رأى واحد وذلك حفظاً لهية السلطان من أن يرد عليه أحد رأيه أو أن يستقل السلطان برأيه على الرغم من اقتناعه برأى مخالفه حفظاً لهيئته أمام الحاضرين. زبدة ص ١٠٦.

(٢) عن اشتقاق كلمة الوزير انظر بالتفصيل، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٤٨ وما بعدها.

(٣) التواريخ جمع ريع، وهو فضل كل شيء. ابن منظور: لسان، ج ٨، ص ١٣٩.

الثاني: إذا كان متعمماً يلقب بالصاحب ويضاف في ألقابه الوزير، وأول من لقب بالصاحب ابن عباد^(١) لأنه كان يصحب ابن العميد^(٢) قيل وزارته فلما ولي الوزارة لقب بالصاحب. وقيل لقب بالصاحب لأن الوزير صاحب رأى الملك وتدير أمره.

ويختص بالوزير حين ولايته أشياء نفيسة منها كوفية مزركشة بالذهب بقندس قدر ثلاثة أصابع مطبوقة يلبسها حين استقراره ويرفع عمامته عنها بقدر ربع ذراع حتى يبرز الزركش، ومنها عنبرانية^(٣) متخذة من أكر العنبر المهتك يجعل في سلك من الإبريسم الأخضر على عدة طاقات ترسل في حلقة إلى صدره، ومنها خف أخضر من الحرير السكندري يلبسه، وله وللنائب في أيام المواكب جنديان من خاص الخيل وعليهما قماش من ذهب ويسيل عليه ثوب سرج من الحرير الأصفر الأطلس بوسطه جلد فهد يرتكيه^(٤) ذلك الوزير عليه كاسياً غالب الفرس مسحوب على يد أوجاقى حشم بكلفته وقماش كامل ويختص بركوب بغلة بزنارى^(٥) دون أرباب الوظائف الديوانية، ويكتب تقليده في الثلثين ويطول الكلام على ما يتعلق به.

الحادي عشر: أمير رأس نوبة النوب^(٦)، وله الأمر على الممالك السلطانية وإليه مرجعهم في الشور والحاكمات وهو السفير بينهم وبين الملك في الشور وبلوغ المقاصد وهو أول

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، تولى الوزارة لمؤيد الدولة بن بويه ثم أخيه فخر الدولة، كان مشغلاً بالأدب وله فيه عدة تصانيف، توفي عام ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م. ياقوت: معجم الأدباء، ج ٦، ص ١٦٨؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٩٢.

(٢) هو أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن العميد، كان من الوزراء الكتاب، لقب بذي الكفيتين تولى الوزارة لركن الدولة البويهى، قتل على يد مؤيد الدولة البويهى. ياقوت: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٤٧؛ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٥.

(٣) هي قلادة من عنبر مغشوش. ابن الطوير: نزهة، ص ١٢١.

(٤) الصواب: يرتقيه.

(٥) نوع من الإجلال ومفردها جل، يكون مفتوحاً فوق صدر الخيل ومسدولاً على الكفل بحيث لا يرى الذيل. انظر، القلقشندي: السابق، ج ٤، ص ٥٣، قنديل البقلى: التعريف، ص ١٧٣.

(٦) رأس نوبة النوب لقب اعتبره القلقشندي خطأ من العوام لأنه يجمع على [رعوس نوب]، والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاه، والنوبة واحدة النوب وهى المرة بعد الآخرة. والصواب هو [رأس رعوس النوب]. السابق، ج ٥، ص ٤٥٥.

من يدخل على الملك في الخدمة والقائم على مسك من يؤمر بمسكه، ويرمل^(١) حين أخذ العلامة، وله أتباع، الأول رأس نوبة ثاني، ويقال فيه رأس نوبة [١٢٦ ب] الميسرة وله الحكم والتصرف كالأمر رأس نوبة النوب، ثم ثالث ورابع من الطبلخانات والعشرات إلى نحو العشرين أمير يتصرفون في أشغال المملكة وإليه يسند النظر على الشيخونية والصرغتمشية والحجازية والجامع الأخضر وغير ذلك.

الثاني عشر^(٢): أمير حاجب ويعبر عنه في زماننا بحاجب الحجاب، وأصله علم على من يأخذ الإذن على الإمام ثم فوض إليه الحكم عند إبطال النيابة، وصار يرفع إليه المحاكمات التي كانت ترفع للنائب ويطلب من البر ويكتب عنه المطلقات، وكان من أركان الدولة الأيوبية، وقال في مسالك الأبصار: إنه ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة الإمام^(٣) وله أتباع أمثلهم الحاجب الثاني ويقال فيه حاجب الميسرة ويتصرف في الحكم بالقاهرة، ثم ثالث إلى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة لا غير، ويسند لأمر حاجب النظر على الجامع العمروي^(٤) بمصر، وجامع الأزهر والصندوق^(٥) وغير ذلك.

الثاني عشر^(٦): أمير إستدار، مركب من كلمتين فارسيتين، أحدهما " إستد " بكسر الهمزة وسكون السين والبدال وفتح التاء ومعناها الأخذ، والثانية دار ومعناها ممسك، والمراد التولى لأخذ المال لأنه الذي يتولى قبض المال.

ويقال فيه ستدار وقد غلط بعض الكتاب فضموا الهمزة في أوله ويلحقون فيه ألفاً بعد التاء، ويقولون أستاذ الدار أو أستاذار ظناً منهم أن المراد بالدار الحلة وأن أستاذ بمعنى السيد، ومن وقع في ذلك صاحب التعريف على الوصايا.

(١) أي يضع الرمل على الكتابة. وعن الترميل انظر القسم التاسع من هذا الكتاب.

(٢) غير واضحة في الأصل.

(٣) السلطان: مسالك _ أيمن، ص ٥٦؛ وزاد عليها القلقشندي: وتارة بمراجعة النائب إن كان، صبح، ج ٤، ص ١٩.

(٤) يقصد جامع عمرو بن العاص.

(٥) يقصد بالصندوق هنا هو نظر الصندوق، وعنه انظر فيما يلي.

(٦) الصواب: الثالث عشر.

قال في مسالك الأبصار: وهو المتحدث في بيوت السلطان كلها. وكان صاحب هذه الوظيفة مقدم وله أتباع من الأمراء الطبلخانات والعشرات، يتكلم بعضهم في الذخيرة، وبعضهم في الأملاك، وبعضهم في المشتروات والمبيعات، ويتميز المقدم بإستدار العالية، ثم إن الظاهر برقوق حين أخذ السلطنة أكثر من مشترى الممالك وأفرد لهم ديواناً أضاف له بلاد برسم جوامك ممالكه وعلفهم فسمى من إذ ذاك ديوان المفرد وتحدث عليه أستادار العالية وأضيف له التحدث على الأملاك والذخيرة وغيرهما والتكلم في معلوم الحاشية، ثم في زمن الناصر فرج [١٢٧ أ] أضيف إليه نيابة الوجه البحرى بإقطاعها وله رفيق من المتعممين ناظر يتكلم معه في المال والغلال وأتباع من المباشرين لضبط المال _ وسيأتى الكلام عليهم إن شاء الله تعالى _ ويكتب تقليده في الثلثين.

أما المقدمين الخارجين عن الحضرة

فثلاثة^(١):

الأول: نائب ثغر الإسكندرية، وقد استجد في عام سبع وستين وسبعمائة حين طرقتها الفرنج وكانت قبل طبلخاناه، ولم يكن كافل إذ لم تكن مملكة. ويتكلم على جيشها وضواحيها من غير أن يكن لها عمل ولا بر، وهو من جملة الأمراء المقدمين بمصر وتقليده في الثلثين.

الثاني: نائب الوجه القبلى، وهو حادث في أيام الظاهر برقوق وكان قبل يسمى والى الولاية، وكان بكل إقليم متول من الحضرة لم يكن لوالى الولاية عليه أمر في ولاية ولا عزل، وفي أيام المؤيد شيخ أضيفت ولايتى البهنسا والأشمونين إلى نائب الوجه القبلى يقيم فيها من يختار من جهته، ثم في أيام الأشرف برسبای في عام ثلاثين وثمانمئة أضيف له التحدث على ولاية الأقاليم بالوجه القبلى جميعه، وصار يقيم بكل إقليم نائباً عنه خلا كشف الفيوم فإن متوليه يلبس من الحضرة، ومرجع نائب الوجه القبلى في الولاية والعزل إلى الأمير الإستدار، وتقليده في الثلثين،

(١) لقد ذكر القلقشندي ترتيب هؤلاء المقدمين [الإسكندرية، الوجه البحرى، الوجه القبلى]، في صبح، ج

٤، ص ٦٤ - ٦٥، ضوء، ص ٢٦٥-٢٦٦، ولكنه اتفق مع صاحب الثغر في ترتيبه في صبح، ج ٤،

ص ٢٤ - ٢٥.

وكان يكتب له مرسوم في النصف ولا كان يؤهل للتقليد إذ لم يكن بالوجه القبلى كرسى^(١) ولا سماط^(٢).

الثالث : نائب الوجه البحرى، وهو حادث في أيام الظاهر برقوق وكان قبل كاشفاً يسمى والى الولاة كما في الوجه القبلى، وهو متحدث على جميع أقاليم الوجه البحرى، وليست بنياية، ونيابة الوجه القبلى^(٣) على قاعدة النيايات في ترتيب الحجاب والجوش وأرباب الوظائف وركوب المواكب، ولها كرسى وسماط، بل يلبس حين استقراره أطلسين ويخرج له فرس بسرج وقماش ذهب ويسير تحت سطعتين، وكان يكتب له مرسوم في النصف، ثم صار يكتب له تقليد في الثلثين، وقد أضيفت هذه الوظيفة إلى الأمير الأستدار من أيام الناصر فرج على ما تقدم.

(١) أى كرسى شبيه بالعرش السلطانى يجلس عليه النائب. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٤.

(٢) سماط أى المائدة السلطانية. نفسه.

(٣) الصواب: البحرى.

المقصد الثالث

أرباب الوظائف من الأمراء الطبلخاناه

وهم اثنا عشر أمير:

الأول: شاد الشراب خاناه، وربما كان مقدماً، وهو المتحدث على ما يرد للشراب خاناه وما يصدر منها من مأكول ومشروب _ ولا ينحصر أصنافه _ وهو الأمين على الشراب والطعام حين تناول الملك له من إدخال [١٢٧ ب] سم ونحوه، ويتكلم على الأطباء والكحاليين والجراحية والجيرين، وله كتابته على الوزير من كل صنف.

الثاني: الخزنदार^(١)، وأصله الخزانة دار فحذفت الألف والهاء للخفة، والمعنى ممسك الخزانة، وثم من كتبها " الخازندار " وهو غير مستقيم^(٢)، وهو ينقسم على ثلاثة أنواع: الأول المتحدث على خزائن القماش المزركش والمذهب والحريير والأشياء النفيسة والسروج الذهب وأصناف الوبر وله استدعاء ما يحتاج إليه الملك من ذلك من ناظر الخاص أو مشترأة من مال السلطان.

الثاني: خزنदार العين، وهو الذى يكون تحت حاصله الفصوص من اليواقيت وغيرها، وله رفيق ناظر لضبط ذلك ومشتري ما يحتاج إليه الملك كما سيأتى الكلام عليه، وعادة خز ندار المال أن يكون خادماً لأن المال يكون بقاعات الحرم، وقد يجتمع خز ندار العين وخز ندار الصنف لواحد فرد.

الثالث: خزنदार الكيس، وهو التصدى بحمل كيس العين التى برسم الصدقة ويفرقه على الفقراء حين ركوب السلطان.

الثالث: أمير أخور، وقد تقدم الكلام عليه.

الرابع: الدوادار الثاني، وقد تقدم الكلام عليه.

الخامس: رأس نوبة ثاني، وقد تقدم الكلام عليه.

السادس: الحاجب الثاني، وقد تقدم الكلام عليه.

(١) ذكر القلقشندي أن [عادقها طبلخاناه ثم استقرت مقدمة ألف]، صبح، ج ٤، ص ٢١.

(٢) تفسير كامل للكلمة والآراء المختلفة فيها، انظر، صبح، ج ٥، ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

السابع: الزمام، وأصله زنان دار مركب من لفظتين فارسيتين، فزنان النساء، ودار ممسك أى ممسك النساء، والعامية يظنون أن زمام بمعنى قائد وهو أكبر الخدام يخاطب الملك عن تعلقات الحریم وأولاد الملوك، ويستدعى ما يحتجن إليه، ويستأذن على تزويج الخوندات^(١) والمعتمقات^(٢)، وله أتباع من الخدام بباب الستارة من تحت أمره يتصرفون فيما يصرفهم فيه من الوظائف.

الثامن: مقدم الممالك، وهو أعظم الخدام ترفع إليه الحكومات في الممالك السلطانية وسفيراً فيما بينهم وبين الملوك من طلب المقاصد ويحضر في مهماتهم حين النفقة والجامكية^(٣) والكسوة^(٤) والضحايا^(٥)، ونحو ذلك، وله نائب معتبر يقوم بمقامه عند غيبته من القلعة، وله أتباع وخدام بالطباق يصرفهم من تحت أمره فيما يختاره، ورأيت في التعريف^(٦) له وصية تدل على أنه كان يكتب له تقليد.

التاسع: نائب قلعة الجبل الخروس، وهو [١٢٨ أ] المتحدث على الحرسية^(٧) والأبراج وعليه حفظ المعتقلين بها، وله الأمر على [البحرية]، وعلى فتح باب القلعة وغلقه، وإليه ترفع المحاكمات في القلعة من عامتها، وعليه دركها حين ظهور السلطان منها، وتفقد أسوارها ومنافذها، والأمر بعمارة ما يحتاج إليه.

العاشر: متولى القاهرة، وكان يعبر عنه قديماً بصاحب الشرطة وأول من أتخذه في الإسلام عثمان بن عفان رضى الله عنه، وهو يتولى في زماننا ولاية مصر مضافة لولاية القاهرة وضواحيها ويحكم في القصاص وإقامة الحدود، وله الأمر على الجيوش وغلق أبواب القاهرة وفتحها، وعليه

(١) الخوندات: ومفردها خوند، وهو لقب يخاطب به الذكور والإناث، وقد استعمل في عصر المماليك للدلالة على زوجات السلاطين وبناتهم. حسن الباشا: الألقاب، ص ٢٨١.

(٢) المعتمقة: أى الأمة المحررة من قبل سيدها.

(٣) الجامكية: هى الرواتب العينية التى تصرف للمماليك والأمراء. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٤٥٧؛

البقلی: التعريف، ص ٨٢؛ محمود فهم: الفن الحربى، ص ٦٣. Dozy; Op.Cit.,T.1,p.168;

Poliak;Op.cit.,p.4.

(٤) أى الملابس التى ينعم بها السلطان على ممالیکه فى الشتاء والصيف. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٥٥.

(٥) أى الأضحیات التى تذبح فى عيد الأضحى. العمري: مسالك — أيمن —، ص ٤٩.

(٦) العمري، ص ١٣٦ — ١٣٧.

(٧) أى حراس الأبواب.

الطواف بالأماكن المهمة بالمال والأقمشة، ولا يمكنه النوم خارج المدينة إلا بمرسوم خوفاً من حريق أو منسر أو كسر حاصل أو فتح سجن وغير ذلك، وتديق له طبلخاناه على بابه، وكان له إقطاع من جملة إقطاع الطبلخاناه إلى أثناء الأيام المؤيذه فبطل وكان يكتب له مرسوم بالولاية.

الحادى عشر: أمير شكار، فأمر معروف، وشكار بالفارسية الصيد، وهو المتحدث على الطيور الجوارح وكلاب الصيد وأحواش الطير وصيادين الكراكي والطائر الرقيق، وله الأمر على السواقين والخواندارية ^(١) والمعلمين واليزادة ^(٢) والركابين والكلاب زيه، وربما كان يتولاها مقدمين الألوف بإقطاع المقدمة، وفي زماننا قد انحطت رتبته عن الطبلخاناه بل وعن العشرة ^(٣) ويسمى المكان الذى هو مجمع لأرباب الصيد شكر خاناه.

الثانى عشر: أمير جندار، مركب من كلمتين أحدهما " جان " وهى الروح بالتركية، ودار ممسك أى ممسك الروح ^(٤)، وكان فى القديم هو الذى يستأذن على دخول الأمراء على الملك فى الخدمة ويدخل أمامهم فى خدمة الإيوان ويقدم البريد مع الدوادار والتسلم للباب ^(٥) وله البرد دارية ^(٦) والجندارية، وإذا أراد السلطان قتل أحد كان بحضوره. وهو المتسلم للزردخاناه التى هى أرفع قدراً فى الاعتقالات من السجن المطلق، وربما كان مقدماً وربما كانا أميرين طبلخانين، وقد انحطت رتبته عن ذلك حتى استقر فيها العشرات فمن دونهم.

(١) الخواندار: هو المتصدى لخدمة طيور الصيد، ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح، وأصله " حيوان دار " . القلقشندي: صبح: صبح، ج ٥، ص ٤٧٠.

(٢) اليزدار: هو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده. السابق، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٣) فى زمن القلقشندي إمرة عشرة، صبح، ج ٤ ص ٢٢.

(٤) لقد ذكر القلقشندي فى صبحه تفسيرين لهذه الكلمة، الأول: فقد ذكر ما قاله صاحب المقصد بنصه تقريباً، ج ٤، ص ٢٠. الثانى: قال عنه [ولم يظهر لى وجه ذلك — يعنى أصل التسمية — إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته]. ج ٥، ص ٤٦٨ — ٤٦٩.

(٥) بياض فى الأصل.

(٦) البرد دار فى الأصل كلمة فردا دار، وهو مركب من لفظين فارسيتين، أحدهما " فردا " ومعناه الستارة، والثانى دار ومعناه ممسك والمراد ممسك الستارة، وكان فى المبتدأ يقف بباب الستارة ثم نقل إلى ديوان

الإنشاء. انظر، القلقشندي: صبح، ج ٥، ص ٤٦٨ — ٤٦٩.

المقصد الرابع

أرباب الوظائف من الأمراء العشرات

وهم ثمان [١٢٨ ب] أمراء:

الأول: كاشف الطير، وربما قيل فيه حارس الطير، وهو المتحدث على الفرافسية طائفة من الجند برسم مراقبة الطير الذي يصيده الملوك بالجوارح إلى أن تتوطن بمكان تألفه فيمنع من يتعرض له أو يتزل بقربه ويعلم بذلك كاشف الطير بتحقيق توطين الطير ويلم الملك بها وبعدها ليتزل للصيد على بصيرة.

الثاني: أستاذار الصحة، وهو المتحدث على طبخ الأمرار والمستدعي لاحتياج الطعام من الوزير، والمتحدث على معلمين الطبخ وصنائعهم وصيافهم والآنية، وهو المخاطب للملك فيما يتعلق بالأطعمة وغالباً يكون معه مشرف يأمر الطباخ بما يختاره الملك.

الثالث: شاد الزردخاناه، وهو المتحدث على استعمال آلات الحرب والمخاطب للملك عن المقصود ويستدعي الأصناف من جهاتها مصرّاً وشاماً، وله الأمر على النفطية^(١) والباروديسة^(٢) وصناع الزردخاه^(٣) والفولاذية ونحوهم، وله رفيق متعمم لضبط الوارد والصادر ونحو ذلك.

الرابع: الجاشنكير، وهو المتصدى لذواق المأكول والمشروب قبل السلطان خوفاً من أن يدس فيهما. والجاشنكير مركب من اسمين فارسيين أحدهما " جاشنا " ومعناه الذوق، والثاني " كير " ومعناه متعاطي ويكون بمعنى الذي يذوق، والعامة يسمون ذلك الششني، وكان طبلخاناه ثم صار عشرة ثم تركت الوظيفة وانصرف فعل الأمر بذلك للمشدد.

(١) هم القائمون على استخدام النفط المعروف باسم النار الإغريقية. عبد النعم ماجد: نظم الممالك، ج ١، ص ١٧١؛ محمود فهم: الفن الحربي، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) هم القائمون على استخدام مدافع البارود الصغير منها والكبير. عبد النعم ماجد: السابق، ج ١، ص ١٧٢؛ محمود فهم: السابق، ص ١٧٦.

(٣) الصواب: الزردخاناه. والزرد بمعنى السلاح، وخاناه بمعنى البيت فيكون المعنى بيت السلاح. القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ١١.

الخامس: والى باب القلة^(١)، وهو الباب الثاني من المدرج، وهو المتحدث على غلقه وفتحه وعليه دركه وله جماعة من تحت أمره واثقون به يصرفهم فيما يختاره.

السادس: المهمندار، بفتح الميم، وأصله " مهمن " ومعناه الضيف ودار ممسك عبارة عن الذى يتلقى الضيف بمعنى قصاد الملوك ويترهم بالأماكن اللاتقة بهم ويستخرج لهم مرتباقم على مقار مرسلهم، وغالباً يكون ذلك من موجبات المنيع بالأسواق ويسمى دار الضيافة بالفارسية منجاناه، وله نائب يقوم مقامه فى ذلك.

السابع: مقدم البريدية، وهو بمقام الرأس نوبة على جماعة البريد وله الأمر عليهم ولا يتصرفون فى البريد إلا بعد علمه، ومن تحت أمره سبع مقدمين بعدد الأسبوع [١٢٩ أ] يكون لكل يوم مقدم يطلع فيه على الأمور ويطالع مقدم البريد بذلك.

الثامن: أمير الخليفة، ولم تكن له وظيفة بل سمي بذلك لأنه يكون صحبة الخليفة فى السفر يركب لركوبه ويترل لتروله ويراقبه بعين الحرس ولا يفرد عنه ولا يمكن أحد من الاجتماع عليه ولا يبرز لقتال لملازمته الخليفة وغالباً يكون ديناً عاقلاً عارفاً مهاباً.

المقصد الخامس

أرباب الوظائف [من] الأمراء الخمسات

وهم ست أمراء:

الأول: نقيب الجيش، والنقيب فى اللغة هو الأمين، قال عز وجل ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾^(٢) أى أميناً بما حكاه البغوى، وقيل النقيب هو ضمن القوم ويعبر عنه فى بعض الممالك بنقيب النقباء والصواب أن يقال فيه أمير نقباء الجيوش، قال فى مسالك الأبصار " وهو القائم على الجند فى عرضهم وإحضار من يطلب منهم وله التطلب بالخزانة السلطانية فى السفر " والتكلم عن السلطان فى المحاكمة بين الأخصام وأخذ الجواب منهم وإيضاحه للملك ويحكم فى الأمور الخفيفة كأحد الحجاب، وكان فى القديم أمير عشرة ثم انحط عن الخمسة.

(١) عرف بذلك نسبة إلى قلة بناها الظاهر بيبرس ثم هدمها المنصور قلاوون عام ٦٨٥ هـ وبني مكانها قبة ثم هدمها الناصر محمد بن قلاوون وبني مكانه باب القلة. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٢١٢.

(٢) المائدة، الآية ١٢.

الثاني: أمير طبر، وهو بمقام رأس النوبة على الطبردارية وهم عشر نفر، وقد تقدم الكلام عليهم، وكان في القديم أمير عشرة ثم انحط وعن الخمسة.

الثالث: أمير علم، والعلم في اللغة يطلق على معان، أحدها الراية وشرطه أن يكون حسن الشكل طويل اللمة، وله التحدث على الطبول والعصائب السلطانية وجماعتها، وقد انحطت رتبته عن ذلك وعن الخمسة.

الرابع: أمير منزل، وهو القائم في الأمر على الفراشين بضرب الخيام بالأماكن الصالحة لتزول الملك، ويحدد الأماكن المتحجرة الرملية والغواصة وذات الهوام والأفاعي ويتزل أركان الدولة بمراتبهم فإن لكل مكان من المنزل اسم.

الخامس: أمير مشوى، وهو القائم على ما يشوى للملك من أصناف اللحوم والطيور وربما كانا أميرين بنوبتين، وقد انحطت مرتبتهما عن ذلك.

السادس: الخازن، ويتعدد إلى وظيفتين، الأولى من يكون تحت يده حواصل الأشربة والسكر والخلوى ونحو ذلك، والثاني الذي يحمل سجادة الملك ويفرشها له وقت الصلاة، وربما اجتمعا في واحد، وقد انحطت رتبته عن ذلك. [١٢٩ ب]

المقصد السادس

المشددين الذين لم يكن بيدهم إمرة

وهم أربعة:

الأول: شاد الدواوين، وكان أمير عشره رفيقاً للوزير في استخلاص الأموال، وقد انحط وصار يعمل أحياناً ويبتل غالباً، وربما استقر من غير مباشرة طلباً للمعلوم.

الثاني: شاد العمائر، وهو القائم في عمارة الأماكن التي ينشئها الملك، وربما استقر معه مقدماً في إنشاء الأماكن المهولة ويقال ناظر العمارة، وله الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العمائر ونحوهم.

الثالث: شاد الحوش، القائم في عمارة ما تقدم بقلعة الجبل والأمر بتنظيف أماكنها المسلوكة وإصلاح مجارى المياه بها واستدعاء أصناف العمائر من الوزير.

الرابع: شاد الخاص، رفيقاً لناظر الخاص في استخلاص الأموال وبيع الأصناف واستدعاء الاحتياجات، وقد أهمل أمره واستبد ناظر الخاص بذلك.

المقصد السابع

الجند من الممالك

وأرباب الوظائف المشهورة منهم خمسة:

الأول: السلاح دار، وهو الذى يحمل آلة من آلات الحرب فى القتال تختص بالملك.

الثانى: السنجقدار، وهو الذى يحمل السنجق على رأس الملك فى حالة السفر، والسنجق

الرمح ذو الشطفة وهو فى لغتهم مصدر الطعن، وهم على نوبتين.

الثالث: البندقدار، وهو الذى يحمل جراوة البندق^(١) مع الملك حين تصيده، وربما كانا

نفرين.

الرابع: الجوكان دار، وهو الذى يحمل الجوكان وهى عصا مدهونة طولها نحواً من أربعة

أذرع، وبرأسها خشبة مخروطة محدودة تنيف عن نصف ذراع.

الخامس: البشقم دار، وهو الذى يحمل نعل الملك، " والبشقم " بالتركية النعل.

وعادتهما نفرين على نوبتين.

قاعدة لفظة دار فارسية معربة ومعناها ممسك فاعل من الإمساك، وكثير من الناس يظنون

أما عربية بمعنى المحكم لدار السلطان وليس كذلك.

المقصد الثامن

مهاترة النوبات

وهم سبعة، وتوقيع كل منهم فى العادة، ويلقب بمجلس الصدر:

الأول: مهتار الشراب خاناه، وهو المتسلم لما يرد إلى الشراب خاناه من الأشربة والسكر

والخلوى والفواكه والبلح والمياه المقيدة والسفوفات المسهلة والمقبضة والمبردة والعطريات

والمرصد لإسقاء الملك أطيب ما يشرب [١٣٠ أ] من الماء، وربما كانا اثنين على نوبتين.

(١) كذا فى الأصل، وكذا كتبت عند القلقشندي فى صبح الأعشى، وقد علق عليها محققو الكتاب [كذا فى

الأصل ولعله مصحف عن غرارة أو نحوه] ج ٥، ص ٤٥٨ هـ ١. البندقدار مركب من لفظين

فارسيين، أحدهما بندق وهو الذى يرمى به شبيهاً بالبندق الذى يؤكل، والثانى دار بمعنى ممسك، أى ممسك

البندق. انظر: القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٤٥٩.

الثاني: مهتار الطشت خاناه^(١) وهو المتسلم لقماش الملك الملبوس وما يتبعه من أصناف الجوهر بالخواتم والسيوف وغير ذلك، وله الأمر على الرختوانية^(٢) والطشت دارية ونحوهم، وهم اثنين على نوبتين.

الثالث: مهتار الفراش خاناه، وهو المتسلم لقماش الخام والمستخدم لرجاله والمتحدث على ما يختار السلطان استعماله من الخام، وهم اثنين وربما كانوا ثلاثة.

الرابع: مهتار الطبلخاناه، وهو المتحدث على المطبلين والزمار والمنقرين وغيرهم، وهم اثنين وربما كانوا ثلاثة على نوبتين.

الخامس: مهتار الركاب خاناه، وهو المتسلم لقماش الخيل المذهب والمزركش وغيره، والمتحدث على الركبدارية والمهمرية^(٣) والسواس وغلمان الجوق والاستعمالات وغير ذلك، وربما كانوا اثنين على نوبتين، ويلحق بهم

السادس: معلم الزردخاناه، وهو المتكلم على الاستعمالات بالزردخاناه وعلى التفصيل والتركيب والقطع وغير ذلك من أنواع الفولاذ والحديد والنفط والأخشاب والصناع وغير ذلك.

قاعدة لفظة خاناه بمعنى البيت مضاف إلى ذلك الصنف كالشراب خاناه بيت الشراب، والزردخاناه بيت الزرد ونحو ذلك.

السابع: الحفدار، وهو المتحدث على محفة الملك وآلاتها وأقمشتها وصناعها ورجالها وما يحملها حين سفرها.

(١) في الأصل هي طست خاناه بالسين نسبة إلى طست الذي يغسل فيه وحرفته العامة من سين مهملة إلى شين معجمة فدرجوا على قولهم الطشت خاناه. انظر: السابق، ج ٤، ص ١٠، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٢) رختوان لفظ فارسي، " الرخت " اسم للقماش والواو والألف والتون بمعنى ياء النسب ومعناه المتولى لأمر القماش. انظر: السابق، ج ٤، ص ١١، ج ٥، ص ٤٧١، البقلى: التعريف، ص ١٥٨.

(٣) المهمرد معناه بالفارسية الرجل الكبير، " مه " معناها الكبير، و" مرد " تعنى الرجل، وهو القائم على حفظ قماش الجمال وقماش الإسطبل والسائقين. انظر، القلقشندي: السابق، ج ٥، ص ٤٧١، البقلى: السابق، ص ٣٣٤.

الباب الثالث

في ذكر من يتولى بالحضرة من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية
وقدر ما يكتب لكل نوع منهم من قطع الورق على ما استقر عليه الحال، وهو على
أربعة أنواع:

النوع الأول

القضاء والإفتاء

وهو على ثلاث مراتب.

الأولى: وظيفة القضاء، والإجماع منعقد على أن القضاء فرض على الكفاية، ومذهب
الشافعي أن يكون القاضى مسلماً، لأن الله لن يجعل للكافرين سبيلاً، فلا يولى الكافر ولا على
أهل دينه، فإن قيل أن الملك يولى البطارقة ورؤساء اليهود الحكم على أهل مللهم ويحكموا
بينهم. فالجواب إنما تصح ولايتهم إلا على مذهب الإمام أبي حنيفة.

وأما مذهب الشافعي فإنها تكون ولاية زمانية لا ولاية حكم، وأن يكون القاضى يكلف
آخر ذكراً عدلاً سميعاً بصيراً ناطقاً، فلا يولى صبي ولا مجنون ولا رقيق ولا امرأة ولا فاسق
لنقصه، ولأن الأصم لا يفرق بين إقرار [١٣٠ ب] وإنكار، والأعمى لا يفرق بين الطالب
والمطلوب، وفي معناه من يرى الأشباح ولا يفرق الصور، والأخرس لا يقدر على إنفاذ
الأحكام. وأن يكون كاف فلا يولى معتل ولا من أضل بكبر، وأن يكون مجتهداً فلا يولى جاهل
بالأحكام الشرعية وطرقها، المحتاج إلى تقليد غيره فيها ولأنه لا يصلح للفتوى، فالقضاء أولى،
وأن المجتهد يعرف من القرآن والسنة ما يتعلق بالأحكام وخاصة وعامة، ومقيدة ومطلقة،
ومجملة ومبينة، وناسخة ومنسوخة، وأسباب التزول، ومتواتر السنة وهو الآحاد والمتصل
والمرسى، وحال الرواة قوة وضعفاً لأنه يتوصل بذلك إلى تقرير الأحكام، ولسان العرب لغة
ونحواً لأن الشرع ورد بالعربية وبهذا يعرف بعرف عموم اللفظ وخصوصه وإطلاقه وتقييده
وإجماله وبيانها فيعرف ما لا بد منه من فهم الكتاب والسنة وأقوال العلماء عن بعدهم إجمالاً
وإخلاقاً حتى لا يخالف الإجماع باختيار قول بالسنة والقياس بأنواعه جلية وخفية، فإن تعذر جميع
هذه الشروط لخلو الزمان من المجتهد والمستقل، فولى السلطان فاسقاً أو مقلداً، فعند قضاؤه
للضرورة كى لا تعطل مصالح الناس.

أما مذهب أبي حنيفة^(١).

[١٣١ أ] والقاضي مشتق من قضى الأمر إذا أحكمه، لأن حكمه يقطع الخصومات، وقيل قضى الأمر إذا فرغ منه لأنه يفصل الخصومات بفروغ الأمر منها. والحاكم بمعنى القاضي واشتقاقه من الحكمة وهي الحديدية القائمة في صدر اللجام فسمى بذلك لأنه يمنع الخصم من الجماع كما تمنع الحديدية من الجماع.

تنبيه: إذا تولى قاض فينبه كاتم السر الإمام على أن يأذن له في الاستخلاف ليكون أسهل عليه وأقضى إلى فصل الخصومات فإن فهاه الإمام لم يستخلف لأنه لم يرض بنظر غيره فإن أطلق استخلف، وشرط المستخلف كالقاضي لأنه نائبه إلا أن يستخلف في أمر خاص ويحكم الخليفة باجتهاده أو اجتهاد مقلده إن كان مقلداً.

فائدة: القضاة الثلاثة غير الشافعي حدثوا في سنة أربع وستين وستمائة مع وجود القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي^(٢) واستمرار ولاية نظره وكان ذلك في أيام الظاهر بيبرس وانفرد الشافعي بأربعة أشياء، النظر على الأيتام، والأوقاف، وبيت المال، ونواب البلاد، ويشارك الثلاثة في الباقي.

أما تقاليدهم فكانت تكتب في قطع النصف بالجلس العالي إلى أن ولي عماد الدين الكركي قضاء الشافعية^(٣) أيام سلطنة الظاهر برقوق الثانية، وكان أخوه القاضي علاء الدين كاتم السر فعنى به فكتب له تقليد في قطع الثلاثين ولقب فيه بالجناب العالي، وبقي الثلاثة على ما

(١) بياض في الأصل بمقدار تسعة أسطر.

(٢) تم هذا الأمر بناء على تدمير الأمير تاج الدين أيدغدى أحد أمراء الظاهر بيبرس من القاضي ابن بنت الأعز، لمخالفته لهم، فأوعز إلى السلطان أن يعين لكل مذهب قاضياً، فأقر ابن بنت الأعز على الشافعي، وشهاب الدين أبا حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكي للمالكي، وبدر الدين بن سلمان للحنفي، وشمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي للحنبلي. انظر: القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٣٥ — ٣٦، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ص ٨٧٣ — ٨٧٤.

(٣) هو القاضي أبو عيسى المقرئ الكركي الملقب بعماد الدين الكركي. انظر: ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر، ق ١، ص ٩٤.

هم عليه إلى أن تولى جمال الدين محمود ^(١) قضاء الحنفية فكتب له تقليد في قطع الثلثين، ولما ولى جمال الدين يوسف البساطى المالكي ^(٢) في أيام الناصر فرج كتب له تفويض في قطع الثلثين، ولما تولى القاضى علاء الدين بن مغلى ^(٣) في دولة المؤيد كتب له في قطع الثلثين، وصار الأمر مستمر على ذلك وصار غير الشافعى عليهم بأن يكتب له الجناز الكريم.

المرتبة الثانية: قضاء العسكر، ومتولىه يحضر دار العدل ويسافر بالركاب ويقضى ويحكم وتنفذ به الأحكام الشرعية، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة خلفاء الحكم ويكون ماهراً في الأحكام السلطانية، وعادتهم ثلاثة من كل مذهب قاض، ولم يكن للحنبلية منهم حظ، وتوقيع كل منهم في الثلث.

المرتبة الثالثة: [١٣١ ب] إفتاء دار العدل، وهم أربعة من كل مذهب مفتى بمعاليم على الدواوين الشريفة، وتوقيع كل منهم في الثلث.

(١) هو جمال الدين محمود القيصرى العجمى، تولى قضاء الحنفية في عهد الظاهر برقوق، وقد تولى عدة وظائف أخرى مثل الحسبة، ونظر الجيش، وقد جمع بين وظائف قاضى القضاة الحنفى، ونظر الجيوش، شيخ شيوخ خانقاه شيخو، توفى عام ٧٩٩ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١١، ص ٢٤٤، ٢٨٨، ج ١٢، ص ١٢، ٢٦، ١٥٨.

(٢) هو القاضى جمال الدين البساطى، عمل كقاضٍ ومحتسب في عصور كل من الناصر فرج والمؤيد شيخ، والأشرف برسبى، والظاهر ططر. وعن ذلك انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٢، ص ٢٥٧، ج ٣، ص ٢٤٨.

(٣) هو قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن بدر الدين أبو الشاء محمود بن أبى الجود أبى بكر بن مغلى الحموى الحنبلى، ولد بحماة ونشأ بها، حضر إلى مصر سنة ٧٩١ هـ، ولاه المؤيد شيخ قضاء الخنابلة، توفى عام ٨٢٨ هـ. المقرئى: السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٠١؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج ١٥، ص ١٢٦ - ١٢٨.

النوع الثاني

التدريس ومشیخة الخوانق والخطابة والإمامة

ولا يتولى ذلك إلا من اشتهر علمه ودينه ويكون ماشياً على طريقة السلف مدید الباع في العلوم، وتقدم العلامة على العالم، والعالم على الفاضل وهو على خمسة ضروب:
الضرب الأول: تدريس الشافعية، وهي أربعة:

الأول: تدريس الخشابية بجامع عمرو بن العاص بمصر، وقف الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وهو أمثل تدريس الشافعية، وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه، وتوقيع متوليه في النصف.

الثاني: تدريس جامع طولون وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه، وتوقيع متوليه إذا كان منفرداً في الثلث.

الثالث: تدريس قبة الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ^(١)، وكان مضافاً لقاضي القضاة الشافعي ثم أفرد عنه، وتوقيع متوليه في الثلث.

الرابع: تدريس الجمالية ^(٢) برأس الركن المخلق وقف الأمير جمال الدين البجاسي، وتوقيع متوليه في الثلث.

الضرب الثاني: تدريس الحنفية، وهي خمسة:

(١) هذه المدرسة بجوار قبة الشافعي أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين، وجعلها قاصرة على تدريس المذهب الشافعي. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٢) تنسب هذه المدرسة إلى الأمير جمال الدين الأستادار، وعرف بالبجاسي لكونه إستادار الأمير بجاس، وكان موقعها قيسارية موقوفة فهدمها وأقام مكانها هذه المدرسة عام ٨١٠ هـ/١٤٠٧ م، وانتهى منها عام ٨١١ هـ/١٤٠٨ م. ثم غضب السلطان الناصر فرج على جمال الدين وقتله عام ٨١٢ هـ/١٤٠٩ م واعتصب المدرسة وأطلق عليها اسمه، ثم حكم القضاة برجوع المدرسة وأوقفها إلى ذرية جمال الدين الإستادار عام ٨١٥ هـ/١٤١٢ م ومازالت قائمة تحت رقم ٣٥. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٠١ — ٤٠٣.

الأول: تدريس الشيخونية برأس الصليبية وقف الأمير شيخو في عشر السبعين من السبعائة، وهو أجل تداريس الخنفية، ولم تزل الملوك ناظرة إلى متوليه بعين التعظيم لأنه شيخ الصوفية ومدرسهم وشرطه أن لا يكون قاضياً وتوقيعه في قطع الثلث.

الثاني: مشيخة مدرسة الظاهر برقوق بين القصرين، ومدرستها على نحو تدريس الشيخونية، وتوقيعه في الثلث.

الثالث: تدريس المؤيدية داخل باب زويلة وقف السلطان الشهيد المؤيد شيخ، وهو على نحو ما تقدم، وتوقيع متوليه في الثلث.

الرابع: تدريس الصرغتمشية من الصليبية وقف الأمير صرغتمش، ومتوليها على نحو ما تقدم، وتوقيعه في الثلث.

الخامس: تدريس الأشرفية ^(١) وقف السلطان المالك الملك الأشرف برسباي خلد الله تعالى ملكه في عشر الثلاثين [١٣٢ أ] من الثمانائة، وتوقيع متوليها في الثلث.

الضرب الثالث: تداريس المالكية، ولم يكن لهم تدريس يتولاه من الحضرة سوى تدريس القمحية بمصر ^(٢) وتوقيع متوليه في قطع الثلث.

الضرب الرابع: مشيخة الخوانق من غير تداريس وهي أربعة:

الأولى: مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس، استجدها الناصر محمد بن قلاوون ويعبر عن متوليها بشيخ الشيوخ وكان ذلك يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، وتوقيع متوليها في قطع النصف.

الثانية: مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء أو وقف الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم تكن أكبر صوفة منها ولا أحسن شرطاً لأن الصوفي إذا توجه منها عدة

(١) المدرسة الأشرفية بدأ في بنائها عام ٨٢٦ هـ وانتهى عام ٨٢٧ هـ، وهي ما زالت قائمة إلى الآن تحت رقم ١٧٥. انظر: المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٢) بياض في الأصل. والمدرسة القمحية من بناء السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، وقد نسبت إلى القمح الذي يجي من الوقف الذي أوقفه عليها بالفيوم. وعرفت كذلك بدار الغزل وهي بجوار جامع عمرو بن العاص. المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٣٦٤.

سنين وعاد يجد معلومه، وإذا توجه إلى القدس أو إلى القيوم يجد بهما ما فاتته من معلوم سعيد السعداء، وتوقيع متوليها في الثلث.

الثالثة: مشيخة الخانقاه البيبرسية برأس الجوانية، إنشاء الظاهر^(١) بيبرس الجاشنكير، وتوقيع متوليها في الثلث.

الرابعة: مشيخة تربة الظاهر برقوق بالصحراء^(٢)، وقف ولده السلطان الشهيد الناصر فرج في العشر الأول من الثمانمائة، وتوقيع متوليها في قطع الثلث.

الضرب الخامس: الخطباء والأئمة، أما الخطباء فلم تجر العادة باستقرار أحد منهم بالحضرة الشريفة سوى خطيب جامع قلعة الجبل، وكان يكتب توقيعه في الثلث ثم أضيف إلى قاضي القضاة الشافعي ولهذا يزداد في ألقابه "خطيب الخطباء" ويتميز به دون غيره لأنه يخطب بالملك.

أما الأئمة والمراد بهم أئمة الملك الذي يأتهم في الصلاة غير أئمة القصر. وكانوا إمامين على نوبتين ثم هم الآن ثلاثة وتوقيع كل منهم في الثلث وكتب لبعضهم "بالمجلس العالي" في الثلث.

النوع الثالث

أنظار الوظائف الدينية

وهي اثنا عشر^(٣) وعشر وظيفة بالقاهرة:

الأولى: نظر الأشراف، وموضوعها التحدث على أوقاف الأشراف وهي بركة الحبش من ضاحية مصر، وقف^(٤) وناحية [١٣٢ ب] بلقس من ضواحي القاهرة، وقف

(١) الصواب: المظفر.

(٢) تم إنشاء هذه التربة بعد موت الظاهر برقوق في عهد ابنه الناصر فرج، واكتمل بناؤها عام ٨١٣ هـ/١٤١٠م، وهي من أكبر الترب في جبال القاهرة فهي تشتمل على مسجد وخانقاه ومكتبان.

انظر: المقرئ: السابق، ج ٢ ص ٤٦٣؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١٠٣ هـ-١.

(٣) بياض في الأصل والإضافة من سياق النص.

(٤) بياض في الأصل.

.....^(١) وبعض منتفعات بالقاهرة وما يستخرج منها من الأموال وصرفه على جماعة الأشراف بمصر والقاهرة في وقت معلوم من السنة للكبير والصغير، والذكر والأنثى بالسوية، وربما ينفق منها على الأشراف المقيمين بمكة والمدينة والواردين منهما حين النفقة، ولا يصرف شيء إلا على من يكون ثابت النسب من الحسينين والحسينيين، وتوقيع متوليها في الثلث.

الثانية: نظر الحسبة، وقد اختلف في اشتقاقها، قال الماوردي: وهي مشتقة من قولك حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم. وقال النحاس: أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الناس مؤنة من بحسهم حقهم". وحقيقته في اللغة "الجهتة في كفاية المسلمين ومنفعتهم".

وأول من قرر ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وموضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته أو صناعته، وهي على ضمتين: الأولى حسبة القاهرة، ومتوليها له نواب بالباب والقاهرة والوجه البحرى إلى قطيا وبرقة خلا نهر الإسكندرية فإن متولى الحسبة بما كان استقراره من الأبواب في قطع الثلث ثم أضيفت إلى نائبها، وتوقيع متوليها في الثلث.

الثاني حسبة مصر، ومتوليها له الأمر والاستنابة بقلعة الجبل والصلبية إلى قناطر السباع^(٢) والقرافين^(٣) والوجه القبلى بكماله، وربما أضيفت إلى حسبة القاهرة. وكانت ولاية الحسبة منحصرة في المتعممين ثم صار يتولاها أرباب السيوف غالباً^(٤).

الثالثة: نظر الأحباس، وكان في القديم متوليها هو المتحدث في الأوقاف ثم أفرد ذلك عنه بناظر مستقل. واختص بنظر الأحباس رزق الجوامع والمساجد والموقوف عليها، ورزق على

(١) بياض في الأصل.

(٢) قناطر السباع: أول من أنشأها هو الظاهر بيبرس، وقد أطلق عليها لقب السباع لكون رمز رنك الظاهر بيبرس يمثل السبع، ثم قام الناصر محمد بن قلاوون بدمها وأعاد بناءها عام ٧٣٥ هـ. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) يقصد بذلك القرافين الصغرى والكبرى بالقاهرة. وعنهما انظر، ص ٢٦٩.

(٤) أول من شغلها من أرباب السيوف الأمير سيف الدين منكلى بغا أمير حاجب مضافة إلى الحجوبية في عهد السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٩ هـ. انظر: القلقشندي: صبح، ج ١١، ص ٢١٠؛ السخاوى: الضوء، ج ١٠، ص ١٧٣، ت رقم ٧٣١؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥١٠؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ص ١٠٣٧.

سبيل البر وصدقة، وكانت ما تخرج إلا بكتب من السلطان ويشتمل توقيعها الخط الشريف، ثم في دولة الأشرف شعبان صار النائب الكافل هو الذى يكتب على قصص الأحباس وتوقيعها، ولما أهملت النيابة صار الدوادار الكبير هو الذى يكتب عليها، وله رفيق متعمم تكون عهود الأحباس [١٣٣ أ] ومستوفيها بديوان عنده، وهو الأمر في كتابتها بما يراه، وإذا كان الدوادار الكبير غائباً، استقل بالأمر في كتابتها، وتوقيعه في الثلث.

الرابعة: نظر الجوالى، وتنسب جهتها للديوان العزيز، وموضوعها التحدث في استخراج الجزية من أهل الذمة، وكان متوليها لا تطول يده إلا على أهل الذمة بمصر والقاهرة وضواحيهما، وكان يستخرج من نصارى الأقاليم بالديار المصرية لمقطعى بلادها ثم في الأيام المؤيدية أضيفت جوالى البر إلى ما يتحصل من جوالى القاهرة وينفق على أهل العلم ومستحقين في وقت معلوم من السنة ولا ضابط له يزيد وينقص، وتوقيع متوليها في الثلث.

الخامسة: نظر الكسوة، وموضوعها التحدث على كسوة البيت الحرام وما يستخرج من بلادها، وهى ناحيتى " بيسوس ^(١)، وسردوس ^(٢) "، وأراض بقلوب، وصرف ذلك في ثمن ما يستعمل من الذهب والحرير والأجص وغير ذلك في كل سنة، والحجرة النبوية في كل خمس سنين مرة، وهذه الكسوة التى يفتخر بها ملك مصر على جميع الملوك شرقاً وغرباً وهى وقف ^(٣)، وتوقيع متوليها في الثلث.

السادسة: نظر الأوقاف، وموضوعها التحدث على أوقاف الحرمين بالقاهرة ومصر، وكانت مضافة لنظر الأحباس كما تقدم ثم صارت إلى قاضى القضاة الشافعى، ثم آلت إلى ناظر مستقل وربما تحدث فيها أرباب السيوف ويراجعوا قاضى القضاة الشافعى في بعض الأمور، ومعلومه على ذلك من مال الأوقاف، وتوقيع متوليها في الثلث.

السابعة: نظر دار الضرب، وربما يعبر عنها بآدر الضرب جمع دار لأن لكل صنف من النقود دار بمكان واحد، ولها تعلق بالخاص لأخذ الموجب، وموضوعها التحدث على ضرب

(١) بيسوس: إحدى البلاد المدرسة، وكانت تقع بالقرب من قرية بقلولة بمحافظة كفر الشيخ. ابن الجيعان: التحفة، ص ٩؛ محمد رمزى: القاموس، ق ١، ص ١٨٦.

(٢) سردوس: إحدى البلاد المدرسة، كانت تتبع قرية شباس الملح بمحافظة كفر الشيخ. ابن الجيعان: السابق، نفسه؛ محمد رمزى: السابق، ق ١، ص ٢٧٥.

(٣) بياض في الأصل.

النقود من معاملة المسلمين من الذهب والفضة والفلوس ومنع مداخلها من الغش جملة كافية، ويجرس الأوزان إن كانت عددية والحرص على الختم وصون السكة بمكان حرز، ولا تسك النقود إلا بمعزل يحضره موثق به، ومتوليها يتحدث على صناعها ويناقشهم^(١) على عدم إدخال الغش بكل ممكن، وعلى تحرير الأوزان، وتوقيعه [١٣٣ ب] في الثلث.

الثامنة: نظر خزائن السلاح، وموضوعها التحدث على خزائن السلاح، وأصل هذا السلاح أن الملكة شجر الدر أوقفت بلاداً في إقليم الجزيرة، وأرصدت خراجها إلى أن يشتري به أصناف السلاح من فضة وحرير^(٢) وفولاذ وحديد وآجر ومعالم، ويقام منه في كل سنة كذا كذا قطعة تحمل للزردخانا، وإلى ثغور الإسلام، فأقام الأمر على ذلك عدة سنين ثم تلاشى أمر النواحي المستخرج منها المال فبطل استعمال السلاح، فلما تولى الناصر محمد بن قلاوون قصد إعادة ذلك فأخذ في إقليم الجزيرة أراضى وعمر عمائر واشترى أماكن وأعاد عمل السلاح، فصار يعمل في كل سنة ويحمل إلى الزردخانا. ومتوليها يتحدث في استخراج المال من جهاته والأمر بصرفه فيما يستعمل، وله التحدث على مباشرين ذلك والزردكاشية والمعلمين والصناع، وتوقيعه في الثلث.

التاسعة: نظر البيمارستان المنصوري، والبيمارستان لغة فارسية ومعناه بيت الضعيف، وهو وقف المنصور قلاوون أعظم أوقاف الديار المصرية وأكبرها برأ لم يباشر به ذمى خوفاً من الدسائس، ولا يداوى به ذو عاهة حذراً من العدو، وكان نظره قديماً للوزير مع أحد أكابر الأمراء المقدمين، ولما آل الأمر في نظره إلى الأمير الكبير أبطل نظر الوزير منه وصار يتولى بنظره من المتعممين من يؤهل إلى نظره مع الأمير الكبير ولا ينفرد برأيه في أمر مهم بل بمراجعة الأمير الكبير، وتوقيعه في الثلث.

العاشرة: نظر الزردخانا، وموضوعها التحدث على ما يستعمل بالزردخانا من آلات الحرب والنفط واستدعاء ما يحتاج إليه من مصر والشام والثغور وغيرها، ومتوليها يتحدث على جماعة الزردكاشية والمعلمين والصناع ونحوهم رفيقاً للشاد المتقدم ذكره، وتوقيعه في قطع الثلث.

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

الحادية عشر: نظر الحرم النبوي، وموضوعها التحدث على بلاد، ودرمونة^(١)، يؤخذ خراجها يجهز في كل سنة إلى خدام قائمين بخدمة الحجرة النبوية، وأوقف السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ناحية نقادة^(٢) بالقوصية وثلاث سنديس^(٣) بالقلوبية على أربعة وعشرين خادماً، ووقف الصالح إسماعيل ثلثي سنديس [١٣٤ أ] على ثلاثة عشر خادماً بثلاثة عشر جزء، وعلى ستة خدام بثلاثة أجزاء لكل خادمين جزء.

الثانية عشر: نظر الصندوق، وموضوعها التحدث على جهات ربحية بالخلعة ولبليس والفيوم يتحصل منها ما يصرف على رجال ونساء وصغار وأطفال مستحقين بأسماء مفردة في وقت معلوم، ومتوليها يراجع حاجب الحجاب في أمرها، وكان توقيعه في الثلث ثم تلاشى نظرها حتى صار حاجب الحجاب هو المستبد في استقراره وعزله من غير أن يستقر من الحضرة.

النوع الرابع

ما هو خارج عن الأنظار من الوظائف الدينية المنفردة

وهما وظيفتان:

الأولى: نقابة الأشراف، وموضوعها التحدث على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من يكافئهم في النسب ولا يكافئهم في الشرف ليكون عليهم أحنى وأمره فيهم أمضى، وهو على ضربين عامة وخاصة.

فأما الخاصة فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير مجاوزة لها إلى الحكم وإقامة حدود، ولا يكون العلم معتبراً في شروطها، ويلزمه في النقابة على ما حكاها صاحب الأحكام السلطانية من حقوق النظر اثنا عشر حقاً.

(١) الدرمنية مركب كبير لنقل الغلال من وإلى الأهرام السلطانية، وحولتها خمسة آلاف أردب. ابن شاهين: زبدة، ص ١٢٢ — ١٢٣؛ درويش النخيلي: السفن الإسلامية، ص ٤٦؛ ويقصد أن خراج هذه الدرمنية كان يصرف كوقف على الحرم النبوي.

(٢) ابن الجيعان: التحفة، ص ١٩٥. وهي إحدى قرى محافظة أسيوط.

(٣) لقد ذكرها كل من ابن ممتي، وابن الجيعان ضمن الأعمال القليوبية، وذكر ابن الجيعان وقفها على المسجد النبوي. ابن ممتي: قوانين، ص ١٤٥؛ ابن الجيعان: التحفة، ص ١١.

وأما العامة فعمومها أن يرد إليه في النقابة عليهم خمسة أشياء، أحدها الحكم بينهم فيما يتنازعوه، الثاني الولاية على أبنائهم فيما ملكوه، الثالث إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه، الرابع تزويج الأيامي اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد يعينوا فعضلوهن، الخامس إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكه إذا أفاق أو رشد، فتصير بهذه الخمسة أشياء عام النقابة. وكان في أوائل الدولة العباسية يقع ذلك على نقابة الطالبين وكان يضاف للنقابة النظر على جمع أموالهم ويفرقها عليهم ثم استقل به ناظر غيره، وربما يضاف إلى نقيب الأشراف النظر على مشهد الحسين بالقرب من رحبة الأيدمرى، وتوقيعه في الثلث، ونعوته وألقابه كأرباب السيوف.

الثانية: وكالة بيت المال، وموضوعها أن متوليها يتحدث فيما يتعلق ببيت المال من مسح أراض وعقارات وغير ذلك بمصر وغيرها من الممالك والمعاقدة على ذلك، ومستنداته في ذلك مربعات شريفة بجلد [١٣٤ ب] عنده، قال في مسالك الأبصار: ولا يليها إلا أهل العلم والديانة. قال: وإن مجلسه في دار العدل تارة يكون دون المحتسب وتارة أعلاه بحسب العالم منهما. وتوقيعه في الثلث. ورأيت من كتبه في النصف.

أما غير هؤلاء من أرباب الوظائف الدينية فكثيرون واستقرارهم بتواقيع تارة في الثلث وتارة في العادة من غير أن يسمح لأحد منهم بلبس تشريف من الحضرة إلا من حصلت له عناية.

الباب الرابع

في ذكر أرباب الوظائف الديوانية المستقرين بتوليها من الحضرة وذكر أتباعهم وما يكتب لهم من قطع الورق

وهي في زماننا على عشرة وظائف:

الأولى: كتابة السر، وهي في زماننا أعظم الوظائف الديوانية خطباً وأجلها قدراً، وقد تقدم الكلام عليها وعلى متوليها، وتوقيعه في قطع الثلثين، ويلقب بالجناب الكريم وله أتباع ثلاثة:

الأول: نائبه، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفات كاتب السر المتقدمة، وأن يكون يقظاً في تعلق الديوان مطلعاً على مهماته من إصدار وإيراد حتى لا يخفى عليها منها ما جل ولا ما قل، ويتصرف بنظره وقلمه فيما يتصرف فيه كاتب السر من القراءة وأخذ الجواب، ويجهز القصاد ويصرف البريد والسعاة وتنفيذ أمور الملك بما يراه تصوره واهتدائه، وتولى الولايات ويعين الألقاب ويوقع ويكتب التسايفر، وعلى أوراق الرقاع وعلى الملخصات، ويعين على كتاب الديوان بما يعينه كاتب السر، غير أن محل وضع تعيينه يكون منحطاً عن محل وضع تعيين رئيسه، ولا بد أن يكتب تحته نيابة للتأديب، وعليه كل الديوان في الإملاء والاستيعاب، وقد تقدم الكلام عليه وتوقيعه في النصف.

الثاني: كاتب الدست، وهو كاتب الإنشاء لقب بذلك إضافة إلى دست المملكة، وهي مرتبة جلوسه بين يدي السلطان مع رئيسه في المواكب الحفلة بدار العدل، ويقرأ القصص بعد ما يقرأ رئيسه، ويوقع عليها بما يأمر به سلطانه، ثم ترفع إلى كاتب السر فيعينها، وقد كانوا في أوائل الدولة التركية [١٣٥ أ] ثلاث نفر، رأسهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، ثم تزايدوا حتى أنهم في زماننا يزيدون عن عشرين، ولا ينتفع بغالبهم وهم على ضربين، الأول يركبون في خدمة رئيسهم على نوبتين كما تقدم، الثاني مقتصرين على كتابة ما يعين عليهم كما تقدم الكلام عليهم.

الثالث: كاتب الدرج، لقب بذلك لكتابته في درج الورق، والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: هو

في الأصل اسم للفعل أخذاً من درجت الكتاب أدرجه درجاً إذا أسرعت فيه. وأدرجه إدراجاً إذا أخذ به على مطاويه، وقد تقدم الكلام عليه.

الثانية: الوزارة، وقد تقدم الكلام عليها وعلى الوزير وما يختص به، ولها أتباع عشرة أعظمها وأجلها نظر الدولة، وكان يعبر عنها في القديم بنظر الدواوين، قال في مسالك الأبصار: صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويساويه في الكتابة والتوقيع في كلما يكتب، ويوقع بنعاله، وإن كان الوزير صاحب سيف كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات وما يتعلق بها"، والوزير يقتصر على التنفيذ، وتوقيعه في النصف.

الثانية: استيفاء الصحبة، وهي وظيفة جلييلة، قال في مسالك الأبصار: صاحبها يتكلم على جميع ما في المملكة مصرًا وشامًا، ويكتب المراسيم والمربعات الشريفة تارة بما يعمل بالبلاد وتارة بإطلاقات وتارة باستخدامات في صغار الأعمال ومن هذا وما يجري مجراه بالأمر الشريف أو بأمر الوزير. قال: وهذا الديوان أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم، وكل من دواوين الأموال فرع تحته، وإليه يرجع حسابه. ولا يكتب تاريخ المراسيم المربعة إلا هو، ويلبس في المحمل مع أكابر المباشرين جبة مطرزة، وتوقيعه في الثلث.

الثالثة: نظر بيت المال، وموضوعها النظر على حمول المملكة إلى بيت المال والمصرف من ذلك تارة قبضاً وصرفاً، وتارة بالتسويغ تحضيراً وصرفاً، قال في مسالك الأبصار: ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة. [١٣٥ ب] والآن فقد قصرت يد المتصرف عليها عما كانت عليه لا بشحات بيت المال، وصار الوزير يوليها لمن لم يكن له تصرف غير النفع بالمعلوم، وتوقيعه في الثلث.

الرابعة: نظر دار الضيافة والأسواق، وموضوعها التحدث فيما يتحصل من الأسواق من الموجبات ليصرف منها لكف القصاد والرسل على يد المهندارية ما يكفيهم بحسب مقام من أرسلهم فيما يقرره كاتم السر لهم. وعلى دار الضيافة مرتبات ومعالي مومية وعشرية، ولم يولي ناظرها في زماننا إلا الوزير، وكان توقيعه في الثلث.

الخامسة: نظر المرتجعات، وكان موضوعها التحدث على مواريث الأمراء في المتوفر عنهم عن نقص من يلزمهم استخدامه من الجند ويحاسب على ذلك ويرتجعه من إقطاعهم، وإذا ظلم المقطع فلاحه بأخذ زائد عن فلاحته استعيد ذلك منه لديوان المرتجع، وصار متوليها الآن لم

تطل يده إلا فيما يقع الاختلاف فيه بين مباشرين الأمراء والجند والشطب فيما يشرعه فيهم ويجلد عنده الشطب الفاضل بينهم، وتوقيعه في الثلث.

السادسة: نظر المواريث الحشرية^(١)، وموضوعها التحدث في المواريث الحشرية وما يتحصل منها وإيراده لبيت المال وبيع ما آل فيه الأمر للدولة من أراض وعقارات وغير ذلك، وصار متوليها يستقر من الوزير، وكان توقيعه في الثلث.

السابعة: نظر البيوت والحاشية، وكان موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الأستاذار من طلب ما تحتاج إليه البيوتات السلطانية وتفصيل القماش والصرف على استعماله، والتحدث على جماعة الحاشية، وتوقيعه في الثلث وصارت هذه الوظيفة تعمل أحياناً وتبطل غالباً.

الثامنة: نظر الجهات، وموضوعها التحدث فيما يتحصل من الموجب على التجار برأً وبحراً وحمله إلى بيت المال، وكان توقيع متوليها في الثلث، وصار الآن الوزير هو الذي يوليه.

التاسعة: نظر الأهراء، وهي شون غلال الدولة بمصر فيما يرد لها ويصدر منها وكانت عليها مرتبات وصدقات فأهملت، وكان توقيع متوليها [١٣٦ أ] في الثلث ثم صار يتولاها من الوزير.

العاشرة: استيفاء الدولة، والمتحدث فيها هو الذي يتلقى حسابات الدولة وضبط أمرها وروداً وإصداراً، وكان في الزمن القديم منحصر ذلك في واحد فرد ثم تعدد إلى ثان وثالث، وهم الذين يكتبون التذاكر والمربعات ونحوها، وكان توقيع متوليها في الثلث ثم صار يتولى من الوزير. ووراء ذلك من أتباع الوزارة وظائف أخر لم يؤهل متوليها إلى الاستقرار من الحضرة ولا كتابة توقيعه في الثلث والوزير هو المستبد بولايتهم.

الوظيفة الثالثة: نظر الخواص الشريفة، وهي من أجل الوظائف وأسناها، حدثت في أيام الناصر محمد بن قلاوون حين انحطت الوزارة عن موضوعها بالنيابة. ولمتوليها التحدث على جهات بالقاهرة وثغر الإسكندرية وخمس دمياط وبحيرتها وثغرى نستراوه والبرلس وبحيرتها

(١) المواريث الحشرية: هو ديوان خاص بتحصيل مال من يموت ولا وارث له، أو يوجد وارث له فرضاً لا عصباً لا يستغرق ميراثه كل المال الموروث. القلقشندي: صبح، ج ٣، ص ٤٦٠.

ومدينة فوه وموجب الكارم^(١)، ودواليب^(٢) الخاص، وغير ذلك من حمامات ومستأجرات وفرع منفلوط، ويصرف من متحصل ذلك في ثمن أنواع الخلع والأطرزة والسروج الذهب والكنائش^(٣) وكسوة الحريم والممالك والضحايا وغير ذلك.

قال في مسالك الأبصار: وقد صار متوليها كالوزير لقربه من الملك وتصرفه. ويلبس جبة من ثاني موكب استقراره بوكالة السلطان فيما يباع ويشترى ويتعوض، وتقليده في قطع الثلثين، ويلقب بالجناب العالي، وللخاص أربعة أتباع:

الأولى: استيفاء الخاص، وموضوعها ضبط كل ما يرد لديوان الخاص وما يصدر منه، وهو المتلقى لحسابات الديوان والمستوفى عليها وكتابة ما يؤخذ الخط الشريف عليه من ديوان الخاص. وناظر الخاص مستبد بأمره في الولاية والعزل، وتوقيعه في الثلث.

الثاني: ناظر ثغر الإسكندرية، وهو يتحدث فيما يرد إلى الثغر وما يصدر منه من أصناف المتجر براً وبحراً وجهات بالثغر وأخذ الموجب عن ذلك وصرفه على جندها وجهات بها وكسوة حريم الملك واحتياج الخاص وغير ذلك، وأمره لناظر الخاص في الولاية والعزل، وتوقيعه في الثلث.

الثالثة: نظر موارث الخاص، ومتوليها يتحدث في موارث الخاص من أسماء الترك وأبنائهم وتجار الشرق والكارم [١٣٦ ب] وموارث أهل بلاد الخاص وحمل ما يتحصل من ذلك لديوان الخاص، وأمره راجع لناظر الخاص في الولاية والعزل، وتوقيعه في^(٤).

الرابعة: نظر الكارم، وهو صفة محذوفة وتقديره نظر المتخذ الكارمي هكذا موجود في الدواوين، قالوا ولا معنى له في اللغة، ويقال إن أصله الكانمي بالتون نسبة إلى الكانم فرقة من السودان كانوا بمصر شأنهم المتجر في البهار المجلوب من اليمن فعرف بهم. ومتولي له يتحدث على صنف البهار الواصل براً وبحراً ومرجعه إلى ناظر الخاص في الولاية والعزل، وتوقيعه في الثلث.

(١) أي الضرائب المستحقة على تجار وتجار الكارم. وعنهم انظر بعد قليل نظر الكارم.

(٢) انظر: تعريف زكاة الدولة، ص ٢٣٠ هـ.

(٣) الكنائش: ومفردها كنوش، وهو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس، وهو من الذهب الزركش، ومن الصوف المرقوم. القلقشندي: صبح، ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) بياض في الأصل.

الوظيفة الرابعة: نظر الجيش، وقد تقدم أن نظر الجيش أول ما دون في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة عشرين من الهجرة، وهى من أجل الوظائف وأسنانها وأمثلها وأسعدها، وأميزها، وموضوعها التحدث على الإقطاعات جليلها وحقيها بجميع الممالك والجهات حتى إقطاع الخلفاء وأولاد الملوك وحتى الرزق الجيشية.

ومن ديوان الجيش ترتب الاستثمارات وتخرج الاستحقاقات، وهو أضبط الدواوين وأكثرها نفعاً ومتولى في زماننا^(١) وتقليده في الثلثين، وله أربعة أتباع:

الأول: صاحب ديوان الجيش، وهو ثاني قلم لناظر الجيش وله الكتابة على ما يخرج من ديوان الجيش جميعه وضبطه، وإذا تعذر حضور ناظر الجيش كان هو المتكلم والمخاطب، واستقراره من الحضرة وتوقيعه في^(٢).

الثاني: مستوفى الجيش، وهو الذى يكتب الكشف من الديوان ويترله بعد أخذ الخط الشريف وخط ناظر الجيش عليه وهو الذى يخرج الاستحقاقات على قدر معلوم. وهما نفرين، الأول مستوفى إقطاعات الديار المصرية، وهو يكتب في جميعها بمفرده شرقاً وغرباً بعداً أو قريباً، ويكون في غاية من الأمانة والضبط والمعرفة وعليه المعول، وتوقيعه في الثلث.

الثاني: مستوفى إقطاعات البلاد الشامية، وهو لاحقاً بصفة مستوفى إقطاعات البلاد المصرية في الأمانة [١٣٧ أ] والمعرفة، وتصرفه في إقطاع البلاد الشامية كتصرف مستوفى إقطاع الديار المصرية وتوقيعه في الثلث.

الثالث: مستوفى إقطاع العرب، وهو لا يكتب في غير ذلك، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدم من المستوفين وربما أضيف ذلك إلى مستوفى إقطاع البلاد الشامية، وتوقيعه في العادة.

الرابع: مستوفى الرزق، وهو الذى يكتب في الرزق الجيشية مستقل بذلك لا يكتب في غيرها، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة من تقدمه.

الوظيفة الخامسة: نظر ديوان المفرد، وهى وظيفة جلييلة استجدت في أيام الظاهر برفوق حين أقام ديوان المفرد رقيقاً إلى الأمير الأستدار المتقدم ذكره، ويتحدث في ضبط الأموال

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

والغلال وتنفيذ الأمور، وإذا كان الأستدار غائباً كان هو المتكلم والمتصرف والمجاوب، وتوقيعه في النصف، وله أتباع ثلاثة:—

الأول: صاحب ديوان المفرد، وهو لاحقاً بصفة ناظر الديوان من المعرفة والضبط والتنفيذ ونحو ذلك، وربما كانا صاحبي ديوان، كما له ربما استقر ناظر ديوان، وتوقيعه في الثلث.

الثاني: مستوفى ديوان المفرد، وهو لاحقاً بصفة أحد مستوفى الدولة وعليه ما يلزمه، وربما استقر فيها اثنان وثلاثة وأمرهم في الولاية والعزل للأمير الأستدار، وتوقيعه في الثلث.

الثالث: عامل الباب والشونة، وهو لاحقاً بصفة المستوفين من ضبط ما يثبت بالباب من النواحي، وما بالشونة من الغلال وجهات صرف ذلك، وولايته وعزله راجع إلى الأمير الأستدار، ولم يعتنى له بكتابة توقيع.

الوظيفة السادسة: نظر الخزانة، قال في مسالك الأبصار: وكانت الخزانة أولاً كبيرة الوضع لأنها مستودع المملكة، فلما استجدت عليها وظيفة الخاص صغر أمرها وسميت بالخزانة الكبرى وهو اسم دون ^(١) مسماه"، وموضوعها الآن حاصل خاص الملك من الذهب والفضة والجوهر والزرکش والسروج والكتايبش والخوايص وخواص آلات الحرب والآنية والقماش والوبر على اختلاف أجناسها وأنواعها، ومتوليها مستقر من الحضرة ويكون غالباً عند الملك بالمقام الأعلى داخل الأرفع [١٣٧ ب] لأنه مطلع للملك على ما لا يطلع عليه غيره، وهو المستدعى لما يحتاج إليه الملك من الأصناف المتقدمة تارة من الدواوين الشريفة، وتارة من غيرها، وتارة بالثمن ومتحدثاً على استعمال ما يرسم له باستعماله من الأشياء النفيسة وصرف ما يستحق صرفه، وهو رفيق للأمير الخزندار في جميع تصرفه، قال في مسالك الأبصار " وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة أو ممن يلتحق بهم ".

تنبيه: إذا كان متولى هذه الوظيفة حاذقاً استعمل بالخزانة ما يحتاج إليه في وقت يتسع المدى عليه في استعماله فيكون حاصلاً، وربما استعمل منها قماشاً يليق بلبس العرب والعجم وأهل الحجاز والفقراء السواحة على اختلاف أجناسهم لتجهيز جاسوس أو فداوى أو متزاي

(١) فوق: صحيح، ج ٦ ص ٣١.

فيجد ذلك حاصلاً فيلبس منه ما يحتاج إليه بين يدي الملك وينظر الملك تطبعهم في ذلك اللبس وحر كاتم، ومتولى هذه الوظيفة الآن^(١) وتوقيع متوليها في النصف.

الوظيفة السابعة: نظر الإسطبلات، وهي من الوظائف السنية الجليلة الكثيرة النفع، ومتوليها يتحدث على ما بالإسطبلات من الخيول والبغال والحمير الأهلية والوحشية وغيرها، وعلى ما بالمناخات وبالحواصل من جمال البعير والهجن وعلى حواصل القماش كذلك، وعلى ما بها من أرباب الوظائف من أمراء أخورية وسلاحورية [وسجيات]^(٢) ومهاترة ومقدمين وركبدارية وأوجاقية وعرب وسواس وغيرهم. وعلى صرف معاليمهم وعلى العلوفات والأتبان وغير ذلك، رقيقاً لأمر أخور الكبير، ومن تحت أمره مباشرين الإسطبلات ما يرد ويصدر وينفق ويبيع، وتوقيع متوليها في النصف.

الوظيفة الثامنة: صحابة ديوان الممالك، من الوظائف الجليلة الكثيرة النفع وهي مستجدة مع ديوان المفرد ولها تعلق بديوان المفرد، وموضوعها التحدث في ضبط عدة الممالك السلطانية ومن يندرج معهم من أولاد الملوك والأمراء والبحرية واختلاف وظائفهم، وعلى جماعة من البرد^(٣) والأئمة والمتعممين والمعلمين أرباب وظائف بيت السلطان وعلى جماعة [١٣٨ أ] من الخدام والحريم وصرف معاليمهم من جوامك وجرايات وكساوى وضحايا وغير ذلك، ومتوليها الآن يعبر عنه بكاتب الممالك، وله رفاق يكتبون معه في ذلك، والعمدة في الخطاب والجواب على أول قلم، وتوقيعه في الثلث.

الوظيفة التاسعة: نظر الأملاك والذخيرة، وهما جهتان متقارنتان، فالأملاك هي الضياع والرباع وما يلحق بها المتباعين للملك أو لأقاربه، والذخيرة هي ما يستأجر للملك من النواحي والمزارع والدوايب وغير [ذلك]، ومتوليها له التحدث على هذه الجهات فيما يتاعه الملك ويبيعه عنه وما يستأجره له ويؤجر عنه، وهو المتصرف في صرف ما يصرف وحمل ما يحمل للخزائن، وربما تحدث فيها ذو سيف، وتوقيعه في النصف.

(١) بياض في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) انظر تعريف البردار.

الوظيفة العاشرة: نظر العمائر، وموضوعها التحدث على ما يستجده السلطان من الأملاك العقارات والجوامع والمدارس ونحوها بالقاهرة وضواحيها، ومتوليها يعمل مدة العمارة ثم يبطل، وله رفيق من الأمراء. وربما كان في العمارة المتسعة مقدماً وهو المستدعى لما تحتاج إليه العمارة من الأصناف والتكلم مع المهندسين والمعلمين في إنشاء العمارة وعلى صرف الأجر والمون والعلوفات وغير ذلك، وتوقيعه في الثلث، وقل أن يكتب له توقيع.

الباب الخامس

في ذكر وظائف ذوى الرئاسة والمعلمين وزعماء أهل الذمة

وهو على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول

وظائف ذوى الرئاسة والمعلمين

وهي على ضربين:—

الضرب الأول: وظائف ذوى الرئاسة، وهي خمسة:

الأولى: رئاسة الطب، وموضوعها التحدث على جماعة الأطباء وتصريفهم في ملاطفة الأبدان بالديار المصرية، وربما صرفوا بالبلاد الشامية بالإذن. ومتوليها يكون أعلم أهل زمانه بهذه الصناعة وأحذقهم وأعرفهم بالعلاج والملاطفة — ولا فائدة للعلم مع عدم الخدق والمعرفة والملاطفة وعكسه —، وأن يكون ذا خبرة بتركيب الأدوية ومعرفة المفردات وغيرها، وهو الذى يصرف من صلح للملاطفة بالمدينة والديار المصرية، وهو المعبر عنه برئيس الأطباء، وربما كان معه ثان وثالث ورابع يلاطفون [١٣٨ ب] بأماكن يختص كل منهم بمكان من القلعة للملاطفة من به كقاعات الحرمين ومنازل أولاد الملوك وطباق الممالك ونحو ذلك، والمخاطب هو الأول، وكتب لابن الصغير^(١) في النصف ولغيره في الثلث.

(١) ابن الصغير: هو علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير، كان من الأطباء المهرة وتولى رئاستهم، توفي بحلب عام ٧٩٦ هـ وهو بصحبة الظاهر برقوق بحلب. ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١٤٠.

الثانية: رئاسة الكحالين، وموضوعها التحدث على جماعة الكحالين والعاملين بالفولاذ في علاج العين وتصريفهم في ذلك بالدبار المصرية وربما تصرفوا بالبلاد الشامية. وشرط متوليها أن يكون لاحقاً بصفة رئيس الطب من العلم والحدق والمعرفة بالملاطفة والعلاج، عارفاً بتراكيب الأدوية والمفردات والأكحال والأسياف أمة في العمل بالفولاذ، ولا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة التامة والحدق، ولا يدخل أحد منهم في علاج خطر إلا بعد عرضه عليه وإذنه له في عمله، وربما اشترك اثنان في الرئاسة أو أضيف إلى رئاسة الطب، وتوقيع متوليها في الثلث.

الثالثة: رئاسة الجرائحية، وموضوعها التحدث على طائفة الجرائحية بالديار المصرية وتصريفهم في صناعة الجراح وعلاج الحوادث بالأبدان. وشرط متوليها أن يكون عارفاً بذلك لاحقاً بصفة من تقدمه من الرؤساء في الفضيلة والمعرفة، وأنه لا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة التامة، وربما أضيف إلى غيرها من الرئاسة، والغالب يكون فيها اثنان وربما كان فيها الثلاثة والأربعة، وتوقيع متوليها في العادة.

الرابعة: رئاسة المجبرين، وموضوعها التحدث على طائفة المجبرين بالديار المصرية وتصريفهم بها. وشرط متوليها أن يكون لاحقاً بصفة الرؤساء المتقدمين في الفضيلة والمعرفة، ولا يصرف إلا من وثق منه بالمعرفة، وربما كان في ولايتها الاثنين والثلاثة، وتوقيع متوليها في العادة.

الخامسة: رئاسة الحراقة ببحر النيل، معروفة وكان يعبر عن متوليها قديماً " برئيس الخلافة "، وله التحدث على الحراقة الكبرى وتعرف بالذهبية لتزخرفها بالذهب، ولا يركب فيها إلا الملك وعلى ما دونهما من الحرائق، ولا يعمرها إلا السلطان، والتكلم على آلاقيها ورجالها، واستدعاء ما يحتاج إليه، وربما كانا اثنين، وتوقيعه في العادة.

الضرب الثاني: وظائف المعلمين، وهم المهندسون والمعلمون [١٣٩ أ] بالعمائر السلطانية، ولهم الخطاب وعليهم الجواب فيما يتعلق بالعمائر، واستقرارهم من الخضرة، وتكتب لهم توقيعات بولاياتهم في ذلك، وعادتهم مهندسان ومعلمان وقد يزيدون، ولهم التكلم على جميع الصناعات بالعمائر ومناقبتهم على صناعتهم، والنظر في الأحجار الصالحة والخسيسة وغير ذلك، وتوقيع كل منهم في العادة.

المقصد الثاني

في زعماء أهل الذمة

وهم على ملتين:

الملة الأولى: النصرانية، من قول عيسى صلوات الله عليه ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١)، وقيل من نزوله هو وأمه بعد عودها به من مصر بالناصرة، قرية من قرى فلسطين. وكتابتهم الإنجيل، قال النحاس: من نجلت الشيء إذا أخرجته، أو من ناجل القوم إذا تنازعوا لأنه لم يقع في كتاب من الكتب المتزلة التنازع الواقع فيه أو من النجل معنى الأصيل لأنه أصل العلم الذي أطلع الله تعالى فيه خليفته عليه، ومنه قيل للولد نجل لأن أباه كالأصل له.

وقال صاحب إرشاد القاصد: يعنى الإنجيل عندهم البشارة. ثم يجتمعون على أن مريم حملت بعتسى وولدت له بيت لحم وتكلم في المهد، وأن مريم فرت به إلى مصر ثم عادت به إلى الشام وعمره اثنان وعشرون سنة، ثم نزلت بالناصرة وأنه في آخر عمره قبض عليه اليهود وبعثوا به إلى عامل قيصر ملك الشام على الروم فقتله وصلبه يوم الجمعة وأقام على الخشبة ثلاث ساعات، ثم استوهبه من عامل قيصر يوسف النجار قريب مريم ودفنه في قبر كان أعده لنفسه في القمامة بالقدس، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ثم قام من صبيحة يوم الأحد فرآه بطرس الخواري وأوصى إليه، وأن أمه جمعت له الخواريين فبعثتهم رسلاً إلى الأقطار للدعاية إلى دينه، وهم في الأصل اثنا عشر بطرس، واتفقوا على أن أربعة من الخواريين قصدوا لكتابة الإنجيل وهم، بطرس ومتى ولوقا ويوحنا، فكتبوا فيه سيرة المسيح جميعها وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص [١٣٩ ب] بلغة من أربع لغات، فكتب بطرس إنجيله بالرومية ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، وقيل إن الذي كتبه مرقس بنفسه، وكتب متى إنجيله بالعبرانية ونقله بعده يوحنا بن ربة إلى الرومية، وكتب لوقا إنجيله بالرومية وقيل باليونانية بالإسكندرية، وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة " أفسس " وقيل برومية.

ثم لما مات الخواريون أقامت النصرانية لهم خلايف عبر عنهم بالبطاركة، وكانوا على خمس كراسي، منهم خليفة بطرس بكرسى رومية، وخليفة مرقس بكرسى الإسكندرية، وخليفة

(١) آل عمران، الآية ٥٢.

يوحنا الإنجيلي بكرسى القسطنطينية القديمة، وخليفة بطرس أيضاً بكرسى أنطاكية. وأن لكل طائفة تولى مطران بكرسى القدس.

وقد اختلفوا النصارى فرق كثيرة، والمشهور منهم ثلاث فرق:

الأولى: الملكانية وهم أتباع ملكان الذى ظهر بالروم، وقيل منسوبون إلى مركان قيصر أحد قياصرة الروم فقبل مركانية ثم أبدلت الراء لأمأ وعربت ملكانية.

الثانية: اليعقوبية، أتباع ديسقوس بطرك الإسكندرية وهو ثامن بطاركتها من حين مرقس الإنجيلي وسموا بيعقوبية لأن اسمه كان في العلمانية يعقوب، وقيل كان له تلميذ اسمه يعقوب يبعثه إلى أصحابه أن أثبتوا على أمانة ديسقوس، وقيل نسبوا إلى يعقوب البردعاني تلميذ سايرس بترك أنطاكية. ومعتقدهم أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده، ومنهم من قال إن المسيح هو الله ويقولون مع ذلك إنه قتل وصلب ومات وبقي العالم ثلاثة أيام بلا تدبر ومنهم من يقول غير ذلك. حكى ابن عبد الحميد أن ديسقوس لما ذهب إلى ما ذهب إليه رفع أمره إلى مركان فطلبه إلى رومية وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين أسقفًا، وناظره بحضرة الملك فكلمته زوجة الملك فأبى الرد فلطمته بيدها وتبارى له الحاضرون بالضرب فأخرج وسار إلى القدس فأقام به واتبه أهل القدس وفلسطين والإسكندرية والحبشة إلى الآن.

الثالثة: النسطورية، أتباع نسطوريسوس بطرك [١٤٠ أ] القسطنطينية، ومعتقدهم أن مريم لم تلد إلهًا وإنما ولدت إنساناً وأنه اتحد في النسبة لا في الذات، وليس هو إله حقيقة بل الموهبة وبالكرامة ويقولون بجوهرين وأقنومين^(١)، وأن بطرك رومية وبطرك الإسكندرية خالفاه في ذلك فجمع لهم مائتا أسقف بمدينة أفسيس^(٢) وأبطلوا مقالة نسطوريسوس وصرحوا بكفره ونفى إلى إخميم ومات بها وظهر مذهبه في نصارى الشرق من الجزيرة الفراتية والموصل والمعرفة، وذكر الشهرستاني: إنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذى ظهر في زمن المأمون وتصرف في الأناجيل برأيه.

(١) الأقنوم بمعنى الصفة التى يوجد عليها الله، أى إن الله ذو ثلاثة أقانيم هى الأب والابن والروح القدس في

جوهر واحد. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٥٢. أما عند نسطورس فجوهران بأقنومين

(٢) عقد ذلك الجمع عام ٤٣١ م. ستيفن رانسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد،

القاهرة ١٩٩٧، ص ١٤٨.

ومن عادة النصارى إذا مات منهم أحد يعتقدونه صوروا صورته في حائط كنائسهم، ويصلون سبع صلوات في اليوم واللييلة وهى، الفجر والضحي والظهر والعصر والمغرب والعشاء ونصف الليل، ويقرءون في صلاتهم مزامير داود كاليهود، والسجود في صلاتهم غير محدد بل قد يستخلص في ركعة واحدة عشرين سجدة، ويصومون كثيراً ويحرمون لحم الجمال وألبانها كاليهود ويحللون لحم الخنزير ويحرمون صوم يوم الفصح الأكبر، ويحرمون على الرجل أن يتزوج امرأتين في قيد واحد، ويحرمون طلاق الزوجة وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق واستقبال صخرة القدس.

أما بطاركة النصارى ذوى الكراسى فثلاثة، قال ابن موصلياً^(١) في ترسله: تبدل الباء من البطرك ياء "، وأصله بطريك وهو القائم بأمور دين النصرانية مناطاً للتحليل والتحريم، وهم على أربعة كراسى:

الأول: الباب، بتفخيم الباء، ويقال فيه البابا ومعناه أبو الأباء لأن البطرك عندهم أب فعظموه بأن جعلوه أبو الأباء وهو بطرك الملكية، وقد وهم في التعريف بأن جعله مقام " القان " عند التتار وهو غلط فإن القان هو الملك الأكبر والباب ليس بملك فإنه خليفة بطرس الخوارى كما تقدم، وعندهم أن إليه أمر الديانات وإليه مناط التحليل والتحريم. قال في الروض المعطار: ومن عادته إذا اجتمع عليه أحد ملوكهم أكب على رجليه يقبلهما ولا يرفع رأسه حتى يكون الباب هو الذى يرفعها. ثم لما غلبت الروم على الملكية وعلت كلمتهم على العياقة خصوا الباب بنظر كتبهم [١٤٠ ب] فصار ذلك علماً عليه، ومقرته كرسى رومية وله من سلطانتا المكاتبه لا الولاية.

الثاني: بطرك الملكية كرسى أنطاكية وولايته من الأبواب الشريفة بعد كتابة محضر من النصارى الملكية باستحقاقه للبطركية عليهم بمقتضى محضر ثابت، ثم يكتب محضر ثانى ويجهزونه النصارى إلى الباب برومية فيقف عليه ويجهز له استمرار الولاية إلى أنطاكية، وتوقيعه في العادة.

(١) الصواب: موصلياً. هو العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلياً، أحد كتّاب الخلافة العباسية، ظل في خدمتهم خمس وستين عاماً، وكان نصرانياً وأسلم، مات عام ٤٩٧ هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٤٨٠، ت رقم ٥٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٥، ص ١٨٩.

الثالث: بطرك اليعاقبة بكرسى الإسكندرية، وكان بطرك كرسى الإسكندرية تارة من اليعاقبة وتارة من الملكانية إلى حين الفتح الإسلامي فقرر فيه عمرو بن العاص رضى الله عنه بطرك اليعاقبة وتم إلى الآن. وله الأمر على طائفة النصارى اليعاقبة، وتحت طاعته ملك الحبشة ولا يستحق ولاية بطرك عندهم إلا من يكون أبوه تزوج بأمة وهى بكر وأنه لم يستطع بلحم ما يذكى من حين ولاية ولا يشهر عليه الجامعة أصلاً، ولا تتعقد له البطركية إلا بتوجهه إلى الإسكندرية والتماس بركات يوحنا المعمدانى من أتباع الخواريين. وإقامته بقصر الشمع بمصر وولايته من الحضرة، وتوقيعه في الثلث.

أما المطران بالقدس فأن له كرسى القدس على ما تقدم ولم يكن له خليفة من الخواريين وأن كل طائفة تولى فيه مطراناً، ومن برزت المراسيم بولايته مطراناً كان هو المستقر في ذلك، والحكم في ولايته كالحكم في ولاية بطرك كرسى أنطاكية، وتوقيعه في العادة.

وأما بطرك الملكانية بالقاهرة فإنه لم يكن له كرسى وولايته من الحضرة، وأنه إذا تولى جهاز إلى صاحب كرسى القسطنطينية البطرك على جنس الروم توقيعه فيقف عليه ويجهز له استمرار الولاية بالديار المصرية فيستمر في الولاية بذلك.

وأما النسطورية فإنه لم يكن لهم كرسى معروف ولا خليفة ولا بطرك.

الملة الثانية: اليهودية، مأخوذ من هاد إذا رجع، ولزومهم هذا الاسم من قول موسى عليه السلام ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١)، وهم أعمر من بنى إسرائيل لأن من اليهود من ليس من بنى إسرائيل، وكتابهم التوراة، سميت بذلك أخذاً [١٤١ أ] من " وريت نارى، ووريت، وأوريتها " إذا استخرجت ضوءها لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى عليه السلام " كما قال النحاس، وقال الشهرستاني " إنها أول منزل على بنى إسرائيل "، وسميت كتاباً إذ ما قبلها يسمى صحفاً، بل هى أول منزل اشتمل على حدود وأحكام وما قبلها مواعظ ونحوها. وهى خمسة أسفار:

الأول: ما يشتمل عليه الخلق من آدم ليوسف.

(١) الأعراف، الآية ١٥٦.

الثاني: استخدام [المصريين] ^(١) من بني إسرائيل وظهور موسى وهلاك فرعون وأحوال التيه وإمامة هارون ونزول العشر كلمات في الألواح وهي ستة مما في التوراة ويشتمل على أوامر ونواه وسماع القوم كلام الله، قيل كانت الألواح من زمرد أخضر وقيل ياقوت أحمر وقيل من زبرجد وقيل من خشب، ويقال إنها لوحان وأنت بصيغة الجمع كقوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٢)، والمراد اثنان.

الثالث: فيه كيفية تقريب القرابين.

الرابع: عدد القوم، وتقسيم الأرض بينهم، وأحوال الرسل الذين بعثهم موسى من الشام، والمن والسلوى والغمام.

الخامس: أحكام التوراة، و وفاة هارون ثم موسى وخلافة يوشع بن نون.

وذكر المفسرون عن ابن عباس " أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فلم يبق فيها إلا سدسها "، ويروى أن التوراة كانت سبعين وسق بعير يقرأ الخبر منها في سنة، وأنها رفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد وفيه هدى ورحمة، وفي الذي رفع تفصيل لكل شيء.

واليهود قد اختلفوا على عدة طوائف، فالمشهور منها طائفتان:

الأولى: الربانيون والقراءون، وهم كالفرقة الواحدة إذ تورأتم واحدة ولا خلاف بينهم في أصل اليهودية، وكلهم متفقون على نبوة موسى وهارون ويوشع وإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط، واتفقوا على استخراج ستمائة وثلاثة عشر فريضة من التوراة يتعبدون بها، ثم الربانيون ينفردون عن القرائين بشروح موضوعة لغوامض التوراة المتقدمة وضعها أبحارهم، وتفريعات على التوراة ينقلونها عن موسى، ويتفقوا على استقبال صخرة بيت المقدس في الصلاة وعلى [١٤١ ب] أن الله كلم موسى على طور سيناء.

ويختلفون في أمرين، أحدهما القول في الظاهر والجنوح إلى التأويل، والقراءون يقفون مع ظهور نصوص التوراة فيحملون ما يقع فيها من ذكر الصورة لله تعالى والتكلم والاستواء على العرش، والنزول على الطور على ظاهره، والربانيون يؤولون ذلك كله.

(١) بياض في الأصل. وما بين الحاصرتين من، صحيح، ج ١٣، ص ٢٥٨.

(٢) النساء، الآية ١١.

الثاني: القول بالقدر فإن الربانيون يقولون لا قدر سابق وأن الأمر أنف، والقراءون يقولون بسابق القدر، وما عدا ذلك فهم متفقون عليه.

الطائفة الثانية: السامرة، وهم أتباع السامري المذكور في القرآن العزيز واسمه موسى بن ظفر، وكان أصلهم من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل مرة جاء إلى موسى راكباً على فرس الحياة فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه وألقاه على حلى لهم وقال له كن عجلاً جسداً له خوار فصار كذلك. قال الحسن " صار حيواناً حمماً ودماً "، و قيل صار يخور ولم تنقلب عينه فكان من شأنه ما قص الله في كتابه العزيز، وقال الشافعية " إن السامرة أن وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤا بالجزية وإلا فلا ".

ثم السامرة لهم تورا تخصهم عن التورا المتقدمة وعن التي بيد النصارى وهم ينفردون بإنكار نبوة من بعد موسى سوى هارون عليهما السلام، ويوشع عليه السلام، ويستقبلون طور نابلس في صلاتهم وموتاهم زاعمين أنه الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود وبينان بيت المقدس عليه فخالف وبناه بالقدس، ولم يكن لطوائف اليهود سلطان ولا ملك قائم في أقطار الدنيا وأنهم حيث ما كانوا ورثوا الجزية ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، وكبرهم من يقرره السلطان رئيساً لهم على الربانيون والقراءون والسامرة، ويشترط في ولايته أن يكون ديناً فيهم عالماً بدينهم عفيفاً بينهم له رفقاء بهم ورأفة عليهم ويرضونه رئيساً عليهم حاكماً فيهم، وولايته من الحضرة الشريفة وإقامته بالقاهرة، وتوقيعه في الثلث.

أما أتباع أهل الكتاب فهم على ضربين:

الضرب الأول: أتباع النصارى وهم ستة [١٤٢ أ]:

الأول: الأسقف، وهو عبارة عن نائب البطرك في التحليل والتحرير عليهم، ويكون ذلك عند غيبة البترك^(١).

الثاني: المطران، وهو عبارة عن القاضي يتخذونه لإفصال الحكومات بينهم.

الثالث: القسيس، وهو عندهم عبارة عن العالم الذي يقرءون الإنجيل والمزامير وغيرها.

الرابع: الجاثليق، وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة الذي يصلي بهم في كنائسهم.

(١) الصواب: البطرك.

الخامس: الشماس، وهو عندهم عبارة عن القائم بالكنيسة في مصالحها.
 السادس: الراهب، وهو الذى حبس نفسه على العبادة والخلوة وكسر الشهوة، ولم يكن لأحد منهم ولاية من الأبواب الشريفة.
 المضرب الثانى: أتباع اليهود، وهم ثلاثة^(١):
 الأول: الحزان، وهو عندهم بمثابة الخطيب، فإنه يصعد المنبر في بيعهم^(٢) فيعظهم ويذكرهم.
 الثانى: الديان، وهو بمقام المفتى عندهم يعلمهم أمور دينهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم.
 الثالث: [الشليحصور]^(٣)، وهو الإمام الذى يصلى بهم في بيعهم، ولم يكن لأحد منهم ولاية من الأبواب الشريفة.

(١) لقد جعلهم القلقشندي ثلاثة أيضاً ولكن مع بعض التغير، الأول رئيس اليهود، الثانى الحزان، الثالث الشليحصور. صبح، ج ٥، ص ٤٧٤ بحيث جعل الرئيس مع الأتباع، عكس السحماوي الذى تكلم عن الوظائف دون الرئيس، ولذلك فقد أضاف إليهم " الديان أو الربان " وهو الخبر الخاص بالفتيا بين اليهود. انظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، القاهرة ١٣٤٥ هـ، ص ٢٠ - ٢١؛ قاسم عبده: أهل الذمة في مصر، القاهرة ١٩٧٩، ص ١١٨.

(٢) البيع هى كنائس أو أماكن عبادة اليهود.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج ٥، ص ٤٧٤؛ ضوء، ص ٣٥٠.
 وقد ذكر ناشر ضوء الصبح أنه سأل حبراً من اليهود فأخبره أن الاسم مركب من كلمتين عبرانيتين أحدهما شليح، والثانية صبور ومعناها مجتمعين رسول الجماعة.

الباب السادس

في ذكر أرباب الوظائف الخارجين عن القاهرة بالديار المصرية وأمراء العربان ومشايخهم وأنفارهم

وهم على ثلاثة مقاصد ^(١):

الأول

أرباب الوظائف بالإسكندرية

وهم ثمانية:

الأول: نائبها، وقد تقدم الكلام عليه، وأنه من جملة الأمراء المقدمين بالديار المصرية، وتقليده في الثلثين.

الثاني: حاجبها، ولم تكن له إمرة، ولا يكتب له مرسوم.

الثالث: قاض مالكي، وهو أجل قضائها، ولم يكن له حكم في البر، وله التحدث على الأوقاف والمودع الحكمي والأيتام، وتوقيعه في الثلث.

الرابع: قاضي شافعي، لم يكن له يد تطول في أمر متولى ما يرفع إليه من المحاكمات، وتوقيعه [في الثلث] ^(٢).

الخامس: قاضي حنفي، استجد في دولة الأشرف شعبان، وتوقيعه في الثلث.

وكان المحتسب بها ولايته من الأبواب الشريفة وكان توقيعه في الثلث ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها وصار يوليها من عنده، ولم يكن بها قاض حنبلي.

السادس: ناظرها، وقد تقدم الكلام عليه في أتباع ناظر الخاص، ويعبر عنه بناظر الخواص الشريف بثغر الإسكندرية [١٤٢ ب]، وتوقيعه في الثلث.

السابع: ناظر الصادر، والصادر عبارة عن مال يؤخذ على قدر معلوم من مال الفرنج حين إصدار متجرهم من الثغر فيحمل للناظر فيصرفه على جماعة من طلبة العلم بأسماء مقررة بالثغر والقاهرة، وربما كان ناظره مقيماً بالقاهرة وله نائب، وتوقيعه في الثلث.

(١) في متن المخطوط [مقصدين]، وفي فهرسه ثلاثة وهو الصواب.

(٢) مذكورة في هامش الصفحة.

الثامن: كاتب درج، ويعبر عنه بما يكتم السر، وربما كتب له موقع الإنشاء بالشعر، وتوقيعه في العادة.

وكان بها ناظر دار الطراز، وناظر دار الضرب وقد بطلا لإبطال الجهتين، وبها بيمارستان وجوامع ومدارس لم يتعدى متوليها قطع العادة ولم يكن بها إفتادار عدل ولا قضاء عسكر ولا نظر جيش، ولم يكن بها قلعة ولا بر.

المقصد الثاني

في ذكر أرباب الوظائف ببلاد الريف

والريف في اللغة هو موضع المياه والزرع، ثم جعل ذلك علماً على بلاد القرى، وبالديار المصرية وجهان:

الأول الوجه القبلي: ولم يكن به ممن يتولى من الحضرة غير أرباب السيوف وهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: النائب، ويعبر عنه بنائب السلطنة بالوجه القبلي، ولم يكن على طريقة نواب الممالك إذ ليس للنيابة كرسى ولا سباط ولا عسكر بإقطاع ولا أرباب وظائف ولا حجاب، وقد جعله الظاهر برقوق من الأمراء المقدمين بالديار المصرية، وقد تقدم الكلام عليه من جملة المقدمين.

المرتبة الثانية: الكاشف، ولم يكن به غير كاشف الأعمال الفيومية، وهو في مرتبة أمراء الطبلخاناه، وربما أضيف إليه كشف الأعمال البهنساوية، ولم يكن لنائب الوجه القبلي عليه يد تصرف بل ولايته وعزله من الحضرة الشريفة.

المرتبة الثالثة: الولاة، ولم يكن به في زماننا غير أربع ولاة:

الأول: والى البهنساوية، ومقرته مدينة البهنسا، وصار يوليه نائب الوجه القبلي.

الثاني: والى الأشمونين، ومقرته مدينة الأشمونين، وأمره راجع إلى نائب الوجه القبلي في الولاية والعزل.

الثالث: والى المنفلوطية، ومقرته مدينة منفلوط^(١)، والوزير مستبد بأمره في الولاية والعزل.

الرابع: [١٤٣ أ] والى قوص، وهو من أكبر الولاة، وربما أضيف له ولاية أسوان، وكان في القديم يتكلم على واصل التجار من سواكن وعيذاب والقصير من البهار الكارمي ويختص بشبابة سلطانية تصيب أمامه إذا ركب كالسلطان، ثم أهمل بندر قوص وعيذاب وصارت الولاية بقوص تارة من الأبواب الشريفة وتارة تضاف إلى نائب الوجه القبلي يقيم بها من يختاره.

وقد أهمل ثلاث ولايات من الوجه القبلي، ولاية الجيزة وكان مقرته رقبة الجيزة واستغنى عنها بكشف الجيزة، وولاية إطفح وكان مقرته إطفح وكان عشرة، وولاية أسوان وكانت طبلخاناه.

الثاني الوجه البحري، ولم يكن به من يتولى من الحضرة الشريفة من أرباب الوظائف غير أرباب السيوف وهم على ثلاث مراتب: -

المرتبة الأولى: النواب، وبه نائبان:

الأول: نائب الوجه البحري، وهو من جملة الأمراء المقدمين، وقد استقرت النيابة مضافة إلى الأمير استدار من أيام الناصر فرج على ما تقدم، وصار الاستدار يقيم نائباً عنه في البحيرة ويعبر عنه بنائب البحيرة ومقره مدينة دمنهور، ولبسه من الحضرة.

الثاني: نائب ثغر دمياط، وهي لما استجده السلطان المالك الملك الأشرف برسبای خلد الله تعالى ملكه في عام أحد وثلثين وثمانمائة، وهو من الأمراء الطبلخاناه ومقرته مدينة دمياط، يتحدث على أجناد الثغر ويحثهم على الاستعداد والملازمة لمشاغرة العدو ومساعدة المباشرين على استخراج الأموال، وكان قبل بها والى عشرة من ناظر الخاص فأهمل لوجود النائب، وولاية نائبها من الحضرة.

المرتبة الثانية: الكشاف، وهم أربعة:

(١) لم يذكر القلقشندي أن منفلوط من ضمن ولايات الكشاف أو الولايات المعدودة التي لها وال في الوجه القبلي، انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٦.

الأول: كاشف الجيزة، وهو من الأمراء الطبلخاناه، ومقرته مدينة الجيزة من حين أهمل ولايتها، وغالباً يكون متحدثاً على الجرارييف السلطانية والحفير، وولايته من الحضرة الشريفة.

الثاني: كاشف القليوبية والمنوفية، وهو من الأمراء الطبلخاناه، وقد أهملت ولاية الإقليمين به، والأستدار مستبد بأمره في الولاية والعزل، ومقرته مدينتى منوف وقلوب.

الثالث: كاشف الغربية، وهو من الأمراء الطبلخاناه، وقد أهملت ولاية الإقليم به والأستدار مستبد بأمره في الولاية [١٤٣ ب] والعزل، وإقامته مدينة المحلة الكبرى.

الرابع: كاشف الشرقية، وهو طبلخاناه، وكان يعبر عنه قديماً بكاشف الوجه البحرى فأهملت ولاية الشرقية به، والأستدار مستبد بأمره في الولاية والعزل، ومقرته منية غمر، وكانت مدينة بليس أفردت عنه ثم أعيدت له.

المرتبة الثالثة: الولاة، ولم يبق من ولاة الوجه البحرى سوى متولى قطيا وهو بمقام أمير عشرين وأن الوزير مستبد بأمره في الولاية والعزل لما يتعلق باستخراج الموجب من التجار بقطيا وهو لا يتكلم فى غيرها.

وقد أهملت ولاية القليوبية وكانت عشرة، وولاية منوف كذلك، وولاية الغربية وكانت طبلخاناه، وولاية بليس وكانت عشرين، وولاية أشمون الرمان وكانت عشرة، وربما استقر فيها نائباً عن الأستاذار أحياناً، ولم يكن بالوجهين ممن يتولى من الحضرة من أرباب المناصب غير المذكورين من أرباب السيوف.

المقصد الثالث

فى ذكر العربان بالوجهين القبلى والبحرى

وهم شعوب وقبائل، وهم على قسمين:

الأول عربان الوجه القبلى، والإمرة فيهم فى ثلاثة أقاليم:

الأول: إقليم البهنساوية^(١)، قال الحمداى: فى أن الإمرة فيه كانت فى بيتين أحدهما بيت

(١) لقد كانت البيوت التى يشير إليها السحماوي فيما بعد والتى سكنت منطقة البهنسا من قبيلة لواتة المغربية التى حضرت مع الفاطميين لفتح مصر. وعن نسب قبيلة لواتة انظر: المقرئى: البيان، ص ٤٩ — ٥١.

أولاد زعازع^(١) من بني حديد^(٢) وقد أهملت وصارت في معنى المشيخة، والثاني بيت أولاد كريش^(٣) أمراء بني زيد، ومساكنهم النويرة ودلاص^(٤) وهم من أولاد سعد الملك، ومن أولاده تاج الملك المشهور وصار في معنى المشيخة أيضاً.

الثاني: إقليم الأشمونين، قال الحمداي: أن الإمرة كانت فيه في بني ثعلب من السلاجقة^(٥) من نسل جعفر الصادق، وكانت منازلهم بدروة سربام^(٦) المعروفة بدروط. وقد أهملت تلك الإمرة أصلاً وصارت الإمرة فيه على عربان عرك وهي في بني الأحذب^(٧)، ومنازلهم البدرمان^(٨)، والقائم بالإمرة فيهم الآن على عربان عرك، محمد بن واصل من أقارب أولاد الأحذب^(٩).

(١) أولاد زعازع فرع من قبيلة لواتة المغربية. المقرئ: البيان والإعراب، ص ٥٣.

(٢) يقال لهم بنو حديرة، وبنو الحديد، وهم فرع من لواتة. السابق، ص ٥٣، هـ ٨٧.

(٣) قريش: صبح، ج ٤، ص ٦٨، ضوء، ص ٢٦٨؛ وهم فرع من لواتة أيضاً. المقرئ: السابق، نفسه.

(٤) نويرة دلاص: صبح، نفسه. ودلاص إحدى المدن المندسة قبل العصر الإسلامي. انظر القلقشندي: صبح،

ج ٣، ص ٣٧٦؛ المقرئ: السابق، ص ٥٥؛ ابن الجيعان: التحفة، ص ١٦٦؛ محمد رمزي: القاموس، ج ١، ص ٤٩.

(٥) الصواب: السلاطنة، صبح، نفسه؛ المقرئ: السابق، ص ١٢٢؛ وهم بطن من الجعافرة.

(٦) دروت سربام، صبح، نفسه. وذكرها كل من المقرئ وابن الجيعان كما في الثغر، وهي المعروفة حالياً

باسم ديروط محافظة أسيوط. البيان، ص ٣٩؛ التحفة، ص ١٨٤؛ محمد رمزي: السابق، ج ١، ص ٤٨.

(٧) قبيلة عرك وبطونها فرع من قبيلة جهينة. المقرئ: السابق، ص ١٢٨ - ١٣١.

(٨) إحدى القرى التابعة لعمل الأشمونين. ابن ممتي: قوانين، ص ١٠٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٧٥.

(٩) المذكور هنا محمد بن واصل غير محمد بن واصل المعروف بالأحذب زعيم قبيلة جهينة التي قامت بثورة

ضد الحكم المملوكي، انتهت بأن قضى الممالك على هذه الثورة بعنف وعملوا على تشريد ما يعرف

بالخلف العركي الذي كان يقود قبائل جهينة وقد قام الأحذب بثورته عام ٧٤٩ هـ. وعن هذه الثورة

انظر. المقرئ: السلوك، ج ٢، ق ٣، ص ٩١٠ - ٩١٣، ابن تغري بردي: النجوم، ج ١٠، ص ٢٣٣،

ج ١٢، ص ١٥٦.

الثالث: إقليم قوص، قال الحمداني: الإمرة كانت فيه من بنى قضاة [١٤٤ أ] في بيتين، أحدهما بيت شادى ^(١) ومنازلهم بالقصر المعروف بهم، والثاني بيت بنى الكحيل ^(٢) المعروفون بالعجلة. وقال في التعريف: إن الإمرة كانت في زمانه بالوجه القبلي لناصر الدين عمر بن فضل ^(٣)، ولم يذكر مقرته ولا قبيلته، وفيما فوق أسوان كانت في قبيلة يقال لهم الحدارية ^(٤) من سميرة ^(٥) بن مالك.

قلت ومنذ وجهت عربان هواره وجهتها إلى الصعيد ^(٦) مدت رواقها عليه واستأصلت البلاد من عربانها وأخذت أنفاسهم وصاروا على فرقتين:

الأولى: بادين، واستوطنوا الأعمال البهنساوية، وكانت الإمرة فيهم لبنى مازن ثم صارت إلى أولاد غريب ثم عادت لأولاد مازن في سنة إحدى وثلثين وثمانمائة، ثم في سنة ثمان وثلثين تركت الإمرة عليهم وتقسمت العربان إلى خمسة أخماس وجعل لكل خمس شيخ له الأمر على طائفته فيما يقصد منهم.

الثانية: بندار ومن لم عليهم من أولاد مامن ^(٧) ولهان وبكيران وغيرهم، وهى الفرقة الجزيلة المال الكثيرة الرجال قد أخذت أنفاس ما سواها من عرب البلاد واستوطنت من الجهة

(١) يذكرهم العمري [شاد]، مسالك الأبصار - دوريتا كرافولسكى - ص ١٥٨، ويتبع القلقشندي توضيح الاسم بقوله [بأنهم المعروفون ببنى شادى]، السابق، ج ٤، ص ٦٧؛ وهم من قبيلة بلى القضاة. المقرئى: البيان، ص ٣٠.

(٢) الصواب: العجيل، العمري: السابق، نفسه؛ ويذكرهم القلقشندي " العجالة "، السابق، نفسه؛ المقرئى: السابق، نفسه.

(٣) العمري: التعريف، ص ١٠٨.

(٤) الحدارية فرع من قبيلة بلى القضاة نزلوا منطقة البجة على البحر الأحمر واستوطنوها منذ بداية العصر الإسلامى. المقرئى: السابق، ص ١٢٤.

(٥) اختلف القلقشندي في كل من الصبح والضوء في كتابة هذا الاسم، فكتبه في صبح " سميرة "، ج ٤، ص ٦٨ - ٦٩، وضوء " سمرة "، ص ٢٦٩، وهكذا كانت عند العمري، السابق، نفسه.

(٦) كان توجه قبيلة هواره إلى الصعيد في عام ٧٨٣ هـ حينما وجههم الظاهر برقوق قبل أن يلى السلطنة إليها، وقد انتهزها هواره خاصة بعد أن هدأت الثورة في الصعيد القائمة بين جهينة والمالِك.

القلقشندي: نهاية، ص ٤٤١؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١٥٦، هـ ٣.

(٧) الصواب: مؤمن، وهم إحدى فروع قبائل هواره. المقرئى: السابق، ص ١٣٦.

الغربية من النيل من حاجر سيوط وإلى النيل على بلاد أبو تيج وطما وطهطا والمراغة وشندويل^(١) وجزيرتها وسوهاى^(٢) ومنشأة إخميم وجرجا وهى مقرة الإمرة ثم إلى البلينة وإلى فرجوط^(٣) وهو^(٤) إلى أرمنت وإسنا وفيما بينهما من البلاد والجزائر وفيما يقابلها من النيل من الجهة الشرقية من شرق أبويط^(٥) وإلى آخر خرجة قوص. وبلادهم بلاد أمن وزرع ومراع وضرع، ومنهم من يحشى إلى السودان وإلى الحبشة وتيجر، ولأميرهم الإجلال والتعظيم عند الملوك ويلبس الخلع الأطلسان والخوايص وله الخيول الخاص بالسروج الذهب والكنائش الزركش ويقطع له إقطاع الإمرة من غير عربانه وتدق له طبلخانه ويركب في البحر حراقة كأمرء المقدمين، وفي البر بجبل المخاذاة والبغال السمطة والهجن والجنايب والفوانيس الأكرة، وله مباشرين ومقدمين ومتصرفين في خلاص الحقوق، وله خيام تضرب بمنزله وخدم بيض وسود في ملكه، والقائم بالإمرة فيهم أولاد ابن عمر وهى الآن في [١٤٤ ب] الأمير تاج الدين إسماعيل بن الأمير يوسف بن عمر^(٦)، ولم يكتب لهم تقليد.

(١) وكان يقال لها شندويد، ويقال لها الآن شندويل، وتقع في محافظة سوهاج. ابن ممتى: السابق، ص ١٥٨؛

ابن الجيعان: السابق، ص ١٨٦.

(٢) وهى سوهاج الحالية، والتي كانت بلدة صغيرة من الأعمال الإخميمة. ابن ممتى: السابق، ص ١٥١؛ ابن

الجيعان: السابق، ص ١٩٠.

(٣) فرجوط هى مدينة فرشوط الحالية. وكانت ضمن الأعمال القوصية. ابن ممتى: السابق، ص ١٦٧؛ ابن

الجيعان: السابق، ص ١٩٤.

(٤) كان يقال لها هو والكوم الأحمر من الأعمال القوصية، وتقع حالياً في محافظة قنا. ابن ممتى: السابق،

ص ١٩٨؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٩٥.

(٥) أبويط: من الأعمال البهنساوية وتقع حالياً في محافظة بنى سويف. ابن ممتى: السابق، ص ١٠٣؛ ابن

الجيعان: السابق، ص ١٥٩.

(٦) هو إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز البندارى الهوارى، أمير هواره القبلية في عهد الأشرف

برسبى، إلى عهد الظاهر جقمق، كان مذكوراً بالخير وحسن السيرة، عزله السلطان جقمق وسجنه

بالكرك ففارت هواره ثم أعيد إلى إمرته عام ٨٤٤ هـ ومات بالقاهرة عام ٨٥٣ هـ. انظر: السخاوى:

الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٠، ت رقم ٩٦٦.

أما جماع العرب فكثيرون وهم شعوب وقبائل، والمشهور منهم عربان فزارة^(١)، وفضل، وقطاب^(٢)، وليبد^(٣)، وإقامتهم بعمل البهنسا وغرب البلاد، وبنى هلبا بالإطفيحية^(٤)، والمقاددة^(٥) بسملوط، والصبحة بالقوصية، وبنى عدى^(٦) وبنى كلب^(٧) بمنفلوط، وبنى نصر^(٨) بالشرق، وبنى جهينة وبنى هلال بالمراعة، والأحامدة^(٩) وبنى ناب^(١٠) وجذام بقوص، والعكارمة والبكرية بقنا، والكلح بأدفوا^(١١) والكنوز^(١٢) بأسوان.

الثاني: عربان الوجه البحرى، وهم متوطنين بالبلاد، قال الحمداي: أن الإمرة كانت فيه في خمسة أعمال.

(١) فزارة بطن من قبيلة قيس عيلان العربية. المقرئى: البيان، ص ٤٨ — ٤٩.

(٢) بطن من قبائل سليم. السابق، ص ٧١.

(٣) بطن من قبائل سليم. نفسه.

(٤) لقد كان هناك فرعان باسم هلبا لقبيلة جذام، أحدهما هو هلبا سويد، والآخر هلبا بعجة. القلقشندي:

نهاية، ص ١٦٧، ٣٩٩؛ المقرئى: السابق، ص ١٦ — ١٧.

(٥) هم المنسوبون إلى أولاد مقدم من قبائل غطفان. المقرئى: السابق، ص ٧٣.

(٦) هم بنو عدى من قبيلة لخم. السابق، ص ٦٠.

(٧) هم بطن من قبيلة قضاعة. السابق، ص ٨٧.

(٨) بنو نصر من لخم. السابق، ص ٥٩.

(٩) من قبيلة جرم قضاعة. السابق، ص ٦.

(١٠) من قبيلة بلى القضاعية. السابق، ص ٣٠.

(١١) الصواب: أدفو.

(١٢) هم خليط بين قبيلة ربيعة العربية، وبين سكان النوبة من البجاة. وعرفوا بالكثرة لمساهمتهم في القضاء

على ثورة أبي ركة الأموى في العصر الفاطمى، فكافأ الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله زعيم القبيلة بلقب

" كثر الدولة " فأصبح علماً على القبيلة. انظر المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٠٦ — ٣٠٧؛ البيان،

ص ٤٦؛ محمود الحويرى: أسوان، ص ٧١ — ٧٢.

الأول: عمل الشرقية قال: والإمرة فيه في قبيلتين ثعلبة وجذام^(١)، وصارت في ثعلبة في [العليمين]^(٢)، وفي جذام في أولاد بقر، والقائم في الإمرة فيهم الأمير ركن الدين بيبرس ابن أحمد بن كمال الدين بقر بن خضر^(٣)، ولهم من الملوك والأقيال والخلع الأطلسان بالحوايص وطرفي الشاش والإقطاعات، وعندهم حواصل الهجن السلطانية، وإقامتهم بهربيط^(٤)، وفي العائد في بني عيسى ولهم ما لأمرء جذام مما تقدم، ومنازلهم نوب^(٥)، والقائم بالإمرة فيهم عيسى بن سيف.

أما بني سعد فليس لهم أمير بل شيخ، ومنازلهم برهتوش^(٦)، والمشيخة فيهم في بيت أولاد جهاز، وهي الآن في يد يزيد بن^(٧) بن جهاز.

(١) ثعلبة وجذام بطنان من قبيلة طئي العربية التي حضرت مع فتح مصر. القلقشندي: نهاية، ص ١٩٥؛ المقرئ: البيان، ص ٣ - ٦.

(٢) بياض في الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج ٤، ص ٦٩؛ وقد ذكرت في الضوء "بني علوية" ص ٢٦٨؛ والصواب ما في الصبح لكون العليمين فرعاً من ثعلبة ينسبون إلى عليم بن رميح، ولا وجود لبني علوية هؤلاء. المقرئ: السابق، ص ٦.

(٣) هو بيبرس بن أحمد بن بقر شيخ العربان بالشرقية كان كريماً ديناً كثير الأدب والتواضع مات عام ٨٦٦ هـ. انظر: السخاوي: السابق، ج ٣، ص ٢٠ - ٢١، ت رقم ٩٩.

(٤) إحدى المدن القديمة الواقعة ضمن أعمال الشرقية، وهي تقع اليوم بمركز كفر صقر محافظة الشرقية. ابن ممتي: السابق، ص ١٩٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ٤٥؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ١، ص ١٣٠.

(٥) توجد عدة بلاد باسم نوب إما مضافة إلى عمل آخر أو بمفردها، ولما كان الوصف الجغرافي لمساكن قبائل العرب يحدد الموقع المقصود، فإن نوب المقصودة هنا هي قرية "نوبة" التابعة لمركز بلييس محافظة الشرقية لما ذكره عنها ابن الجيعان من أنها كانت للعربان، وتبعد بقية البلاد عن هذا الموقع، ولكون اسم قرية نوب المذكور في قرى المرتاحية كما يذكر ابن ممتي. ابن الجيعان: السابق، نفسه؛ ابن ممتي: السابق، ص ١٩٤؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ١، ص ١٠٦.

(٦) برهتوش: إحدى أعمال الشرقية، وكان يضاف لها بلدة لزقة فيقال برهتوش ولزقة. ابن الجيعان: السابق، ص ٢٤؛ ابن ممتي: السابق، ص ١١٠.

(٧) بياض في الأصل.

الثاني: عمل المنوفية، وعربانها لواتة، والإمرة فيهم في بني نصير الدين، ومنازلهم في جزيرة بني نصر بالقصر وغيره، والقائم فيهم الآن الأمير زين الدين غيث بن ندا بن علي بن أبي الوحش بن نصير الدين^(١)، وصارت إمرتهم في معنى المشيخة.

الثالث: عمل الغربية، والإمرة فيه في أولاد يوسف من الخزاولة من سنابس بن طيئ، وأميرهم لاحق بأكابر الأمراء في الخلع والإقطاع، ولم يكن بالغربية الإمرة إلا فيهم، ومنازلهم سخا^(٢) والورق^(٣)، والقائم بالإمرة فيهم الآن جمال الدين عبد الله بن عثمان بن أحمد بن ناصر، وناصر أهمل، وقيل يوسف.

الرابع: عمل البحيرة، وكانت الإمرة فيه في بني التركية من المقادمة من بني قائد بن مقدم، ثم انحطوا عن ذلك ورحلوا عن البحيرة وتوطنوا بأعمال الجيزة، ولم يكن لهم إقطاع ولا عليهم تقادم، وصارت إمرتهم في معنى المشيخة، والقائم عليهم الآن شكر بن حماد بن محمد من أولاد التركية المذكورين [١٤٥ أ].

أما مشايخ زنارة^(٤) بالبحيرة فهم على خمسة أحاس، ولكل خمس بلاد معروفة مقسومة لها شيخ، عليه دركها^(٥)، ويقر ما على عربان إقليم البحيرة من التقادم والضيافات والجنابات على الأحاس.

(١) هو غيث بن ندا بن أبي الوحش ويعرف بابن نصير، شيخ عرب المنوفية كان مشهوراً بالظلم والشح مع إظهاره التدين مات بالقاهرة عام ٨٦٦ هـ انظر: السخاوي: السابق، ج ٦، ص ١٦١، ت رقم ٥٣٢.

(٢) سخا: كانت من أعمال الغربية، وهي الآن مركز من مراكز كفر الشيخ: ابن ممتي: السابق، ص ١٤٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ٨٠؛ محمد رمزي: السابق، ق ٢، ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) الورق: كانت من أعمال الغربية، وقد ذكرها ابن الجيعان مع بلدة أخرى فقال " الورق وأرميون "، ص ٧٠.

(٤) بطن من قبائل لواتة المغربية. المقرئ: البيان، ص ٥٠.

(٥) أى عليه حراستها.

فالخمس الأول نصفين بين بنى بو سعيد، وشيخه على بن أحمد بن بدر وإقامته بناحية شنشبا^(١) وبين [مستان] ^(٢) وشيخهم الآن محمد بن محمد بن سليط وإقامته بشنديد^(٣).
الخمس الثاني، من بنى صالح ولهم ثلاثة أرباع الخمس، وشيخهم حامد بن عبد الله وإقامته بأمليط^(٤)، وبين باطوره^(٥) ولهم الربع، وشيخهم حاجي بن سلطان، وإقامته بيتوك^(٦).
الخمس الثالث، بين مصغونة وشيخهم خضر بن محمد بن مقرب، وأحمد بن عثمان بن أيوب، وإقامتهم بالبسلقون^(٧)، وبين فرطيطة^(٨) وعرجومة^(٩)^(١٠)

-
- (١) وردت عند ابن الجيعان باسم " شنشبا " ص ١٣٠؛ وعند ابن ممتي وابن دقماق باسم شنشبا، وهي من إقليم البحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ١٤٩؛ ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ١١٠.
- (٢) كذا في الأصل.
- (٣) شنديد: بلدة من أعمال البحيرة، وقد ذكرت عند ابن الجيعان " شنديد أو شنديد ". السابق، ص ١٢٩؛ ابن ممتي: السابق، ص ١٥٧.
- (٤) أمليط: من أعمال البحيرة، ويقال لها أمليط ورأس التمساح. ابن الجيعان: السابق، ص ١٢٢.
- (٥) باطوره: لم أجد لها ذكر بهذا الشكل، ولكن توجد بلدة في إقليم البحيرة تسمى أبودره لدى ابن الجيعان، ص ١١٧.
- (٦) وتعرف باسم محلة بتوك عند ابن ممتي، ومحلة بتوك عند ابن الجيعان، والصواب الأول لوجود القرية إلى الآن باسم أبتوك مركز شراخيت بالبحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ١٨٩، هـ ٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٣٣.
- (٧) البسلقون: من أعمال البحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ٩٦؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١١٩.
- (٨) لم أجد لها مسمى، ولعله يقصد بها منية أقرط من أعمال البحيرة والتي كانت إقطاعاً للعربان. ابن الجيعان: السابق، ص ٩٣.
- (٩) كذا بالأصل. ولم أجد لها تفسيراً في الكتب الجغرافية.
- (١٠) بياض في الأصل.

الخمس الرابع، بين عرهان الكبير وهم الشوكة وبين بعث وشيخهم إسماعيل بن زايد^(١)، وإقامته بأبي صمادة^(٢)، وبني عرهان الصغير وهم متساوة وفي خليفة، وصار إسماعيل المذكور شيخاً عليهم.

الخمس الخامس، بين زمران وواكدة، وبني حنون، وشيخهم محمد بن موسى وإقامته برميسيس^(٣)، وبني طازولة وبني حسين وبني عبد المؤمن، ومشايخهم أولاد راشد، وإقامتهم ببلقتر^(٤).

أما عربان تروجة^(٥) وهم عربان مزاة لم يدخلوا بهذه الخمسة أخماس، وهم شعوب وقبائل عديدة ينقسمون على خمسة أقسام:

القسم الأول: مزاة العريضة وشيخهم سليمان بن شرف، وإقامته بينها.

الثاني: غرين وشيخهم ابن بدران، وإقامته ببطورس^(٦).

الثالث: بني عونة، وهم فرقتين، فالأولى أولاد الشيخ، وشيخهم^(٧) بن رحاب، الثانية العقلة وشيخهم^(٨) بن إبراهيم بن سعدان.

الرابع: الخوالد وشيخهم ابن عز الدين.

الخامس: بني سالم وشيخهم عبد الله بن يوسف، وإقامتهم جميعاً الآن بناحية تروجة.

(١) إسماعيل بن زايد أحد مشايخ العربان بالبحيرة، وسط في أواخر ذي الحجة عام ٨٥٣ هـ انظر:

السخاوي: السابق، ج ٢، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، ت رقم ٩٢٠.

(٢) أبو صمادة: بلدة من أعمال البحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ٢٢٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١١٧.

(٣) رميسيس من أعمال البحيرة، وتعرف منطقتها بحوف رميسيس. ابن ممتي: السابق، ص ١٤٣، ٢٢٥؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٢٧.

(٤) بلقتر من أعمال البحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ١١٦؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٢٤.

(٥) تروجة: من أعمال البحيرة. ابن ممتي: السابق، ص ١٢٢؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٢٤.

(٦) بطورس: من أعمال البحيرة، وتعرف منطقتها بحوف رميسيس. ابن ممتي: السابق، ص ١١٧؛ ابن الجيعان: السابق، ص ١٢٤.

(٧) بياض في الأصل.

(٨) بياض في الأصل.

الخامس: عمل برقة، وكانت عربانه داخلين تحت الطاعة الشريفة، وكان على أميرهم تقادم في كل سنة للإسطبلات والمناخات الشريفة إلى آخر دولة الظاهر برقوق، وآلت الإمرة فيه إلى عمر بن عريف، وكان مشهوراً بالصلاح والدين والعفة ثم بعده من قابل السلطنة وقدم وأخلع عليه، ومن غاب أهمل وصارت الإمرة على عربان [١٤٥ ب] برقة في معنى المشيخة، وعربان برقة لبيد^(١) ويتشعبوا إلى فرق كثيرة.

(١) هي قبيلة عربية يقال إنها من قبائل سليم، ويقال إنها من غطفان، وعنها وعن تشعباتها انظر: المقرئ:

القسم السادس

فى ذكر الممالك الشامىة وأرباب الوظائف بها ومقدار ما يكتب
لهم من قطع الورق

ويشتمل على خمس ممالك وعملين لكل منها نيابة:-

المملكة الأولى

دمشق

سميت مملكة لأن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب عند موته فرق الممالك بين أولاده، وجعل لكل مملكة كرسى وسماط، فأعطى الأفضل على دمشق والساحل وبيت المقدس، وصرخد، وبصرى، وهونين، وبنين، والسوادة، وغزة، ومن حينئذ وهى مملكة، وفيها مقصدان.

المقصد الأول

حاضرتها

وهم على أربعة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وأعلاهم نائبها، وهو أعظم النواب بالممالك، ويعبر عنه بكافل السلطنة، وهو قائم بها قريباً من مقام السلطان الحاضر في أكبر أموره يولى ببرها من أرباب السيوف من الطبلخانات فمن دولها، ويولى بها من يوليه السلطان من أرباب الوظائف الصغار الدينية والديوانية ويكتب على توابع أرباب الوظائف الكبار بها، ويكتب على المربعات بتعيين الإقطاعات ويجهزها فيخرج عليها الإقطاع، ولا يثبت منشور شريف ياقطاع بالشام إلا بعد كتابته عليه، وإنه بالخرصة يكون جلوسه إلى جانب الملك عند غيبة نائب مصر، ويخصص بالقباب ونعوت لم يسمح بها لغيره، وقد أفرد عنه نيابة غزة وجمال نابلس ونيابة القدس ونيابة حمص^(١) وغيرها، وصار أمرها في الولاية والعزل من الأبواب الشريفة وتوقيعه في الثلاثين.

وبدمشق من الأمراء المقدمين ثمانية، ومن الطبلخاناه أحد وعشرون، ومن العشرينات اثنان وعشرون، ومن العشرات أحد وخمسون، ومن الخمسات ثلاثة وعشرون، وبها مقدمين الحلقة، وجندها وهم جم كبير. وأكبر أمرائها الأمير الكبير ويقال له أتابك العساكر بالشام قياساً على الأمير الكبير بمصر.

(١) بياض في الأصل.

[١٤٦ أ] وبها حاجب الحجاب من أكبر مقدميها، وبها حاجب ثاني طبلخاناه وأربعة غيرهم عشرات. وبها نائب قلعتها لم يكن للنائب عليه يد ولا تصرف، وعليه حفظ القلعة ورجالها وآلاتها وحواصلها ولا يسلم مفاتيحها إلا لمن يتولاها عنه أو لمن رسم الملك بتسليمها، قال في التعريف: وعادته مقدم ألف. والآن كذلك^(١)، وتوقيعه في النصف.

وبها أستاذ الديوان الشريف، من جملة الأمراء المقدمين، يتحدث على نواحي الديوان الشريف بها ودواليبه ويحمل ما يتحصل من ذلك للخزائن الشريفة، ومن تحت أمره مباشرين وجماعات، ومرسومه في النصف.

وبها دوادار من قبل السلطان من أمراء الطبلخاناه في خدمة نائبها مطلع على تصرف النائب فيما قل وجل كالأمين عليه لأنه ربما يقع خلل من النائب فينبه الدوادار الملك على ذلك، وذلك حادث في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة^(٢).

وبها نقيب الجيش، ويقال فيه أمير نقباء الجيوش على طريقة مصر، وولايته من الأبواب الشريفة، ومرسومه في الثلث.

وبها المهندار لتلقى القصاد والرسل وعمل مصالحهم إلى حين سفرهم لمصر، ومرسومه في الثلث

وبها والي الشرطة من قبل نائبها، يحكم داخل المدينة في الحدود والقصاص والجنايات بعد عرض ذلك على النائب.

وبها شاد الدواوين، وكان متصرفاً حين كانت الوزارة، وكانت الوزارة لها شأن كبير فلما انحطت الوزارة منع متوليها التصرف وصار يكتفى بالمعلوم، وتارة يوليها النائب وتارة يتولاها من الأبواب.

(١) يذكر القلقشندي نقلاً عن التقيف [وكان عادة نائبها في الأيام المتقدمة مقدم ألف، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه، وهي على ذلك إلى الآن]، صبح، ج ٤، ص ١٨٥.

(٢) هنا يبرز التغير في السلك الوظيفي بين كل من القلقشندي وصاحب الثغر، فبينما نجد القلقشندي يقول [قلت: أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية كرأس نوبة، وأمير مجلس فلا وجود لهم هناك، وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء]، السابق، ج ٤، ص ١٨٨. فإننا نجد صاحب الثغر يبرز أن وظيفة الدوادار استحدثت عام ٨٢٨ هـ.

وكان بها شاد المهمات برسم التحدث في الاحتياجات السلطانية والخزندارية على الخلع والتشاريف وتقدمة البريد وغير ذلك ثم أهمل.

وكان بها أمير أخور البريد ثم أهمل لإهمال البريد.

الصف الثاني

أرباب الوظائف الدينية

وهم اثنا عشر^(١):

الأول: قاضي القضاة الشافعي، وهو أعظم أرباب المناصب الدينية بها، وله التحدث على الأيتام والأوقاف والمودع، وله خطابة الجامع الأموي وجملة أنظار وتصادير وتداريس، ويقوم النواب بالمدينة وبالبر جميعه ومدن غير دمشق، وتوقيعه في النصف، وكتب لابن حجي بعد كتابة سر مصر [١٤٦ ب] بالجانب العالي.

الثاني: قاضي القضاة الحنفي، ومقامه قريباً من مقام قاضي القضاة الشافعي، وله النظر على جملة أنظار وتصادير وتداريس وأوقاف، وله نواب بالمدينة لا بالبر، وتوقيعه في النصف.

الثالث: قاضي القضاة المالكي، وهو قريباً من مقام قاضي القضاة الحنفي، وله النظر على بعض أوقاف وتداريس وغير ذلك، وتوقيعه في الثلث.

الرابع: قاضي القضاة الحنبلي، وهو قريباً من مقام المالكي، وتوقيعه في الثلث.

الخامس: قضاة العسكر، وهما قاضيان، أحدهما شافعي، والآخر حنفي، وتوقيع كل منهما في الثلث.

السادس: مفتين دار العدل، وهما اثنان شافعي وحنفي، وتوقيع كل منهما في الثلث.

السابع: وكيل بيت المال، وهو قريباً من وكيل بيت المال بمصر، وتوقيعه في الثلث.

الثامن: نقيب الأشراف، وظيفه جلييلة، ومن ألقابه الأميري وأخواتها، وتوقيعه في الثلث.

التاسع: المحتسب، وصار يتولاها في زماننا جماعة من أرباب السيوف، وولايته من

الأبواب الشريفة، وتوقيعه في الثلث.

(١) الصواب: ثلاثة عشر، طبقاً لتقسيمه.

العاشر: نظر الأوقاف، وهو رفيقاً للقاضى الشافعى بها، وربما كان مستبداً بالكلام فيها، وتوقيعه فى الثلث.

الحادى عشر: ناظر الجامع الأموى، وهو مضاف إلى نائبها.

الثانى عشر: خطابة الجامع الأموى، وهى مضافة إلى قاضى القضاة الشافعى كما تقدم، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث عشر: ناظر البيمارستان النورى، وهو مضاف إلى نائبها، وتوقيعه فى الثلث.

الصنف الثالث

المدرسين ومشايخ الخوانق

وهم ثلاثة:

الأول: مدرس الريحانية^(١)، وهو للحنفية، وتوقيعه فى الثلث.

الثانى: مدرس الجامع الأموى^(٢)، وتوقيعه فى الثلث.

الثالث: شيخ السمساطية^(٣)، وتوقيعه فى الثلث، ولم يكتب لأحد من مشايخ الصوفية فى الثلث غيره.

الصنف الرابع

أرباب الوظائف الديوانية

وهم أربعة:

الأول: كاتب السر، وهو لاحق بكاتم السر بمصر ولا يطلق هذا اللقب إلا على كاتبى الأسرار بالديار المصرية والشام، وتوقيعه فى [١٤٧ أ] النصف، وكتب للقاضى جمال الدين

(١) المدرسة الريحانية: تقع بجوار المدرسة النورية، أنشأها جمال الدين ربحان الطواشى خادم نور الدين محمود عام ٥٦٥ هـ، وتم بناؤها عام ٥٧٥ هـ، وأوقف عليها عدة أوقاف، وجعلها خاصة بتدريس المذهب الحنفى. النعمى: الدارس، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) تنسب الخانقاه السمساطية لأبى القاسم على بن محمد بن يحيى السلمى السمساطى المتوفى عام ٤٥٣ هـ، من العاملين بعلم الهيئة والهندسة، و الخانقاه فى أصلها كانت داراً لعبد العزيز بن مروان، عن تاريخها انظر: النعمى: الدارس، ج ٢، ص ١١٨ — ١٢٦.

الكركى بالجناب العالى بعد كتابة السر بمصر، وله أتباع كتاب الدست وهم نحو من ست نفر وعليهم الملازمة، وكتاب الدرج، وتوقيع كتاب الدست في الثلث والدرج في العادة.

الثاني: ناظر الجيش، وهو وظيفة سنوية، أكثر وظائف الشام متحصلاً، وتوقيعه في النصف. الثالث: الوزير، وكانت الوزارة بالشام من الوظائف السنوية لاحقاً بوزراء الديار المصرية، قال في التعريف^(١) وقد انحطت عن ذلك وصار الوزير بالديار المصرية مستبد بأمر متوليها في الولاية والعزل، وربما تولى من الحضرة، ويعبر عنه بناظر المملكة الشامية، وتوقيعه في الثلث.

الرابع: ناظر الخاص بها، وله فروع يتحدث فيها ويأخذ متحصلها للخاص، وناظر الخاص مستبد بأمره في الولاية والعزل، وتوقيعه في الثلث.

وكان بها ناظر المهمات، وناظر الخزانة، وناظر خزائن السلاح، وناظر البيوت، وناظر الأسواق، وناظر مراكز البريد، وناظر الحوطات وهو نحو استيفاء المرتجع، وكان يكتب لكل منهم في الثلث ثم أهملوا.

الصف الرابع^(٢)

الصناعية ذوى الرئاسة

وهم ثلاثة:

الأول: رئيس الأطباء، ولا يتولى إلا إن أثنى عليه رئيس الأطباء بالديار المصرية، ويكون لاحقاً بصفتهم ويصرف الأطباء بالبلاد الشامية، وتوقيعه في الثلث.

الثاني: رئيس الكحالين، والحكم فيه حكم رئيس الأطباء، وتوقيعه في العادة.

الثالث: رئيس الجراحية، والحكم فيه كما تقدم، وتوقيعه في العادة.

ولم يكن بها رئيس مجبرين ولا معلمين من قبل السلطان.

(١) بياض في الأصل.

(٢) الصواب: الصف الخامس.

الصنف الخامس

زعماء أهل الذمة

وهم ثلاثة:

الأول: بطريرك اليعاقبة، وهو نائب البطريرك بمصر، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفته، وشرطه اللازم له، ولا يكتب توقيعه إلا بعد إذن البطريرك بالقاهرة بالكتابة له وتوقيعه في العادة.

الثاني: بطريرك الملكانيين، والحكم فيه كما تقدم في بطريرك اليعاقبة، وتوقيعه في [١٤٧ ب] العادة.

الثالث: رئيس اليهود، وهو يتحدث على طائفة القرائين والربانيين والسامرة، وشرطه أن يكون لاحقاً بصفة رئيس اليهود بالقاهرة وبشرطه اللازمة له، وتوقيعه في العادة، ولا يكتب له توقيع إلا بإذن الرئيس بالقاهرة فإنه بمقام نائبه، وربما تحدث على السامرة شخص بمفرده من تحت أمر الرئيس بمصر، ويسمى الرئيس براء مهملة ثم ياء موحدة وياء وسين.

المقصد الثاني

عمل برها مما هو خارج عن حاضرة دمشق وولاية الأمور بها

على أربعة أنواع:

النوع الأول: النيابات، وهي ست:

الأولى: نيابة القدس، من الصفقة الغربية، وكانت في الزمن المتقدم نيابة صغيرة يوليها نائب الشام، ثم صارت طبلخاناه في سنة سبع وستين وسبعمائة كما قاله في الثقيف^(١)، وهي الآن في رتبة مقدمة بالشام، وولاية متوليها من الأبواب الشريفة وربما يضاف إليه نظر القدس والخليل، ويعبر عنه بنظر^(٢) الحرمين كما عبر به في الثقيف، وربما أضيف له كشف الرملة ونابلس، ويكتب لنائب القدس مرسوم في النصف وبنظر الحرمين توقيع في النصف. وبالقدس

(١) يذكر في الثقيف أن نيابة القدس استجدت عام ٧٧٧ هـ، ص ٩٨. وكذلك في صبح الأعشى، ج ٤،

ص ١٩٩.

(٢) الصواب: بناظر.

وال بقلعتها وعادة ولايته من نائب الشام، وبها شيخ الحرم وولايته من الأبواب الشريفة، وتوقيعه في الثلث.

وبها شيخى المدرستين الصلاحيتين^(١) إنشاء الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، أحدهما لطلبة العلم واخذئين وهى الكبرى وتوقيع شيخها في نصف، والثانية رباطاً للمتريدين والمجاورين كما تقدم الكلام عليه، وتوقيع متوليه في العادة.

وبها قاضى شافعى وولايته من الأبواب الشريفة وتوقيعه في^(٢).

وبها خطيب القدس^(٣) وتوقيعه في^(٤).

الثانية: نيابة صرخد، من الصفقة القبلية كما تقدم، وهى نيابة صغيرة وولايته من نائب الشام. وبصرخد قلعة حصينة منيعة عمرها الظاهر بپرس البندقدارى كما تقدم، وولايته من الأبواب الشريفة.

الثالثة: نيابة بعلبك، من الصفقة الشمالية، وكانت إمرة عشرة، وهى طبلخاناه، وولايته من نائب الشام.

الرابعة: نيابة حمص، [١٤٨ أ] من الصفقة الشرقية، قال في التعريف: إنها طبلخاناه. وهى الآن مقدمة، ولم يكن بمحمص فيمن يتولى من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ويكتب له من الأبواب الشريفة غير نائبها، ومرسومه في النصف، والحاجب بها، ولم يكتب له مرسوم.

الخامسة: نيابة عجلون، من الصفقة القبلية، قال في التثقيف: وهى وإن كانت نيابة على حالها فتائب الشام مستقل بالولاية فيها. وفي سنة إحدى وثلاثين في الأيام الأشرفية استقرت نيابتها طبلخاناه من الأبواب الشريفة، وكتب مرسوم نائبها في الثلث.

السادسة: نيابة مصيف، من الصفقة الشرقية، وكانت من معاملة طرابلس ثم أضيفت إلى

(١) انظر الخانقاه الصلاحية بالقدس.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) بياض في الأصل.

الشام ثم عادت إلى طرابلس^(١)، وهي طبلخاناه، وعادة نيابتها من الأبواب الشريفة، ومرسوم متوليها في الثلث.

النوع الثاني: الكشف وولاية الولاة، وهما كاشفان:

الأول: كاشف القبيلة، قال في التعريف: ومقرته مدينة أذرعات. فإن كان مقدماً فولايته من الأبواب الشريفة ويسمى كاشف الكشاف، وإن كان طبلخاناه فولايته من نائب الشام ويسمى والي الولاة، وولايته الآن من نائب الشام بغير إقطاع.

الثاني: كاشف الرملة، من الصفقة الغربية، مستجد في أيام الظاهر برقوق، وولايته من الأبواب الشريفة، ومرسومه في الثلث.

النوع الثالث: الولايات، وهي ثلاث طبقات:

الأولى: الطبلخاناه، وهي ثلاث ولايات:

الأولى: ولاية نابلس، وقد أضيفت إلى كشف كاشف الرملة.

الثانية: ولاية بيروت، من الصفقة الشمالية، ويوليها نائب الشام بامرة صغيرة.

الثالثة: ولاية صيدا، من الصفقة الشمالية، وربما كانت إمرة عشرة، وولايتها من نائب الشام بامرة صغيرة.

الثانية: العشرات، وهي نابلس وصيدا، وقد تقدم الكلام عليهما^(٢).

الثالثة^(٣): أجناد الحلقة ومقدميها، وهي ولاية الرملة، وقد نظمت باستقرار الكاشف بها^(٤).

وولاية لد: من الصفقة الغربية، وقد أضيفت إلى كاشف الرملة أيضاً.

وولاية قاقون: وقد أضيفت إلى كاشف الرملة أيضاً.

(١) يبدو أنها عادت إلى طرابلس بعد عهد القلقشندي إذ يذكر أنها أضيفت إلى دمشق واستمرت على ذلك

إلى الآن - أي إلى عهد القلقشندي -، صبح، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) يقصد بذلك في الولايات الطبلخاناه، وقد أوضح القلقشندي تفسير ذلك بقوله [ربما وليها إمرة عشرة]، ضوء، ص ٣١٩.

(٣) في الأصل: الطبقة الثالثة من الولايات، حذفت لتناسق العناوين.

(٤) يعني أنها كانت في القديم ولاية لجندى حلقة ثم من أيام الظاهر برقوق تم رسمها للكاشف بامرة طبلخاناه.

وولاية بلد الخليل عليه الصلاة والسلام: وقد أضيفت إلى نيابة القدس حين استقرت القدس نيابة.

وولاية بيسان: من الصفقة القبلية، وولاياتها من نائب [١٤٨ ب] الشام.

وولاية بانياس منها وقد تكون إمرة عشرة، ويوليها نائب الشام.

وولاية الشعرا منها، وكانت في الزمن القديم مضافة إلى بانياس ثم أفردت عنها.

وولاية حسيان والصلت، منها ويوليها نائب الشام.

وولاية البقاع البعلبكي والبقاع العزيزي من الصفقة الشمالية، قال في التعريف: وهاتان

الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال واحد جليل منفرد بذاته، ويوليها نائب الشام.

وولاية تدمر منها، وولايته من قبل نائب الشام.

وولاية قلعة الصبيبة، ولها الآن طبلخاناه بصفد وولايتها من الأبواب.

قلت إن هذه الطبقات من النيابات والكشف والولايات ليست مستلزمة استمرار الرتبة

بل ربما أن يحط أو يزداد.

المملكة الثانية من الممالك الشامية

حلب

وفيه مقصدان:

المقصد الأول

حاضرتها

وهم على أربعة ضروب:

الضرب الأول

أرباب السيوف

وهم على نحو ممن تقدم من دمشق من أمير كبير، وحاجب الحجاب، ونائب القلعة، وأمراء مقدمين وطلبخاناه وعشرينات وعشرات وخمسات ومقدمى الحلقة والجند، ويزاد إقطاع الحلقة عما على دمشق.

ونائبها من أعظم النواب بالمرتبة الثانية من نائب الشام، ويولى في عمل حلب من أرباب السيوف من الطلبخاناه فمن دونها، ويكتب عنه التواقيع والمربعات كنائب دمشق، ولا يثبت منشور بالمملكة الحلبية إلا بعد شموله بخطه، وعمله أوسع الممالك ولا يكون إلا في غاية من المعرفة والشجاعة لأن مملكته أول الممالك وآخرها، وتقليده في الثلثين.

وبحلب من الأمراء المقدمين ستة أمراء بما فيهم من الأمير الكبير بها، وحاجب الحجاب، ونائب القلعة، وأمير التركمان البيضاء، ومن الطلبخاناه ستة أمراء بما فيهم من أمراء التركمان، ومن العشرينات خمسة عشر أميراً بما فيهم من أمراء التركمان، ومن العشرات أربعة وعشرين أميراً بما فيهم من أمراء [١٤٩ أ] التركمان، ومتولى الحجر بقلعة المسلمين، ومن الخمسات خمسة عشر أميراً بما فيهم من أمراء التركمان.

وأرباب الوظائف بها على أربعة ضروب:

الأول

أرباب السيوف

وهم أربعة:

الأول: الأمير الكبير، وهو أكبر مقدميها وأعلامهم مكانة بعد النائب، إليه خطابه وعليه المعول في الرأي.

الثاني: حاجب الحجاب، وهو بمقام الأمير الكبير، وحاجب ثاني طبلخاناه، وثالث عشرة، ورابع مثله.

الثالث: نائب القلعة، وكان من أمراء الطبلخاناه ثم استقر مقدماً وقد تقدم الكلام على أن قلعتها من أعظم القلاع، وفيها من الأجناد البحرية أربعين رجلاً لا يظعنون عنها لسفر ولا غيره، وبها حرسية وبها حواصل جمّة، ومرسوم نائبها في النصف.

الرابع: إستدار الديوان بها، وأنه يعمل أحياناً ويطل غالباً، وربما تحدث في أمرها نائب القلعة، وتكلم على ما يتحصل للديوان الشريف، وإذا رسم استقرار إستدار يكون مرسومه في الثلث.

الضرب الثاني

أرباب الوظائف الدينية

وهم سبعة:

الأول: قاضي القضاة الشافعي، وهو أجل أرباب الوظائف الدينية، وتفويضه في النصف.

الثاني: قاضي القضاة الحنفي، وهو قريباً من قاضي القضاة الشافعي وتوقيعه في الثلث.

الثالث والرابع: قاضي القضاة المالكي، وقاضي القضاة الحنبلي، وتوقيع كل منهما في الثلث.

الخامس والسادس: قاضيا عسكر حنفي وشافعي، وتوقيع كل منهما في الثلث.

السابع: وكيل بيت المال، وتوقيعه في الثلث.

وكان بها محتسب وكان توقيعه في الثلث ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها فصار مستبدًا بها، ولم يكن بها إفتاء دار عدل^(١).

الضرب الثاني^(٢)

أرباب الوظائف الديوانية

وهم ثلاثة:

الأول: كاتم السر، وكان يعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بحلب ولا يسمح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب، ثم في زماننا كتب له كاتم السر الشريف بحلب المحروسة، وكان توقيعه في الثلث، ثم كتب في النصف، وله أتباع كتاب الدست وهم نحو من ستة، وتوقيع كل منهم في الثلث، وكتاب الدرج نحو عشرة، وتوقيع كل منهم في العادة.

الثاني: ناظر الجيش، ونظر الجيش بها من الوظائف السنية [١٤٩ ب] حتى يقال إن أكبر وظائف المتعممين متحصلاً كتامة السر بمصر، وقضاء الشافعية بدمشق، ونظر الجيش بحلب، وتوقيعه في النصف.

الثالث: الوزير، وكانت الوزارة بها من الوظائف السنية ثم انحطت عن رتبها وأضيفت إلى نائبها فصار مستبدًا بها.

الضرب الرابع

أرباب الوظائف الصناعية

وهم ثلاثة:

الأول: رئيس الطب، ولا يسمح له بولاية إلا إن أثنى عليه رئيس الطب بمصر، وتوقيعه في العادة.

الثاني: رئيس الكحالين، وحكمه كرئيس الطب، وتوقيعه في العادة.

الثالث: رئيس الجراحية، وحكمه كذلك، وتوقيعه في العادة.

ولم يتولى بها معلمين ولا أحد من زعماء أهل الذمة.

(١) يذكر القلقشندي أن بها إفتاء دار عدل انظر: صبح، ج ٤، ص ٢٢١، ضوء، ص ٣٢٣

(٢) الصواب: الثالث.

المقصد الثاني

ما هو خارج عن حاضرتها

وهم على أربعة أنواع:

النوع الأول: النيابات، وهي على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: نيابة مقدمى الألو، وهي [سبعة وعشرون نيابة] ^(١)، وولاية متوليها من الأبواب الشريفة، ومرسوم كل منهم في النصف.

الأولى: نيابة قلعة المسلمين، وتعرف في القديم بقلعة الروم.

الثانية: نيابة الأبلستين، وكان بها ناصر الدين بك بن ذو الغادر ^(٢)، فسولت له نفسه العصيان فطرد منها وحرقت ^(٣)

[١٥٠ أ] الطبقة الرابعة: نيابة مقدمى الحلقة وأجنادها، وهي تسع نيابات وولاياتها [١٥٠ ب] من نائب حلب، وهي نيابة قلعة قارى ^(٤)، ونيابة كاورا، وقد أضيفت إلى سيس، ونيابة كولاك، ونيابة كرزال، ونيابة كوش، ونيابة تل حمدون وقد أضيفت لأياس، ونيابة قلعة نجمة ^(٥)، ونيابة حموص ^(٦) وقد أضيفت إلى أياس، ونيابة قلعة لؤلؤة.

النوع الثاني: مما هو خارج عن حلب من الولايات التي يوليها نائبها إلا النادر، وهي اثنا عشر ولاية ^(٧):

الأولى: ولاية برها، ويسمى والى الولاية، وكان قديماً طبلخاناه.

الثانية: ولاية كفر طاب.

(١) بياض في الأصل، انظر القسم الحادى عشر، ص.

(٢) هو محمد بك بن ذلغادر صاحب أبلستين وهو السلطان الظاهر جقمق، توفى عام ٨٤٦ هـ. ابن حجر:

إنباء، ج ٤، ص ٢٠٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٥، ص ٤٩٩.

(٣) بياض بمقدار صفحة ونصف إلا من السطر الأخير.

(٤) بارى كرواك: صبح، ج ٤ ص ٢٢٩.

(٥) بياض في الأصل.

(٦) حميص: صبح، ج ٤، ص ٢٢٩؛ حمص: ضوء، ص ٣٢٦.

(٧) القلقشندي يذكرها عشر ولايات، ضوء، ص ٣٢٦، وما ذكره صاحب الثغر نجد أنها ثلاثة عشر ولاية.

الثالثة: ولاية سرمين، وربما كانت إمرة عشرة.

الثالثة^(١): ولاية الجبول.

الخامسة: ولاية جبل سمعان، ومتوليها مقيم بحلب ويحضر مواكب نائبها.

السادسة: ولاية الروانه^(٢).

السابعة: ولاية عزاز، وكانت إمرة عشرة.

الثامنة: ولاية تل باشر، وكانت ولاية مفردة ثم أضيفت لعين تاب.

التاسعة: ولاية منبج.

العاشرة: ولاية تيزين.

الحادية عشر: ولاية الباب وبزاعا.

الثانية عشر: ولاية دركوش.

الثالثة عشر: ولاية أنطاكية، واستقرت ولايتها من الأبواب الشريفة بإقطاع حلقة، ووراء

ذلك ولايات أخرى صغار ببلاد الأرمن كل جند من نائب حلب.

النوع الثالث: مما هو خارج عن حلب.

طوائف التركمان، وهم طوائف كثيرة، لكن عد منهم في التثقيف [اثنا عشر]^(٣)

طائفة بأعمال حلب.

الأولى: الدلغارية، وهم جماعة بن ذو الغادر^(٤)

الثانية: الأجدية، وهم جماعة أولاد رمضان، وأميرهم الآن^(٥)، وبلاده سيس.

الثالثة: الأوزرية، وهم جماعة داوود بن أوزر أميرهم، ويده طبلخاناه، وبلاده أياس.

(١) الصواب: الرابعة.

(٢) لعلها المذكورة عند القلقشندي [الروندان]، وقد عدها القلقشندي من نيابة العشرات فقال [وقد

أخبرني بعض كتاب السر بحلب أنها استقر بها آخر جندى، وتوليتها من نائب حلب]، صبح، ج ٤،

ص ٢٢٧، ضوء، ص ٣٢٥.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من، ابن ناظر الجيش: التثقيف، ص ٧٣ — ٧٤.

(٤) بياض في الأصل.

(٥) بياض في الأصل.

الرابعة: الأوشرية، وهم بظاهر حلب وأميرهم الآن^(١)

الخامسة: الدكرية، وهم جماعة سالم الدكرى وكانوا بجعبير ثم انتقلوا [١٥١ أ] إلى عجلون، وأميرهم الآن فرغلى بن دمشق جحا بن سالم الدكرى، واستقر في نيابة عجلون في قلعتها.

السادسة: الخربندلية^(٢)

السابعة: الأغاجرية، ومنازلهم قريباً من مرعش وبلادها، ولم يكن لهم أمير قائم فيهم.

الثامنة: الورسق، وهم تركمان طرسوس، وأميرهم الآن^(٣)

التاسعة: القنقية، ومنازلهم ظاهر حلب، ولم يكن لهم أمير قائم فيهم.

العاشر: الكبكتة، وهم كذلك.

الحادية عشرة: أولاد طشجون، وهم كذلك.

الثانية عشرة: البياضية، وهم بظاهر حلب، وأميرهم الآن^(٤) وبيده تقدمة، وقد تقدم

من جملة مقدمين الألوف بحلب.

قلت ربما رحلت طوائف التركمان عن هذه المنازل طلباً للمرعى والاستسقاء، أما

الأكراد فأفهم طوائف كثيرة، وكانوا خرجوا عن الطاعة من أيام اللنك ثم دخلوا تحتها في أيام المؤيد، ولا حاجة لذكرهم هنا.

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) لم يذكر اسم هذا الأمير ولم يترك بياضا كعادته إذا لم يكن يعرف اسم الشخص الذى يذكره.

المملكة الثالثة

حماة

وقد قدمها صاحب مسالك الأبصار وغيره على المملكة الطرابلسية ^(١) لأنها كانت بيد الملوك الأيوبية إلى أن آلت في أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل على ثم إلى ولده الأفضل محمد ^(٢).

قال في مسالك الأبصار: كان صاحبها يستقل بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتام السر وغيرهم بها، ويكتب المناشير والتواقيع من جهته، ولكنه لا يعصى أمر كبير في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور عليها صاحب مصر فيجيبه: الرأي بما تراه. قال: ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله. ولم يزل الأمر على ذلك إلى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة فولى فيها الناصر محمد بن قلاوون نائب سلطنة ^(٣). ونيابتها نيابة جليلة وإن كانت نيابة طرابلس [١٥١ ب] مقدمة عليها في المطلقات الكبار، وفيها مقصدان:

المقصد الأول

في حاضرتها

وهم على ثلاثة ضروب:

الضرب الأول

أرباب السيوف

ولم يكن بها من المقدمين غير نائبها وتقليده في الثلثين.

(١) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى المملكة الطرابلسية قبل حماة، ولكنه في ضوء الصبح قدمها على حماة.

انظر: صبح، ج ٤، ص ٢٣٣، ضوء، ص ٣٢٧ — ٣٢٩.

(٢) تملك الملك الأفضل ناصر الدين محمد بن أبي الفداء الحكم في الفترة من ٧٣٢ — ٧٤١هـ. ابن تعري بردى: النجوم، ج ٩، ص ١٠٠، ٢٤.

(٣) ذكر القلقشندي أن ذلك حدث في عهد المنصور أبي بكر بن الناصر محمد ووليها الأمير قوصون، ضوء، ص ٣٢٨.

وبها من الأمراء الطبلخاناه أربعة، الأول، الأمير الكبير بها، الثاني حاجب الحجاب وبها حاجب ثاني. وبها من الأمراء العشرينات ثلاثة، ومن الأمراء العشرات أحد عشر، ومن الخمسات عشرة، وبها أجناد الحلقة، وبها المهندارية وشد الدواوين ونقابة العساكر وولاية المدينة ومتوليها أجناد من قبل نائبها.

الضرب الثاني

أرباب الوظائف الدينية

وهم ستة، الأربعة قضاة وتوقيع كل منهم في الثلث، الخامس، قاضي العسكر [حنفي]^(١)، السادس، وكيل بيت المال، وتوقيعه في العادة. وكان بها محتسب ولايته من الأبواب ثم أضيفت إلى نائبها.

الضرب الثاني^(٢)

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتب السر بها، ويعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بحماة، وتوقيعه في الثلث، وله أتباع من كتاب الدست، وتوقيع كل منهم في العادة.
الثاني: ناظر الجيش بها، وتوقيعه في الثلث، وكان بها وزير ثم انحط إلى نظر المملكة ثم أضيفت إلى نائبها، ولم يكن بها من يتولى من الأبواب من ذوى الرئاسة ولا من زعماء أهل الذمة.

المقصد الثاني

ما هو خارج عن حاضرتها

ولم يكن بأعمالها نيابات بل تقتصر على ثلاث ولايات يتولاها أجناد من قبل نائبها:
الأولى: ولاية برها كما في حلب.
الثانية: ولاية بارين.

(١) بياض في الأصل، والزيادة من: القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٣٨، ضوء، ص ٣٢٨

(٢) الصواب: الثالث.

الثالثة: ولاية المعرة.

ولم يكن بها تركمان ولا عرب ينسبون إليها كغيرها.

المملكة الرابعة

طرابلس

وابتداء نيابتها من حين فتحها المنصور قلاوون واقتلعها من أيدي الفرنج في عام ثمان وثمانين وستمئة بعد أن ملكها الفرنج مائة وأربعة وثمانين سنة، وفيها مقصدان:

المقصد الأول

في حاضرتها

وهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

أرباب السيوف

وهم أربعة:

الأول: نائبها، وهو مقدم على نائب حماة في المطلقات [١٥٢ أ] ويجلس فوقه وأوسع عملاً منه وأكثر عسكرياً إلا أن نيابة حماة أقدم، وكانت دار ملك وتقليده في الثلثين.

الثاني: الأمير الكبير بمقام الأمير الكبير في حلب.

الثالث: الحاجب الكبير، وهو يجلس على ميمنة نائبها بخلاف غيره من حجاب الممالك فأفهم يجلسون عن ميسرة النائب، وهو مقدم وبها حاجبان غيره طبلخاناه، وحاجب رابع عشرة.

الرابع: استادار الديوان الشريف، وربما أضيف إلى الحاجب الكبير، ومرسومه في الثلث.

وفيها من الأمراء الطبلخاناه بما فيهم من نواب القلاع وهي المرقب، وصهيون، وحصن الأكراد^(١).

وبها من الأمراء العشرينات خمسة عشر، وبها من الأمراء العشرات أربعة عشر، وبها من الأمراء الخمسات أحد وعشرون، وبها جند الحلقة. ولم يكن بها قلعة بل نائبها هو المتسلم لها،

(١) بياض في الأصل.

وبها المهمندارية وهما اثنان، أكبرهما ولايته من الأبواب، وبها نقابة النقباء وولايته من الأبواب، وبها مقدمة التركمان، وولاية المدينة ومتوليها أجناد من قبل نائبها، وكان بها شدد الدواوين وشدد الخاص وتلاشى أمرهما وأهملتا.

النوع الثاني

أرباب الوظائف الدينية

وهم خمسة ^(١) :

الأربعة قضاة، وتوقيع كل منهم في الثلث.

الخامس: وكيل بيت المال، وتوقيعه في العادة، وكان بها قاضي العسكر ومفتي دار العدل وقد بطلا وأهملتا، وكان بها محتسب ولايته من الأبواب كانت ثم أضيفت إلى نائبها.

النوع الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتب السر بها، ويعبر عنه بصاحب ديوان المكاتبات بطرابلس، وربما عبر عنه بصاحب ديوان الإنشاء بطرابلس، ورأيت في بعض الدساتير من عبر عنه برئيس ديوان الإنشاء بطرابلس، وتوقيعه في الثلث، وله أتباع من كتاب الدست، وتوقيع كل منهم في العادة.

الثاني: ناظر الجيش بها، وتوقيعه في الثلث، وكان بها نظر المملكة فأضيفت إلى نائبها، ولم يكن بها من يكتب له ولاية من ذوى الرئاسة ولا من زعماء أهل الدمة.

المقصد الثاني

عمل برها

وهو نوعان:

النوع الأول

(١) يذكر القلقشندي الأربعة قضاة، وقاضيا عسكر شافعي وحنفي، ومفتيا دار عدل كذلك ومحتسب ووكيل بيت المال، صبح، ج ٤، ص ٢٣٤. على عكس صاحب الثغر الذى يبدو أنه كان أكثر دراية بالتطورات التى حدثت على الوظائف داخل السلطنة المملوكية وذلك يظهر فى معرفته بما بطل من وظائف فى زمنه.

النيابات

وهي أحد عشر نيابة:

الأولى: نيابة المرقب ^(١)، وهي طبلخاناه كما تقدم الكلام عليها.

الثانية: نيابة حصن الأكراد، طبلخاناه.

الثالثة: نيابة [١٥٢ ب] صهيون، طبلخاناه، والثالثة ولاية نواحيها من الأبواب الشريفة.

الرابعة: نيابة حصن عكار، من نائبها.

الخامسة: نيابة بلاطنس، من نائبها.

السادسة: نيابة الأذقية ^(٢)، من نائبها.

السابعة: نيابة القدموس، من نائبها.

الثامنة: نيابة الكهف، من الأبواب.

التاسعة: نيابة المنيقة، من نائبها.

العاشرة: نيابة العليقة، من النائب بها، وكانت مصيات من حملتها ثم أضيفت إلى دمشق.

النوع الثاني

الولايات

وهي سبع ولايات يتولاها أجناد من نائبها:

الأولى: ولاية أنطرسوس ^(٣).

الثانية: ولاية جبة المنيطرة.

الثالثة: ولاية الظنين.

(١) لم يذكرها القلقشندي ضمن نيابات طرابلس، السابق، ج ٤، ص ٢٣٥ - ٢٣٦، ولكن ابن ناظر الجيش

يوردها مع نيابات طرابلس، السابق، ص ١٠٥.

(٢) الصواب: اللاذقية.

(٣) ويقال لها اليوم طرطوس. البلاذري: فتوح، ق ٣، ص ٦٩٠.

الرابعة: ولاية بشرية^(١).

الخامسة: ولاية جبلة.

السادسة: ولاية جبيل.

السابعة: ولاية البترون^(٢).

وبها جماعة من التركمان وأميرهم أبو بكر بن ضوحي، ورسم المكاتبه إليه^(٣) وتعريفه اسمه، ومن أكابرهم محمد بن إيمان وأولاد البعرات، ولم تجرى العادة بمكاتبهم، وبها من العربان بنى كلاب، ولم يكن لهم أمير قائم عليهم ولا مقدم، ومنازلهم بالمملكة من مكان لمكان.

المملكة الخامسة

صفد

وابتداء نيابتها من حين افتتاحها الظاهر بيبرس واقتلعها من أيدي الفرنج في سنة أربع وستين وستمائة^(٤)، وحكمها في ترتيب النيابة والإمرة وأرباب الوظائف على نحو من طرابلس وحماة، وليس في أعمالها نيابة صغيرة كما في طرابلس وحلب بل جميعها ولايات صغار يوليها من يختاره نائبها من الجند، وهي على مقصدين:

المقصد الأول

في حاضرتها

وهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

أرباب السيوف

(١) كتبت في الهامش: وصحته بشراى.

(٢) لم يذكر القلقشندي ولاية جبيل أو البترون في صبحه أو ضوئه.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) يذكر القلقشندي أنها أصبحت نيابة من حين أخذها السلطان الظاهر بيبرس من الملك المغيث عمر بن

العاذل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٧١ هـ، انظر: ضوء، ص ٣٣١.

وهم أربعة:

الأول: نائبها، وهو ثاني رتبة من نائب طرابلس، وله ما لنائب طرابلس وحماة من الخلع والأخصاص والإنعامات، وتقليده في الثلثين.

الثاني: نائب قلعتها، وكان طبلخاناه ثم صار مقدماً ثم عاد طبلخاناه، وقلعتها من القلاع الحصينة على ما تقدم، ومرسومه على حكم إمرته.

الثالث: الحاجب الكبير بها، وهو من أمرائها [١٥٣ أ] الطبلخاناه.

الرابع: إستدار الديوان الشريف بها، وهو من أمراء العشرات غالباً، وربما أضيفت إلى الحجة. وبها من الأمراء الطبلخاناه أربعة، ومن الأمراء العشرينات ثلاثة، ومن الأمراء العشرات ستة، ومن الأمراء الخمسات ثلاثة، وبها نقيب النقباء وولايته من نائبها، وبها المهندار وولايته من نائبها، وبها جند الحلقة.

النوع الثاني

أرباب الوظائف الدينية

وهم خمسة:

الأربعة قضاة وتوقيع كل منهم في الثلث، وربما كتب للمالكي والحنبلي في العادة. الخامس وكيل بيت المال وتوقيعه في العادة، ولم يكن بها أفتادار عدل ولا قضاء عسكر، وكان بها محتسب وكان يتولى من الأبواب، ثم أضيفت الحسبة إلى نائبها.

النوع الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنان:

الأول: كاتم السر بها، ويعبر عنه كما يعبر عن كاتم السر بطرابلس.

الثاني: ناظر الجيش، على حكم ناظر الجيش من طرابلس، وكان بها ناظر مملكة ثم أضيف نظر المملكة إلى نائبها.

المقصد الثاني

عمل برها

وفيه إحدى عشر ولاية يوليها نائبها لأجناد:

الأولى: ولاية الناصرة.

الثانية: ولاية طبرية.

الثالثة: ولاية تينين وهونين.

الرابعة: ولاية عثليث.

الخامسة: ولاية عكا.

السادسة: ولاية صور.

السابعة: ولاية الشاغور.

الثامنة: ولاية الشقيف.

التاسعة: ولاية جيديين^(١).

العاشر: ولاية [الإقليم]^(٢).

الحادية عشر: ولاية برها.

ولم يكن بها عربان سوى عرب بشارة وهم عربان ولم يكن لهم أمير ولا مقدم، وكان استقر عليهم كاشف من قبل السلطان.

العمل الأول من البلاد الشامية

غزة

وكان مضافاً إلى نائب الشام يولى فيه من يختاره من أرباب الوظائف ثم أفرد عنه واستقر به نائباً من الأبواب وله التصرف به [مناحلا]^(٣) وحلاً، وتارة يكون مقدم العسكر منفرد له عمل الساحل خاصة.

(١) جينين: صبح، ج ٤، ص ٢٤١، ويطلق عليها [ولاية مرج بن عامر]، طه ناجي الطراونة: مملكة صفد

في عهد المماليك، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٦.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من صبح، ج ٤، ص ٢٤١.

(٣) كذا في الأصل.

فائدة: يتميز النائب بغزة عن أن يكون مقدم العسكر بأن يلبس فوقانياً فوق الأطلسين، وتقليده في الثلثين [١٥٣ ب]، فإن كان مقدم عسكر كتب له مرسوم في النصف.

ولم يكن بغزة أمير مقدم غيره ولا بها قلعة، وبها من أرباب السيوف الحاجب الكبير وهو طبلخاناه، وربما كان استادار الديوان الشريف مع الحجة. وبها استادار الديوان الشريف وغالباً إذا أفرد يكون أمير عشرة، ومرسومه في الثلث. وبها المهمندارية، وهما نفران وولاية أكبرهما من الأبواب. وبها نقابة النقباء بمقام نقابة الجيش، وولايته من الأبواب. وكان بها شدد الدواوين، وأمير أخور البريد وتلاشى أمرهم. وبها والى المدينة ووالى البر وولايتهما من نائبها.

وبها قاضى شافعى وكانت ولايته من قاضى القضاة الشافعى بدمشق ثم أفرد وصار ولايته من الأبواب، وتوقيعه في الثلث، وبها قاضى حنفى كذلك، وبها قاضى مالكى وتوقيعه في العادة، وهو والحنفى مستجدان، وبها وكيل بيت المال، وتوقيعه في العادة، وبها محتسب وولايته من نائبها.

وبها من أرباب الوظائف الديوانية، كاتب درج وربما عبر عنه بكاتب الإنشاء، وتوقيعه في العادة، وناظر جيش، وتوقيعه في العادة، وكان بها وزير من قبل وزير الشام ثم بطل وأضيف ذلك لنائبها.

العمل الثانى من البلاد الشامية

الكرك

وتسمى كرك الشوبك، وهو كعمل غزة، واستقرار النيابة به من حين اقتلع الظاهر ببيرس الكرك من عمر بن العادل أبى بكر بن أيوب في سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وبها من أرباب السيوف نائبها، وهو في رتبة نائب غزة، ومرسومه في النصف لأنه لم يكن بها كرسى ولا سباط، ولم يكن بها أحد من الأمراء إلا نائب قلعتها، وربما كان طبلخاناه، ومرسومه في الثلث، وحاجبها وهو جندى حلقة.

وبها من أرباب الوظائف الدينية، قاضى شافعى ليس إلا، وتوقيعه في الثلث، ووكيل بيت المال، وتوقيعه في العادة، وحسبتها لنائبها.

وبها من أرباب الوظائف الديوانية، كاتب درج، وتوقيعه في العادة، وربما ولاه نائبها [١٥٤ أ]، وبأعمالها من ولاية الأمر نوعان:

النوع الأول: الولايات، وهى أربع ولايات، ولاية برها، وولاية الشوبك، وولاية زعر، وولاية معان، وكلها بما أجناد من نائبها.

النوع الثانى: العربان وسيأتى الكلام عليهم مع عرب الشام إن شاء الله تعالى.

القسم السابع

فى ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية وعربانها الأشراف
وعربان الممالك الشامية ومقدار ما يكتب لهم من قطع الورق

وهو على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول

في ذكر أرباب الوظائف وترتيبهم بالأقطار الحجازية

وهو على أربع جهات:

الجهة الأولى

مكة المشرفة

ولم يكن بها أحد من الأمراء أرباب السيوف غير أميرها وهو من الأشراف بنى حسن، وإمارته إمارة أعرابية ليست على ترتيب النيابات في الممالك المتقدمة من عمل المواكب وتصريف الجيش وتنفيذ أمور السلطنة وغير ذلك.

وهو قائم بحفظ مكة ومخالفها وقراها وأعمالها وحفظ تجارها ومجاوريها والوفود الواردة إليها، وفي كل سنة يخرج يقبل خف البعير الحامل للمحمل خدمة للسلطان ويتولى كسوة البيت بالكسوة التي يجهزها السلطان إليه في كل سنة وينتزع الكسوة العتيقة عنه ويفرقها على مستحقيها من بنى شيبة^(١).

وله أتباع ووزير وحاجب، وتقليده في الثلثين، وثم من نقصه فكتب له مرسوم في النصف، وفي كل سنة يطلع لها أمير من الأمراء بمصر ومعه جماعة نحو من ثلاثين نفر من المماليك السلطانية لقمع المفسدين بها.

وبها من أرباب الوظائف الدينية أربع قضاة، وتوقيع الشافعي والحنفي في الثلث، والمالكي والحنبلي في العادة، وربما كتب لهما في الثلث. وبها جملة نظار على غير البيت ومدرسين وتصادير، وخطيب البيت وأئمنته ومؤذنيه وخدمته وولاياهم من الأبواب في العادة.

ولم يكن بها دار نيابة ولا قضاة عسكر ولا أفتادار عدل ولم يكن بها من أرباب الوظائف الديوانية غير ناظر جدة فرضتها وهو مستجد من سنة سبع وعشرون وثمانمائة في الأيام الأشرفية

(١) بنو شيبة هم من بنى عبد الدار من قريش، وكانت مفاتيح الكعبة بأيديهم في الجاهلية، فلما فتحها رسول

الله أبقاها معهم وقال لهم هي فيكم ليوم القيامة. القلقشندي: صبح، ج ١، ص ٤١٠.

[١٥٤ ب] برسباي خلد الله ملكه ^(١)، وهو يتحدث على عشر ما يتحصل من المراكب الواردة من بلاد الهند واليمن وغيرها وما يتوجب على ما يشحن منها وحمل ذلك للخزائن الشريفة، وله رفيق من الأمراء الطبلخاناه أو العشرات، وتولى هذه الوظيفة العظيم الخطب من الوزراء ولا غيرهم.

والمراكب الواردة من بلاد الهند تأتي من السنة القبطية في شهر ^(٢) بريح تسمى الأرنب، وتسمى في بلاد الهند ربح النوروذ، فيؤخذ للسلطان على ما يرد فيها من الأصناف العشر في نظير الموجب، ويأخذ أمير مكة من العشر الثلث وما يصل إلى بندر جدة من مصر واليمن وبربرة فالموجب عليه لأمر مكة خاصة، وأن ما يشحن من ساحل جدة إلى بلاد الهند من أصناف المرجان والزئبق والزعفر والنحاس والجوخ والقماش وغير ذلك، يؤخذ على كل زنة كل ألف ومائة من ثلاثين افلورى ^(٣)، وذلك يسمى " راط " ولأمر مكة في ذلك الثلث، وتوقيع نظر جدة في الثلث، وربما كتب في النصف.

(١) لقد كان استحداث وظيفة نظر جدة نتيجة معاناة التجار الهنود في ميناء عدن اليمنى، ولذلك شجعت السلطنة المملوكية رسو هذه السفن في ميناء جدة مع تخصيص أحد الموظفين الذين يذهبون إلى جدة مع موسم الحج ويتقاضون الرسوم التي قررهما الدولة على هذه المتاجر. انظر: المقرئى: السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٦٨١، ٧٠٧؛ ابن إياس: بدائع، ج ٢، ص ١٠٣.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) افلورى أو فلورى: هي الدنانير الأفرنتية التي ضربت في فلورنسا، وتسمى المشخصة لوجود صور أشخاص منقوشة عليها. المقرئى: السابق، ج ٤، ق ٢، ص ٧٠٩؛ عبد الرحمن فهمي: المسكوكات، ص ٥٤٧.

الجهة الثانية

المدينة الشريفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ولم يكن بها من أرباب السيوف غير أميرها، وإمرتها في الأشراف من بنى حسين السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، مستقرة فيهم من زمن المعز الفاطمي الذي بنى القاهرة وإلى الآن. ولأميرها ما لأمير مكة في التشريف، والجلوس، والخلع، والمواهب، والمكانة، والوزراء، والحجاب، والأتباع. والوزراء بها، وبمكة، والحجاب، قائمين في الخدمة والسفارة من غير حكم ولا تصرف.

وبها من أرباب الوظائف الدينية ثلاث قضاة، شافعي وحنفي ومالكي، وتوقيع كل منهم في الثلث، وربما كتب للمالكي في العادة، وبها خطيب الحجرة النبوية وتوقيعه في الثلث، وبها وبمكة وكيل بيت المال وولايتهم من أميريهما، وبها وبمكة محتسبان وولايتهم من الأبواب، وبها شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، وكان من أكبر الطواشي في مقام أمير عشرة، وكان توقيعه في الثلث، ثم استقر الأشرف برسبى القاضي ولي الدين بن قاسم^(١) شيخ الخدام وكتب توقيعه في النصف.

أما كسوة الحجرة الشريفة فإنها تكسى في كل سبع سنين مرة لأنها لم تكن بارزة للشمس فلا تبلى بسرعة [١٥٥ أ]، قال ابن النجار في تاريخ المدينة إن أول من كسى الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير القائم الفاطمي، عمل لها ستارة من الديبقي الأبيض^(٢) محكمة الطرز والخامات المرقومة من الإبريسم البنفسجي

(١) هو محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله القاضي ولي الدين الشيشيني الأصل الحلبي المولد، كان نديماً للسلطان الأشرف برسبى، تولى شيخ خدام المسجد النبوي بعد وفاة الطواشي بشير التميمي سنة ٨٣٩ هـ، ثم نظر الحرم المكي عوضاً عن سودون الحمدي، توفي عام ٨٥٣ هـ. ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٥ _ مخطوط _ ورقة ١٩٨ ب _ ١٩٩ أ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٣ ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) هو نوع من الأقمشة التي اشتهرت باسم البلد التي تنتجها وهي ديبق فيما بين الفرما وتيس. ياقوت: معجم، ج ١، ص ٤٣٧.

والأحمر^(١) مكتوب فيها سورة يس جميعها، وكانت قبل ذلك مورورة بالرخام ثم كساها المستضىء العباسي ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والخامات المرقومة البيض، وعلى دور جاماتها مرقوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى طرازها اسم الأمام المستضىء، ومن ذاك استقرت كسوتها على حسب ما يراه مستعملها.

ولم يكن بها أحد من أرباب الوظائف الديوانية ولا ولاية بر.

الجهة الثالثة

الينبع

ولم يكن بها أحد من أرباب السيوف غير نائبها، ولا يسمح له بالأمارة، ونيايتها دون رتبة إمارتي مكة والمدينة وهي في بني قتادة بن إدريس بن مطاعن من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولم يكن بها ممن يتولى من الأبواب غير نائبها.

الجهة الرابعة

سواكن

ويقال إنها من أرض الحبشة، وهي جزيرة كما تقدم الكلام عليها، ولم يكن بها ممن يتولى من الأبواب غير نائبها، ويعبر عنه في بلاده " بالحدري " اسم جنس على من يتولى نيايتها، ولا يمتد لنائبها باع غير الجزيرة، ومرسومه في الثلث، وربما كتب له توقيع في الثلث.

(١) في صبح [الأصفر والأحمر] ج ٤، ص ٣٠٣. ولكن الذي رقمها بالإبريسم البنفسجي هو الخليفة العباسي المستضىء بالله كما يذكر فيما بعد. والإبريسم نوع من الغزل الشبيه بالحرير يدخل في صناعة الثياب والأقمشة، وهو لفظ فارسي معرب. ابن منظور: لسان، ج ٦، ص ١٧٥؛ ج ١٢، ص ٤٦.

المقصد الثاني

في العربان الأشراف بالأقطار الحجازية

وهم على فرقتين:

الفرقة الأولى

الحسنين

وهم عربان مكة ومخالفها، والإمرة فيهم في بنى عجلان من بنى قتادة بن إدريس بن مطاعن من بنى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، ولم تزل الإمرة مستقرة بأيديهم من زمن الناصر لدين الله العباسي إلى الآن.

وأمرها لم يزل في الذروة العليا والسنام الأرفع على جميع العربان شرقاً وغرباً لشرف نسبه وقيامه بخدمة بيت الله الحرام، وله من الملوك عظيم الإقبال وجزيل الإحسان، والقائم بالإمرة فيهم الآن^(١) بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن بوغنى^(٢) [١٥٥ ب] بن بوسعد علي^(٣) بن قتادة بن إدريس بن حسين بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله الأكبر بن موسى الجواد بن عبد الله الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم.

ولأمر مكة أتباع بمكة ومخالفها وقراها من بنى الحسن، وله بها العتقاء وربما كان فيهم المماليك البيض. ولم يكن في العربان أشرف من بيتهم، ومنهم الأشراف بالينبع وفيهم الإمرة في بنى قتادة بن إدريس المذكور. ولم يسمح لوليها إلا بالنيابة من غير الإمرة كما تقدم، والقائم بالنيابة الآن^(٤) عقيل بن وبير بن مختار بن محمد بن راجح، ومرسومه في الثلث، وربما كتب له توقيع.

(١) بياض في الأصل. وهو المتولى ولاية مكة عام ٨٤٠ هـ ولقبه زين الدين أبو زهير بركات. المقرئ:

السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٩٩٠.

(٢) الصواب: أبوغنى، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٣) الصواب: أبو سعد بن علي، القلقشندي، السابق، نفسه.

(٤) بياض في الأصل. كان هو نائب ينح عام ٨٤٠ هـ. المقرئ: السابق، نفسه.

الفرقة الثانية

الحسينيين

وهم الأشراف من عربان المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والإمرة فيهم في بنى طاهر من بنى الحسين السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وهى مستقرة فيهم من زمن المعز الفاطمى الذى بنى القاهرة وإلى الآن كما تقدم. والقائم بالإمرة فيهم الآن^(١) مانع بن علي بن عطية بن جواز بن منصور بن جواز بن شيحة الحسينى^(٢).

المقصد الثالث

في عربان البلاد الشامية

وهم على خمس طباق:

الطبقة الأولى

العربان الداخلة في نطاق دمشق

والمؤمر فيهم سبع قبائل:

القبيلة الأولى

أل ربيعة

من طيئ من القحطانية، وهم بنو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح، وفي بنى جراح كانت الرئاسة في الدولة الفاطمية، قال في التعريف: وهم يزعمون أنهم من ولد [علي بن]^(٣) جعفر بن يحيى البرمكى من العباسة بنت المهدي. أخت الرشيد، قال: لو اقتصروا على عددهم في طيئ لكان أبذخ لشرفهم وأقوم لفخارهم إذ لا تعدل العرب بفارس. قال الحمداني. وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الأتابكى زنكى صاحب الموصل، وكان أيام طغرلوا

(١) بياض في الأصل. توفى مانع بن عقيل مقتولاً عام ٨٣٩ هـ، وتولى الإمرة ابنه وميان. المقرئى: السابق، ج ٤، ق ٢، ص ٩٨٨، ٩٩٠.

(٢) انظر كامل النسب منذ عام ٧٩٩ هـ وما قبلها، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٣٠١ — ٣٠٢.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من، العمري: التعريف، ص ١١١.

السلجوقي أمير عرب الشام، ووفد على السلطان نور الدين محمود فأكرمه، وكان له أربعة أولاد وهم فضل ومراء وثابت ودغفل^(١).

قال في مسالك [١٥٦ أ] الأبصار: أنهم لم تزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة. والإمرة الآن فيهم في ثلاثة أبطن^(٢):

البطن الأول " آل فضل " وهم بنو ربيعة وهم رأس الكل وأعلامهم رتبة وأرفعهم منزلة، قال في مسالك الأبصار " أنهم يتشعبون شعباً كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل على وآل مسلم "، وذكر من المضامين إليهم ما لا يحصى كثرة، ثم قال " وأسعد بيت منهم في وقتنا آل عيسى " يعنى محمد بن فضل.

وقد صاروا بيوتاً منهم بيت عيسى، وبيت فضل، وبيت حارث بن عيسى، وأولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، قال: وأولاد عيسى هؤلاء هم ملوك البر فيما بعد أو قرب وسادات الناس. قال: وإن ديارهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة^(٣) آخذين على شقة الفرات وأطراف العراق حتى [ينتهي حدهم قبلة بشرق]^(٤) إلى الوشم وآخذين يساراً إلى البصرة، ولهم مياه كثيرة ومناهل مورودة.

وأما الإمرة عليهم قال في مسالك الأبصار: إنه لم يصرح لأحد منهم بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبو بكر بن أيوب. والذي استقر عليه الحال أن لهم أمير منهم يجلس بالحضرة مع الأمراء المقدمين ويلبس بنظر نائب غرة أو صفد، وهو أعظم العرب بذخاً وأمثلهم عند الملوك ويعبر عنه " بأمير الملاء " وتقليده في الثلثين، والقائم بالإمرة الآن فيهم^(٥).

(١) لعل صاحب الشعر ينقل هنا عن الحمداي مباشرة بدون الاعتماد على العمري أو القلقشندي.

(٢) عدهم القلقشندي من الأفخاذ طبقاً لترتيب الأنساب القبلية فالبطن يتلوها الفخذ.

(٣) نقلها القلقشندي عن المسالك بدون الألف واللام عكس صاحب الشعر انظر: العمري: مسالك — دورونيا —، ص ١١٦، القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١١٠.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من، العمري: السابق، ص ١١٦، القلقشندي: السابق، ص ١١٠، صبح، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٥) بياض في الأصل.

ثم أن لكل طائفة منهم أمير تصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم.

البطن الثانية " آل مرء " ^(١)، وهم بنو مري ^(٢) بن ربيعة بن فضل المقدم ذكره، قال في التعريف: ومنازلهم حوران. قال في مسالك الأبصار: [إن منازلهم بالبرية] ^(٣)، وقد تشعبت آل مرء شعباً كثيرة وهم آل محمد بن حى ^(٤)، وفيهم الإمرة، وآل منيخر، وآل غنى، آل بقرة، وآل شما مع خلق كثير يدخل في مضافاتهم. ثم قال: وآل مرء أبطال مناجيد ورجال صناديد وأقيال قل [كونوا حجارة من حديد] ^(٥).

وأما الإمرة فيهم فعلى قريب مما تقدم في آل فضل، ولأميرهم المكانة العليا والدرجة السنية، ومرسومه في قطع النصف، والقائم بالإمرة فيهم الآن [١٥٦ ب] الأمير ^(٦)، ثم دونه أمراء على طوائفهم يكتبون من الأبواب الشريفة.

البطن الثالثة " آل على "، وهم بنو على بن حديثة بن عتية ^(٧) بن فضل المتقدم ذكره، وهم من آل فضل، قال في مسالك الأبصار " وهم آل بيت عظيم الشأن مشهور السادات [ذى] ^(٨) أموال همة ونعم فخمة ^(٩) ومكانة في الدولة عليية ^(١٠)] وأفعال لم تزل عند الملوك

(١) اختلف الجميع في كتابة اسم هذه القبيلة، فالعمري كتبها في التعريف " مرء "، ص ١١٢، وفي المسالك " مرا"، ص ١١٤، وابن ناظر الجيش كتبها " مري "، ص ١٣٠، والقلقشندي كتبها في نهاية الأرب "مرا"، ص ١١١، صبح، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) اختصر صاحب الثغر ما ذكره كل من العمري والقلقشندي في وصفهما أماكن مساكنهم بهذه الجملة، انظر وصفهما كاملاً، المسالك - دورونيا، ص ١٣٧ - ١٣٨، صبح، ج ٤، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) أحمد بن حنبل: صبح، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٥) كونوا حجارة أو حديدًا: العمري: السابق، ص ١٣٨.

(٦) بياض في الأصل.

(٧) الصواب: عصية، العمري: المسالك - دورونيا -، ص ١٣٦؛ عقبه: صبح، ج ٤، ص ٢١٠.

(٨) غير موجودة في المسالك، ص ١٣٧، والسياق عند صاحب الثغر أوضح.

(٩) الصواب: ضخمة، العمري: السابق، ص ١٣٧، القلقشندي: السابق، نفسه.

(١٠) الدول عالية: المسالك - دورونيا -، نفسه.

مرضية [^(١)]، وديارهم مرج دمشق وغطتها بين إخوانهم آل فضل وبنى عمهم آل مرء. قال في التعريف: وإنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبقي جار الفرات في تلايب التار.

وأما الإمرة عليهم فلم تزل فيهم من عهد جدهم محمد بن أبي شمر بن علي بن حديثه بن عصية بن فضل بن ربيعة من الأيام المنصورية قلاوون حين أمسك مهنا بن عيسى وبعث في ذريته، ومرسومه في قطع النصف، والقائم بالإمرة الآن فيهم ^(٢).

القبيلة الثانية

جرم

من طيى أيضاً، وهم بنو جرم واسمه ثعلبة وإنما جرم اسم أمه فعرفوا بها، ومنازلهم بلاد غزة والداروم مما يلي الساحل وإلى بلاد الخليل عليه الصلاة والسلام، ولهم أفخاذ كثيرة. وأما الإمرة عليهم قال في التعريف: أن الإمرة على عرب غزة — يعنى جرماً المذكورين — كانت لفضل بن حجي، والمعروف إنما يكون لهم مقدم لا أمير. ومشى على ذلك في الثقيف، وقال إن مقدمهم كان في زمانه في دولة الظاهر برقوق ^(٣)، على بن فضل، والقائم بالتقدمة فيهم الآن عمر بن علي بن أبي بكر، ويكتب له ^(٤).

القبيلة الثالثة

ثعلبة

من طيى أيضاً، وهم بنو ثعلبة بن سلامان، وثعلبة بطنان وهم، درما وزريق أولاد عوف بن ثعلبة، وقيل أولاد ثعلبة لصلبه، قال الحمداي " وثعلبة الشام من درما إلى غمات ^(٥)، ولم يذكرهم صاحب التعريف والثقيف لعدم مكاتبتهم وإقامتهم ببلاد غزة.

(١) لا توجد في المسالك، وسياقها منسجم مع النص.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) لقد كتب صاحب الثقيف كتابه في عهد الأشرف شعبان عام ٧٧٨ هـ. الثقيف، ص ٤.

(٤) بياض في الأصل.

(٥) الصواب: آل غياث، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢١٢.

القبيلة الرابعة

بنو مهدى

قال فى مسالك الأبصار: إهم من طريف. وطريف من [١٥٧ أ] جذام، قال فى التعريف: إهم من القحطانية. ولكن قال فى الكلام على مكاتبات عرب الشام: إن بنى مهدى من عذرة. قال: ومنازلهم البلقاء. وزاد فى مسالك الأبصار فقال: إن منازلهم بالبرية. وهم الآن بالبقاء ممتدين إلى حسان والصلت.

أما الإمرة عليهم، قال فى التعريف: إنها مقسومة فى أربعة بينهم. وتبعه فى التثقيف ^(١). ورأيت فى بعض الدساتير أنها صارت فيهم فى ثلاثة، وهى الآن فى أمير واحد، ومرسومه فى قطع الثلث، والقائم بالإمرة الآن فيهم ^(٢).

القبيلة الخامسة

زبيد

وعدهم جماعة، ولم يتعرض لهم فى مسالك الأبصار، وذكر الجوهري أن زبيد اسم قبيلة، والمعروف أن زبيد من سعد العشيرة من مذحج بن كهلان من القحطانية، قال فى التعريف: إن منهم زبيد المرج، وزبيد حوران، وزبيد الأحلاف. وتبعه على ذلك فى التثقيف، وكان لهم أمير فبطل وخرج إقطاعه عنه.

القبيلة السادسة

بنو خالد

وهم عرب حمص، قال الحمداني: وهم يدعون النسب إلى خالد بن الوليد رضى الله عنه، وقد أجمعت العلماء على انقراض عقبه. قال فى مسالك الأبصار: ولعلمهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم بذلك فخاراً أن يكونوا من قريش. ولم يكن لهم الآن أمير.

(١) وهم، هارون بن ثابت بن سعيد بن محفوظ العنقشى، وسعيد بن نجدى بن حسن العنقشى، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنقشى، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسرى. ابن ناظر الجيش، ص ١٣٠.

(٢) بياض فى الأصل.

القبيلة السابعة

غزية

وقد عدّهم في التعريف من جملة عرب الشام وهم بطن من هوازن من العربانية^(١)، قال في العبر: ولم يزل لهم الصولة. قال الحمداني: وهم بطون وأفخاذ. وأشار في التعريف إلى أن الغالب عليهم عدم الطاعة، ولم يكن لهم مقرة غير أنهم يتزلون بغالب أراضي الشام.

القبيلة الثامنة

حارثة

.....^(٢).

الطبقة الثالثة

عربان المملكة الحلبية

وهم قبيلتان:

القبيلة الأولى

بنو كلاب

قال في مسالك الأبصار: وهم عرب أطراف حلب والروم، يتكلمون بالتركية [١٥٧ ب] ويركبون الأكاديش، وهم من أشد العرب بأساً ولكن لا يدينون لأمر جمع كلمتهم، ولو انقادوا لأمر واحد فلم يبق لأحد من العرب بهم طاقة^(٣). قال: وإن السلطان إذ ذاك أمنهم^(٤) وأمر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليهم حفظ جعبر وما والاها.

(١) الصواب: العدنانية، القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٨٨.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) لقد رتب صاحب الثغر هذه الجملة من مجمل كلام العمري، انظر بالتفصيل: العمري: السابق، ص ١٤٣

— ١٤٥، القلقشندي: صبح، ج ٤، ص ٢٣١. والصواب أن يقال: لن يبقى لأحد.....

(٤) وذلك أن أحمد بن نصير المعروف بالترى قد عاث في الأرض فساداً وقطع الطريق، ثم أمنه الناصر محمد

بن قلاوون وخلع عليه فانقادت له بنو كلاب. انظر: العمري: السابق، ص ١٤٤ — ١٤٥، القلقشندي:

السابق، ج ٤، ص ٢٣٢.

والآن فلهم ثلاث نزلات، التلة الأولى من العمق، والتلة الثانية ببلاد جعير، والتلة الثالثة على شط الفرات، والقائم بالإمرة فيهم الآن^(١)

القبيلة الثانية

آل بشار

قال في مسالك الأبصار: وديارهم الجزيرة وكهلا حصن بلاد حلب^(٢) قال: وحالهم في عدم الانقياد لأمر واحد كحال بني كلاب، ولا يزال آل فضل منهم على وجل. والآن فقد طالت يد الفضل عليهم ولم يكن لهم أمير معروف، ومنهم نحو من مائتي نفر ركابة بالإسطبلات الشريفة.

الطبقة الرابعة

بني كلاب عربان المملكة الطرابلسية

ويقال إنهم من بني كلاب عربان المملكة الحلبية المقدم ذكرهم، ولم يكن لهم أمير فيهم، ومنازلهم المملكة الطرابلسية من مكان إلى مكان.

الطبقة الخامسة

بني عقبة وهم بكرك الشوبك

قال في مسالك الأبصار " وأميرهم كان شطى بن عيبة، وكان الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه [أهلاً ورفعاه إلى السماكين]^(٣)، وألحقه بأمر آل فضل، وأقطعاه الإقطاعات الجليلة، وألبس له التشريف الكبير. ولم يزل في ترادف النعمة ومزايد العز إلى أن توفي، والقائم بالإمرة الآن فيهم^(٤)، ومرسومه في قطع النصف.

(١) بياض في الأصل.

(٢) والأحص ببلاد حلب: المسالك، ص ١٤٥.

(٣) إقبلاً أحله فوق السماكين: المسالك، نفسه.

(٤) بياض في الأصل.

ومن عرب الكرك بنو زهير وهم عرب الشوبك وجماعة تلم بهم، ولم يكن لهم أمير معروف.

تنبيهات ثلاثة: أحدها: أن ما تقدم ذكره من ولايات أرباب الوظائف بالممالك والأعمال المتقدمة لم يكن على سبيل الزوم بل يد الملك طائلة في مملكته يولى في كل جهة منها من يختاره، وإنما إذا كان للنائب عادة بولاية جهة فولى بها من يختاره فلا إنكار.

الثاني: أن مقدار قطع الورق لأرباب الوظائف غير النواب لم يكن لازماً لذلك القطع، وإنما ذلك بحسب رأى كاتب السر.

الثالث: أن قطع الورق لأرباب السيوف بحسب الإمرة كما سيأتى.

القسم الثامن

فى أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور
المهمة التى يحتاج إليها بديوان الإنشاء

[١٥٨ أ] وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول

في الكنى والألقاب

أما الكنى فجمع "كنية" وهي أحد أقسام العلم، والمراد بها ما صدر بأب أو أم، نحو "أبي القاسم" و"أم كلثوم". وكان للعرب بالكنى أتم اهتمام، حتى إنهم كنوا الحيوان، فكنا الأسد "أبا الحارث"، والتعلب "أبا الحصين"، والضيع "أم عامر"، وغير الحيوان فكنا البحر "أبا خالد". وكان التعظيم عندهم في المخاطبة الكنى، حتى كنوا من اسمه كنية في الأصل اعتناء، فقالوا في أبي بكر "أبي المناقب"، ويستوى فيها الجليل والحقير.

أما تكنية أهل الكفر والفسقة وأهل البدع، فقد أفقى النووى رضى الله عنه: إن كان لا يعرف إلا بالكنية جاز تكنيته، كما قال عز وجل ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾^(١)، وكان اسمه عبد الله^(٢)، وتكرر في الحديث ذكر أبي طالب بكنيته واسمه عبد مناف.

ويكنى الرجل بما له من ولد من ذكر وأنثى، فقد كنى بذلك جماعة من الصحابة والتابعين، ويكنى الرجل بأكثر أولاده، وإن لم يكن له ولد فبالحيوان وبغير الحيوان، كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة واسمه عبد الرحمن بن صخر بأبي هريرة حين رآه حامل هرة، وكنى على رضى الله عنه بأبي تراب حين رآه نائماً تحت جدار الكعبة على التراب.

ثم الرجل قد يكون له كنية واحدة، وقد يكون له كنيستان فأكثر، وقد كان لأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ثلاث كنى: أبو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلي، والمرأة كالرجل في جميع ذلك.

والكنية تقع في المكاتبات على ثلاث حالات:

الأولى: بكنية المكتوب عنه. قال عمر بن محمد المدائنى: إن أول من تكنى في كتبه الوليد بن عبد الملك. قال النووى: والأولى لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره، إلا إذا كان لا يعرف إلا بكنيته، أو يكون أشهر من اسمه.

(١) المسد، الآية ١.

(٢) الصواب: عبد العزى.

ثم الكنية من المكتوب عنه قد تكون في صدر الكتاب كما يكتب عن الخلفاء " من عبد الله [١٥٨ ب] أبي فلان فلان "، أو في موضع العلامة كما يكتب الكاتب في الطغرة عن السلطان إلى ملوك الكفر بعد سياقه ألقاب السلطان فيقال " أبو فلان فلان " .

الثانية: تكنية المكتوب إليه. وبها كان الاعتناء في الزمن المتقدم إذا كان المكتوب إليه ممن يستحق التعظيم.

الثالثة: تكنية المكتوب بسببه إذا قصد تعظيمه، وقد أهملوا ذلك كتاب زماننا ^(١). وتقع الكنية في الولايات في الطرة، مثل أن يقال " عهد شريف بأن يفوض إلى أبي فلان فلان "، وفي أثناء الولاية حيث يجري ذكره، والأسماء فإنها ترد مقترنة بالكنية حيث ما وقعت الكنية، ويكتب بانفراد عن الكنية في أوراق الطريق وغيرها.

والألقاب فهي جمع " لقب "، وهو في اللغة " النبز "، قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: وهو ما يخاطب به الرجل ممن ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب من كشفه وليس من باب الشتم والقذف. والعامة استعملت اللقب في موضع اللقب الحسن وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه. ولا شك أن مراد الكتاب باللقب والنعت ما أدى إلى المدح خاصة.

وقد اصطلاح الكتاب على أن يسموا صفات المدح التي يوردونها بصيغة الأفراد ألقاباً نحو " الأمير الأجل " أو " الأميرى الأجل "، وصورة المدح التي يوردونها بصورة التركيب نعوتاً كـ " سيف أمير المؤمنين " أو " ظهير الملوك والسلطين "، ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي يسمونه به إلا مجرد الاصطلاح، وأن لا فلا نزاع في إطلاق اللقب والنعت عليهما.

واعلم أن ألقاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشرف الناس، فقد ثبت تلقب سيدنا إبراهيم بـ " الخليل "، وموسى بـ " الكليم "، وعيسى بـ " المسيح "، ويونس بـ " ذى النون ". وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يلقب بـ " الأمين "، ولقب أبو بكر بـ " عتيق " ثم بـ " الصديق "، ولقب عمر بـ " الفاروق "، وعثمان بـ " ذى النورين "، وعلي بـ " حيدرة "، وحزرة بـ " أسد الله "، ولقب محمد بن علي أول خلفاء بنى العباس بـ

(١) لم يذكر القلقشندي ما ذكره صاحب النغر من أن هذه الطريقة قد تم إهمالها في وقته. انظر: ضوء،

"السفاح"، ثم لقب أخوه أبو جعفر بـ "المنصور"، ثم توالى ألقاب الخلفاء بعد ذلك إلى الآن، ثم وقع التلقب بالإضافة إلى [١٥٩ أ] الدولة في أيام المكتفى بالله فلقب المكتفى بالله الحسين ابن القاسم "ولى الدولة"، وهو أول من لقب بالإضافة إليها، ولقب المقتدر بالله على [بن] الحسين المقدم ذكره "عميد الدولة"، ووافى الدولة البويهية أيام المطيع والأمر على ذلك فكان أول من لقب من الملوك بنى بويه الثلاثة عماد الدولة، وركن الدولة، ومعز الدولة. ثم اختار أبو أسحق الصائى أن يزداد لعضد الدولة "تاج الملة"، فكان يقال "عضد الدولة وتاج الملة".

ثم أفتتح التلقب بالإضافة إلى الدين أيام القادر بالله، وأول من لقب بذلك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، فزيد له "نظام الدين"، فكان يقال "بهاء الدولة ونظام الدين"، ثم صار ذلك داخلاً على كل كبير وصغير من ذكور المسلمين.

وكان الكتاب في آخر الدولة الفاطمية يلقبوا بـ "الفاضل، والرشد والعماد" وما أشبه ذلك، ثم دخلوا بالتلقب في عموم الإضافة إلى الدين، ولما صارت الوزارة لبدر الجمالى لقب بـ "أمير الجيوش"، ثم لقب الوزراء بعده بنحو "الأفضل"، ثم لقب رضوان بـ "الملك الأفضل" بزيادة لقب الملك فاستقرت في وزرائهم إلى أن كان في آخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حين وزر للعاضد ثم استقر ذلك لقباً عليه بعد سلطنته ودام ذلك في من بعده من ملوك الديار المصرية إلى الآن.

ولما دخلت الناس في عموم التلقب بالإضافة إلى الدين، اختص التلقب بالإضافة إلى الدولة لكبار النصارى، نحو "ولى الدولة"، و"فخر الدولة"، ثم اختص النصارى بالتلقب بصيغة أفعّل مضافاً إلى الشيخ فيقال: "الشيخ الأسعد" أو "الشيخ الأجد" ونحوه، وعلى مثلهم يلقب طوائف اليهود.

واعلم أن الأسماء لم يكن منها شئ يعز عن التلقب، وكما يشترك في الاسم الواحد الاثنين والثلاثة، فيشارك فيه اللقبان والثلاثة، وربما كانت أربعة بحسب شهرة اللقب في ذلك الإقليم أو ذلك الجنس، كما يلقب عمر بـ "ركن الدين" عند أرباب السيوف، وبـ "سراج الدين" عند أرباب الأقلام، وبـ "شجاع الدين" عند أهل مكة واليمن [١٥٩ ب] وبـ

"زين الدين" عند أهل الشام، ومن الألقاب الصالحة له "ناصر الدين"، ولعل أن يكون ذلك أمثل ألقابه.

الباب الثاني

في ألقاب أرباب الوظائف

وهي على أربعة أنواع ^(١):—

النوع الأول

ألقاب أرباب السيوف

وهي على ضربين:—

الضرب الأول

الألقاب المفردة

وهي على ثلاثة ^(٢) ألقاب:—

الأول: الخليفة، وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمر الأمة كما سيأتي الكلام عليه.

الثاني: السلطان، وهو لقب خاص في العرف على القائم بالملك كما سيأتي الكلام عليه.

الثالث: الملك، وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة كما سيأتي الكلام عليهم في قسم الولايات ^(٣).

النوع الثاني

ألقاب أرباب الوظائف من النصارى

والمشهور منهم خمسة ^(٤) ألقاب:—

(١) ثمانية: ضوء، ص ٣٤٠.

(٢) عشرة: ضوء، نفسه.

(٣) لم يذكر صاحب الثغر الضرب الثاني من النوع الأول.

(٤) ثمانية: ضوء، ص ٣٤٩.

الأول: الباب، بتفخيم الباء، ويقال فيه " البابا "، وربما أبدلت تلك الألف هاء فيقال "البابه" وهو لقب على البطرك القائم بأمر دين النصارى الملكانية بمدينة رومية بالقسطنطينية^(١) وإليه مرجعهم فى أمر ديانته، بل إنه عندهم مناط التحليل والتحريم. ومعناه^(٢) " أبو الأباء "، والأصل فيه أن طائفة النصارى من شأهم أن كل منهم يخاطب من فوقه بـ " الأب " فاخترعوا له لفظاً يميزه عن غيره فعبروا عنه بـ " أب الأباء "، وأول من وضع ذلك على بطرك الإسكندرية، ثم نقل إلى بطرك رومية تعظيماً له من حيث إنه خليفة بطرس الحوارى، وبطرك الإسكندرية خليفة مرقس تلميذ بطرس المذكور.

وقد وقع فى التثقيب من إنه عندهم بمثابة " القان " عند التتار، وليس كذلك لأن مرجع الباب إلى متعلقات دينهم، ومرجع القان إلى متعلقات ملكهم، ويقال فيه " الباب الجليل.

الثانى: البطرك، وقد تقدم الكلام عليه وعلى أتباعه.

الثالث: الحضرة، وهى من ألقاب ملوكهم، ويقال فيها " الحضرة العلية " و" الحضرة السامية "، و" الحضرة الكريمة "، و" الحضرة الموقرة "، وقد تأتى مع الإضافة فيقال: "حضرة الملك الجليل " أو " حضرة المختشم الجليل ".

الرابع: النائب، وهو من ألقاب [١٦٠ أ] نوابهم ويقال فيه " النائب الجليل ".

الخامس: الكنصل، وهو من طائفة الفرنجية، ويقال فيه " الكنصل المختشم ".

النوع الثالث

الألقاب التى تتفرع عنها الألقاب فى الولايات والمكاتب وهى على ضربين:

الضرب الأول

الألقاب الإسلامية

وهى على حالين:—

(١) من المعروف أن كنيسة روما غير كنيسة القسطنطينية نتيجة الانفصال فى الأساس العقائدى بين الكنيستين، وتمثل كنيسة القسطنطينية إحدى زعامات الكنيسة الشرقية، وكنيسة روما الكنيسة الغربية. هسى: العالم البيزنطى، ص ٢٣٦ — ٢٣٩؛ رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، ج ٢، ص ١٩٢ — ١٩٩.

(٢) وهو لفظ رومى معناه: ضوء، ص ٣٤٩.

الحالة الأولى الألقاب المذكرة

وهي على تسعة ألقاب:—

الأولى: الديوان، وهو من الألقاب المستعملة فيما يكتب به للخلفاء، ويقال فيه "الديوان العزيز"، قال في التعريف: والمراد به ديوان الإنشاء لأن المكاتبات منه صادرة وعليه واردة، والانخضاع عن مخاطبة الخليفة وتزليل الخطاب منزلة من يخاطب نفس الديوان^(١).

الثاني: الجانب، وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم كـ "إمام الزيدية" باليمن، وهو في اللغة اسم الناحية^(٢)، والمراد به الناحية التي بها صاحب اللقب كنى بها عنه تعظيماً على أن تتفوه بذكره.

الثالث: المقام، وهو من الألقاب الخاصة بالملوك، وأصله في اللغة اسم لموضع القيام ومنه قوله تعالى ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ﴾^(٣)، أى أثر موضع قدميه في الصخرة التي كان يقوم عليها لبناء البيت، ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أكبر من ذلك من محلة الرجل أو بلده، ومن ثم قال الزمخشري في قوله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(٤) إنه خاص يستعمل في معنى العموم بمعنى إنه يستعمل في موضع الإقامة بالجملة ويجمع على "مقامات". قال في عرف التعريف: يقال فيه "المقام الأشرف" و"المقام الشريف" و"المقام العالى"، قال في صبح الأعشى: ولو قيل "المقام الكريم" تأسيساً بلفظ القرآن لكان أوجه.

الرابع: المقر، وتجمع على "مقرات"، وكان من ألقاب الملوك وعليه كتب القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر عهد المنصور قلاوون، ثم انحط عن رتبة الملوك بالديار المصرية إلى من دونهم حين لقب الملوك بـ "المقام". قال في عرف التعريف: ويختص بكبار الأمراء كنائبى مصر والشام والأمير الكبير وأولاد السلاطين إن قدموا.

(١) العمري، ص ١٨؛ وإن كان هناك تقديم وتأخير في العبارة عند صاحب الثغر والقلقشندي أيضاً.

(٢) للناحية: ضوء، ص ٣٥١.

(٣) آل عمران، الآية ٩٧.

(٤) الدخان، الآية ٥١.

الخامس: الجنب، وأصله في اللغة " الفناء " وما قرب من محلة القوم [١٦٠ ب]، ومنه قولهم " لذنا بجنب فلان "، و" فلان خصيب الجنب "، فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب منه، ويجمع على " أجنبه " كمكان وأمكنة، وعلى " جنابات " كجماد وجمادات. قال في عرف التعريف: ويقال فيه " الجنب الشريف ^(١) " و" الجنب الكريم ^(٢) " و" الجنب العالى " وهو مختص بذوى الرتبة الوسطى من أرباب السيوف وأعيان أرباب الوظائف الدينية والديوانية.

السادس: المجلس، وأصله في اللغة موضع الجلوس إشارة إلى مكان جلوس المكتوب إليه، وكان في الدولة الأيوبية لا يلقب به إلا الملوك ومن في معناهم، كما هو موجود في مكاتبات القاضى الفاضل والعماد الأصهباني، وقد انحط في زماننا عن رتبة الملوك حيث طرأ عليها أعلى منها، وهو ينقسم إلى قسمين " عالى وسامى "، وهما اسمان منقوصان كـ " الوالى، والقاضى "، والقاعدة في علم النحو، إنه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص زاد فيه إثبات الياء وحذفها، فيقال " القاضى والقاض " ونحو ذلك، وحينئذ فيجوز في " العالى والسامى " إثبات الياء وحذفها، ولكن الكتاب لا يستعملونها إلا بالياء. وأما " العالى والسامى " فيجوز أن تكون الياء فيهما هي اللاحقة للاسم المنقوص، وتكون حينئذ ساكنة، ويجوز أن تكون ياء النسب التى للمبالغة على ما سيأتى بيانه، وتكون مشددة.

أما السامى بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص وحينئذ فتحذف الياء من الألقاب التى تنعت فيتبقى " المجلس السام الأمير الأجل " ونحو ذلك.

السابع: مجلس، مجرداً عن الألف واللام، وتضاف ^(٣) إلى ما بعده، ويضاف إلى أرباب السيوف والأقلام والوظائف الدينية والمشايخ والتجار فيقال " مجلس الأمير أو القاضى أو الشيخ أو الصدر "، وكان في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون لقب على الرتبة الثانية من أرباب الوظائف.

(١) الجنب الشريف العالى، ضوء، ص ٣٥٢.

(٢) الجنب الكريم العالى، نفسه.

(٣) مضافاً: ضوء، ص ٣٥٣.

الثامن: أن يقتصر على المضاف إليه، فيقال " الأمير أو القاضي أو الشيخ أو الصدر " وهي أقل المراتب قديماً وحديثاً.

التاسع: الحضرة، قال في [١٦١ أ] أدب الكاتب: بفتح الحاء وضمها وكسرهما. والمراد بها حضرة المكتوب إليه، وقال الجوهري: قربه وفناؤه. وأكثر ما تستعمل في مكاتبات الخلفاء وكان يقال لها " الحضرة العالية " و" الحضرة السامية ".

قال صاحب معالم الكتابة: إنها كانت في الدولة الأيوبية يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم، وإن السلطان لم يكن يكتب بها أحداً من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره. ويكتب بها الآن عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك، ويقال فيها " الحضرة الشريفة " ^(١) و" الحضرة الكريمة العالية " و" الحضرة العلية " بحسب رتبة المكتوب له، وتستعمل في الكتب الصادرة إلى ملوك الكفر، ويقال فيها بعد الدعاء للحضرة " حضرة الملك الجليل "، وربما استعملت في الولايات، فيكتب في بعض الولايات للبترك ويقال " حضرة الشيخ ".

الحالة الثانية

الألقاب المؤنثة

وهي على ثلاثة ألقاب:—

الأول: الدار، وهي مفردة تجمع على " ديار " و" آدر " و" دور "، ويقال فيها " الدار العزيزة "، وكانت تكتب قديماً لديوان الخلافة ثم استقر الحال على أن يكتب به من الأبواب السلطانية للنخواتين من نساء الملوك ويعبر عنهن في زماننا بـ " الخوندات "، ولا يطلق هذا اللقب إلا على نساء الملوك وأولادهم أو أمهاتهم أو أخواتهم.

الثاني: الستارة، ويقال فيها " الستارة الشريفة " ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة التي بصدد أن تنصب الستارة على بابها حجاً لها.

الثالث: الجهة، ويقال فيها " الجهة الشريفة " و" الجهة الكريمة "، وهي في أصل اللغة اسم الناحية التي يقصد بها المرأة الجليلة كما كنوا عن الرجل الجليل بـ " الجانب " وهي في

(١) الحضرة الشريفة العالية، ضوء، ص ٣٥٤.

المعنى أعلى من الستارة لاتساع نطاقها، كما أن الجنب أعلى من المجلس لاتساع نطاق الجنب.

مهمة: كثير من الكتاب يظنون أن هذه الألقاب أحدثها المقر الشهابي ابن فضل الله وليس كذلك بل هي قديمة من أيام القاضي الفاضل، ولكن المقر الشهابي رتبها وجعل أعلاها المقر وأقلها الأمير، وجعلها ميزاناً لمقام كل أحد من السلطنة.

تنبيه: ^(١) الألقاب الملحق بها ياء النسب تارة يراد بها النسب الحقيقي على ما به كـ " القضاء " فإنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة كما تقدم. وتارة يراد بها المبالغة كـ " القاضي " بأنه [١٦١ ب] منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة وفي معناه " الأمير " نسبة إلى الأمير، و " الشيخ " نسبة إلى الشيخ، ونحو ذلك. والأصل فيه أن عادة العرب إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب، فيقولوا في الأحمر " أحمر " مبالغة في الحمرة وما أشبه ذلك. والمجلس السامي فما فوقه يثبت فيها ياء النسب إلا في الألقاب السلطانية في الطغرة، والمجلس السامي بغير ياء فما تحته تكون مجردة عن ياء النسب.

الضرب الثاني ^(٢)

الألقاب المركبة

المعبر عنها عند الكتاب بالنعوت، والتركيب فيها يكون بالإضافة، فتارة يكون فيها بإضافة واحدة نحو " ممد الدولة " ^(٣) وتارة يكون بإضافتين نحو " سيف أمير المؤمنين " ^(٤)، وتارة يكون ثلاث إضافات نحو " حاكم أمور ولاية الزمان "، وربما زيد على ذلك.

وتارة يكون بوصف المضاف نحو " بقية السلالة الطاهرة "، وتارة يكون بالعطف على المضاف إليه، إما بعطف واحد نحو " سيد الملوك والسلطين "، وإما بأكثر نحو " فاتح الممالك

(١) هذا التنبيه عند القلقشندي هو " الضرب الأول من المقصد الرابع في الألقاب المفرعة عن الأصول ".

انظر: ضوء، ص ٣٥٧.

(٢) يتبع المقصد الرابع عند القلقشندي بهذا العنوان. انظر: السابق، نفس الصفحة.

(٣) الدول: ضوء، ص ٣٥٨.

(٤) سيد أمراء العالمين: ضوء، نفسه.

والأقاليم والأقطار"، وتارة تكون بجار ومجورور بعد المضاف إليه نحو "سيد الأمراء في العالمين". وقد يكون التركيب بعد الإضافة إما بجار ومجورور نحو "المجاهد في سبيل رب العالمين"، وإما بجار ومجورور وإضافتين نحو "المعفى على ملوك آل ساسان" وغير ذلك.

ثم إنه إن كان لقب الأصل مذكراً جاء بصفة التذكير في ألقابه ونعوته، وإن كان مؤنثاً كـ "الجهة" في ألقاب النساء، أتت الألقاب والنعوت مؤنثة، فيقال "الجهة الشريفة أو الكريمة"، وفي النعوت "سيدة الخواتين في العالمين". وإن كان لقب الأصل مجموعاً نحو "مجالس الأمراء"، جاءت الألقاب والنعوت مجموعة، فيقال "الأمراء الأجلاء الأكابر" وما أشبه ذلك. وفي النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو "عضد الملوك والسلطين"، أو مصدراً نحو "عون الأمة"، جاز إبقاؤه على الأفراد، لأن المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يجمعان. وإن لحظ فيه معنى التعداد، جاز الجمع، فيقال "أعوان الأمة" ^(١) وأعضاد الملوك والسلطين، ويجوز عضد الملوك وأعضاد الملوك كما قاله في التعريف. [١٦٢ أ]

النوع الرابع ^(٢)

أن يأتي لصاحب كل لقب من الألقاب الأصول بما يلائمه من الأوصاف مثل أن يصف "الديوان العزيز" أو "الجانب الشريف" في لقبي ديوان الخلافة، وولي العهد "بالمولوى والسيدى النبوى" لانتسابهما إلى مقام النبوة بقرابة العباس للنبي صلى الله عليه وسلم، ويصف السلطان بـ "الأعظم المالك الملك" وما يناسبه مثل "العادل" و"المرباط" ونحو ذلك. ومن النعوت مثل "سلطان الإسلام والمسلمين محيى العدل في العالمين". ويصف أرباب السيوف بما فيه معنى الشجاعة والجهاد مثل "العونى الغياثى" و"الشاغرى" و"المرباطى"، ويصف نواب السلطنة بما فيه معنى العدل وتمهيد الدول مثل "الممهدي المشيدى" و"مهد الدول سيد الممالك"، ويصف قضاة القضاة بصفات الحكم، والعدل، مثل "الحاكمى العادلى"، ويصف العلماء بصفات العلم، مثل "العالمى المفيدى" و

(١) الملة: ضوء، ص ٣٥٩.

(٢) هذا عند القلقشندي النوع الخامس في الألقاب الفرعة من الألقاب الأصول المتقدمة الذكر ومراعاة مناسبتها، وقد جعله في ثلاثة أوجه على عكس صاحب الثغر الذى جعله في مقصد واحد. انظر: ضوء، ص ٣٥٩.

قدوة العلماء العاملين " و " حجة المناظرين " وشبهه، ويصف الوزراء بحسن التدبير والتنفيذ، مثل " المدبري المنفذى " و " مدبر الدول " و " جمال الممالك "، ويصف كتاب السر ^(١) ومن في معناهم بصفة البلاغة، وحسن التدبير، والتنفيذ، ونفاذ الأمر، وصواب الرأى، مثل " البليغى، المنفذى، المدبرى، المشيرى "، وفي النعوت مثل " جمال البلغاء، أوحد الفضلاء، جلال الكتاب، كهف الحساب، لسان السلطنة، سفير المملكة "، ونحو ذلك.

ويصف أهل الصلاح والتصوف بصفات العبادة، مثل " العالمى، الزاهدى، السالكى "، وفي النعوت مثل " زين العباد، فقيه ^(٢) الزهاد "، ويصف التجار، برفعة القدر، والأمانة، والاحترام، والتقريب، ونحوه مثل " المحترمى الرئيسى "، وفي النعوت مثل " شرف الأكابر فى العالمين، أوحد الأمناء المقربين " وما يجرى هذا المجرى.

قلت ولو أتصف ملك أو وزير أو أمير بالخير والصلاح، أضيف فى ألقابه ألقاب أهل الصلاح، كما أضيف فى ألقاب الأمير بيدمر ^(٣) نائب الشام كان " العابدى، الخاشعى، الناسكى " لنسبه إلى الخير والصلاح.

وأما الألقاب المؤنثة فيتعين أن نصفها أولاً بصفات العظمة، مثل " الجهة الشريفة، العالية، المعظمة "، ثم بما فيه من معنى الصيانة، مثل " المحجة المصونة "، وفي النعوت مثل [١٦٢ ب] " جميلة المحجبات، جليلة المصونات " ونحو ذلك.

وأما ألقاب أهل الكفر فيراعى فيها ما يناسبها، فيصف الباب والبرك ^(٤) بـ " القديس الروحاني، الخاشع " ويصفه بالعلم فى ملته، وقيامه بشرائعها، مثل " عظيم الملة المسيحية، قدوة الطائفة العيسوية، عماد بنى المعمودية، كبير الطائفة الصليبية " وما أشبه ذلك. ويصف ملوكهم بصفات الشجاعة والعلم فى شريعته، والعدل فى رعيته، مثل أن يقال " الضرغام، الفضنفر، السميدع " " العالم فى ملته، العادل فى مملكته " وما أشبه ذلك.

(١) كتاب السر: ضوء، ص ٣٦٠.

(٢) إمام: ضوء، نفسه.

(٣) هو الأمير بيدمر الخوارمى نائب الشام فى عهد الأشرف شعبان. انظر القسم الثانى، ص ٢٥٤هـ.

(٤) البطريق: ضوء، نفسه.

وأما ألقاب أهل الكفر المؤنثة فيقال " المكرمة، المبجلة، الموقرة، العالمة في ملتها، العادلة في رعيها " .

الباب الثالث

في تفاوت الألقاب في العلو والهبط

وهو على خمسة ^(١) أنواع:—

النوع الأول

الألقاب المفردة

وهي على أربعة أضرب:—

الضرب الأول: فيما ^(٢) يقع فيه التفضيل لجوهر ^(٣) اللفظ، وهو ^(٤) التوابع التي تلي الألقاب الأصول كـ " العزيز، والأشرف، والشريف، والكريم، والعالى، والسامى "، فبعضها أرفع من بعض، فالعزيز أرفع من الجميع لأن كل وصف دون العزيز عليه ^(٥) كثير التفات، والأشرف أرفع من الشريف لما فى الشرف من صيغة التفضيل، والشريف أرفع من الكريم [لما تقدم عن ابن السكيت أن الكرم يكون فى الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء] ^(٦) لأن الشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء، والكريم لا يعتبر فيه ذلك، وبمقتضى ذلك يرجح الشريف على الكريم بكل حال. والكريم أرفع من العالى لأن الكرم إن حمل على خلاف اللؤم فهو صفة مدح وإن حمل على صفات على خلاف البخل فهو صفة مدح، والعالى يحتمل أن يكون من " على "، "علاء" إذا شرف، أو يكون من " علا يعلو " إذا ارتفع فى المكان وليس العلو فى المكان من صفات المدح وما هو صفة للمدح أولى منه ^(٧) احتمال المدح وعدمه.

(١) عند القلقشندي على نوعين.

(٢) ما: ضوء، ص ٣٦١.

(٣) بجوهر: ضوء، نفسه.

(٤) هـ: ضوء، نفسه.

(٥) إليه: ضوء، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج ٦، ص ٩٨؛ ضوء، نفسه.

(٧) بكل حال أعلى مما: ضوء، نفسه.

الضرب الثاني: ما يقع فيه التفضيل بحسب لحوق ياء النسب التي للمبالغة، وقد اصطلاحوا على [أن] ^(١) ما ألحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما مجرد عنها، إلا أن [١٦٣ أ] ما هو منسوب إلى نفس صاحب اللقب اعلى من المنسوب إلى شئ خارج عنه ومن جعل " القاضى " الذى هو منسوب إلى القاضى اعلى من القضاوى ^(٢) الذى هو منسوب إلى القضاء، على إهم لم يقفوا مع كون ^(٣) ما دخلت عليه ياء النسب أرفع فى جميع الأحوال، وقد استعملوا " الأجل " ونحوه فى الألقاب السلطانية ^(٤) التى هى أعلى الألقاب فقالوا " السلطان الأجل العالم العادل " إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق ياء النسب، ثم استعملوا [مثل] ^(٥) ذلك فى ألقاب " السامى " بغير ياء فما دونه ممن ^(٦) هو أدنى الألقاب رتبة وكأنهم اكتفوا بمكان ^(٧) السلطان من الرفعة عن المبالغة بإلحاق ياء النسب.

الضرب الثالث: ما يقع فيه التفضيل بصيغة مبالغة غير ^(٨) ياء النسب، كما فى " الكفلى " فإنه أرفع رتبة من " الكافلى "، لأن صيغة فعيل أبلغ فى المعنى من صيغة فاعل، من حيث أن فعيل لا تصاغ إلا من فعل بضم العي، ن كما يقال كرم فهو كريم، وعظم فهو عظيم، بخلاف فاعل.

الضرب الرابع: ما يقع فيه التفضيل بحسب ما فى ذلك اللقب من اقتضاء الرفعة لعلو متعلقه ^(٩) كـ " الممهدى والمشيدي "، فإن من ينتهى فى الرفعة ^(١٠) إلى أن يكون ممهد الدولة ^(١١) ومشيد الممالك لا نزاع فإنه فى علو المرتبة بالمكان الأرفع. وكذلك ما يجرى هذا

(١) ما بين الحاصرتين، ضوء، نفسه.

(٢) القاضى: صبح، ج ٦، ص ١٠٠.

(٣) على حكم فى كون: ضوء، ص ٣٦١.

(٤) ألقاب السلطان: ضوء، ص ٣٦٢؛ وصبح كالنفر، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) ممّا: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) بمكانة: صبح، نفسه.

(٨) بغير: ضوء، نفسه؛ وصبح كالنفر، ج ٦، ص ١٠١.

(٩) تعلقه: ضوء، نفسه؛ وصبح كالنفر، نفسه.

(١٠) الرتبة: صبح، نفسه.

(١١) الدول: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

المجرى كـ "المدبرى" بالنسبة إلى الوزراء، و"الحققي" بالنسبة إلى العلماء، و"الأصيلي" بالنسبة إلى العراقة في كرم الأصل ونحو ذلك.

النوع الثاني

الألقاب المركبة

المعبر عنها بالنعوت المختصة بأرباب السيوف وهي على ستة أضرب:-

الضرب الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل في عرف التعريف أعلاها في السلطانيات " ركن الإسلام والمسلمين "، وأورد ذلك في المكاتب إلى النائب الكافل، وكانت مكاتبته بـ " الجنباب الكريم " إذ ذاك، ثم جعله الكتاب بعده " معز الإسلام والمسلمين " مع "المقر الكريم" على ما هو الآن مستعمل، وجعلوا دون ذلك " عز الإسلام والمسلمين "، وأوردوه مع " الجنباب الكريم، والعالى "، [وجعل في عرف التعريف في الإخوانيات " عز الإسلام والمسلمين " أعلى الألقاب، فأورده مع " المقر الشريف "، ثم طرده فيما بعد ذلك من "المقر الكريم " و" المقر العالى "] ^(١)، ثم جعلوا ^(٢) دونه " مجد الإسلام والمسلمين " وأوردوه ^(٣) مع " المجلس العالى " [١٦٣ ب] وجعلوا ^(٤) دون ذلك " مجد الإسلام " فقط من غير عطف

[المسلمين] ^(٥) عليه، وأوردوه ^(٦) مع " المجلس السامى " بغير ياء وبياء، ودون ذلك " مجد الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير "، وقد تابعه في التثقيف ^(٧) على ذلك.

الضرب الثاني: أن يضاف إلى الأمراء، وقد جعل في عرف التعريف أعلاها " سيد الأمراء في العالمين "، وأورده مع " الجنباب الكريم "، وكانت أعلى المكاتبات، وجعل دونه " سيد أمراء

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٦٢.

(٢) جعل: ضوء، نفسه.

(٣) فأورده: ضوء، ص ٣٦٣.

(٤) جعل: ضوء، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٦) فأورده: ضوء، نفسه.

(٧) وتابعه على ذلك في التثقيف: ضوء، نفسه.

العالمين " وأورده مع " الجنب العالى "، وهى فى زماننا مورودة مع " المقر الكرىم "، ودونه "شرف الأمراء فى العالمين " وأورده مع " المجلس العالى " بالدعاء، ودونه " شرف الأمراء المقدمين " ^(١) وأورده مع " المجلس السامى " بغير دعاء، ودونه " مجد الأمراء " فقط، وأورده مع " المجلس السامى "، ودونه " فخر الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير ".

الضرب الثالث: أن يضاف إلى " الغزاة والمجاهدين "، وقد جعل صاحب التعريف أعلاها " ناصر الغزاة والمجاهدين " وأورده فى ألقاب النائب الكافل، وجعل دونه " نصير ^(٢) الغزاة والمجاهدين " وأورده بمكاتبه نائب الشام، وتابعه فى التثقيف وجعله إلى آخر " المجلس العالى " بدعاء، ودونه " أوحده المجاهدين " وجعله مع السامى بغير ياء، ودونه " زين المجاهدين " وجعله مع مجلس الأمير. أما فى عرف التعريف فإنه أعرض عن " ناصر الغزاة والمجاهدين " مع " المقر الشريف "، وأتى مع " المقر الكرىم " " بنصير الغزاة والمجاهدين " ثم مع " الجنب الشريف " وإلى آخر " المجلس العالى " بـ " نصرة الغزاة والمجاهدين "، فجعل " نصير الغزاة والمجاهدين " أبلغ من " نصرة الغزاة والمجاهدين " لما فى نصير من التذكير، ثم أتى مع " السامى بالياء بـ " ذخر الغزاة والمجاهدين "، ثم مع " السامى " بغير ياء بـ " زين الأمراء المجاهدين "، ثم مع " مجلس الأمير " بـ " زين المجاهدين ".

الضرب الرابع: أن يضاف إلى الجيوش، وقد جعل صاحب التعريف أعلاها " أتابك الجيوش " فأورده فى ألقاب النائب الكافل، وجعل دونه " زعيم الجيوش " وأورده فى ألقاب نائب الشام، وجعل دونه " زعيم جيوش الموحدين " فأورده فى ألقاب نائب حلب [١٦٤ أ]، وأورد فى عرف التعريف " زعيم الجيوش " مع " المقر الشريف والكبرى والعالى "، وأورد " زعيم جيوش الموحدين " مع " الجنب الشريف والكبرى والعالى "، وعلى نحو من ذلك جرى فى التثقيف ".

الضرب الخامس: أن يضاف إلى الملوك والسلطين، فقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " ظهير الملوك والسلطين "، وأورده مع " المقر الكرىم " إلى آخر " المجلس العالى " بالدعاء،

(١) أورد القلقشندي بعد ذلك " وأورده مع " صدرت والعالى "، ودونه " شرف الأمراء فى الأنعام " وأورده مع " السامى " بالياء، ودونه " زين الأمراء المجاهدين " وأورده مع " السامى " بغير ياء، ودونه " مجد الأمراء " وأورده مع " مجلس الأمير ". ضوء، ص ٣٦٣.

(٢) نصر: التعريف، ص ٩٧؛ ضوء كالتغر، نفسه.

وجعل دونه " عضد الملوك والسلاطين " وأورده مع " المجلس العالى والسامى "، ودونه " عمدة الملوك والسلاطين " وجعله مع " مجلس الأمير ". وأما فى التثقيف فإنه أورد " ظهر الملوك والسلاطين " مع: " المجلس السامى " بالياء، وجعل " عمدة الملوك والسلاطين " مع " السامى " بغير ياء، و" عدة الملوك والسلاطين " مع " مجلس الأمير ".

الضرب السادس: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، وأعلاها " قسيم أمير المؤمنين " وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان.

قلت: إن أول من لقب بذلك من السلاطين الظاهر ببيرس البندقدارى، حين وفد عليه بمصر الإمام المستنصر بالله أحمد فى رجب عام تسع وخمسين وستمئة، فبايع السلطان وقلده ولقبه بقسيم أمير المؤمنين، وكان قبل يلقب بـ " صاحب أمير المؤمنين "، وإذا عظم لقب بـ " خليل أمير المؤمنين ".

ودونه " خليل أمير المؤمنين " وهو من ألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب الشريفة وألقاب أولاد الملوك، ودونه " عضد أمير المؤمنين " وهو أعلى ما يكتب للنواب عن الأبواب الشريفة، وجعله فى عرف التعريف مع " المقر الشريف " خاصة، وفى التثقيف مع " المقر الكريم "، ودونه " سيف أمير المؤمنين " وأورده مع " المقر الكريم والعالى "، وجعله فى التثقيف مع " الجنب العالى " وتستعمل الآن مع " الجنب الكريم "، ودونه " حسام أمير المؤمنين"، وجعله فى عرف التعريف مع " الجنب الشريف والكريم والعالى " وهو مستعمل الآن مع " الجنب والمجلس العالى " بالدعاء، واقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين.

النوع الثالث

ألقاب القضاة والعلماء

وهى على خمسة ضروب:-

الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " حجة الإسلام [١٦٤ ب] والمسلمين " أو " ضياء الإسلام والمسلمين "، وأوردها مع " الجنب الشريف " الذى هو عنده أعلى المراتب، ودونه " بهاء الإسلام " وأورده مع " الجنب الكريم "، ودونه " مجد الإسلام " وأورده مع " المجلس العالى " فما دونه.

الثاني: أن يضاف إلى العلماء ونحوه، وجعل في عرف التعريف أعلاها " سيد العلماء والحكام " وجعله " للجناب الشريف " فما فوقه، " والكريم والعالي "، ودونه " تاج العلماء والحكام " وأورده مع " المجلس السامي " بالياء، ودونه " جمال الأعيان " وأورده مع " المجلس السامي " بغير ياء فما دونه.

الثالث: أن يضاف إلى الأنام، [وقد جعل في عرف التعريف أعلاها " شرف الأنام "]^(١) وأورده مع " الجناب الشريف والكريم والعالي "، ودونه " فخر الأنام " وأورده مع " المجلس العالي " بالدعاء، ودونه " بهاء الأنام " وأورده مع " صدرت والعالي والسامي " بياء وبغير ياء.

الرابع: أن يضاف إلى الملوك والسلطين، وقد جعل في عرف التعريف أعلاها إلى القضاة " حكم الملوك والسلطين " ولغيرهم من العلماء " خالصة الملوك والسلطين " وهو عنده " للجناب الشريف " فما فوقه، ودونه " بركة الملوك والسلطين " وأورده مع " الجناب الكريم " و" الجناب العالي " و" المجلس العالي " مع الدعاء، ودونه " صفوة الملوك والسلطين " وأورده مع " صدرت والعالي " وما دونه.

الخامس: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، وقد جعل في عرف التعريف أعلاها " ولي أمير المؤمنين " وجعله مع " الجناب الشريف " فما فوقه، ويحسن^(٢) أن يجيء مع " الجناب الكريم " خالصة أمير المؤمنين " ومع " الجناب العالي " " صفى أمير المؤمنين " أو " صفوة أمير المؤمنين ".

النوع الرابع

ألقاب كتام السر والوزراء ونظار الخاص والجيش ومن دونهم من الكتاب

وفيه أربعة أضرب:-

الضرب الأول: أن يضاف إلى الإسلام، قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله في بعض دساتيره إن أعلاها لهم " ركن الإسلام والمسلمين "، وجعل في عرف التعريف أعلاها للوزراء " صلاح الإسلام والمسلمين " وأورده مع " المقر الشريف " فما دونه من " المقر الكريم والعالي " و" الجناب الشريف والكريم " [١٦٥ أ]، ودون ذلك " جمال الإسلام والمسلمين " وأورده

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٦٥.

(٢) قلت يحسن: ضوء، نفسه.

مع " الجنب العالى "، وجعل دون ذلك " مجد الإسلام " مجرداً عن معطوف عليه وأورده مع " المجلس العالى والسامى ".

الثانى: أن يضاف إلى الكبراء، قال فى عرف التعريف إن أعلاها " سيد الكبراء فى العالمين " وأورده مع " المقر الشريف والكريم والعالى "، و" الجنب الشريف، والكريم، والعالى "، ويختص الوزير بالإضافة إلى الوزراء فيقال " سيد الوزراء فى العالمين "، وجعل لمن دونه " شرف الرؤساء الكتاب " وأورده مع " المجلس العالى "، ولا يخفى أنه يجىء عند " أوحـد الكتاب " أو " شرف الكتاب " مع " المجلس السامى " بالياء فما دونه.

الثالث: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، وجعل فى عرف التعريف أعلاها " ظهير الملوك والسلاطين " وأورده مع " المقر والجنب الشريفين " و" المقر الكريم والعالى "، ودونه " صفوة الملوك والسلاطين " وأورده مع " المجلس العالى " فما دونه.

الرابع: أن يضاف إلى أمير المؤمنين، ولم يزد فى عرف التعريف على " ولى أمير المؤمنين " وأورد مع " المقر الشريف والكريم والعالى " و" الجنب الشريف "، ويحسن ^(١) أن يجىء مع " الجنب الكريم " " خالصة أمير المؤمنين "، ومع " الجنب العالى " " صفى أو صفوة أمير المؤمنين "، ولا يضاف إلى أمير المؤمنين مع " المجلس العالى " لما دونه من الألقاب بل يقتصر فى الإضافة إلى الملوك والسلاطين.

النوع الخامس

ألقاب أهل الصلاح

وهى على أربعة ضروب:-

الأول: أن يضاف إلى الإسلام، وقد جعل فى عرف التعريف أعلاها " صلاح الإسلام " وأورده مع " الحضرة " ومع " الجنب الشريف والكريم "، ودونه " جلال الإسلام " وأورده مع " الجنب العالى "، ودونه " ضياء الإسلام " وأورده مع " المجلس العالى "، ودونه " جمال الإسلام " وأورده مع " المجلس السامى " بالياء فما دونه.

(١) وقلت يحسن: ضوء، ص ٣٦٦؛ صبح كالنفر، ج ٦، ص ١٠٩.

الثاني: أن يضاف إلى العارفين ونحوه، وجعل في عرف التعريف "شيخ شيوخ العارفين" وأوردها مع "الحضرة الطاهرة" التي هي أعلى الرتب، وجعل دونه "أوحد الخققين" وأورده مع "الجناب الكريم"، ودونه "أوحد الناسكين" وأورده مع "الجناب العالي".

الثالث: أن يضاف إلى الأنام، وجعل [في عرف التعريف] ^(١) [١٦٥ ب] أعلاها "خالصة الأنام" وأورده مع "الحضرة الشريفة" التي جعلها أعلى رتبهم ومع "الجناب الشريف والكريم والعالي"، ودونه "شرف الأنام" وأورده مع "المجلس العالي"، ودونه "زين الأنام" وأورده مع "المجلس السامي" بالياء وبغير ياء.

الرابع: أن يضاف إلى الملوك والسلاطين، ولم يزد في عرف التعريف على أن يكتب لهم "بركة الملوك والسلاطين".

أما ما يضاف إلى أمير المؤمنين فلم يورد لهم في عرف التعريف شيئاً منه، ويحسن أن يجيء للعظيم منهم نظير ما تقدم للعلماء مثل "ولي أمير المؤمنين"، ودونه "خالصة أمير المؤمنين"، ودونه "صفى أو صفوة أمير المؤمنين".

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٦٧.

الباب الرابع

في تفاوت الألقاب بالتقديم والتأخير

وهي على نوعين:-

النوع الأول

الألقاب المفردة

وهي على سبعة أضرب:-

الضرب الأول: الألقاب التي تلي الأصول، كالأشرف، والشريف، والكريم، والعالى، والسامى. فالأشرف والشريف يلي "المقام"، والكريم يلي "المقر" و"الجناب"، والعالى يلي "المقام" على قلة، ويلى "المقر والجناب والمجلس"، والسامى يلي "المجلس" خاصة.

الثاني: ما يلي الألقاب التي تلي الأصول، وهي العالى إذا تأخرت رتبته عن أن يلي الأصول قبل الأشرف والشريف والكريم، فيقال "الأشرف العالى"، و"الشريف العالى"، و"الكريم العالى".

الثالث: ما يلي العالى^(١)، وهو اللقب الذى يقع بالتمييز كـ "الأميرى" و"القضائى"، و"الشيخى" ونحو ذلك فيقال "العالى الأميرى" أو "العالى القاضى أو القضائى" أو "العالى الشيخى" وما أشبه ذلك.

الرابع: ما يلي لقب التمييز^(٢)، وهو "الكبرى" فيقال "الأميرى الكبرى" أو "القاضى الكبرى" أو "الشيخى الكبرى".

الخامس: ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو "الفلانى" أو "فلان الدين" وهو اللقب الدال على الوضع^(٣) دلالة خاصة كـ "الكفلى والكافلى" للنواب، و"الوزيرى والصاحبى" للوزراء، و"الحاكمى" للقضاة، و"الشيخى" للعلماء والصلحاء، و"الخواجى" للتجار، فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل لقبه الخاص "الكفلى أو الكافلى" بحسب رتبته.

(١) التالى: ضوء، ص ٣٦٧.

(٢) الوظيفة: ضوء، ص ٣٦٨.

(٣) الوظيفة: ضوء، نفسه.

وإن كان قاضياً كتب له "الحاكمي"، قال في التثقيف: وإن كان وزيراً كتب [١٦٦ أ] له "الصاحبي"، فإن كان من أرباب السيوف كتب له "الأميري الوزيري"، ورأيت من يكتب الوزيري أيضاً للمتعممين من الوزراء.

السادس: ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والألقاب المركبة، وهو لقب التعريف الخاص كـ " الفلاني " و " فلان الدين " فإنه يكون موضوع بين المفردة والمركبة كالفصل بينهما. السابع: ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة، وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز من الأميري ونحوه وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كـ " العالِي والعادلي " ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير غير أن غالب الكتاب جعلوا " الظهيري " قبل " الكفيلي أو الكافلي " فإن لم يكونا فيكون قبل لقب التعريف الخاص.

النوع الثاني

ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير في الألقاب المركبة

وهي على ثلاثة أضرب:—

الضرب الأول: ما يلي لقب التعريف الذي هو " الفلاني " أو " فلان الدين "، وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل " ركن الإسلام والمسلمين "، فقد اصطالحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب المركبة.

الثاني: ما يقع آخر الألقاب، ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له، فإن كان ممن يكتب له " المجلس السامي " بغير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى " الملوك والسلطين " ونحوه. وإن كان ممن يكتب له " المجلس السامي " فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى " أمير المؤمنين " مثل " عضد أمير المؤمنين " أو " ولي أمير المؤمنين " ونحو ذلك.

الثالث: ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها، وقد اصطالحوا على أن يقدم من ذلك ما يقتضى رفعة المكتوب له على أبناء جنسه مثل " سيد الأمراء في العالمين " لأمير و " سيد الأشراف في العالمين " لشريف، و " سيد الرؤساء في العالمين " لمتعمم ونحوه.

الباب الخامس

في ترتيب الألقاب الفروع بحملها على الألقاب الأصول وذكر أصول في ترتيب

الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول

وهي على أربعة ^(١) أنواع:-

النوع الأول

ألقاب الخلافة ومن في معناهم

وهي على خمسة ^(٢) أضرب:-

الضرب الأول: ألقاب الخليفة فقط. اعلم أنه كان يقال له في الزمن القديم " عبد الله فلان " فإن كان اسم الخليفة " عبد الله " كرر مرتين، مرة لاسم العلم، ومرة لاسم الخلافة فيقال " عبد الله عبد الله أمير المؤمنين "، ثم زيد فيه الكنية بعد ذلك فقول " عبد الله فلان أبو فلان الإمام الفلاني " بلقب الخلافة مثل " المعتضد بالله " ونحوه أمير المؤمنين. ثم زيد فيه بعد عبد الله " ووليه " فقول " عبد الله ووليه فلان الدين الإمام الفلاني أمير المؤمنين " وهو ما استقر عليه الحال.

الثاني: ألقاب ديوان الخلافة، وهي " الديوان العزيز، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلاني " بلقب الخلافة كـ " المتوكلى " ونحوه.

الثالث: ألقاب ولاية العهد بالخلافة، وهي " الجنب الشريف ^(٣)، السيدى، النبوى، الفلاني " كـ " المعتضدى " ونحوه، وربما أبدل " الجنب " بـ " الجنب " مع بقية الألقاب المتقدمة.

الرابع ^(٤): ألقاب أولاد الخلفاء، وهي " النجل السعيد، الأجل، الكبير، الأوحد، الأمجد، الحسيب، النسب، الأصيل، العريق، فلان الدين أبي فلان فلان "، والنعت " مجد أو جلال

(١) ثلاثة عشر: ضوء، ص ٣٦٩.

(٢) أربعة: ضوء، نفسه.

(٣) الجنب الشريف المولوى، ضوء، نفسه.

(٤) لم يذكر القلقشندي ذلك التصنيف في صبح الأعشى أو ضوء الصبح.

السلالة العباسية، فخر العترة الهاشمية، زين الدرة الذرية، سليل الخلافة، عضد الملوك والسلطين، نجل أمير المؤمنين، أبي فلان فلان".

الخامس: ألقاب إمام الزيدية باليمن، وهي " الجانب الكريم ^(١)، السيدى، الإمامى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، الفلانى " بلقب التعريف كـ " الناصرى " " سليل الأطهار، جلال الإسلام، شرف ^(٢) الأنام، بقية البيت النبوى، فخر الحسب العلوى، مؤيد أمور الدين، خليفة الأئمة، رأس العلماء ^(٣)، صالح الأولياء، علم الهداة، زعيم أمير ^(٤) المؤمنين، ذخرة المسلمين، منجد الملوك والسلطين.

النوع الثانى

الألقاب الملوكية

وهى على ضربين:-

الضرب الأول

ألقاب السلطان بالديار المصرية على ما استقر عليه الحال

وفيها مذهبان:

المذهب الأول: على ما أورده صاحب التعريف وهى " السلطان السيد الأجل الملك الأشرف - مثلاً - العالم، العادل، المجاهد، المابط، المشاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الشاهنشاه، فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيى العدل فى العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله فى أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر [١٦٧ أ] والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، مبيد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبليتين، جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيد ملوك الزمان أبو فلان فلان ". فإن كان من آبائه من ملك قيل " ابن السلطان الشهيد الملكى الفلانى الفلانى - بلقبى الملك والخاص - والد الملوك والسلطين أبى فلان فلان - ثم يدعى له بمثل -

(١) الجانب الكريم العالى ضوء، ص ٣٦٩.

(٢) سيف: ضوء، نفسه.

(٣) العليا: صبح، ج ٦، ص ١٢٣؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، ضوء

خلد الله تعالى سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه "، ويكون آخر الدعاء آخر السطر وتكون الأسطر مزدوجة.

أما صاحب التثقيف فإنه زاد وغير وقدم وأخر فقال " السلطان الأعظم ^(١)، الملك ^(٢)، الفلاني السيد، الأجل، العالم، العادل ^(٣)، المجاهد، الم رابط، المثار، المظفر، المؤيد، المنصور، فلان ^(٤) الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، ومانح الممالك والأقاليم ^(٥) والأمصار، إسكندر الزمان، ومولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب الممالك ^(٦) والنخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلك سبل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين أبو فلان فلان ". وحذف " الشاهنشاه " لأن معناها " ملك الملوك " ^(٧)، وقد ورد النهى عن التسمي بذلك قال: والواجب أن يكون بدل " ولى أمير المؤمنين " " قسيم أمير المؤمنين ".

ورأيت من كتب " خادم المساجد الثلاث "، وهو أعم من " خادم الحرمين ".
المذهب الثاني: أن يلقب " المقام الشريف أو الكريم أو العالى " مجرداً عنهما ويقتصر على المفردة دون المركبة مثل أن يقال " المقام الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى أبى فلان فلان "، قال فى التعريف: وإلى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب. ثم قال: وأنا على الأول أعمل. والذى ذكره صاحب التعريف هو المستعمل فى زماننا. أما ألقاب السلطين التى تكتب بالطغرة لا تكون إلا مفردة.

(١) الأعظم المالك، التثقيف، ص ٢١.

(٢) الملك الأشرف، التثقيف، نفسه.

(٣) العادل المؤيد، التثقيف، نفسه؛ صبح، ج ٦، ص ١٢٤؛ ضوء، ص ٣٧٠.

(٤) الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين: التثقيف، ص ٢٢؛ صبح، ج ٦، ص ١٢٤؛ ضوء، ص ٣٧٠.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه.

(٦) المتأخر: التثقيف، صبح، ضوء، نفسه.

(٧) الأملاك: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الضرب الثاني

الألقاب التي يكتب بها السلطان لغيره من الملوك

وهي على ثلاثة أصناف:

الأول: ولاية العهد بالسلطنة، وهي "المقام العالي، العالى، الملكى، الفلانى الفلانى كالأشرفى والسيفى". والذي كتبه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [١٦٧ ب] من ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون حين عهد له أبوه بالملك وهي "السيد الأجل، الملك الأشرف، صلاح الدنيا والدين، فخر الملوك والسلطين، خليل أمير المؤمنين".

قال في التثقيف: فإن كان أخاً أو ولداً زيد فيه "الأخوى" أو "الوالدى"، ويلقب أولاد السلطين من ألقاب الأصول بـ "المقام العالى" إذا كانوا يجلسون فوق الأمراء بالخدمة ولم يعهد لهم بالملك.

الثاني: ألقاب الملوك المستقلين بصغار الممالك كما كان صاحب حماة في أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهي "المقام الشريف العالى السلطانى الملكى الفلانى" بلقب الملك، وربما كتب له قبل لقب الملك "الأصيلى" لعراقته في الملك.

الثالث: ألقاب المكتوب إليهم من الملوك الأجانب، وهي على أربع طباق:

الأولى: ما يصدر بالمقام، وأعلاها "المقام الأشرف" كألقاب صاحب الهند قديماً، وهي: "المقام الأشرف العالى، المولوى، السلطانى، الأعظمى، الشاهنشاهى، العالى، العادلى، المجاهدى، المشاغرى، المظفرى، المؤيدى، المنصورى، _ الفلانى _ اسكندر الزمان، سلطان الأوان، منبع الكرم والإحسان، المعفى على ملوك^(١) آل ساسان وبقايا أفريساب، وخاقان ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام^(٢)، أوحده الملوك والسلطين". ودونها "المقام الشريف".

ومثالها على ما كتب به للنك عند عقد الصلح بينه وبين الناصر فرج عام خمس وثمانمائة

وهي:

(١) ساقطة من صبح، ج٦، ص١٢٦؛ ضوء، ص٣٧١.

(٢) ذكرت في هامش المخطوط.

"المقام الشريف العالی الکبیری، العالی، العادلی، المؤیدی، المظفری، المجاهدی، الوالدی، الملاذی القطبی، نصرۃ الدین، ملجأ القاصدین، ملاذ العابدین، قطب الإسلام والمسلمین تیمور کورکان".

وعلى ما كتب به للشيخ حسن الكبير صاحب بغداد ^(١) كان، وهي: "المقام الشريف، العالی، السلطانی، الکبیری، العالی، المؤیدی، المجاهدی، المرابطی، المنتصوری، الملکی الفلانی الفلانی".

وعلى ما كتب به لشاه رخ ولد اللنک ^(٢) صاحب مملكة الفرس الآن وهي: "المقام الشريف العالی الکبیری، العالی، العادلی، المؤیدی، الملاذی، المعینی، نصرۃ الدین، ملجأ القاصدین، ملاذ العارفين، ظهير الملوك السلاطين".

ودونها على ما ذكره صاحب التعريف ^(٣) في ألقاب القان ببلاد أربك وهي [١٦٨ أ]: "المقام العالی السلطانی الکبیری، الملکی، الأکرمی الفلانی الفلانی " بلقبی الملک، والتعريف " فلان الدنيا والدين، مؤيد الغزاة والمجاهدين، قاتل الكفرة والملحدین ^(٤) والمشرکین، ولی أمير المؤمنين".

(١) هو الأمير الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا الجلايري، المعروف بالشيخ حسن الكبير، ملك بغداد وتبريز من الأيلخانيين، وهادن المماليك في مصر عكس ملوك التار الذين وجهوا أكثر من حملة إلى الشام للاستيلاء عليها، توفي عام ٧٥٦ هـ. انظر: الصفدي: الوافي، ج ١١، ص ٤٠٥؛ ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٩٥؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٦٩ - ٧١ ت رقم ٨٩٣.

(٢) هو القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، سلطان هراة وسمرقند وشيراز وما والاها من بلاد ما وراء النهر، ملك البلاد بعد ابن أخيه خليل بن أميران شاه بن تيمورلنك، كان ذا علاقات متوترة مع السلطان الأشرف برسبای بسبب محاولته مد نفوذه إلى الحرمين الشريفين والخط من شأن السلطان برسبای إلا أن محاولاته باءت بالفشل معه، ثم تحسنت أيام السلطان جقمق. توفي عام ٨٥١ هـ. انظر: المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٨٣٣، ٨٨٧؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ٦، ص ١٩٩ - ٢٠٣ ت رقم ١١٧٤؛ السخاوي: الضوء، ج ٣، ص ٢٩٢، ت رقم ١١١٩.

(٣) الذي ذكر ذلك هو صاحب التثقيف.

(٤) ساقطة من صبح، ج ٦، ص ١٢٦؛ ضوء، ص ٣٧١.

وكما كتب إلى القان محمد خان بن حسن بن أخو طمطمش خان^(١) صاحب الدشت^(٢) في الأيام الأشرفية برسبای وهي:

"المقام العالی السلطانی، الکبیری، الملکی، الأعلی، الشمسی، شمس الدنیا والدين، مؤيد الغزاة واجهادين، قاتل الکفرة والملحدین والمشرکین، ولی أمير المؤمنين".

وكما كتب لصاحب المغرب الأقصى قديماً في ما ذكره في التعريف وهي:

"المقام العالی السلطانی، السيد الأجل^(٣)، العالم، العادل، المجاهد، المربط، المشاغر، المؤيد، المظفر، المنصور [الأسرى، الأسنى، الزكى، الأتقى، المجاهد في الله، الغالب بنصر الله]^(٤) المؤيد^(٥) على أعداء الله، أمير المسلمين^(٦)، قائد الموحدين، مجهز الغزاة واجهادين، مجند الجنود، عاقد البنود، مالى صدور البرارى والبحار، مزعزع أسرة الکفار، مؤيد الملة^(٧) معز الأمة^(٨)، شرف الملوك والسلطين، بقية الشرف^(٩) الکريم والنسب الصميم، ريبب الملك القديم أبو فلان فلان".

(١) وذلك عام ٨٣٢ هـ. العینی: عقد الجمان، تحقیق عبد الرازق الطنطاوى القرموط، ص ٣٥٨.

(٢) الدشت باللغة الفارسية تعنى البرية، عرفت أولاً بدشت القبجاق، ثم عرفت بركة نسبة إلى بركة

بن دوشى بن طوخان بن جنکيز خان. المقرئى: درر العقود الفريدة، ص ٥١١؛ فؤاد الصياد: الشرق

الإسلامي، ص ٤٦٢.

(٣) الجليل: التعريف، ص ٤٠.

(٤) التعريف، نفسه.

(٥) ساقطة من، صبح، نفسه؛ وضوء، نفسه.

(٦) أمير المؤمنين: التعريف، نفسه.

(٧) السنة: التعريف، نفسه؛ صبح، ج ٦، ص ١٢٧؛ وضوء، نفسه.

(٨) الملة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ وضوء، نفسه.

(٩) السلف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ وضوء، نفسه.

الطبقة الثانية: ما يصدر بالمقر، وأعلاها " المقر الكريم " كما كتب لصاحب هراة قديماً قبل أن يأخذها اللنك على ما ذكره في التعريف وهي:

" المقر الكريم العالى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرباطى، المشاغرى، الأوحدى — الفلايى — شرف الملوك والسلطين ^(١)، خليل أمير المؤمنين ".

وكما كتب لصاحب كرستان ^(٢) من بلاد الروم ^(٣) فيما ذكره في التشقيف وهي: " المقر الكريم العالى، الملكى، الأجلى، العالمى العادلى ^(٤)، المجاهدى المؤيدى المشاغرى، المرباطى، المظفرى، العضدى ^(٥) — الفلايى — عز الإسلام والمسلمين، فخر الملوك والسلطين، نصرة ^(٦) الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، ظهير أمير ^(٧) المؤمنين ".

وكما كتب للإسكندر بن قرا يوسف صاحب بغداد في زماننا ^(٨) وهي:

" المقر الكريم العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، الغوثى، الغياثى، الزعيمى، المرباطى، المشاغرى، المهدى، المشيدى، الظهيرى ^(٩)، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، مقدم العساكر، ممدد الدول، مشيد الممالك، زعيم الجيوش الموحدين، عون الأمة، غياث الملة، ظهير الملوك والسلطين، عضد [١٦٨ ب] أمير المؤمنين ".

(١) التعريف، ص ٥٧؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) كرمينان: صبح، نفسه؛ كرمدان: ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح وأضافها محققوه عن ضوء، ج ٦، ص ١٢٧ هـ ١.

(٤) ساقطة من صبح وأضافها محققوه من ضوء، ج ٦، ص ١٢٧ هـ ١.

(٥) المنصورى: صبح، ج ٦، ص ١٢٧؛ ضوء، نفسه.

(٦) نصير: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٨) إسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم بن خجا التركمانى، ملك تبريز، ملك البلاد بعد موت أبيه

قرا يوسف فى سنة ٨٢٣ هـ ودام فى حكمها مدة طويلة وخربت البلاد فى أيامه، قتله ابنه شاه قوماط

عام ٨٤١ هـ بقلعة النجا من أعمال تبريز. انظر: المقرئى: درر العقود، ج ٢، ص ٤٧٤ — ٤٧٨، ت

رقم ٢٧١؛ ابن تغرى بردى: النهل، ج ٢، ص ٣٧٣ — ٣٧٤، ت رقم ٤١٨؛ السخاوى: السابق،

ج ٢، ص ٢٨٠، ت رقم ٨٨٥.

(٩) بياض فى الأصل.

وكما كتب لمراد بك بن عثمان ^(١) صاحب برصا وبلاد الروم على ما استقر عليه الحال وهي كالألقاب المتقدمة لإسكندر من غير زيادة ولا نقص. وكما كتب لصاحب ماردين وهي " المقر الكريم، العالى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الأوحدى، الملكى، الفلانى. ودونه كما كتب لصاحب مالى والتكرور وهي:

" المقر العالى، السلطان ^(٢)، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحده، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلطين، سيف الخلافة، ظهر الإمامة، عضد أمير المؤمنين ".

الطبقة الثالثة: ما يصدر بالجناب، وأعلاها " الجناب الكريم "، كما كتب لملك التكرور على ما ذكره في التثقيف وهي:

" الجناب الكريم ^(٣) العالى، الملك، الجليل، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، المشاعر، المرباط، العابد، الخاشع، الناسك، الأوحده _ فلان _ ذخر الإسلام والمسلمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم ^(٤) جيوش الموحدين، ركن الملة ^(٥)، عماد الملة ^(٦)، جمال الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين ".

وكما كتب للملكى البرنو والكاتب في ما ذكره في التعريف وهي:

(١) هو مراد بك بن أبى الفتح محمد بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان الملقب غياث الدين كرشجى، تولى الحكم بعد أبيه عام ٨٢٤ هـ، وكان ذا علاقة طيبة بسلطين مصر. توفى عام ٨٥٥ هـ. السخاوى: الضوء، ج ١٠، ص ١٥٢، ت رقم ٦٠٤؛ يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، استنبول ١٩٨٨، ص ١٢٠؛ محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقى، بيروت ب. ت، ص ١٥٣.

(٢) الصواب: السلطان، صبح، ج ٦، ص ١٢٧؛ ضوء، ص ٣٧١.

(٣) التثقيف، ص ٢٥؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص ٣٧٢.

(٤) عون: التثقيف، نفسه.

(٥) الصواب: الأمة، التثقيف، نفسه.

(٦) التثقيف: نفسه؛ وساقطة أيضاً من صبح، وضوء.

"الجناب الكريم، العالی، الملك، الجلیل، الكبير، العالم، العادل، الغازی، المجاهد^(١)،
الهمام، الأوحد، المظفر، المنصور، _ فلان الدين _ عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة
والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد
أمير المؤمنين".

وكما كتب لصاحب حصن كيفا حين ارتفعت مكانته عن "الجلس" ^(٢) وهي:
"الجناب العالی، الكبير، المجاهدی، المؤیدی، المرابطی، المثنغری، الأوحدی، الفلانی
الفلانی _ بلقبی الملك، والتعريف _ عز الإسلام والمسلمين، زعيم جيوش الموحدين، ذخّر الملة،
سلیل الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين".

الطبقة الرابعة: ألقاب المجلس العالی، كما كتب لصاحب حصن كيفا قديماً على ما ذكره
في التعريف وهي:

"المجلس العالی، الملكی، الفلانی، الأجلی، العالمی، العادلی، المجاهدی، المؤیدی، المرابطی،
المثنغری، الأوحدی، الأصیلی _ الفلانی [١٦٩ أ] بلقب التعريف _ عز الإسلام والمسلمين،
بقية الملوك والسلاطين، نصير الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، شرف الدولة ^(٣)، ذخّر
الممالك، خليل أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين".

ودونه "المجلس السامی" بغير ياء كالألقاب صاحب دنقلة إذا كان مسلماً فيما ذكره في
التعريف وهي:

"المجلس الجلیل الكبير ^(٤) الغازی، المجاهد، المؤید، الأوحد، العضد، فلان الدين، مجد
الإسلام، زين الأنام، فخر المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين". ولم يذكر فيها "السامی" ولا
"الملكی".

(١) التعريف كالتغر، وفي صبح، ضوء تمت إضافة: الإمام.

(٢) يذكرها القلقشندي مع ألقاب "الجلس"، وكان هذا الارتفاع في الكتابة لصاحب حصن كيفا تمت بعد
زمنه.

(٣) الدول: التعريف، ص ٥٢؛ صبح، ج ٦، ص ١٢٨؛ ضوء، ص ٣٧٢.

(٤) التعريف، ص ٤٨؛ ضوء، ص ٣٧٢.

أما ما يصدر بالألقاب الدينية فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك [أما ما يصدر بالألقاب المؤنثة كالحضرة، فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك] ^(١)، فألقاب القان بها على ما كان الحال عليه في أيام السلطان أبو سعيد ^(٢) وما قبله فهي: " الحضرة الشريفة العالية السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحدية، القانية ". قال في التعريف: ومجردها عن ^(٣) الملكية هوأنها عندهم. قال في التثيف: وكان يكتب إلى القان أزيك ^(٤) في أيام الناصر محمد بن قلاوون:

" الحضرة الشريفة العالية، حضرة السلطان الكبير، الأخ، الشقيق، العالم، العادل، القان، المعظم، الأوحد شاهنشاه الملك أزيك [أل خان] ^(٥)، سلطان الإسلام والمسلمين، أوحد الملوك والسلطين، عماد الملك، سلطان المغل والقبجاق والترك، جمال ملوك الزمان، ركن بيت جنكرخان، معز طمغاج، صاحب التخت والتاج، عضد المتقين، ذخر المؤمنين ".
وكما كتب إلى جاني بك بن أزيك ^(٦) في سنة خمس وخمسين وسبعمائة وهي:
" الحضرة الشريفة العالية، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلة، الأكملية، القانية، الأخوية، العزيزية، الملكية، الشرفية ".

وكما كتب إلى صاحب تونس فيما ذكره في التعريف وهي:

" الحضرة الشريفة العلية، السنية، السرية، العالمية، العادلة، الكاملية، الأوحدية، حضرة الإمارة العدوية، ومكان الإمامة القرشية، وبقية السلالة الطاهرة الزكية، حضرة أمير المسلمين، وزعيم الموحدين، والقائم في مصالح الدنيا والدين، السلطان الكبير [١٦٩ ب] المجاهد،

(١) بياض في الأصل، وما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٢) السلطان أبو سعيد بن غازان سلطان دولة المغول الإيلخانيين ببلاد فارس بالشرق الإسلامي. فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص ٢٨٩.

(٣) من غير أن يخلط فيها: التعريف، ص ٦٧؛ ولا يخلط: ضوء، نفسه.

(٤) القان أزيك خان: هو ملك بيت بركة أو مملكة دشت القبجاق، وقد تزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون ابنته. انظر: ابن حجر: الدرر، ج ٢، ص ٥.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التثيف: ص ١٢.

(٦) جاني بك بن أزيك: تولى الحكم في دشت القبجاق من عام ٧٤١ إلى عام ٧٥٨ هـ. زمباور: معجم الأسرات الحاكمة، ص ٣٦٣.

المرابط، المؤيد، المثار، المظفر، المنصور، الأوحـد، المتوكل على ربه، والمجاهد في حبه، والمناضل عن الإسلام بحربه ^(١) فلان".

النوع الثالث

الألقاب العامة لسائر الطوائف

وهي على ثمانية أصناف:-

الصف الأول

ألقاب أرباب السيوف

وهي على خمس درجات:-

الدرجة الأولى: درجة المقر ^(٢)، ومثالها على ما أورده في التثقيف:

" المقر الكريم العالی، الأمیری، الکبری، العالی، العادلی، المؤیدی، الغوثی، الغیاثی، الزعیمی، المرباطی، المثارغری ^(٣)، الأوحدي، الممهدی، المشیدی، الظهري، الفلاني، عز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين ^(٤)، ناصر الغزاة، ذخر المجاهدين، ملجأ الفقراء والمساكين، زعيم جيوش الموحدين، أتاك العساكر، مهد الدول، مشيد الممالك، غياث الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلطين، عضد أمير المؤمنين"، فإن كان أخاً أو ولداً أو قريباً زيد في الألقاب " الولدي أو الأخوي أو القريبی"، وفي النعوت للأخ " شقيق الملوك والسلطين"، وللولد "سليل الملوك والسلطين" أو " نجل الملوك والسلطين"، وللقرابة " قريب الملوك والسلطين"

الدرجة الثانية: درجة الجناـب، وهي على مرتبتين:

المرتبة الأولى: مرتبة الجناـب الكريم، ومثالها على ما أورده في التثقيف:

(١) بذبه: التعريف، ص ٤٢.

(٢) جعلها القلقشندي على ثلاث مراتب " المقر الشريف، المقر الكريم، المقر العالی " صبح، ج ٦، ص ١٣٠.

— ١٣١.

(٣) الزعيمي، العوني، الغيائي، المثارغري، المرباطي: التثقيف، ص ٨٨؛ صبح، ج ٦، ص ١٣٠.

(٤) في جميع نسخ التثقيف كالنفر، ولكن محقق التثقيف عدلها كما هي موجودة عند القلقشندي " سيد الأمراء

في العالمين"، التثقيف، ص ٨٨ هـ ٥.

" الجناب الكريم العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، العونى، الزعيمى، المرباطى، المثناعرى ^(١)، الممهدى، المشيدى، الظهيرى، [الكافلى] ^(٢)، الفلاى، عز ^(٣) الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء ^(٤) فى العالمين، نصرة ^(٥) الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش ^(٦) مقدم العساكر، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة ^(٧)، ظهير الملوك والسلاطين، سيف ^(٨) أمير المؤمنين "

المرتبة الثانية: مرتبة الجناب العالى، وهى " الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى "، وتأتى بقية الألقاب المتقدمة إذا كانت المكاتب مفتوحة " يضاعف "، فإن كانت مفتوحة — " أدام " كتب:

" الجناب العالى، الأميرى، الكبير، العالمى، العادلى، المؤيدى، الأوحدى، المجاهدى، الهامى، العضدى، الظهيرى، النصيرى، ^(٩) الفلاى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء [١٧٠ أ] فى العالمين ^(١٠)، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، عون الأمة، ذخر الدولة، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين "

الدرجة الثالثة: المجلس، وفيها ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: المجلس العالى إذا افتتحت بالدعاء ^(١١) وهى:

(١) الزعيمى، العونى، الفياثى، المثناعرى، المرباطى: الثقيف، ص ٨٩؛ صبح، ج ٦، ص ١٣٤.

(٢) ما بين الحاصرتين من، الثقيف، نفسه؛ ضوء، ص ٣٧٤.

(٣) مؤيد: صبح، السابق.

(٤) أمراء: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ الثقيف كالنفر، نفسه.

(٥) ناصر: صبح نفسه، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ الثقيف كالنفر، نفسه.

(٦) جيوش الموحدين: الثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) الثقيف كالنفر، نفسه؛ وفى صبح زاد من بعدها " كافل السلطنة "، نفسه.

(٨) عضد: صبح، نفسه؛ والثقيف كالنفر، نفسه.

(٩) النصيرى، العونى، الهامى، المقدمى، الظهيرى: الثقيف، ص ٩٥؛ صبح، ج ٦، ص ١٣٧؛ ضوء، ص ٣٧١.

(١٠) لقد غيرها محقق الثقيف على غير أساس إذ أنها فى نسخ الثقيف، صبح، ضوء كالنفر، انظر: الثقيف، ص ٩٥ هـ.

(١١) أتى القلقشندي بهذه الألقاب مع " المجلس العالى وصدرت ". انظر: صبح، ج ٦، ص ١٣٩ — ١٤٠.

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى [العونى] ^(١) الأوحدى، النصيرى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى، الفلاقى، عز الإسلام والمسلمين، شرف ^(٢) الأمراء المقدمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملة، ذخر الدولة، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين "

ويزاد فى ألقاب الخواجه والخدام الكبار " المؤتمنى "، و " مؤتمن الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده فى التثقيف فى ألقاب أميرى مكة والمدينة النبوية:

" المجلس العالى، الأميرى ^(٣) الكبيرى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، العالمى، المجاهدى، المقدمى ^(٤)، الأوحدى، النصيرى، العونى، الهمامى، الأصيلى، العريقى، الظهيرى ^(٥)، الفلاقى، عز الإسلام والمسلمين، سيد ^(٦) الأمراء الأشراف فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، كهف الملة، عون الأمة، فخر السلالة الزاهرة، زين العترة الطاهرة، بهاء العصابة العلوية، جمال الطائفة الهاشمية، كهف ^(٧) الملوك والسلاطين، نسيب أمير المؤمنين "

وعلى ما أورده فى ألقاب أمير آل فضل، ويعبر عنه بـ " أمير الملاء ":

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدى، النصيرى، العونى، الهمامى، المقدمى، الأصيلى، الظهيرى ^(٨)، الفلاقى، عز الإسلام والمسلمين، شرف أمراء ^(٩) العربان فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملة، ذخر الدولة، عماد العرب، ظهير الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين "

المرتبة الثانية: المجلس العالى، إذا افتتح بالإصدار، وهى:

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص ٩٥؛ ضوء، ص ٣٧٥.

(٢) سيد: فى إحدى نسخ التثقيف، ص ٩٥ هـ.

(٣) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٤) المؤيدى: التثقيف، ص ١٢٦.

(٥) الظهيرى، الأصيلى، العريقى، الشهابى: صبح، ج ٦، ص ١٤٠.

(٦) شرف: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ وفى إحدى نسخ التثقيف كالنفر، ص ١٢٦ هـ.

(٧) ظهير: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٨) الظهيرى، الأصيلى، السيفى: التثقيف، نفسه؛ الظهيرى الأصيلى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٩) الأمراء: صبح، نفسه؛ ضوء كالنفر، نفسه.

" المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدى، العضدى، الذخرى، النصيرى، الهمامى، المقدمى، الظهيرى، الفلاقى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء المقدمين، ركن الغزاة والمجاهدين [١٧٠ ب]، عضد الملوك والسلطين ".
 المرتبة الثالثة: المجلس السامى، وهى على ضربين:-

الضرب الأول: المجلس السامى بياء النسب، وهى:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، المجاهدى ^(١) المؤيدى، الفلاقى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، زين ^(٢) المجاهدين، عضد الملوك والسلطين ".
 ولأمير آل مرا:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، المجاهدى، المؤيدى، العضدى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، الأصلى، العريقى، الفلاقى، مجد الإسلام، بهاء الأنام ^(٣)، شرف القبائل، زين العشائر ^(٤)، ملاذ العرب، عضد الملوك والسلطين ".
 وعلى ما أورده القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى بعض دساتيره فى ألقاب بعض

الأشراف:

" المجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الشريفى، الحسيبى، النسيبى، الذخرى، النصيرى، الأوحدى، الأجلى ^(٥) الفلاقى، عز الإسلام، زين الأنام، نسيب الإمام، شرف الأمراء، نقيب النقباء، جمال العترة الطاهرة، جلال الأسرة الزاهرة، ذخر الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين ".
 الضرب الثانى: المجلس السامى إذا جردت عن بياء النسب وهى:

(١) ساقطة من ضوء، ص ٣٧٥.

(٢) أوحده: ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٤) شرف الأمراء، زين القبائل، فخر العشائر: صبح، ج ٦، ص ١٤٢؛ ضوء، نفسه.

(٥) الأصلى: صبح، ج ٦، ص ١٤١؛ ضوء، ص ٣٧٦.

" المجلس السامي، الأثير ^(١)، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأكمل، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين ".

ورأيت في بعض الدساتير ألقاب بعض نقباء الأشراف:

" المجلس السامي، الشريف، الحسيب، النسيب، العالم، العامل، الورع، الكامل، الفاضل، الأوحد، النسابة، فلان الدين، جمال الإسلام، زين الأنام، فخر السادة الأشراف، ذخر الأسرة العلوية، جمال العصاة الفاطمية، رأس الدولة الهاشمية، أوحد الرؤساء، رئيس الفضلاء، زين النقباء، شرف العلماء، مجد العترة الطاهرة، واسطة السلالة الزاهرة، خالصة الملوك والسلطين، نسيب أمير المؤمنين ".

وألقاب النائب بالينبع:

" المجلس السامي، الأمير، الأجل، المجاهد، المؤيد، الشريف، الحسيب، النسيب، مجد [١٧١ أ] الإسلام، بهاء الأنام، زين العترة، فخر الأسرة، جمال الذرية، فرع ^(٢) الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلطين ".

وعلى ما أورده في التعريف ^(٣) في ألقاب أكابر عربان آل فضل:

" المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر القبائل، زين العشائر، عماد الملوك والسلطين ".

الدرجة الرابعة: درجة مجلس الأمير، وهي " مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، فخر الأمراء، زين المجاهدين، مرتضى الملوك والسلطين ".

الدرجة الخامسة: درجة الأمير الأجل، وتكون مجردة عن المضاف وهي " الأمير الأجل، الكبير، الغازي، فلان الدين ".

(١) الأمير: التثيف، ص ١٢٨؛ صبح، ج ٦، ص ١٤٣؛ ضوء، ص ٢٧٢.

(٢) فخر: صبح، ج ٦، ص ١٤٤؛ ضوء، ص ٣٧٦.

(٣) أتى به القلقشندي من التثيف، ج ٦، ص ١٤٤؛ ضوء، ص ٣٧٦.

الصف الثاني

ألقاب أرباب الوظائف الدينية

وهي على خمس درجات:-

الدرجة الأولى^(١): درجة الجنب، وهي على مرتبتين^(٢):

المرتبة الأولى: مرتبة الجنب الكريم، وهي:

" الجنب الكريم، العالى، القاضى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأكملى، الأفضلى، الأوحدى، الفريدى، المقتدى، النجيدى، العلامى، الحجى، المحققى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الإمامى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الورعى، الزاهدى، العابدى، الحاكمى، الفلاى، حجة الإسلام والمسلمين، قدوة العلماء العاملين، سيد الرؤساء فى العالمين، عمدة المحققين، فخر المدرسين، مفتى المسلمين، جلال الحكام، مقر السنة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، خطيب الخطباء^(٣) إمام البلغاء، نجل الأئمة المحققين، سليل الحكام المرشدين، رئيس الأصحاب المتكلمين، حكم الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين".

المرتبة الثانية: مرتبة الجنب العالى، وهي:

" الجنب العالى، القاضى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدى، البليغى، الفريدى، المفيدى، النجيدى، العلامى، المحققى، الحجى، الورعى، الزاهدى، الأصيلى، العريقى، البليغى، الحاكمى، الفلاى، جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء، حجة الأمة، عمدة المحققين، فخر المدرسين، مفتى المسلمين، جلال الحكام، بركة الدولة، معز السنة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، رئيس الأصحاب، لسان [١٧١ ب] المتكلمين، خالصة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين".

(١) الدرجة الأولى عند القلقشندي درجة " المقر"، ولعل صاحب الثغر أسقطها لكونها غير مستعملة كما

ذكر ذلك أيضاً القلقشندي. انظر صبح، ج٦، ص١٥٤؛ ضوء، ص٣٧٧.

(٢) هي على ثلاث مراتب عند القلقشندي، صبح، ج٦، ص١٥٦؛ ضوء، نفسه

(٣) فى هامش صفحة المخطوط " خطيب الخطباء من الألقاب المختصة بقاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية".

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالي، ومثالها على ما أورده في التشيف في ألقاب القضاة الثلاثة [الحنفى، والمالكى، والحنبلى] ^(١) بالديار المصرية، وهى:

" المجلس العالي، القاضى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدى، البليغى، المفيدى، النجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الإمامى، الأصيلى، العريقى، الحاكى، الفلاقى، جمال الإسلام والمسلمين، سيد العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء، حجة الأمة، عمدة المحدثين، فخر المدرسين، مفق المسلمين، جلال الحكام، حكم الملوك والسلطين ".

وعلى ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

" المجلس العالي، القضائى، الأصيلى، الإمامى، الصدرى، الرئيسى، الفقيهى، العالمى، العلمى، الأفضلى، الأكملى، الأوحدى، الحاكى، الفلاقى، مجد الإسلام والمسلمين، فخر العلماء العاملين، تاج الحكام المرشدين، جمال الأمة، أوجد الأئمة، خالصة الملوك والسلطين ".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين:—

المرتبة الأولى: مرتبة السامى بالياء، ولم يذكر لها فى التشيف مثلاً، ومثالها على ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

" المجلس السامى، القضائى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الرئيسى، البليغى، المفيدى، القدوى، الأثيرى، الحاكى، الفلاقى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، جمال العلماء، أوجد الفضلاء، شرف النبلاء، صفوة الملوك والسلطين ".

المرتبة الثانية: مرتبة السامى بغير ياء، وهى:

" المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، الأثير، البار، الأوجد، فلان الدين، مجد الصدور، زين الأعيان، أوجد المعترين، مرتضى الملوك والسلطين ". وعلى ما رأيته فى بعض التواقيع ^(٢) وهى " المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الكامل، الأوجد، الأثير، البار، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر الصدور، زين الأعيان، مرتضى الدولة، صفوة الملوك والسلطين ".

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٧٨.

(٢) ذكر القلقشندي ذلك منسوباً إلى عرف التعريف، ضوء، ص ٣٧٩.

الدرجة الرابعة: درجة مجلس القاضى، ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير وهى:
" مجلس القاضى، الأجل، الكبير، العالم، الفاضل، الأوحد، الكامل، الصدر [١٧٢ أ]
الرئيس، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأعيان، فخر الصدور، أوحد المعتبرين، مرتضى الملوك
والسلاطين ".
الدرجة الخامسة: درجة القاضى، وهى مجردة عن النعوت، وهى " القاضى الأجل،
الكبير، الصدر، الرئيس، المحترم، فلان الدين ".

الصنف الثالث

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية

وهى على خمس درجات:-

الدرجة الأولى: درجة الجناح، وهى على مرتبتين ^(١):-

المرتبة الأولى: مرتبة الجناح الكريم، وهى على مهيعين:-

المهيع الأول: ألقاب كاتم السر بالأبواب الشريفة، وهى:

" الجناح الكريم، العالى، القاضى، الأجل، الكبير، العالمى، العادلى، العاملى،
العلامى، الإمامى، الأوحدى، القدوى، الفريدى، المفيدى، المجيدى، البليغى، الأثيرى، الأثيلى،
القوامى، النظامى، المفوهى، الأصيلى، العريقى، السندى، العونى، المتصرفى، المسددى، المنفذى،
الملاذى، اليمينى، السفيرى، الرئيسى، الإمامى، المشيرى، الفلاذى، صلاح الإسلام والمسلمين،
سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة البلغاء العارفين، أوحد العلماء المتقين، كبير الأدباء، كهف
الفقراء، حجة الأئمة، ملجأ القاصدين، ملاذ الكتاب، بقية الأصحاب، لسان المملكة، سفير
السلطنة، مدبر الدول، عين الملك، مشير السلاطين، ولى أمير المؤمنين ". فإن كان بارعاً فى
العلوم زيد فى ألقابه " المحققى، الحجى " ونحوه، وفى نعوته " مفيد الطالبين، لسان المتكلمين،
حجة العارفين " ونحو ذلك، وفى تعريفه ينسب إلى مذهبه.

وكتب زيادة فى ألقاب السيد الشريف شهاب الدين الحسنى ^(٢) فى عام ثلاث وثلاثين

وتمانئة:

(١) ثلاث مراتب: صحيح، ج ٦، ص ١٤٨؛ ضوء، ص ٣٨٠.

(٢) انظر عن كاتب السر شهاب الدين الحسنى، المقدمة ص ٧٩.

" الشريفى، الحسيبى، النسيبى، طراز العصاة العلوية، فخر السالة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية، زين الأسرة الطاهرة، جمال الذرية الزاهرة ".

وكان يكتب له الجناح العالى على ما رأته فى بعض الدساتير، وهى:

" الجناح العالى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادلى، البارعى، الكاملى، الماجدى، القوامى، النظامى، الأصلى، العريقى، البليغى، الرئيسى، النجىدى، الأثيرى، الأوحى، السفيرى، اليمينى، المشيرى، الفلاى، جلال الإسلام والمسلمين، أوحى الرؤساء فى العالمين، رئيس الأصحاب، كبير الكتاب، تاج المنشئين، قدوة المتصرفين، خالصة الملوك [١٧٢ ب] والسلطين، ولى أمير المؤمنين ".

المهيع الثانى: ألقاب الوزراء أرباب الأقلام، وهى:

" الجناح الكرم، العالى، الصاحبى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأكملى، الأفضلى، العارفى، المتصرفى، الرئيسى، الأصلى، العريقى، الأثلى، الأثيرى، القوامى، النظامى، الممهدى، العونى، المنفذى، المسددى، المشيرى، الوزيرى، الفلاى، جلال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، رأس الأعيان، عين الزمان، قوام الدول، نظام الملك، معتمد المصالح، مفيد المناجى^(١)، قدوة الكتاب، جمال ذوى الألباب، رئيس الكبراء، أكبر الرؤساء، مدبر الدول، مشير الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين ".

قلت لو كتب " حفيظ الملوك والسلطين " لكان أولى إقتداء بما ورد فى الترتيل عن سيدنا يوسف صلوات الله وسلامه عليه حيث قال ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

وكان يكتب له " الجناح العالى " على ما أورده فى التشيف وهى:

(١) مفيد المناجى، تعنى القائم والمنفذ للعمل الناجح.

(٢) يوسف، الآية ٥٥.

"الجناب العالى، الكبيرى، الصاحبى^(١)، العالمى، العادلى، الأكملى، الأوحدى^(٢)، القوامى، النظامى، الأثيرى، البليغى، [المفيدى، المتصرفى]^(٣)، الممهدى، العونى، المدبرى، المشيرى، الوزيرى، الفلاى، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء فى العالمين، رئيس الكبراء، كبير الرؤساء، أوحده الأصحاب، ملاذ الكتاب، قوام الدول، نظام الملك، مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين".

وكتب فى زماننا ألقاب المقر الأشرف الزينى عبد الباسط^(٤) وهو ناظر الجيش، وهى:

"الجناب الكريم، العالى، القاضى، الكبيرى، العالمى، العادلى، الأكملى، الأفضلى، الرئيسى، الأصلى، العريقى، البليغى، الأثيرى، الأنلى، المفوهى، المسددى، المنفذى، الممهدى، الفريدى، النجيدى، القوامى، النظامى، الأوحدى، الزينى، جلال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء فى العالمين، قدوة الكتاب، رئيس الأصحاب، إمام البلغاء، عين الأعيان، فريد الزمان، مرتب العساكر، مدبر الجيوش، خالصة الملوك والسلطين، ولى أمير المؤمنين".

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالى، ومثلها على ما أورده فى التثيف [١٧٣ أ] فى ألقاب كاتم السر قديماً وهى:

"المجلس العالى، القاضى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العلمى، الأفضلى، الأكملى، البليغى، المسددى، المشيدى، المنفذى العونى^(٥)، السفيرى اليمينى^(٦)، الأصلى، العريقى، المشيرى،

(١) الصاحبى الكبيرى: التثيف، ص ١٩٦؛ صبح، ج ٦، ص ١٤٩؛ ضوء، ص ٣٨٠.

(٢) الأوحدى الأكملى: التثيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) المنفذى، المسددى، المتصرفى: التثيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) هو القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية، وهو دمشقى الأصل والمولد والمنشأ مصرى الدار والوفاة، بدأ حياته بدمشق وأتصل بالمؤيد شيخ وعاد معه إلى القاهرة وولاه وظيفة ناظر الخزانة الشريفة، وتولى فى عهد الظاهر ططر نظر الجيش، وظل بها خلال عهد الأشرف برسباى، ثم عزله الظاهر جقمق ونفاه إلى مكة ثم عاد إلى دمشق ثم إلى القاهرة وتوفى بها عام ٨٥٤ هـ. انظر: ابن تغرى بردى: المنهل، ج ٧، ص ١٣٦-١٤٣ ت رقم ١٣٥٨.

(٥) المسددى، المنفذى، الممهدى، المشيدى، العونى: التثيف، ص ١٣٢؛ المنفذى، المشيدى: صبح، ج ٦،

ص ١٥٠؛ ضوء، ص ٣٨١.

(٦) المشيرى، اليمينى، السفيرى: التثيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

القلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العاملين، جمال البلغاء، أوجد الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكتاب، عيون المملكة، لسان السلطنة، سفير الأمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين ".
وما أورده أيضاً في ألقاب ناظر الخاص:

" المجلس العالي، القاضوي، الكبير، العالمي، الفاضلي، الأوحدي، الأكمل، الرئيسي، البليغي، البارعي، القوامي، النظامي، الماجدي، الأثري ^(١) المنفذي، المتصرفي، المسددي ^(٢) القلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قوام المصالح، نظام المناجح، جلال الأكابر، قدوة الكتاب، رئيس الأصحاب، عماد الملة، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين ".
أما في زماننا فإن ألقابه " الجنب العالي ".

وما أورده في التثقيف في ألقاب وزير الشام إذا صرح له بالوزارة على ما كان عليه الأمر قديماً وهي:

" المجلس العالي، الصاحب، الوزيري، [الأجل] ^(٣)، الكبير، العالمي، العادلي، المؤيدي، الأوحدي، الأصلي، العريق ^(٤) القوامي، النظامي، الماجدي، الأثري، المشيري، القلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء في العالمين، رئيس الكبراء، كبير الرؤساء، بقية الأصحاب، ملاذ الكتاب، عماد الملة، خالصة الدولة، مشير الملوك والسلاطين، خالصة أمير المؤمنين ".

وما أورده في ألقابه إذا لم يصرح له بالوزارة بل كان ناظر النظار بالمملكة الشامية فهي:

" المجلس العالي، القضائي، الكبير، العالمي، العاملي، الكامل ^(٥)، الأوحدي، الرئيسي،

(١) الأمري: صبح، ج ٦، ص ١٥١.

(٢) المنفذي، المسددي، المتصرفي: التثقيف، ص ١٣٣؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص ٣٨١.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص ١٣٤؛ الأصلي: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من التثقيف، ص ١٣٥؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

الأثري، القوامي، [النظامي] ^(١)، المنفذي، المتصرفي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء ^(٢) في العالمين، أوجد الفضلاء، جلال الكبراء، حجة الكتاب، صفوة الملوك والسلطين، خالصة أمير المؤمنين".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامي، وهي على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس السامي بالياء، ولم يذكرها في التثقيف مثلاً، ومثلها على ما رأيته في بعض [١٧٣ ب] الدساتير وهي:

"المجلس السامي، القضائي، الأجل، الكبير، العالي، الفاضلي، الكافلي، الرئيسي، الأوحدي، الأصلي، الأثري، البليغي ^(٣) الفلاني، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، فخر الأنام، زين البلغاء، جمال الفضلاء، أوجد الكتاب، فخر الحساب، صفوة الملوك والسلطين".

وعلى ما رأيته في بعض التوقييع وهي:

"المجلس السامي، القضائي، الأجل، الكبير، العالي، الفاضلي، الكامل، البليغي، الرئيسي، الأصلي، العريق، المنشئ، الفلاني، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوجد الكتاب، جمال البلغاء، مرتضى الملوك والسلطين".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامي بغير ياء، ومثلها على ما هو مذكوراً في "التذكرة الآمدية" في توقيع بكتابة درج وهي:

"المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيسي، الأوحدي، البار، [الكامل] ^(٤)، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام، شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوجد الفضلاء، فخر ^(٥) الكتاب، صفوة الملوك والسلطين".

الدرجة الرابعة: درجة مجلس القاضي، ومثلها ما رأيته في بعض التوقييع وهي:

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص ١٣٤؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٢) الأمراء: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من ضوء، ص ٣٨٢.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج ٦، ص ١٥٣؛ ضوء، نفسه.

(٥) زين: صبح، نفسه. ضوء كالثغر، نفسه.

" مجلس القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحد، الأثير، الرئيس، البليغ، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، زين الكتاب، مرتضى الملوك والسلاطين " .

الدرجة الخامسة: درجة القاضى الأجل، وهى:

" القاضى الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأكمل " . ونحو ذلك.

الصنف الرابع

ألقاب مشايخ الصوفية

وهى على ست ^(١) درجات:-

الدرجة الأولى: درجة الجناب ^(٢)، ومثالها على ما هو فى بعض التواقيع وهى:

" الجناب العالى، الشيخى، الإمامى، العالى، العاملى، الفاضلى، الورعى، الزاهدى، العابدى، الناسكى، السالكى، الخاشعى، المسلكى، المحققى، المدققى، الربانى، الفلانى، صلاح الإسلام والمسلمين، جمال الأصفياء العاملين، خالصة الأنام، صفوة الأتقياء، قطب العباد، مرشد الزهاد، المسلك على الحقيقة، والمالك أرملة الطريقة، بقية السلف، وقدوة الخلف، مفيد الطالبين، أوحد المحققين، ركن الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين " . [١٧٤ أ]

الدرجة الثانية: درجة المجلس العالى، ومثالها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس العالى، الشيخى، الكبيرى، العالى، العاملى، السالكى، الأوحدى، الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى ^(٣) القدوى، المفيدى ^(٤)، الإمامى، النظامى، الملاذى، الفلانى، جمال ^(٥) الإسلام والمسلمين، شرف الصالحاء فى العالمين، شيخ شيوخ الإسلام، أوحد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين " .

وعلى ما رأيته فى بعض الدساتير وهى:

(١) الصواب: خمس، طبقاً لترتيبه.

(٢) جعل القلقشندي كالعادة بداية الألقاب بـ " المقر " . صبح، ج ٦، ص ١٦١.

(٣) ساقطة من، صبح، ج ٦، ص ١٦٣؛ ضوء، ص ٣٨٣.

(٤) المفيدى، القدوى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) جلال: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

" المجلس العالي، الشيخى، الأجلى، الإمامى، العالمى، العاملى، الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى، القدوى، الفلاقى، خيرة الإسلام، شرف الأنام، زين العباد، نور الزهاد، زخر الطالبين، كثر التقى، ملجأ المريدين، بركة الملوك والسلاطين ".

وفى بعض التواقيع:

" المجلس العالي، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الورعى، الزاهدى، العابدى، الناسكى، الخاشعى، المسلكى، المحققى، المدققى، الفلاقى، صلاح الإسلام والمسلمين، خالصة الأنام فى العالمين، صفوة الأتقياء، قطب العباد، علم الزهاد، المسلك على الحقيقة، المسلك ملازمة الطريقة، سير السلف، وقدوة الخلف، ملاذ المريدين مفيد الطالبين، بركة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين ".

وعلى ما هى فى عرف التعريف:

" المجلس العالي، الشيخى، الإمامى، العالمى، العاملى، الفاضلى، الكاملى، الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى، المحققى، القدوى، المسلكى، العارفى، المدققى، الفريدى، المفيدى، الربانى، الفلاقى، ضياء الإسلام والمسلمين، قدوة المشايخ الأعلام فى العالمين، علم الزهاد، حجة العباد، إمام الناسكين، مسلك المريدين، شيخ شيوخ العارفين، بركة الملوك والسلاطين، صفى أمير المؤمنين ".

الدرجة الثالثة: درجة المجلس السامى، وهى على مرتبتين: -

المرتبة الأولى: المجلس السامى بالياء، ومثلها على ما أورده فى التثقيف وهى:

" المجلس السامى، الشيخى، الأجلى، العالمى، العاملى، الكاملى، الفاضلى، الزاهدى، العابدى، الورعى ^(١)، الخاشعى، الناسكى، القدوى، الأوحدى، الفلاقى، مجد الإسلام، [١٧٤ب] بهاء ^(٢) الأنام، بقية السلف الكرام، فخر الصلحاء، أوجد الكبراء، زين الزهاد، عماد العباد، قدوة المتورعين، زخر الدول، ركن الملوك والسلاطين ".

وعلى ما ذكره المقر الشهابى ابن فضل الله فى توقيع:

(١) الورعى، العابدى: التثقيف، ص ٦٩؛ صبح، ج ٦، ص ١٦٣؛ ضوء، ص ٣٨٤.

(٢) ضياء: صبح، نفسه؛ ضوء كالتغر، نفسه.

" المجلس السامي، الشيخى ^(١)، الإمامي، العالمي، العاملي، الخاشعي، الورعي، الناسكي، السالكي، العارفي، القدوي، البليغي، الأصيلي، الفلاني، مجد الإسلام، شرف العلماء، قدوة الفضلاء، فخر الصلحاء، جمال النساك، ذروة ^(٢) السلاك، أوحده العارفين، بركة الملوك والسلطين ".

ويزاد في ألقاب الخطباء " المفوهي، المصقعي، الفصيح، الخطيبي "، وفي نعوته " جمال الأئمة الفصحاء، محيي قلوب الأولياء والصلحاء، لسان البيان، ترجمان الرحمن "، ونحو ذلك. ويزاد في ألقاب الوعاظ " أوحده الوعاظ، لسان الحفاظ، مذكر القلوب، منبه الخواطر، الداعي إلى سبيل الرشاد، الساعي في مصالح العباد " ونحو ذلك.

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامي بغير ياء، ومثالها على ما هو في بعض الدساتير وهي: " المجلس السامي، الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلطين ".

الدرجة الخامسة: درجة الشيخ، ومثالها " الشيخ الصالح، الورع، الزاهد " ونحو ذلك.

الصف الخامس

ألقاب التجار الخواجكية

وهي على ثلاث ^(٣) درجات: -

الدرجة الأولى: درجة المجلس العالي ^(٤)، ومثالها على ما كتب به للخواججا فخر الدين عثمان المارداني ^(٥) في مسموح أيام الظاهر برقوق، وهي:

" المجلس العالي، الصدري، الكبير، المحترمي، المؤيدي، الأوحدي، الأكمل، المؤتقي، الرئيسي، العارفي، المقربي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأكابر في العالمين، أوحده

(١) ساقطة من، صبح، ج ٦، ص ١٦٤؛ ضوء، نفسه.

(٢) قدوة: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) أربع: صبح، ج ٦، ص ١٦٥؛ وضوء كالنفر، ص ٣٨٤.

(٤) بدأ القلقشندي الألقاب بدرجة " الجناب ". انظر: صبح، ج ٦، ص ١٦٥؛ ضوء، ص ٣٨٤.

(٥) هو أحد التجار الكبار عصر الظاهر برقوق، وكان يجلب له معظم ما يحتاجه من العبيد والإماء وكان يعرف بالخواججا عثمان. ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٣٥٢، ٣٦٤.

الأمناء المقربين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، عين الأعيان، ثقة الدولة، كبير الخواجكية، مؤتمن الملوك والسلطين."

وعلى ما كتب به للخواج شمس الدين [١٧٥ أ] بن المزلق^(١) في زماننا وهي:
" المجلس العالي، الصدرى، الكبيرى، الرئيسى، المحترمى، المؤتمنى، الأوحدى، الأكملى،
المقرى، المنتخى، الماجدى، الأثرى، الخواجكى، الفلاقى، مجد الإسلام، شرف الأكابر، أوحده
الأمناء، صدر الرؤساء، زين الأعيان، ثقة الدولة، مؤتمن الملوك والسلطين."

الدرجة الثانية: درجة المجلس السامى، وهي على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس السامى بالياء، ومثالها على ما أورده في التثقيف وهي:
" المجلس السامى، الصدرى، الرئيسى^(٢)، الكبيرى، الكاملى، الماجدى، الأوحدى،
المقرى، المنتخى، الأمينى، الأثرى، الخواجكى، الفلاقى، مجد الإسلام، زين الأنام، شرف
الرؤساء، أوحده الكبراء، تاج الأمناء، فخر الأعيان، مقرب الحضرتين^(٣)، مؤتمن الدولة^(٤)
صفوة الملوك والسلطين."

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامى بغير ياء، ومثالها على ما أورده في التثقيف وهي:
" المجلس السامى، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحده، المقرب، المنتخب،
الأمين، الأثر، الخواج^(٥)، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكابر، فخر^(٦) الصدور، جمال
الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلطين."

الدرجة الثالثة: درجة الصدر، وهي:

(١) الخواجه شمس الدين بن المزلق، أحد أعيان دمشق وكبير تجارها عهد المؤيد شيخ، والأشرف برسباى توفى
عام ٨٤٨ هـ. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٥، ص ٤٨٢؛ السخاوى: الضوء، ج ٨، ص ١٧٣،
ت رقم ٤٢٩.

(٢) ساقطة من التثقيف، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ صحيح، ج ٦، ص ١٦٦؛ ضوء، ص ٣٨٥.

(٣) مقرب الحضرتين تطلق على التجار الأجانب بمعنى قربه من الحضرتين السلطانتين بمصر والدولة الآتى منها
التاجر.

(٤) الممالك، ثقة الدول: التثقيف، ص ٢٠٤؛ الدول: ضوء، نفسه.

(٥) الخواج: لفظ فارسى بمعنى السيد، وعند نسبته يقال له الخواجكى. البقلى: التعريف، ص ١٢٤.

(٦) مجد: صحيح، ج ٦، ص ١٦٧؛ والتثقيف، وضوء كالثغر، التثقيف، ص ٢٠٤؛ ضوء، ص ٣٨٥.

" الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحد، فلان الدين " ونحو ذلك.

الصنف السادس

ألقاب أرباب الصناعات

كرؤساء الأطباء، والكحالين، والجرائحية، والمجبرين. وفيها ثلاث^(١) درجات:-

الدرجة الأولى: درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: مرتبة المجلس العالي، ومثالها على ما كتب به لابن صغير وهي:

" المجلس العالي، القضائي، [العالي]^(٢)، الفاضلي، الكامل، الأوحدي، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، أوجد الفضلاء المقربين، خالصة الملوك والسلطين".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس السامي بالياء، وهي:

" المجلس السامي، الصدري، الرئيسي، الأجل، الكبير، الأوحدي، الفلاني، مجد الإسلام، شرف الرؤساء في الأنام، أوجد المقربين، صفوة الملوك والسلطين".

المرتبة الثالثة: مرتبة المجلس السامي بغير ياء، وهي:

" المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الرئيس، المحترم، فلان [١٧٥ ب] الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، أوجد المقربين، زين الرؤساء، مرتضى الملوك والسلطين". ونحوه.

الدرجة الثانية: درجة المجلس الصدر^(٣)، وهي:

" مجلس الصدر، الأجل، الكبير، الرئيس، المحترم، فلان الدين، مجد الرؤساء، فخر الأعيان، زين المؤتمنين، مرتضى الملوك والسلطين".

الدرجة الثالثة: درجة الصدر، وهي:

" الصدر، الأجل، الكبير، الأوحد، المؤتمن، فلان الدين". ونحوه.

(١) درجتان: صبح، ج ٦، ص ١٦٨؛ ضوء كالنفر، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) هذه الدرجة غير موجودة بالضوء، ص ٣٨٦.

الصف السابع

ألقاب الحاشية السلطانية

كمهتارية البيوت، ومهندس العمائر، ورئيس الحراقة، وهى على درجتين: -
الدرجة الأولى: مجلس الصدر، ومثالها على ما أورده في التثيف في ألقاب المهندسين
والرؤساء وهى:

" مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المؤتمن، الحاج ^(١)، فلان " .

الدرجة الثانية: درجة الصدر، وهى:

" الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، فلان " .

الصف الثامن

ألقاب النساء

وهى على مرتبتين: -

المرتبة الأولى: مرتبة الجهة الشريفة، ومثالها على ما ذكره في التثيف في ألقاب بنت
الناصر محمد بن قلاوون ^(٢) وهى:

" الجهة [الشريفة] ^(٣)، العالية، المحجبة، الدارية ^(٤)، عصمة الدين، جلال النساء،
شرف الخواتين، سلية الملوك والسلطين " .

وعلى ما أورده أيضاً في ألقاب " أم أنوك " زوجة الناصر محمد ^(٥)، وهى:

" الجهة الشريفة العالية، المحجبة المعظمة ^(١) [المصونة] ^(٢)، الكبرى، خوند خاتون،
جلال النساء في العالمين، سيدة الخواتين ^(٣)، قرينة الملوك والسلطين " .

(١) ساقطة من، صبح، ج٦، ص ١٧٠؛ ضوء، ص ٣٨٦.

(٢) هى ابنة الناصر محمد زوجة الأمير أبى بكر بن أرغون. ابن ناظر الجيش: التثيف، ص ١٣٦.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثيف، ص ١٣٦؛ صبح، ج٦، ص ١٧١؛ ضوء، نفسه.

(٤) المصونة الولدية: التثيف، نفسه؛ ضوء، نفسه؛ المصونة، الولدية، العصمية: صبح، نفسه.

(٥) هى طغاي الخوند الكبرى، كانت من جملة إماء السلطان الناصر فأعتقها وتزوجها، وأنجبت له ولده أنوك،

وكانت ذات مكانة أثرية لديه، توفيت عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م لها خانقاه كبيرة بالقاهرة مازالت قائمة

إلى الآن تحت رقم ٨١. المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

وعلى ما ذكره في ألقاب أخت الناصر حسن عنه وهي:

"الجهة الشريفة، العالية، الكريمة، المحجبة، المصونة، الكبرى، الخاتون، جلال النساء في العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، كريمة الملوك والسلاطين".

وعلى ما ذكره في ألقاب الست حدق^(٤) وهي:

"الجهة الشريفة، العالية، الكبرية، المحجبة، المصونة، الحاجية، الوالدية، جلال النساء في العالمين، بركة [الدولة، والدة] ^(٥) الملوك والسلاطين".

وعلى ما ورد في بعض الدساتير في ألقاب والدة الأشرف شعبان^(٦) وهي:

"الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة^(٧)، المحجبة، العصمي، الخاتون^(٨)، جلال النساء في العالمين، سيدة الخواتين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، والدة الملوك والسلاطين".

المرتبة الثانية: مرتبة الجهة الكريمة [١٧٦ أ] ومثالها على ما أورده في التثقيف في

ألقاب دلشاه زوج الشيخ حسن الكبير^(٩) صاحب بغداد وهي:

(١) المعظمة المحجبة: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ المحجبة، المصونة: ضوء، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) هي مربية السلطان الناصر محمد ولها مسجد قائم إلى الآن تحت رقم ٢٥٢. المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

(٥) التثقيف، ص ١٣٧؛ صبح، ج ٦، ص ١٧٢؛ ضوء، ص ٣٨٦.

(٦) هي خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان، كانت أمة مولدة، فلما تسلطن ابنها الأشرف شعبان أصبحت ذات مكانة عالية في البلاط السلطاني، توفيت عام ٧٧٤ هـ. المقرئ: السابق، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٧) ساقطة من ضوء، نفسه.

(٨) الخاتون: صبح، نفسه؛ ضوء كالشعر، نفسه.

(٩) الشيخ حسن الكبير هو الحسن بن حسين بن أقبا بن أيلكان النوين، صاحب بغداد وهو من أحفاد هولوكو، كان ذا علاقات طيبة بمصر عهد المماليك، توفي عام ٦٥٧ هـ. الصفدي: الوافي، ج ١١ ص ٤٠٥؛ ابن تغري بردي: المنهل، ج ٥، ص ٦٩ - ٧١، ت رقم ٨٩٣.

" الجهة الكريمة، المحجبة، المصونة، العصمية، الخاتونية، المعظمة ^(١)، سيدة [الخواتين، زينة نساء العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، قرينة نوين] ^(٢) الملوك والسلاطين ".
أما الدار والستارة فهما للتعريف لما ينسب إليه رتبة دون رتبة فيقال " الدار الفلانية " أو " الستارة الفلانية " .

تنبيه لا يصرح باسم المرأة إذا كتب إليها لما فيه من الكشف، بل يقتصر على الألقاب، وعلى ذلك جرى الأمر في التثقيف وغيره.

الصف التاسع

ألقاب بطارقة النصارى ورؤساء اليهود

وهو على ثلاث درج:-

الدرجة الأولى: درجة الباب، فعلى ما أورده في التثقيف في ألقاب الباب برومية فهي:
" الباب، [الجليل] ^(٣)، القديس، الروحاني، الخاشع، العامل، بابا رومية، عظيم الملة المسيحية، قدوة الطوائف العيسوية، مملك ممالك ^(٤) ملوك النصرانية، حافظ البحار والخلجان، ملاذ البطارقة والأساقفة والقسوس والرهبان، تالي الإنجيل، معرف طائفته التحريم والتحليل، صديق الملوك والسلاطين " .

قلت لا يلقب الكافر بالعقل لأنه لو عقل لما كفر بدليل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٥) . فيحكى عن الكفار أهل النار عدم التعقل.

الدرجة الثانية: درجة البطرك، وهي على مرتبتين:-

المرتبة الأولى: مرتبة بطرك اليعاقبة، ومثلها على ما أورده في التثقيف في ألقاب البطرك بالديار المصرية وهي:

(١) المعظمة: التثقيف، وفي إحدى نسخه المخطوطة كالثغر، ص ٧٠ هـ ٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص ٣٨٧ .

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص ٢٧؛ صبح، ج ٦، ص ١٧٣؛ ضوء، نفسه.

(٤) ساقطة من التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) الملك، الآية ١٠ .

"البطرك الجليل، [القديس، الروحاني، المتبتل] ^(١)، الخاشع، قدوة النصرانية". ثم قال ومن نسبة ذلك.

وما رأيته في بعض الدساتير:

"البطريك المحتشم، المبجل، العارف، الخبر، فلان، العالم بأمور دينه، المعلم لأهل ملته، ذخيرة الملة المسيحية، كبير ^(٢) الطائفة العيسوية، المشكور بفعله عند الملوك والسلطين".

المرتبة الثانية: مرتبة بطرك الملكانية، وهي:

"الحضرة السامية، الشيخ الرئيس، المبجل، المكرم، الكافي، المعزز، المفخر، القديس، فلان، شمس الرئاسة، عماد بني المعمودية، كبير الطائفة الصليبية".

الدرجة الثالثة: ألقاب اليهود، ولم يكن فيها غير مرتبة واحدة وهي:

"الرئيس الأوحد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، الفلاني، شرف الدواوين، قدوة الإسرائيليين [١٧٦ ب].

وما رأيته في بعض الدساتير، وهي:

"الرئيس، الأجل، الكبير، الأوحد، المحتشم، مجد الملة الإسرائيلية، كبير الطائفة اليهودية". ونحو ذلك.

النوع الرابع

في ذكر أصول يعتمدها الكاتب في ترتيب الألقاب والمناسبة بين الفروع والأصول من الألقاب

وهي على ثلاثة أصول:-

الأول: أن يعرف رفيع الألقاب ومنحطها ليلحق كل واحد منها بما يناسبه من الأصول، كإلحاق "العالمي، والعادلي، ومهد الدول، ومشيد الممالك" وما شاكل ذلك بـ "من المقر ^(٣)، والجناب"، وإلحاق "العصدة، والذخر"، وما أشبههما بـ "المجلس".

(١) ما بين الحاصرتين من، الثقيف، ص ٣٧؛ ولكنها تنقص في صبح، وضوء: القديس. صبح، ج ٦،

ص ١٧٣؛ ضوء، ص ٣٨٧.

(٢) كثر: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) الصواب: المقر، ضوء، ص ٣٨٨.

الثاني: أن يعرف ما هو من الألقاب حقيقي لصاحب ذلك اللقب كـ "العالى" للعلماء و"العابدى" لأهل الصلاح، وما هو منها مجازى كـ "العالى" لأرباب السيوف وأرباب الوظائف الديوانية حيث لا اتصاف لصاحب السيف والقلم في العلم، و"الأصلى" لمن ليس له أباء في الرئاسة ولا عراقة في النسب ونحو ذلك.

الثالث: أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض كـ "الشريفى، الحسيبى، والنسيبى" للأشراف وأولاد على من فاطمة، و"الكافلى" لنائب سلطنة، ولوزير كبير، و"المدبرى" للوزير وناظر الخاص، و"المشبرى" للدوادار وكاتم السر، وكان من ألقاب أمير حاجب، و"العريقى" لذوى العراقة والنسب، و"الأصلى" لمن له ثلاثة أباء كبار متوالية.

والنوعوت كـ "والد الملوك" لمن له ولد فأكثر من الملوك، و"والد أو سليل الملوك والسلطين" لأولاد الملوك. و"ظهر وعضد الملوك والسلطين" للمقدمين، و"الآمري، مجند الجنود" لنائب السلطنة بالأبواب، و"الكفلى" إلى نائب الشام، و"كافل الممالك" للنائب الكافل، و"الكافلى" للتواب بحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد. و"المقدمى" لنائب ثغر الإسكندرية، وغزة، والكرك، وسيس، ونائبى الوجهين القبلى والبحرى.

و "سفير الدولة ولسان المملكة" للدوادار وكاتم السر، و"عين الملوك والسلطين" لهما. و"مرتب الجيوش" لناظر الجيش. و"والدة الملوك والسلطين" لمن يكون من النساء لها ولد ملك. و"كريمة الملوك والسلطين" لمن يكون من إخوتها [١٧٧ أ] ملك. و"قريبة الملوك والسلطين" لمن تكون زوجة ملك. و"قريب الملوك والسلطين" لمن يكون من أقارب الملك. و"مدبر الملوك والسلطين" لملوك الكفر. و"غرس الملوك والسلطين" لنوابهم. و"حامى البحار والخلجان" لملوك جزائر بالبحر، فيختص كل منهم بلقبه اللائق به.

